فتح الرحمن الرحيم
فى
تفسير القرآن الكريم

تأليف

أ. د/ محمد محمد محمد سالم محيسن
تخصص فى القراءات وعلوم القرآن
عضو لجنة مراجعة المصاحف بالأزهر الشريف
دكتوراه فى الآداب العربية

المجلد الرابع

١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م

دار محيسن
للطباعة والنشر والتوزيع

الطبعة الأولى

١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م

دار محيسن

للطباعة والنشر والتوزيع

٤٣ طريق النصر (الأوتوستراد)
وحدة رقم ١ عمارات امتداد رمسيس ٢
مدينة نصر - القاهرة - ت: ٢٦٣١٤١٢ (٢٠٢)
ص.ب. ٨١٧٧ - مدينة نصر - الرقم البريدى: ١١٣٧١
المطابع: مدينة العبور - المجمع الصناعى - وحدة ٢٠٥
E-mail: dar_meheisen@hotmail.Com

رقم الإيداع: ٢٠٠٢/١١٢٦٤
الترقيم الدولى: 3- 20 - 6076 - 977

منهجي في هذا التفسير

هذه أهمّ الأمور التي سأتبعها في تفسيري هذا ـ بإذن الله تعالى ـ:

١ ـ كتابة الآية القرآنية ثم ذكر رقمها وفقًا لترتيب القرآن.

٢ ـ إذا كان للآية سبب نزول سأذكره قبل تفسير الآية.

٣ ـ الأحكام المنسوخة سأذكرها قبل تفسير الآية، متبعـًا في ذلك الروايات الصحيحة.

٤ ـ إذا كان في الآية قراءات متواترة سأذكرها بعد تفسير الآية ثم أوجهها مع نسبة كل قراءة إلى قارئها.

٥ ـ عقيدتي في آيات الأسماء والصفات عقيدة أهل السُّنّة والجماعة، فلا تشبيه، ولا تمثيل، ولا تأويل، ولا تعطيل.

٦ ـ الآيات المتشابهة سأفوض العلم فيها إلى الله ـ تعالى ـ، وأقول: الله أعلم بمراده.

٧ ـ سأجتهد في البحث عن التفسير المأثور عن النبي ﷺ، أو الصحابة، أو التابعين مسندًا القول إلى قائله.

٨ ـ سأجتهد في تفسير القرآن بالقرآن إذا اقتضت مصلحة التفسير ذلك لزيادة إيضاح المعنى.

٩ ـ القضايا النحوية، والصرفية، والبلاغيّة سأذكرها بعبارة سهلة وموجزة حسب مقتضيات الأحوال.

١٠ ـ المعاني الدلالية للكلمة القرآنية سأذكر أصحّها وأوضحها، معرضًا عن المعاني الضعيفة.

١١ـ سأستشهد بالأحاديث التي تلقي الضوء على المعنى الذي يدلّ عليه النصّ القرآني.

١٢ـ لن أتعرض للإسرائيليّات إلا بقدر الضرورة التي يحتاجها فهم الآية القرآنية.

أسأل الله أن يهديني إلى الحق والصواب إنه سميع الدعاء.

* * *

سورة النحل
مكية وهي مائة وثمان وعشرون آية

* أخرج النحّاس من طريق مجاهد عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) قال: سورة النحل نزلت بمكّة سوى ثلاث آيات من آخرها فإنهنّ نزلن فى منصرف رسول الله ﷺ من أُحُد.. اهـ(١).

* الآيات الثلاث رقم ١٢٦ ـ ١٢٧ ـ ١٢٨ ـ آخر سورة النحل نزلت بالمدينة فى شأن التمثيل بحمزة بن عبد المطلب وشهداء أُحُد ـ رضى الله عنهم أجمعين ـ.

* وأخرج أبى إسحاق، وابن جرير عن عطاء بن يسار (ت ٩٤هـ) قال: نزلت سورة النحل كلها بمكة إلا ثلاث آيات من آخرها نزلت بالمدينة يوم أُحُد حيث قتل حمزة بن عبد المطلب ومُثِّل به، فقال رسول الله ﷺ: «لئن ظهرنا عليهم لنمثّلن بثلاثين رجلا منهم، فلما سمع المسلمون ذلك قالوا: والله لئن ظهرنا عليهم لنمثلنّ بهم مثلة لم يمثلها أحد من العرب بأحَد قط» فأنزل الله: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ﴾ إلى آخر السورة.. اهـ(٢).

﴿أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ (١)﴾

معانى المفردات:

* ﴿أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾: ﴿أَتَىٰ﴾ هنا بمعنى «يأتى» وعبّر القرآن بالماضى عن المضارع لتحقق وقوعه.

ومما لا شك فيه أن أخبار الله ـ تعالى ـ فى الماضى، والمستقبل سواء فى تحقق وقوعها، لأن أخبار الله ـ تعالى ـ متمحضة للصدق دائمًا. وهذا الأسلوب كثير فى القرآن الكريم مثل قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ﴾ [الأعراف: ٤٤].

* ﴿أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ﴾ أى: عقابه لمن أقام على الشرك، وتكذيب رسوله.

---
(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٢٠٤).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٢٥٦).

* ﴿ فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾:

* عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) قال: لما نزلت ﴿ أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ ﴾ ذُعِر أصحابُ رسول الله ﷺ حتى نزلت ﴿ فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾ فسكنوا.. اهـ(١).

* ﴿ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾، أى: تنزيهًا لله ـ عزّ وجلّ ـ عما يصفه به المشركون من أنه لا يقدر على إنزال العذاب بهم، ومن الأدلّة على صحة هذا المعنى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣٢) ﴾ [الأنفال: ٣٢].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [رقم: ١].

* ﴿ تَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [رقم: ٣].

قرأ حمزة، والكسائى، وخلف البزّار: ﴿ تشركون ﴾ فى الموضعين بتاء الخطاب، لمناسبة قوله ـ تعالى ـ: ﴿ فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾.

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ يشركون ﴾ معًا بياء الغيبة على الالتفات من الخطاب إلى الغيبة. والالتفات أسلوب بلاغىّ فصيح(٢).

﴿ يُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنذِرُوا أَنَّهُ لا إِلَٰهَ إِلاَّ أَنَا فَاتَّقُونِ (٢) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ يُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ ﴾: فاعل ﴿ يُنَزِّلُ ﴾ ضمير مستتر تقديره «هو» يعود على الله المتقدم ذكره أوّل السورة فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ ﴾.

و ﴿ الْمَلائِكَةَ ﴾ مفعول به. ﴿ بِالرُّوحِ ﴾ متعلق بالفعل «ينزّل».

وقد اختلف المفسرون فى المراد «بالروح»:

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٢٠٤).

(٢) انظر: المهذب فى القراءات العشر وتوجيهها (١/ ٣٦٦).

١ ـ فقال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما): أى: بالوحى وهو النبوّة.. اهـ[١].

٢ ـ وقال الربيع بن أنس: بكلام الله وهو القرآن.. اهـ[٢].

٣ ـ وقال الزجاج إبراهيم بن السّرى (ت ٣١١هـ): المراد: بالهداية، لأنها تحيا بها القلوبُ كما تحيا بالأرواح الأبدانُ.. اهـ[٣].

٤ ـ وقال قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ): بالوحى والرحمة.. اهـ[٤].

* ﴿ مِنْ أَمْرِهِ ﴾: أى: بأمره.

* ﴿ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴾: وهم الذين اختارهم الله ـ تعالى ـ للنبوّة، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (٧٥) ﴾ [الحج: ٧٥].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ﴾ [غافر: ٧٨].

* ﴿ أَنْ أَنذِرُوا أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاتَّقُونِ ﴾: هذا تحذير من الله ـ عزّ وجلّ ـ من الشرك، وعبادة الأوثان. و«أنْ» وما دخلت عليه فى تأويل مصدر فى محلّ نصب بنزع الخافض، والتقدير: بأنْ أنذروا أهل الكفر بأنه لا إله إلا الله، أى: لا معبود بحقّ فى الوجود إلا الله.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ يُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ ﴾ [رقم: ٢].

قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ورويس: ﴿ ينزل ﴾ بتخفيف الزاى، وإسكان النون، مضارع «أنزل» و﴿ الملائكةَ ﴾ بالنصب مفعول به.

وقرأ روح: ﴿ تنزل ﴾ بتاء مثناة مفتوحة، ونون مفتوحة، وزاى مشددة، مضارع «تنزّل» حذفت منه التاء، و﴿ الملائكة ﴾ بالرفع.

(١، ٢) انظر: تفسير القرطبى (١٠/ ٤٥).

(٣) انظر: تفسير القرطبى (١٠/ ٤٥).

(٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٢٠٥).

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ينزل﴾ بتشديد الزاى المكسورة، مضارع «نزّل» و﴿الملائكة﴾ بالنصب مفعول به(١).

* ﴿فَاتَّقُونِ﴾ [رقم: ٢].

قرأ يعقوب بإثبات الياء وصلا ووقفًا. وقرأ الباقون بحذفها(٢).

﴿خَلَقَ السَّمَوات وَالأَرْض بِالْحَقِّ تَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ③﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾:

✳ **المعنى:** ذكر الله ـ سبحانه وتعالى ـ الدليل على توحيده فقال: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾: أى: للدلالة على كمال قدرته.

* ﴿تَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾، أى: ارتفع وتعاظم عمّا يعبده هؤلاء المشركون من الأصنام التى لا تقدر على أىّ شىء ولا تسمع ولا تبصر ولا تغنى عن نفسها فضلا عن غيرها من الأمر شيئًا.

﴿خَلَقَ الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ④﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿خَلَقَ الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ﴾:

✳ **المعنى:** لما ذكر الله ـ سبحانه وتعالى ـ الدليل على توحيده، ذكر بعد ذلك الإنسان الظلوم الكفار فقال: ﴿خَلَقَ الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ﴾: والإنسان: اسم جنس يصدق على القليل والكثير، أى: خلق جنس الإنسان من «ماء» يخرج من بين الصلب والترائب، ثم جعله أطوارًا، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن سُلالَةٍ مِّن طِينٍ ⑫ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ⑬ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ⑭﴾ [المؤمنون: ١٢ ـ ١٤].

(١، ٢) انظر: المهذب فى القراءات العشر وتوجيهها (١/ ٣٦٦).

* ﴿ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ ﴾، أى: مخاصم: يخاصم الله فى قدرته.

* ﴿ مُّبِينٌ ﴾، أى: ظاهر الخصومة. والمبين: هو المفصح عمّا فى ضميره بمنطقه.

﴿ وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (٥) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ ﴾: لما ذكر الله ـ سبحانه وتعالى ـ الدليل على توحيده، ذكر بعده الإنسان، ثم ذكر ما منّ به عليه. والأنعام: هى الإبل، والبقر، والغنم.

قال الجوهرى إسماعيل بن حمّاد الفارابى (ت ٣٩٣هـ): النَّعَم: واحد الأنعام وهى الراعية، وأكثر ما يقع هذا الاسم على الإبل.. اهـ(١).

والأنعام: تُذَكّر وتؤنث، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ ﴾ [النحل: ٦٦].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا ﴾ [المؤمنون: ٢١].

و﴿ الأنعام ﴾ بالنصب على الاشتغال، والتقدير: وخلق الأنعام.

* ﴿ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ ﴾: هو ما استدفئ به من أصوافها، وأوبارها، وأشعارها إذْ تتخذ ملابس، ولحف، وقُطُف.

* «والدِّفء»: بكسر الدال: الشىء الذى يدفئك، والجمع: الأدفاء.

* وعن مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَمَنَافِعُ ﴾ قال: هى: الركوب، والحمل، والألبان، والسّمْن، واللحوم.. اهـ(٢).

* ﴿ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾: أفرد الله منفعة الأكل بالذكر، لأنها أهمّ المنافع.

﴿ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ (٦) وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلاَّ بِشِقِّ الأَنفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ (٧) ﴾

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (١٠/ ٤٦).

(٢) انظر: تفسير القرطبى (١٠/ ٤٧).

❀ معانى المفردات:

* ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾: الضمير فى «فيها» يعود على «الأنعام» المتقدّم ذكرها فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ﴾.

والجمال: ما يُتجمّل ويتزيّن به. والجمال يكون فى ثلاثة أشياء:

١ ـ يكون فى الصورة وتركيب الخِلْقة.

٢ ـ ويكون في الأخلاق الباطنة.

٣ ـ ويكون فى الأفعال:

* (١) فأمّا جمال الخلقة: فهو أمر يدركه البصر، ويلقيه إلى القلب متلائمًا، فتتعلق به النفس من غير معرفة بوجه ذلك، ولا نسبته لأحد من البشر.

* (٢) وأمّا جمال الأخلاق فكونها على الصفات المحمودة من العلم والحكمة، والعدل، والعفّة، وكظم الغيظ، وإرادة الخير لكل أحد.

* (٣) وأمّا جمال الأفعال: فهو وجودها ملائمة لمصالح الخلق، وقاضية لجلب المنافع فيهم، وصرف الشرّ عنهم.

* وجمال الأنعام والدوابّ من جمال الخلقة، وهو مرئىٌّ بالأبصار، موافق للبصائر[١].

* وقال السّدّى إسماعيل بن عبد الرحمن (ت ١٢٧ هـ): من جمال الأنعام: كثرتها، وقول الناس إذا رأوها: هذه نَعَم فلان.. اهـ[٢].

* وقال قتادة بن دعامة (ت ١١٨ هـ): من جمال الأنعام: أنها إذا راحت توفّر حسنها، وعَظُم شأنها، وتعلقت القلوب بها، لأنها إذْ ذاك أعظم ما تكون أسْمنة وضروعًا.. اهـ[٣].

* وأقول: لعلّ الحكمة من تقديم الرَّواح على السراح: لتكامل درّها، وسرور النفس بها إذْ ذاك: لأن الرواح: رجوعها بالعشىّ من المرعى، والسراح: ذهابها إلى المرعى بالغداة.

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (١٠/ ٤٧ ـ ٤٨).

(٢، ٣) انظر: تفسير القرطبى (١٠/ ٤٨).

تقول: سَرَحتُ الإبل أسرحها سَرْحًا: إذا غدوت بها إلى المرعى فخلّيتها.

* ﴿ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ ﴾: من متاع، وطعام وغيره، وهو ما يُثْقِلُ الإنسانَ حملُه.

* ﴿ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلاَّ بِشِقِّ الأَنفُسِ ﴾: ﴿ إِلَىٰ بَلَدٍ ﴾ المراد به العموم فهو يشمل كل بلد مسلكه على الظهر.

* وقال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما): المراد بالبلد: مكة المكرمة[١].

* وعن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلاَّ بِشِقِّ الأَنفُسِ ﴾ قال: معنى ذلك: لو كلفتموه لم تطيقوه إلا بجهد شديد.. اهـ[٢].

* وقال الجوهريّ إسماعيل بن حمّاد الفارابى (ت ٣٩٣هـ): «شق الأنفس»: مشتقها وغايتها.. اهـ[٣].

* ﴿ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾:

✻ **المعنى:** يخبر الله ـ عزّ وجلّ ـ بأنه رءوف بعباده، رحيم بهم. ومن رحمته بعباده: أن خلق لهم الأنعام لمنافعهم ومصالحهم.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ إِلاَّ بِشِقِّ الأَنفُسِ ﴾ [رقم: ٧].

قرأ أبو جعفر: ﴿ بِشَقِّ ﴾ بفتح الشين.

وقرأ الباقون من القراء العشرة بكسرها، والفتح والكسر مصدران بمعنى واحد وهو المشقة. وقيل: الفتح: مصدر، والكسر: اسم مصدر[٤].

* ﴿ لَرَءُوفٌ ﴾ [رقم: ٧].

قرأ أبو عمرو، وشعبة، وحمزة، والكسائى، ويعقوب، وخلف البزّار: ﴿ لرؤف ﴾ بحذف حرف المدّ بالكلية فتصير الكلمة على وزن «فَعُل».

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ لرءوف ﴾ بالمد، فتصير الكلمة على وزن «فعول»[٥].

(١، ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٢٠٦). (٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (١٠/ ٤٨).

(٤) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ٣١٦).

(٥) انظر: المهذب فى القراءات العشر وتوجيهها (١/ ٣٦٧).

﴿ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ﴾: «والخيلَ» بالنصب معطوف على قوله ـ تعالى ـ: ﴿ والأنعام خلقها ﴾.

وحينئذ يكون المعنى: وخلق الخيل والبغال والحمير، معطوفان على «الخيل» ﴿ لِتَرْكَبُوهَا ﴾ اللام للتعليل، و«تركبوها» منصوب بأنْ مضمرة بعد لام التعليل. ﴿ وَزِينَةً ﴾ يجوز أن يكون منصوبًا بفعل مضمر، والتقدير: وجعلها زينة. ويجوز أن يكون مفعولا لأجله. وسميت الخيلُ خيلا: لاختيالها فى مشيتها. والخيل: اسم جنس جمعى لا واحد له من لفظه.

* ومن نعم الله ـ تعالى ـ على عباده التى لا تعدّ ولا تحصى: أن سخر لهم الأنعام والدوابّ، وذلّلها لهم، وأباح لهم تسخيرها، والانتفاع بها.

* قال الإمام مالك بن أنس (ت ١٧٩هـ ـ رحمه الله تعالى) جعل اللهُ الخيل والبغال، والحمير للركوب والزينة ولم يجعلها للأكل.. اهـ[١].

* ومن الأدلّة على ما ذَهَبَ إليه الإمام مالك الحديث التالى:

* فقد أخرج أبو عُبيد القاسم بن سلام، وأبو داود، والنسائى، وابن المنذر، عن خالد بن الوليد (ت ٢١هـ ـ رضى الله عنه) قال: نهى رسول الله ﷺ عن أكل كلّ ذى ناب من السباع، وعن لحوم الخيل، والبغال، والحمير.. اهـ[٢].

* وقد أباح الإمام محمد بن إدريس الشافعى (ت ٢٠٤هـ رحمه الله) أكلَ لحوم الخيل.

ومن الأدلّة على ما ذهب إليه الحديثان التاليان:

* الحديث الأول: ما أخرجه أبو داود، وابن أبى حاتم، من طريق أبى الزبير عن جابر بن عبد الله الأنصارى (ت ٧٨هـ ـ رضى الله عنهما): أنهم ذبحوا يوم خيبر: الحمير، والبغال، والخيل، فنهاهم النبىّ ﷺ عن: الحمير، والبغال، ولم ينههم عن الخيل.. اهـ[٣].

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (١٠/ ٥١).

(٢، ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٢٠٨).

* والحديث الثانى: ما أخرجه ابن أبى شيبة، والنسائى، وابن جرير، وابن مردويه من طريق عطاء عن جابر بن عبد الله ـ رضى الله عنهما ـ قال: كنّا نأكل لحم الخيل على عهد رسول الله ﷺ قلتُ ـ أىْ عطاء ـ: والبغال؟ قال: أمّا البغال فلا.. اهـ(١).

* وقال القرطبى (ت ٦٧١هـ) فى تفسيره: الصحيح الذى يدلّ عليه النظر والخبر جواز أكل لحوم الخيل.. اهـ(٢).

* ﴿وَزِينَةً﴾، الزينة: ما يُتزيّن به. وهذا التزيّن أذن الله ـ سبحانه وتعالى ـ فيه لعباده.

* أخرج الدّيلمىّ عن أنس بن مالك (ت ٩٣هـ ـ رضى الله عنه) أنّ النبىّ ﷺ قال: البركة فى الغنم، والجمال فى الإبل.. اهـ(٣).

* وأخرج ابن ماجه، عن عروة البارقى: أن النبى ﷺ قال: «الإبل عِزّ لأهلها، والغنم بَرَكة» اهـ(٤).

* ﴿وَيَخْلُقُ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾: ورد فى تأويل ذلك عدد من الأقوال:

١ ـ فقال الجمهور: ويخلق ما لا تعلمون من المخلوقات(٥).

٢ ـ وقال قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) والسّدّى إسماعيل بن عبد الرحمن (ت ١٢٧هـ) قالا: هو خلق السوس فى الحبوب، والدّود فى الفواكه.. اهـ(٦).

٣ ـ وقيل: ويخلق ما لا تعلمون: من أنواع الحشرات، والهوام فى أساف الأرض، والبرّ والبحر ممّا لم يره البشر ولم يسمعوا به.. اهـ(٧).

٤ ـ وقال مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) هو السوس فى الثياب.. اهـ(٨).

﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ⑨﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾، أى: على الله بيان قصد السبيل، فحذف المضاف وهو «بيان» وأقيم المضاف إليه مقامه.

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٢٠٨).
(٢) انظر: تفسير القرطبى (١٠/ ٥١).
(٣، ٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٢٠٦).
(٥) انظر: تفسير القرطبى (١٠/ ٥٣).
(٦) انظر: تفسير القرطبى (١٠/ ٥٤).
(٧) انظر: تفسير القرطبى (١٠/ ٥٣).
(٨) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٢٠٨).

وقد اختلف المفسرون فى تأويل المراد من ذلك:

١ - فقال ابن عباس (ت ٦٨هـ - رضى الله عنهما): على الله بيان الهدى والضلال.. اهـ[١].

٢ - وقال قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ): على الله بيان حلاله وحرامه، وطاعته ومعصيته.. اهـ[٢].

٣ - وقيل: السبيل: الإسلام، وعلى الله بيانه بإرسال الرسل، والحجج، والبراهين.. اهـ[٣].

* ﴿ وَمِنْهَا جَائِرٌ ﴾:

* قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم (ت حوالى ١٧٠هـ): من السبل جائر عن الحقّ، وقرأ ﴿ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ﴾ [الأنعام: ١٥٣][٤].

* وعن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم (ت حوالى ١٧٠هـ) فى قوله - تعالى -: ﴿ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ قال: لقصد السبيل الذى هو الحق، وقرأ قوله - تعالى -: ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ﴾ [يونس: ٩٩].

وقوله - تعالى -: ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا ﴾ [السجدة: ١٣][٥].

﴿ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ (١٠) يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (١١) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ ﴾: الضمير «هو» مبتدأ، وما بعده خبر، و«هو» عائد على لفظ الجلالة «الله» المتقدم ذكره فى قوله - تعالى -: ﴿ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ ﴾، ومعنى ﴿ تُسِيمُونَ ﴾: ترعون فيه إبلكم، وقد قال بهذا ابن عباس (ت ٦٨هـ - رضى الله عنهما)[٦].

يقال: سامت الإبل تسوم سومًا، أى: رعت فهى سائمة. وأصل السوم: الإبعاد فى المرعى.

(١، ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٢٠٩).

(٣) انظر: تفسير القرطبى (١٠/ ٥٤).

(٤ : ٦) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٢٠٩).

* ﴿ يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ ﴾، أي: الإنزال والإنبات.

* ﴿ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾: ليستدلوا بذلك على قدرة الله ووحدانيته.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ ﴾ [رقم: ١١].

قرأ شعبة: ﴿ نُنبت ﴾ بنون العظمة، وذلك على الالتفات من الغيبة إلى التكلم، والفاعل ضمير مستتر تقديره «نحن» فالله - سبحانه وتعالى - أجراه على الإخبار عن نفسه لتقدم لفظ الإخبار فى قوله - تعالى -: ﴿ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاتَّقُونِ ﴾ [رقم: ٢].

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ ينبت ﴾ بالياء التحتية، والفاعل ضمير مستتر تقديره «هو» وذلك إجراء للكلام على لفظ الغيبة لتقدمه فى قوله - تعالى -: ﴿ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ ﴾(١).

﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (١٢) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴾، أي: للسكون والأعمال، قال - تعالى -: ﴿ وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ ﴾ [القصص: ٧٣].

* وفاعل «سخّر» ضمير مستتر تقديره «هو» يعود على «الله».

* ﴿ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ ﴾، أي: مذللات بأمر الله - تعالى - لمعرفة الأوقات، ونضج الثمار والزرع... إلخ.

* ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾: أن فى تسخير الله ذلك لدلالات واضحات على وحدانية الله وعظمته وكمال قدرته.

---

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ٣١٧ - ٣١٨).

القراءات وتوجيهها:

* ﴿وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ﴾ [رقم: ١٢].

قرأ ابن عامر برفع الأسماء الأربعة، على أنّ «والشمسُ» مبتدأ، و«القمرُ والنجومُ» معطوفان على «والشمسُ» و«مسخّراتٌ» خبر المبتدأ.

وقرأ حفص بنصب الاسمين الأولين: «والشمسَ والقمرَ» ورفع الاسمين الأخيرين: «والنجومُ مسخّراتٌ» فنصب الاسمين على أنهما معطوفان على «الليل» لأنه فى محلّ نصب مفعول لـ «سخّر» ورفع «والنجومُ» على الابتداء، و«مسخّراتٌ» خبر.

وقرأ الباقون من القراء العشرة بنصب الأسماء الأربعة، وذلك على أن الثلاثة الأول معطوفة على «الليل» و«مسخّرات» حال مؤكّدة لعاملها(١).

﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ (١٣)﴾

معانى المفردات:

* ﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾، أي: وسخّر الله لكم ما ذرأ فى الأرض.

يقال: ذرأ الله الخلق يذرؤهم ذرءًا: خلقهم، فهو ذارئ.

* ﴿مُخْتَلِفًا﴾: نصب على الحال.

* ﴿أَلْوَانُهُ﴾، أي: هيئاته ومناظره: سواء كان من الدّواب، أو الأشجار، أو غيرها.

* ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾، أي: يتعظون، ويعلمون أن فى تسخير هذه المخلوقات لعلامات على وحدانية الله ـ تعالى ـ.

﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٤)﴾

معانى المفردات:

* ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ﴾: وتسخير البحر هو تمكين البشر من التصرّف فيه، وتذليله بالركوب فيه نعمة من نعم الله على عباده، فلو شاء الله لسلطه عليهم وأغرقهم.

---

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ٣١٩).

* وعن السدّى إسماعيل بن عبد الرحمن (ت ١٢٧هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا ﴾ قال: هو السمك وما فيه من الدواب"[١].

* ﴿ وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ﴾: المراد به: اللؤلؤ والمرجان، لقوله ـ تعالى ـ: ﴿ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ (٢٢) ﴾ [الرحمن: ٢٢].

ومما هو معروف أنّ إخراج اللؤلؤ والمرجان إنما هو من المِلْح فقط.

* ﴿ وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ ﴾: للمفسرين فى تأويل ذلك أقوال:

١ ـ فقال قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) والضحاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ): معنى ذلك: السفينتان تجريان بريح واحدة، وكلّ واحدة مستقبلة الأخرى[٢].

٢ ـ وقال عكرمة مولى ابن عباس (ت ١٠٥هـ): معنى ذلك: أن الفلك تشقّ الماء بصدرها.. اهـ[٣].

وأصل المخْر: شقّ الماء عن يمين وشمال.

يقال: مخرت السفينة تمخُر مخْرًا ومخورًا: إذا جرت تشقّ الماء مع صوت.

* وعن السّدّى إسماعيل بن عبد الرحمن (١٢٧هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ ﴾ قال: هو للتجارة.. اهـ[٤].

* ﴿ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾، أى: لتشكروا ربكم على ما أنعم به عليكم من هذه الأشياء التى ذكرها فى هذه الآيات.

﴿ وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٥) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ ﴾، أى: جبالا ثابتة. يقال: رسا يرسو: إذا ثبت وأقام.

* ﴿ أَن تَمِيدَ بِكُمْ ﴾:

١ ـ قال قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) معنى ذلك: أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ أثبت الأرض بالجبال، ولولا ذلك ماأقرّت عليها خلْقًا.. اهـ[٥].

(١ : ٥) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٢١١).

٢ ـ وقال مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) معنى ذلك: أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ أثبت الأرض بالجبال لئلا تكفأ بكم.. اهـ[١].

* والميد: الاضطراب يمينًا وشمالا.

* قال وهب بن منبّه: خلق الله الأرض فجعلت تميد وتمور، فقالت الملائكة: إنّ هذه غير مقرّة أحدًا على ظهرها، فأصبحت ـ أي الملائكة ـ وقد أرسيت الأرض بالجبال، ولم تدر الملائكة مِمَّ خُلِقَت الجبال.. اهـ[٢].

* ﴿ وَأَنْهَارًا ﴾ أي: وجعل فى الأرض أنهارًا.

* ﴿ وَسُبُلاً ﴾:

١ ـ قال قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) «السبل»: هى الطرق مطلقًا[٣].

٢ ـ وقال السدّى إسماعيل بن عبد الرحمن (ت ١٢٧هـ): السبل: هى الطرق بين الجبال.. اهـ[٤].

* ﴿ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾: إلى حيث تقصدون من البلاد، فلا تضلّون، ولا تتحيّرون.

﴿ وَعَلامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ (١٦) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَعَلامَاتٍ ﴾، أي: جعل الله لبنى الإنسان علامات، ونجومًا يهتدون بها.

* وللمفسّرين فى بيان المراد بالعلامات أقوال:

أولا: قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما): العلامات: معالم الطرق بالنهار، أى: جعل الله للطريق علامات يقع الاهتداء بها.. اهـ[٥].

ثانيًا: قال مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) وقتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) وإبراهيم النَّخَعىّ (ت ٩٦هـ) قالوا: العلامات: هى النجوم، لأن من النجوم ما يُهْتَدى بها، ومنها ما يكون علامة لا يُهْتَدى بها.. اهـ[٦].

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٢١١).
(٢) انظر: تفسير القرطبى (١٠/ ٦٠).
(٣، ٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٢١٢).
(٥، ٦) انظر: تفسير القرطبى (١٠/ ٦١).

ثالثًا: وقال الكلبى محمد بن السائب بن بشر (ت ١٤٦هـ): العلامات: الجبال.. اهـ[١].

* ﴿وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾، أى: بالليل، والنجم اسم جنس والمراد به: النجوم.

* وفى المراد بالاهتداء أقوال:

أولا: قال إبراهيم النّخعىّ (ت ٩٦هـ) المراد بذلك: يهتدون بهذه النجوم فى البحر فى أسفارهم.. اهـ[٢].

ثانيًا: وقال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما): يهتدون بالنجم فى الليل ـ سواء كان فى البرّ أو البحر ـ[٣].

ثالثًا: وقال القرطبى (ت ٦٧١هـ) فى تفسيره: وبالنجم هم يهتدون إلى القبلة، واستدلّ على ذلك بما روى عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ أنه سأل رسول الله ﷺ عن قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ قال: هو الجَدْىُ يابن عباس، عليه قبلتكم، وبه تهتدون فى برّكم وبحركم. ذكره الماوردى على بن محمد بن حبيب البصرى (ت ٤٥٠هـ).

ثم استطرد القرطبى قائلا: وذلك أنّ آخر الجَدْى بناتُ نعش الصغرى، والقطب الذى تستوى عليه القبلة بينها.. اهـ[٤].

* وقال القرطبى (ت ٦٧١هـ) فى تفسيره: قال علماؤنا:

وحكم استقبال القبلة على وجهين:

* أحدهما: أن يراها ويعاينها فيلزمه استقبالها وإصابتها وقصد جهتها بجميع بدنه.

* والآخر: أن تكون الكعبة بحيث لا يراها فيلزمه التوجّه نحوها بالدلائل، وهى: الشمس، والقمر، والنجوم، والرياح، وكل ما يمكن به معرفة جهتها.

* ومن غابت عنه وصلّى مجتهداً إلى غير ناحيتها وهو ممَّن يمكنه الاجتهاد فلا صلاة له.

فإذا صلّى مجتهداً مستدلا ثم انكشف له بعد الفراغ من صلاته أنه صلّى إلى غير القبلة أعاد إن كان فى وقتها، وليس ذلك بواجب عليه، لأنه قد أدّى فرضه على ما أُمِرَ به.. اهـ[٥].

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (١٠/ ٦١).
(٢، ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٢١٢).
(٤) انظر: تفسير القرطبى (١٠/ ٦١).
(٥) انظر: تفسير القرطبى (١٠/ ٦٢).

﴿ أفمن يخلُق كمن لاَّ يخلُق أفلا تذكَّرُون (١٧) ﴾

المعنى:

* عن قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) في قوله ـ تعالى ـ: ﴿أفمن يخلُق كمن لاَّ يخلُق﴾، قال: الله هو الخالق الرازق، وهذه الأوثان التي تعبد من دون الله تُخلق، ولا تَخلُق شيئًا، ولا تملك لأهلها ضرًا ولا نفعًا، قال الله: ﴿أفلا تذكَّرُون﴾.. اهـ[١].

* وأقول: معنى الآية: من كان قادرًا على خلق الأشياء المتقدمة الذكر كان بالعبادة أحقّ ممّن هو مخلوق لا يضرّ ولا ينفع، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ (١١)﴾ [لقمان: ١١].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿أَفَلا تَذَكَّرُونَ﴾ [رقم: ١٧].

قرأ حفص، وحمزة، والكسائي، وخلف البزّار: ﴿تذكرون﴾ بتخفيف الذال، إذْ أصلها «تتذكرون» فحذفت إحدى التاءين تخفيفًا.

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿تذّكّرون﴾ بتشديد الذال، وذلك على إدغام التاء في الذال[٢].

﴿ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٨) وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ (١٩) وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ (٢٠) ﴾

معاني المفردات:

* ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا﴾، أي: لا تطيقوا أداء شكرها لأنّ نعم الله عليكم لا حصر لها.

* ﴿إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، أي: الله لغفور لما كان من تقصيركم في شكر نعمه عليكم، رحيم بكم أن يعذبكم على ذلك.

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٤/ ٢١٢).

(٢) انظر: إتحاف فضلاء البشر للدمياطي ص ٢٧٧.

* ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴾، أى: ما تبطنونه، وما تظهرونه.

* ﴿ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ﴾: من الأصنام.

* ﴿ لا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾، لأنهم كما وصفهم الله بقوله:

* ﴿ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ (٢١) ﴾.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ﴾ [رقم: ٢٠].

قرأ عاصم، ويعقوب: ﴿ يدعون ﴾ بياء الغيبة، على الالتفات من الخطاب الذى قبله فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴾ إلى الغيبة، والالتفات أسلوب بلاغىّ فصيح.

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ تدعون ﴾ بتاءالخطاب، لموافقة السياق[1].

﴿ إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ (٢٢) لا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ (٢٣) ﴾

معانى المفردات:

* عن قتادة بن دعامة (ت ١١٨ هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ ﴾ قال: الله إلهنا، ومولانا، ورازقنا، ولا نعبد غيره.. اهـ[2].

وحينئذ يكون المعنى: أخبر الله ـ سبحانه وتعالى ـ أن المعبود بحق إله واحد، ولا ربّ غيره، ولا معبود سواه.

* ﴿ فَالَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ ﴾، أى: لا تقبل الوعظ، ولا يفلح فيها الذكر.

* ﴿ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴾، أى: متكبّرون عن قبول الحق.

---

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ٣٢٠).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٢١٢).

* ﴿لا جَرَمَ﴾، قال الخليل بن أحمد الفراهيدى (ت ١٧٠هـ): «لا جرم» كلمة تحقيق ولا تكون إلا جوابًا، كما يقال: فعلوا المحرّم، فيقال ردًا عليهم: لا جرم أنهم سيندمون، أى: حقًا أن لهم النار[١].

* ﴿أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾: من القول والعمل، فيجازيهم على ذلك، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ [الشورى: ٤٠].

* ﴿إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ أى: لا يثنى عليهم ولا يثيبهم.

* ومن يقرأ القرآن الكريم، والسنة المطهّرة يجد الكثير من الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية التى تحثّ على التواضع، وتذمّ التكبّر، أقتبس منها ما يلى:

أولا: قال الله ـ تعالى ـ: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (٨٣)﴾ [القصص: ٨٣].

ثانيًا: أخرج ابن أبى شيبة، ومسلم، وأبو داود، والترمذى، وابن ماجه، وابن مردويه، والبيهقى، عن عبد الله بن مسعود (ت ٣٢هـ ـ رضى الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يدخل الجنّة من كان فى قلبه مثقال ذرّة من كبر، ولا يدخل النار من كان فى قلبه مثقال ذرّة من إيمان»، فقال رجل: يا رسول الله، الرجل يحبّ أن يكون ثوبه حسنًا، ونعله حسنًا؟ فقال: «إن الله جميل يحب الجمال، الكِبْر بطر الحقّ، وغمط الناس» اهـ[٢].

بطر الحق: رفعه وردّه على قائله، وغمط الناس: احتقارهم.

ثالثًا: عن أبى هريرة (ت ٥٩هـ ـ رضى الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة لا يكلّمهم الله يوم القيامة، ولا يزكّيهم، ولا ينظر إليهم، ولهم عذاب أليم: شيخ زان، ومَلِكٌ كذّاب، وعائل مستكبر» اهـ [رواه مسلم][٣]. العائل: الفقير.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ (٢٤)﴾

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (١٠/ ٦٣).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٢١٤).

(٣) انظر: رياض الصالحين ص٢٦٥.

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ ﴾:

✵ **المعنى:** وإذا قيل لمن تقدّم ذكرهم ممن لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر وقلوبهم منكرة بالبعث: ﴿ مَّاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ ﴾.

ورد أن القائل هو: النضر بن الحارث وكان خرج إلى الحِيرَة واشترى أحاديث (كليلة ودمْنة) فكان يقرؤها على المشركين من قريش ويقول لهم: ما يقرأ «محمد» على أصحابه إلا أساطير الأولين، أى: ليس هو منزّل من عند الله كما يقول «محمد» والأساطير: الأباطيل والترّهات.

و﴿ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ خبر لمبتدأ محذوف، والتقدير: الذى أنزله أساطير الأولين.

* وأخرج ابن أبى حاتم، عن السّدّى إسماعيل بن عبد الرحمن (ت ١٢٧هـ) قال: اجتمعت قريش فقالوا: إن «محمدًا» رجل حلو اللسان، إذا كلمه الرجل ذهب بعقله، فانظروا أناسًا من أشرافكم المعدودين، المعروفة أنسابهم، فابعثوهم فى كل طريق من طرق مكّة، على رأس كل ليلة أو ليلتين، فمن جاء يريد «محمدًا» فردّوه عنه. فخرج ناس منهم فى كل طريق: فكان إذا أقبل الرجل وافدًا لقومه لينظر ما يقول «محمد» ﷺ فينزل بهم، قالوا له: أنا فلان ابن فلان، فيُعرّفه بنسبه ويقول له: أنا أخبرك عن «محمد» هو رجل كذّاب، لم يتّبعه على أمره إلا السفهاء، والعبيد، ومن لا خير فيه، وأمّا شيوخ قومه وخيارهم فمفارقون له فيرجع أحدهم، فذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ فإذا كان الوافد ممّن شاء الله له الهداية والرشاد، فقالوا له مثل ذلك فى «محمد» ﷺ، قال: بئس الوافد أنا لقومى إن كنتُ جئتُ، حتى إذا بلغت إلا مسيرة يوم رجعتُ قبل أن ألقَى هذا الرجل، وأنظر ما يقول، وآتى قومى ببيان أمره، فيدخل مكّة فيلقى المؤمنين فيسألهم: ماذا يقول «محمد» ﷺ؟ فيقولون: خيرًا ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ ﴾ [النّحل: ٣٠] ـ وهى الجنّة ـ. اهـ[1].

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٢١٧).

﴿ ليَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلا سَاءَ مَا يَزِرُونَ (٢٥) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ ﴾:

١ - اللام فى ﴿ لِيَحْمِلُوا ﴾ يجوز أن تكون «لام كى» وهى متعلقة بما قبلها.

٢ - ويجوز أن تكون «لام العاقبة» مثل اللام فى قوله - تعالى -: ﴿ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ﴾ [القصص: ٨].

وحينئذ يكون المعنى: قولهم المبنى على الكذب فى القرآن بأنه أساطير الأولين، وقولهم فى النبىّ ﷺ بأنه أفّاك أثيم.. إلخ، كانت عاقبته أن حُمِّلوا أوزارهم، وأوزار الذين يضلونهم.

* ﴿ كَامِلَةً ﴾، أى: لم ينقص منها شىء.

* ﴿ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾: «مِنْ» للجنس لا للتبعيض.

وحينئذ يكون المعنى: دعاة الضلالة عليهم مثل أوزار من اتبعهم، أخرج ابن جرير، وابن أبى حاتم، عن الربيع بن أنس فى قوله - تعالى -: ﴿ لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ الآية، قال: قال النبىّ ﷺ: «أيُّما داعٍ دعا إلى ضلالة فاتُّبع، كان عليه مثل أوزار من اتَّبعه من غير أن ينقص من أوزارهم شىء، وأيُّما داعٍ دعا إلى هدى فاتُّبع، فله مثل أجورهم من غير أن ينقص من أجورهم شىء» اهـ[١].

* وأخرج ابن جرير، وابن أبى حاتم، عن ابن عباس (ت ٦٨هـ - رضى الله عنهما) فى قوله - تعالى -: ﴿ لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ الآية.

قال: يحملون مع ذنوبهم ذنوب الذين يضلونهم بغير علم، وذلك مثل قوله - تعالى -: ﴿ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالاً مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ﴾ [العنكبوت: ١٣][٢].

(١، ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٢١٧).

* وعن مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً ﴾ الآية، قال: حملهم ذنوب أنفسهم وذنوب من أطاعهم، لا يخفّف ذلك عمّن أطاعهم من العذاب شيئًا.. اهـ(١).

* وأخرج ابن جرير عن زيد بن أسلم (ت ١٣٠هـ) أنه بلغه: أنه يتمثل للكافر عمله في صورة أقبح ما خلق الله وجهًا، وأنتنه ريحًا، فيجلس إلى جنبه، كلّما أفزعه شيء زاده، وكلّما تخوّف شيئًا زاده خوفًا، فيقول: بئس الصاحب أنتَ ومَنْ أنتَ؟ فيقول: أما تعرفني؟ فيقول: لا، فيقول: أنا عملك، كان قبيحًا فلذلك تراني قبيحًا، وكان منتنًا فلذلك تراني منتنًا، طأطئ إليّ أركبك، فطالما ركبتني في الدنيا، فيركبه، وهو قوله ـ تعالى ـ: ﴿ لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾.. اهـ(٢).

﴿ قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لا يَشْعُرُونَ (٢٦) ﴾

❀ معاني المفردات:

* عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضي الله عنهما) في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ قال: هو نمرود بن كنعان حين بنى الصّرح.. اهـ(٣).

* وقال مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) هو: نمرود بن كنعان الذي حاجّ «إبراهيم» ـ عليه السلام ـ في ربه.. اهـ(٤).

قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٢٥٨) ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

* وعن زيد بن أسلم (ت ١٣٠هـ) قال: أوّل جبّار كان في الأرض (نمرود) فبعث الله عليه بعوضة فدخلت في منخره، فمكث أربعمائة سنة يضرب رأسه بالمطارق، وأرحم الناس به من جمع يديه فضرب بهما رأسه، وكان جبّارًا أربعمائة سنة، فعذّبه الله أربعمائة سنة كمُلكه، ثم أماته الله، وهو الذي كان بنى صرحًا إلى السماء.. اهـ(٥).

(١، ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٤/ ٢١٧). (٣ : ٥) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٤/ ٢١٨).

* ﴿ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ ﴾، أي: خرّب الله بنيانهم من أصولها.

* ﴿ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لا يَشْعُرُونَ ﴾، أي: من مأمنهم، وقد قيل: يؤتى الحذر من مأمنه.

﴿ ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ (٢٧) ﴾

❀ معاني المفردات:

* ﴿ ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ ﴾، أي: يفضحهم الله ـ تعالى ـ على رءوس الخلائق، ويذلّهم ويهينهم بالعذاب الأليم.

قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لا يُنصَرُونَ (١٦) ﴾ [فصلت: ١٦].

* ﴿ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ ﴾، أي: يقول الله ـ تعالى ـ موبّخًا لهم: أين الآلهة التى كنتم تعبدونها من دونى؟

* ﴿ الَّذِينَ كُنتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ ﴾، أي: تعادون أنبيائى بسببهم، أين هم الآن ليدفعوا عنكم العذاب؟ قال ـ تعالى ـ: ﴿ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَدْعُونَ مِن قَبْلُ ﴾ [فصلت: ٤٨].

* ﴿ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾، أي: الذلّ، والهوان، والعذاب يوم القيامة على الكافرين.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ تُشَاقُّونَ ﴾ [رقم: ٢٧].

قرأ نافع بكسر النون، والباقون بفتحها[١].

﴿ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ فَأَلْقَوُا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوءٍ بَلَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٢٨) فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ (٢٩) ﴾

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ٣٢٠).

❀ معانى المفردات:

* ﴿ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ﴾ الآية: تضمنت هذه الآية بعض صفات الكافرين.

* ﴿ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ ﴾: نصب «ظالمى» على الحال، أى: وهم ظالمون أنفسهم لأنهم أوردوها موارد الهلاك.

* ﴿ فَأَلْقَوُا السَّلَمَ ﴾، أى: الاستسلام، وقالوا:

* ﴿ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوءٍ ﴾، أى: من شرك ومن كل ما يغضب الله ـ تعالى ـ فقالت لهم الملائكة ردًا على قولهم هذا:

* ﴿ بَلَىٰ ﴾: هو حرف إضراب إبطالى أى: يبطل ما قبله ويثبت ما بعده. وحينئذ يكون المعنى: إنكم كنتم تعملون كل ما تبرَّأتم منه.

وأقوى الأدلّة على ذلك قوله ـ تعالى ـ: * ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾.

* ﴿ فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ﴾، أى: حالة كونهم خالدين فى جهنم خلودًا أبديًا، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا (٢٣) ﴾ [الجن: ٢٣].

* ﴿ فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴾، أى: جهنم بئس مقام الذين تكبّروا عن اتّباع الرسل، وعن عبادة الله الواحد القهّار.

قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ (٣٤) إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ (٣٥) وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ (٣٦) بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ (٣٧) إِنَّكُمْ لَذَائِقُو الْعَذَابِ الْأَلِيمِ (٣٨) وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٣٩) ﴾ [الصافات: ٣٤ ـ ٣٩].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ تَتَوَفَّاهُمُ ﴾ من قوله ـ تعالى ـ: ﴿ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ ﴾ [رقم: ٢٨].

* ومن قوله ـ تعالى ـ: ﴿ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ طَيِّبِينَ ﴾ [رقم: ٣٢].

قرأ حمزة، وخلف البزّار: ﴿ يتوفاهم ﴾ فى الموضعين بالياء التحتية على تذكير الفعل، و﴿ الملائكة ﴾ فاعل، وجاز تذكير الفعل على إرادة جمع الملائكة.

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ تتوفاهم ﴾ فى الموضعين بالتاء الفوقية، على تأنيث لفظ الملائكة(١).

﴿ وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ (٣٠) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا ﴾: ﴿ خَيْرًا ﴾ مفعول لفعل محذوف والتقدير: أنزل خيراً.

* ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ ﴾، أى: من آمن بالله ـ تعالى ـ وأطاع رسله، فله الجنة يوم القيامة.

قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا (١٠٧) خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا (١٠٨) ﴾ [الكهف: ١٠٧ ـ ١٠٨].

* وقيل: المعنى للذين أحسنوا اليوم فى الدنيا لهم حسنة من الله فى هذه الدنيا وهى: النصر على الأعداء، والفتح، والغنيمة(٢).

* ﴿ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ ﴾، أى: ما يناله المتقون الموحِّدون لله ـ تعالى ـ يوم القيامة من الثواب الجزيل الدائم الذى لا ينقطع أبدًا، خير وأعظم من دار الدنيا، لفنائها وزوالها.

* ﴿ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ﴾: الدار الآخرة، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا (٧٧) ﴾ [النساء: ٧٧].

---

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ٣٢١).
(٢) انظر: تفسير القرطبى (١٠/ ٦٧).

﴿ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ (٣١) الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٣٢) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ جَنَّاتُ عَدْنٍ ﴾، فى إعرابها ثلاثة أقوال:

١ ـ يجوز أن تكون ﴿ جَنَّاتُ عَدْنٍ ﴾ بدل اشتمال من قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلَدَارُ الآخِرَةِ ﴾ فرفع لذلك.

٢ ـ ويجوز أن تكون خبرًا لمبتدأ محذوف، والتقدير: هى: ﴿ جَنَّاتُ عَدْنٍ ﴾.

٣ ـ ويجوز أن تكون مبتدأ، والخبر جملة ﴿ يَدْخُلُونَهَا ﴾.

* ﴿ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ﴾، أى: تجرى الأنهار من تحت أشجارها.

* ﴿ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ ﴾، أى: ما تمنّوه وأرادوه، بل ولهم أكثر من ذلك، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ (٣٥) ﴾ [ق: ٣٥].

* ﴿ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ ﴾، أى: مثل هذا الجزاء الحسن الجميل يجزى الله المتقين.

* عن محمد بن كعب القرظى فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ طَيِّبِينَ ﴾ الآية: قال: إذا استقامت نفس العبد المؤمن، جاءه الملَكُ فقال: السلام عليك يا ولىّ الله، الله يقرئك السلام، ثم نزع ـ أى روحه ـ بهذه الآية: ﴿ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ طَيِّبِينَ ﴾ الآية.. اهـ(١).

﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٣٣) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ ﴾:

---

(١) انظر: تفسير الطبرى (٧/ ٥٨٠ ـ ٥٨١).

✳ **المعنى:** يقول الله - تعالى -: هل ينتظر هؤلاء المشركون إلا أن تأتيهم الملائكة لقبض أرواحهم، أو يأتى أمر ربك بحشرهم لموقف يوم القيامة للحساب.

* ﴿ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾، أى: كما يفعل هؤلاء من انتظارهم ملائكة الله لقبض أرواحهم، أو إتيان أمر الله، فعل أسلافهم من الكفرة بالله، لأن ذلك فى كل مشرك بالله - تعالى -.

* ﴿ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ ﴾، أى: بغضبه عليهم وإنزال العذاب بهم.

* ﴿ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾: بمعصيتهم، وكفرهم بربهم، حتى استحقّوا عقابه.

قال الله - تعالى -: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ (٥٠) ﴾ [الأنفال: ٥٠].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ ﴾ [رقم: ٣٣].

قرأ حمزة، والكسائى، وخلف البزّار: ﴿ يأتيهم ﴾ بالياء على التذكير.

وقرأ الباقون: ﴿ تأتيهم ﴾ بالتاء على التأنيث، وجاز تذكير الفعل، وتأنيثه، لأن الفاعل مؤنث غير حقيقى[١].

﴿ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ (٣٤) وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ وَلا آبَاؤُنَا وَلا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ (٣٥) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا ﴾:

✳ **المعنى:** فأصاب هؤلاء الذين فعلوا السيئات من الأمم الماضية عقوبات معاصيهم التى عملوها. إذًا فهؤلاء المشركون من قريش سيصيبهم مثل ما أصاب من قبلهم من الكفار والمشركين.

(١) انظر: المهذب فى القراءات العشر وتوجيهها (١/ ٣٦٩).

* ﴿وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾: أى: وحلّ بهم من العذاب ما كانوا يستهزءون منه، ويسخرون عند نزول العذاب بمن قبلهم من الكفار والمشركين.

قال الله ـ تعالى ـ: ﴿وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ⟨١٠⟩ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ⟨١١⟩﴾ [الأنعام: ١٠ ـ ١١].

* ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا﴾:

✳ **المعنى:** وقال الذين أشركوا بالله فعبدوا الأوثان والأصنام من دون الله نحن ما عبدنا هذه الأصنام إلا لأنّ الله قد رضى عبادتنا هؤلاء.

* ﴿وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ﴾

✳ **المعنى:** أى ما حرّمنا من البحائر والسوائب، وغير ذلك، إلا لأن الله شاء منّا ومن آبائنا ذلك ورضيه.

* ﴿كَذَٰلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾: من الأمم السابقة المشركة، قالوا مثل قولهم، وسلكوا سبيلهم فى تكذيب رسل الله، واتّباع أفعال آبائهم الكفار.

* ﴿فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾، أى: ليس على الرسل سوى تبليغ الرسالة فقط، أمّا الهداية فهى إلى الله ـ تعالى ـ وحده، قال الله ـ تعالى ـ لنبيه وحبيبه وصفوته من خلقه: نبينا «محمد» ﷺ: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ [البقرة: ٢٧٢].

﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ⟨٣٦⟩﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾:

✳ **المعنى:** يقول الله ـ تعالى ـ: ولقد بعثنا أيها الناس فى كل أمّة سلفت قبلكم رسولا، كما بعثنا فيكم نبيكم «محمدًا» رسولا، وكانت مهمة جميع الأنبياء الدعوة إلى عبادة الله وحده.

* ﴿ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾، أي: اتركوا عبادة كل مَنْ سوى الله ـ تعالى ـ كالكهّان، والأصنام، وغير ذلك.

* ﴿ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ ﴾، أي: وفقه وأرشده إلى عبادته.

قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ ﴾ [الأنعام: ١٢٥].

* ﴿ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ ﴾، أي: بقضاء الله ـ تعالى ـ حتى مات على كفره. قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ مَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (١٨٦) ﴾ [الأعراف: ١٨٦].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿ مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا (١٧) ﴾ [الكهف: ١٧].

* ﴿ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ ﴾، أي: سيروا معتبرين فى الأرض.

* ﴿ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾، أي: كيف صار آخر أمرهم إلى الخراب، والهلاك، والعذاب.

قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ فَكُلاًّ أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٤٠) ﴾ [العنكبوت: ٤٠].

﴿ إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَن يُضِلُّ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ (٣٧) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَن يُضِلُّ ﴾:

✳ **المعنى:** يقول الله ـ تعالى ـ لنبيه وحبيبه نبينا «محمد» ﷺ: إن تحرص «يا محمد» على هدى هؤلاء المشركين إلى الإيمان بالله واتّباع الحق ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَن يُضِلُّ ﴾.

* وعن عكرمة مولى ابن عباس (ت ١٠٥هـ) قال معنى الآية: من يضلّه الله لا يهديه أحد.. اهـ[١].

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٢٢٠).

* ﴿ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴾: هذا معطوف على ما قبله، والمعنى: من لم ينصره الله فما له من ناصر ينصره، فيحول بينه وبين ما أراده الله من عقوبته.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَن يُضِلُّ ﴾ [رقم: ٣٧].

قرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وأبو جعفر، ويعقوب: ﴿ لا يُهدَى ﴾ بضم الياء، وفتح الدال، وذلك على بناء الفعل للمفعول، و«مَنْ» نائب فاعل، أى: من يُضلّه الله لا يُهدى، وهذه القراءة فى المعنى بمنزلة قوله ـ تعالى ـ: ﴿ مَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلا هَادِيَ لَهُ ﴾ [الأعراف: ١٨٦].

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ لا يَهدِى ﴾ بفتح الياء، وكسر الدال، وذلك على بناء الفعل للفاعل، والفاعل ضمير مستتر تقديره «هو» يعود على الله ـ تعالى ـ.

و «مَنْ» مفعول به(١).

﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ (٣٨) ﴾

سبب نزول هذه الآية:

* أخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبى حاتم، عن أبى العالية رفيع بن مهران الرياحى (ت ٩٠هـ ـ رضى الله عنه) قال: كان لرجل من المسلمين على رجل من المشركين دَيْن فأتاه يتقاضاه، فكان مما تكلّم به: والذى أرجوه بعد الموت إنّه لكذا، فقال له المشرك: إنك لتزعم أنك تبعث من بعد الموت، فأقسم المشرك بالله جهد يمينه: لا يبعث الله من يموت، فأنزل الله: ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ ﴾.. اهـ(٢).

معانى المفردات:

* ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ ﴾:

---

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ٣٢٢).

(٢) انظر: تفسير القرطبى (١٠/ ٧٠)، وتفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٢٢٠).

✵ **المعنى:** هذا تعجب من صنيعهم، إذْ أقسموا بالله وبالغوا في تغليظ اليمين بأن الله لا يبعث من يموت.

ووجه التعجّب: أنهم - أي المشركون - يظهرون تعظيم الله فيقسمون به، ثم يُعجِّزونه عن بعث الموت.

* ﴿ بَلَىٰ ﴾: «بلى» هنا للإضراب الإبطالي أي: إبطال قولهم السابق: لا يبعث الله من يموت، وحينئذ يكون المعنى: بَلَى ليبعثنّهم.

* ﴿ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا ﴾: الضمير في عليه عائد على الله - تعالى -.

و ﴿ وعدًا ﴾ مصدر مؤكّد، أي وَعْدُ البعث من الله وعْدًا حقًا.

* ﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ ﴾: وهم الكفار والمشركون.

* ﴿ لا يَعْلَمُونَ ﴾: أنهم مبعوثون.

* أخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن أبي هريرة (ت ٥٩هـ - رضي الله عنه) قال: قال الله - تعالى - في الحديث القدسيّ: «سبّني ابن آدم ولم يكن ينبغي له أن يسبّني، وكذّبني ولم يكن ينبغي له أن يكذّبني: فأمّا تكذيبه إياي فقوله: ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ ﴾ وقلتُ: ﴿ بَلَى وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا ﴾. وأمّا سبّه إيّاي فقوله: إن الله ثالث ثلاثة. وقلتُ: ﴿ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ① اللَّهُ الصَّمَدُ ② لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ③ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ④ ﴾ [الإخلاص].. اهـ[1].

﴿ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ ㊴ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ㊵ ﴾

❀ معاني المفردات:

* ﴿ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ ﴾ الآية:

✵ **المعنى:** ليظهر الله لهؤلاء الذين يزعمون أن الله لا يبعث من يموت وليعلم الذين جحدوا صحة ذلك وأنكروه أنهم كانوا كاذبين في قولهم: لا يبعث الله من يموت.

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٤/ ٢٢٠).

* وعن قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ ﴾ قال: هذا للناس عامّة.. اهـ(١).

* ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾:

✳ **المعنى:** أعلمهم الله ـ سبحانه وتعالى ـ سهولة الخلق عليه: أي: إذا أردنا أن نبعث من يموت فلا تعب علينا ولا نصب في إحيائهم ولا في غير ذلك مما نحدثه، لأنّا إنما نقول له كن فيكون.

وأخرج الإمام أحمد، والترمذيّ وحسّنه، وابن أبي حاتم، وابن مردويه والبيهقي في شعب الإيمان ـ واللفظ له ـ عن أبي ذرّ الغفاريّ (ت ٣٢هـ ـ رضي الله عنه) أنّ رسول الله ﷺ قال: «يقول الله: يا ابن آدم، كلكم مذنب إلا من عافيتُ، فاستغفروني أغفر لكم، وكلكم فقراء إلا من أغنيتُ فسلوني أعطكم، وكلكم ضالّ إلا من هديت، فسلوني الهدى أهدكم، ومن استغفرني وهو يعلم أنّي ذو قدرة على أن أغفر له، غفرتُ له ولا أبالي، ولو أنّ أوّلكم وآخركم، وحيكم وميتكم، ورطبكم ويابسكم اجتمعوا على قلب أشقى واحد منكم، ما نقص ذلك من سلطاني مثل جناح بعوضة، ولو أنّ أوّلكم وآخركم، وحيكم وميتكم، ورطبكم ويابسكم اجتمعوا على قلب أتقى واحد منكم ما زادوا في سلطاني مثل جناح بعوضة، ولو أنّ أولكم وآخركم، وحيكم وميتكم، ورطبكم ويابسكم سألوني حتى تنتهي مسألة كل واحد منهم، فأعطيتهم ما سألوني ما نقص ذلك ممّا عندي كغرز إبرة غمسها أحدكم في البحر، وذلك أنّي جواد، ماجد، واجد، عطائي كلام، وعذابي كلام، إنما أمري لشيء إذا أردته أن أقول له: ﴿ كُن فَيَكُونُ ﴾» اهـ(٢).

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ [رقم: ٤٠].

قرأ ابن عامر، والكسائي بنصب نون ﴿ فيكون ﴾.

وقرأ الباقون من القراء العشرة برفع النون(٣).

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٧/ ٥٨٤).	(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٤/ ٢٢١).

(٣) انظر: المهذب في القراءات العشر وتوجيهها (١/ ٣٦٩).

﴿ والَّذين هاجروا فِي اللَّه مِنْ بَعْد ما ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حسنة ولأَجْرُ الآخِرَةِ أَكْبَرُ لوْ كانُوا يعلَمُون (٤١) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ ﴾: الهجـرة: هى ترك الأوطان، والأهل، والقرابة فى الله، أو فى دين الله.

* ﴿ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا ﴾، أى: عُذِّبوا فى الله.

واختلف المفسرون فيمن نزلت فيهم هذه الآية:

١ ـ فقال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما): إنهم قوم من أهل مكة، هاجروا إلى رسول الله ﷺ بعد ظلمهم، ظلمهم المشركون.. اهـ[١].

٢ ـ وقال قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ): هؤلاء أصحاب نبينا «محمد» ﷺ، ظلمهم أهل مكّة فأخرجوهم من ديارهم حتّى لحق طوائف منهم بأرض الحبشة، ثم بوّأهم الله المدينة بعد ذلك فجعلها لهم دار هجرة، وجعل لهم أنصاراً من المؤمنين.. اهـ[٢].

٣ ـ وقال الكلبى محمد بن السائب بن بشر (ت ١٤٦هـ): نزلت هذه الآية فى صُهَيب، وبلال، وخَبّاب، وعمّار، عذبهم أهل مكة حتى قالوا لهم ما أرادوا، فلما خلّوْهم هاجروا إلى المدينة.. اهـ[٣].

٤ ـ وقيل: الآية تعمّ جميع المهاجرين[٤].

* ﴿ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً ﴾: للمفسرين فى تأويل ذلك أقوال:

١ ـ فقال مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ): معنى ذلك: ليرزقنهم الله فى الدنيا رزقًا حسنًا.. اهـ[٥].

(١، ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٢٢١).

(٣، ٤) انظر: تفسير القرطبى (١٠/ ٧١).

(٥) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٢٢١).

٢ ـ وقال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) والحسن البصرى (ت ١١٠هـ) وقتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) والشعبى عامر بن شراحيل (ت ١٠٥هـ): قالوا معنى ذلك: نزول المدينة المنوّرة.. اهـ(١).

٣ ـ وقال الضحّاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ): معنى ذلك: النصر على عدوّهم.. اهـ(٢).

* ﴿ وَلأَجْرُ الآخِرَةِ أَكْبَرُ ﴾، أى: ولأجر الدار الآخرة أكبر من أن يعلمه أحد قبل أن يشاهده، قال ـ تعالى ـ: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا (٢٠) ﴾ [الإنسان: ٢٠].

* عن عمر بن الخطاب (ت ٢٣هـ ـ رضى الله عنه): أنه كان إذا أعطى الرجل من المهاجرين عطاء يقول: خُذْ بارك الله لك، هذا ما وعدك الله فى الدنيا، وما ادّخر لك فى الآخرة أكبر.. اهـ(٣).

﴿ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٤٢) وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ (٤٣) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ الَّذِينَ صَبَرُوا ﴾: بدلٌ من ﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ ﴾ الآية.

* ﴿ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾، أى: فى كل أمورهم.

* وقال القرطبى (ت ٦٧١هـ) فى تفسيره: قال بعض أهل التحقيق: خيار الْخَلْق مَنْ إذا نابه أمر صبر، وإذا عجز عن أمر توكّل، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾.. اهـ(٤).

* ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِمْ ﴾:

* قال ابن عباس (ت ١١٨هـ ـ رضى الله عنهما) لمّا بعث الله نبينا «محمدًا» ﷺ رسولا، أنكرت العرب ذلك، ومن أنكر منهم قالوا: الله أعظم من أن يكون رسوله بشرًا مثل «محمد»، فأنزل الله: ﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ ﴾ [يونس: ٢].

(١، ٢) انظر: تفسير القرطبى (١٠/ ٧١).

(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٢٢١).

(٤) انظر: تفسير القرطبى (١٠/ ٧٢).

وقال: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴾: يعنى: فاسألوا أهل الذكر والكتب الماضية: أبشراً كانت الرسل الذين أتتهم أم ملائكة؟ فإن كانوا ملائكة أتتكم، وإن كانوا بشراً فلا تنكروا أن يكون رسولا، ثم قال: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ ﴾ [يوسف: ١٠٩] ـ أى ليسوا من أهل السماء كما قلتم ـ[1].

* وعن سعيد بن جبير بن هشام (ت ٩٥هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴾ قال: نزلت فى عبد الله بن سلام ـ رضى الله عنه ـ، ونفر من أهل التوراة، كانوا أهل كتب، فاسألوهم ﴿ إِن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴾: إنّ الرجل ليصلّى ويصوم، ويحجّ ويعتمر، وإنه لمنافق، قيل: يا رسول الله بماذا دخل عليه النفاق؟ قال: يطعن على إمامه، وإمامه مَنْ قال الله فى كتابه: ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴾.. اهـ[2].

* وأخرج ابن مردويه، عن جابر بن عبد الله (ت ٧٨هـ ـ رضى الله عنهما) قال: قال رسول الله ﷺ: «لا ينبغى للعالم أن يسكت على علمه، ولا ينبغى للجاهل أن يسكت على جهله، وقد قال الله: ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴾، فينبغى للمؤمن أن يعرف عمله أعلى هدى أم على خلافه» اهـ[3].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ نُوحِي إِلَيْهِمْ ﴾ [رقم: ٤٣].

قرأ حفص: ﴿ نوحِى ﴾ بالنون وكسر الحاء، مبنيّا للفاعل، والفاعل ضمير، و﴿ إليهم ﴾ متعلق بـ ﴿ نوحِى ﴾.

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ يوحَى ﴾ بالياء وفتح الحاء، مبنيّا للمفعول، و﴿ إليهم ﴾ نائب فاعل[4].

(١ : ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٢٢٢).

(٤) انظر: المهذب فى القراءات العشر وتوجيهها (١/ ٣٦٩).

﴿ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (٤٤) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ ﴾: متعلق بأنزلنا.

* عن السدّى إسماعيل بن عبد الرحمن (ت ١٢٧هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ بالبينات ﴾، قال: الحلال والحرام الذى كانت تجىء به الأنبياء. وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ والزبر ﴾ قال: كتب الأنبياء السابقين. وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ ﴾ قال: هو القرآن.. اهـ(١).

* وعن مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ قال: ما أحلّ الله لهم، وما حرّم عليهم. وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ قال: يطيعون.. اهـ(٢).

* وأخرج الحاكم وصحّحه، عن حذيفة بن اليمان (ت ٣٦هـ ـ رضى الله عنه) قال: قام فينا رسول الله ﷺ مقامًا أخبرنا بما يكون إلى قيام الساعة، عقله منّا مَنْ عقله، ونسيه مَنْ نسيه.. اهـ(٣).

﴿ أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَن يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لا يَشْعُرُونَ (٤٥) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ ﴾، اختلف المفسرون فى تأويل ذلك:

١ ـ فقيل هذا وعيد من الله ـ تعالى ـ للمشركين الذين احتالوا فى إبطال الإسلام(٤).

٢ ـ وقال الضحّاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ) معنى ذلك: تكذيبهم الرسل، وأعمالهم بالمعاصى.. اهـ(٥).

٣ ـ وقال مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ): هو نمرود بن كنعان وقومه.. اهـ(٦).

(١، ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٢٢٢). (٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٢٢٣).
(٤) انظر: تفسير القرطبى (١٠/ ٧٣). (٥، ٦) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٢٢٣).

* ﴿أَن يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الأَرْضَ﴾: قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما): كما خسف بقارون(١).

قال الله ـ تعالى ـ: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الأَرْضَ﴾ [القصص: ٨١].

* ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لا يَشْعُرُونَ﴾: كما فعل بقوم لوط وغيرهم.

قال الله فى العذاب الذى نزل بقوم لوط: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ (١٧٣)﴾ [الشعراء: ١٧٣].

﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ (٤٦) أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ (٤٧)﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ﴾: للمفسرين فى تأويل ذلك أقوال:

أولا: قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) وقتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ): معنى ذلك: يقول الله ـ تعالى ـ: إن شئتُ أخذتهم فى أسفارهم.. اهـ(٢).

ثانيًا: قال الضحاك بن مزاحم (١٠٥هـ): معنى ذلك: يقول الله ـ تعالى ـ: إن شئتُ أخذتهم على أىّ حال كانوا: بالليل أو بالنهار.. اهـ(٣).

* ﴿فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ﴾، أى: إنهم لا يعجزون الله إن أراد أخذهم كذلك أى: فى تقلبهم.

* ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ﴾: للمفسرين فى تأويل ذلك أقوال:

أولا: قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما): معنى ذلك: يقول الله ـ تعالى ـ: إن شئتُ أخذته على أثر موت صاحبه، مع تخوفه من ذلك.. اهـ(٤).

ثانيًا: قال الضحّاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ): معنى ذلك: هو من التخوّف: أى يأخذ طائفة ويدع طائفة فتخاف الباقية أن ينزل بها ما نزل بصاحبتها.. اهـ(٥).

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (١٠/ ٧٣).

(٢ : ٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٢٢٣).

(٥) انظر: تفسير القرطبى (١٠/ ٧٣).

ثالثًا: قال سعيد بن المسيَّب (ت ٩٤هـ ـ رضى الله عنه) بينما عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ على المنبر قال: يا أيها الناس ما تقولون فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ ﴾ فسكت الناس، فقال شيخ من هُذيل: هى لغتنا يا أمير المؤمنين: التخوّف: التَّنَقُّص.. اهـ(١).

* وقد قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم (ت حوالى ١٧٠هـ) بنحو هذه الرواية إذْ قال: كان يقال: التخوّف: هو التنقّص، أى: تنقّصهم من البلد والأطراف.. اهـ(٢).

* ﴿ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾، أى: لا يعاجل بالعقوبة بل يمهل.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ لَرَءُوفٌ ﴾ [رقم: ٤٧].

قرأ أبو عمرو، وشعبة، وحمزة، والكسائى، ويعقوب، وخلف البزّار: ﴿ لرؤف ﴾ بالقصر أى بحذف الواو التى بعد الهمزة.

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ لرءوف ﴾ بالمدّ أى بإثبات الواو بعد الهمزة على وزن «فعول»(٣).

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ (٤٨) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ ﴾، أى: من جسم قائم له ظلّ من شجر، أو جبل، أو غير ذلك:

قاله ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما)(٤).

* ﴿ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ ﴾، أى: يميل من جانب إلى جانب، ويكون أوّل النهار على حال، ويتقلّص ثم يعود فى آخر النهار على حالة أخرى، فدورانها وميلانها من موضع إلى موضع: هو سجودها.

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (١٠/ ٧٣). (٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى(٤/ ٢٢٣).
(٣) انظر: المهذب فى القراءات العشر وتوجيهها (١/ ٣٦٧). (٤) انظر: تفسير القرطبى (١٠/ ٧٤).

والفيء معناه: الرجوع، ومنه قوله ـ تعالى ـ: ﴿ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ ﴾ [الحجرات: ٩].

* ﴿ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ ﴾: فإن قيل: لم وحّد اليمين، وجمع الشمال؟

أقول: من شأن العرب إذا اجتمعت علامتان في شيء واحد أن تجمع إحداهما وتفرد الأخرى، مثال ذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ ﴾ [البقرة: ٧]. وقوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ ﴾ [المائدة: ١٦].

* وعن الضحّاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ) في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ ﴾ قال: إذا فاء الفيء توجّه كل شيء ساجداً لله قبل القبلة من بيت أو شجر، فكانوا يستحبون الصلاة عند ذلك.. اهـ(١).

* وأخرج عبد بن حُميد، والترمذي، وابن المنذر، وأبو الشيخ، عن عمر بن الخطاب (ت ٢٣هـ ـ رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «أربع قبل الظهر بعد الزوال تحسب بمثلين من صلاة السحر»، قال رسول الله ﷺ: «وليس من شيء إلا وهو يسبّح لله تلك الساعة» ثم قرأ ﴿ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ ﴾.. اهـ(٢).

* وعن مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ ﴾ الآية، قال: الغدوّ والآصال: إذا فاء ظلّ كل شيء، أمّا الظلّ بالغداة فعن اليمين، وأمّا بالعشيّ فعن الشمال، إذا كان بالغداة سجدت لله، وإذا كان بالعشيّ سجدت لله.. اهـ(٣).

* وعن مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) وقتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَهُمْ دَاخِرُونَ ﴾ قالا: وهم صاغرون.. اهـ(٤).

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا ﴾ [رقم: ٤٨].

(١ : ٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٤/ ٢٢٤).

قرأ حمزة، والكسائي، وخلف البزّار: ﴿أولم تروا﴾ بتاء الخطاب، لمناسبة الخطاب في قوله ـ تعالى ـ قبلُ: ﴿فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [رقم: ٤٧] ليكون الكلام على نسق واحد وهو الخطاب.

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿أولم يروا﴾ بياء الغيبة، لمناسبة الغيبة في قوله ـ تعالى ـ قبلُ: ﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَن يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الأَرْضَ﴾ [الآيات رقم ٤٥، ٤٦، ٤٧].

* ﴿يَتَفَيَّأُ ظِلالُهُ﴾ [رقم: ٤٨].

قرأ أبو عمرو، ويعقوب: ﴿تتفيؤا﴾ بتاء التأنيث، وذلك على تأنيث لفظ الجمع وهو «ظلاله».

وقرأ الباقون: ﴿يتفيؤا﴾ بياء التذكير، وذلك على تذكير معنى الجمع، ولأن تأنيث الفاعل وهو «ظلاله» غير حقيقي[1].

﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مِن دَابَّةٍ وَالْمَلائِكَةُ وَهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ (٤٩) يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ (٥٠)﴾

❀ معاني المفردات:

* ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مِن دَابَّةٍ﴾، أي: من كلّ ما يدبّ على الأرض.

* ﴿وَالْمَلائِكَةُ﴾ أي: والملائكة يسجدون لله ـ تعالى ـ. ولعلّ الحكمة من إفراد الملائكة بالذكر: اختصاصهم بشرف المنزلة، فميّزهم بالذكر، لخروجهم من جملة ما يدبّ لما جعل الله لهم من الأجنحة.

* ﴿وَهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ﴾: عن عبادة ربّهم.

* وعن الحسن البصري (ت ١١٠هـ) في الآية قال: يسجد مَنْ في السموات طوعًا، ومَنْ في الأرض طوعًا وكرهًا.. اهـ[2].

---

(١) انظر: المغني في توجيه القراءات العشر (٢/ ٣٢٣ ـ ٣٢٥).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٤/ ٢٢٥).

قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا ﴾ [الرعد: ١٥].

* وعن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ ﴾ قال: مخافة إجلال.. اهـ(١).

* ﴿ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾، أى: الملائكة، وهو معطوف على ما قبله. قال الله ـ تعالى ـ فى وصف الملائكة: ﴿ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لاَّ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۝ ﴾ [التحريم: ٦].

﴿ وَقَالَ اللَّهُ لا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ۝ ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَقَالَ اللَّهُ لا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ ﴾: ﴿ اثنين ﴾ توكيد إلى ﴿ إِلَهَيْنِ ﴾ ولما كان الإله الحقّ لا يتعدّد، وأنّ كل من يتعدّد فليس بإله، اقتصر على ذكر الاثنين، لأن المقصود نفى التعدّد، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝ ﴾ [الأنبياء: ٢٢].

* ﴿ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ ﴾، أى: فى ذاته المقدّسة، وقد قامت الأدلّة الشرعية والعقلية على وحدانيته ـ تعالى ـ منها قوله ـ تعالى ـ: ﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝ ﴾ [المؤمنون: ٩١].

* أخرج ابن أبى شيبة، وابن مردويه، عن أبى هريرة (ت ٥٩هـ ـ رضى الله عنه) قال: مرّ النبى ﷺ بسعد وهو يدعو بأصبعيه فقال له: «يا سعد أحد أحد» اهـ(٢).

* وعن «عائشة» أم المؤمنين (ت ٥٨هـ ـ رضى الله عنها) قالت: إن الله يحبّ أن يدعى هكذا وأشارت بأصبع واحدة.. اهـ(٣).

* ﴿ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴾، أى: خافون.

(١ : ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٢٢٥).

﴿ وَلَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ (٥٢) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَلَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾: الضمير فى «له» عائد على الله ـ تعالى ـ، أى: لله ما فى السموات والأرض: ملكًا وخلقًا وعبيدًا.

* ﴿ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا ﴾: معطوف على ما قبله. ومعنى ﴿ وَاصِبًا ﴾، أى: دائمًا، وممّن قال بذلك:

١ - مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ). ٢ - والضحّاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ).
٣ - والحسن البصرى (ت ١١٠هـ). ٤ - وقتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ)[١].

* وقال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) معنى واصبًا: واجبًا.. اهـ[٢].

* وقال الكلبى محمد بن السائب بن بشر (ت ١٤٦هـ) وأبو زكريا الفراء (ت ٢٠٧هـ) معنى واصبًا: خالصًا.. اهـ[٣].

يقال: وصب الشىء يَصِب وصوبًا: أى: دام. ويقال: وصب الرجل على الشىء: أى: واظب عليه.

* ﴿ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ ﴾: «غيرَ» منصوب بـ «تتقون». وحينئذ يكون المعنى: لا ينبغى أن تتقوا غير الله الواحد القهّار.

﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ (٥٣) ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ (٥٤) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَمَا بِكُم ﴾: الجارّ والمجرور متعلق بفعل مضمر والتقدير: وما يكن بكم.

* ﴿ مِّن نِّعْمَةٍ ﴾: من بلاغة وإعجاز القرآن أنه جاء «بمن» التى تفيد التبعيض، ونكّر «نعمة» ليشمل النعم القليلة والكثيرة، ونعم الله ـ تعالى ـ لا تحصى ولا تعدّ، قال ـ تعالى ـ: ﴿ وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا ﴾ [إبراهيم: ٣٤].

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (١٠/ ٧٥).
(٢، ٣) انظر: تفسير القرطبى (١٠/ ٧٦).

* ﴿ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ ﴾ مثل: السقم، والقحط، وغير ذلك.

* ﴿ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ ﴾، أي: تضجّون بالدعاء، وقد قال بذلك: السدّي إسماعيل ابن عبد الرحمن (ت ١٢٧هـ)(١).

يقال: جأر الثور يجأر جؤارًا، أي: صاح.

* ﴿ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴾: وهذه صفة الكفار والمنافقين، وأدلّة ذلك في القرآن كثيرة، منها قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٢) ﴾ [يونس: ١٢].

وقوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ (٣٣) ﴾ [الروم: ٣٣].

﴿ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (٥٥) وَيَجْعَلُونَ لِمَا لا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ (٥٦) ﴾

❀ معاني المفردات:

* ﴿ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ ﴾: اللام لام كَيْ، أي: أشركوا بالله ليجحدوا نعمة الله التي أنعم بها عليهم من كشف الضرّ والبلاء وغير ذلك.

* ﴿ فَتَمَتَّعُوا ﴾: فعل الأمر هنا للتهديد والوعيد.

* ﴿ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾: عاقبة كفركم، وجحودكم نعم الله عليكم.

قال ـ تعالى ـ: ﴿ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (١٢٦) ﴾ [البقرة: ١٢٦].

وَيَجْعَلُونَ لِمَا لا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٤/ ٢٢٥).

* وعن قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) في قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ قال: هم مشركو العرب جعلوا لأوثانهم وشياطينهم نصيبًا مما رزقهم الله، وجزّأوا من أموالهم جزءًا فجعلوه لأوثانهم وشياطينهم.. اهـ(١).

* وعن السدّي إسماعيل بن عبد الرحمن (ت ١٢٧هـ) في معنى ذلك قال: هو قولهم هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا.. اهـ(٢).

* وأقول: هو ما حكاه الله عنهم في قوله: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (١٣٦)﴾ [الأنعام: ١٣٦].

* ﴿تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ﴾: من الكذب على الله أنه أمركم بهذا.

﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ (٥٧)﴾

❀ معاني المفردات:

* ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ﴾:

* قال القرطبي (ت ٦٧١هـ) في تفسيره: نزلت في خزاعة، وكنانة، فإنهم زعموا أن الملائكة بنات الله، فكانوا يقولون: ألحقوا البنات بالبنات.. اهـ(٣).

قال الله ـ تعالى ـ: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ (١٩)﴾ [الزخرف: ١٩].

* ﴿سُبْحَانَهُ﴾: نزّه الله ـ تعالى ـ نفسه وعظّمها عمّا نسبوه إليه من اتخاذ الأولاد، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ﴾ [المؤمنون: ٩١].

* وعن الضحاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ) في قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ﴾ قال: أي: البنين.. اهـ(٤).

(١، ٢) انظر: تفسير الدرالمنثور للسيوطي (٤/ ٢٢٦).

(٣) انظر: تفسير القرطبي (١٠/ ٧٧).

(٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٤/ ٢٢٦).

* وعن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴾، قال: يجعلون لله ـ سبحانه وتعالى ـ البنات، يرضونهنّ له ولا يرضونهنّ لأنفسهم، وذلك أنهم كانوا فى الجاهلية إذا ولد للرجل منهم جارية أمسكها على هون أو دسّها فى التراب وهى حيّة.. اهـ[١].

﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالأُنثَىٰ ﴾، أى: أُخبر أحدهم بولادة بنت.

* ﴿ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا ﴾، أى: متغيرًا، وهو كناية عن غمّه بالبنت.

والعرب تقول لكل من لقى مكروها: قد اسودّ وجهه غمّا وحزنًا، نقل ذلك عن الزّجّاج إبراهيم بن السَّرى (ت ٣١١هـ)[٢].

* ﴿ وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾: فى تأويل ذلك عدد من الأقوال، أذكر أصحها:

أولا: قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما): معنى ذلك: وهو حزين.. اهـ[٣].

ثانيًا: وقال الأخفش الأوسط سعيد بن مسعدة (ت ٢١٥هـ): معنى ذلك: هو الذى يكظم غيظه فلا يظهره.. اهـ[٤].

ثالثًا: وقال على بن عيسى: معنى ذلك: هو المغموم الذى يطبق فاه فلا يتكلم من الغمّ، مأخوذ من الكظامة وهو شدّ فم القربة.. اهـ[٥].

* وأقول: هذا القول قريب من قول الأخفش الأوسط.

* وعن قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) فى معنى الآية قال: هذا صنيع مشركى العرب، أخبر الله بخبث صنيعهم، فأمّا المؤمن، فهو حقيق أن يرضى بما قسم الله له، وقضاء الله خير من قضاء المرء لنفسه.

ولعمرى ما ندرى إنّه لخير، ربّ جارية خير لأهلها من غلام. وإنما أخبرنا الله بصنيعهم لنجتنبه وننتهى عنه. فقد كان أحدهم يطعم كلبه، ويئد ابنته.. اهـ[٦].

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٢٢٦).

(٢ : ٥) انظر: تفسير القرطبى (١٠/ ٧٧).

(٦) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٢٢٦).

* وعن السدّى إسماعيل بن عبد الرحمن (ت ١٢٧هـ) فى معنى الآية قال: كانت العرب ـ أى قبل مجىء الإسلام ـ يقتلون ما وُلِدَ لهم من جارية فيدسُّونها فى التراب، وهى حيّة حتى تموت.. اهـ[١].

قال الله ـ تعالى ـ فى ذمِّ ذلك وتحريمه: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ۝ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ۝﴾ [التكوير: ٨ ـ ٩].

﴿يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ۝﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ﴾، أى: يختفى ويتغيّب.

* ﴿مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ﴾، أى: من سوء الحزن، والعار، والحياء الذى سيلحقه بسبب البنت.

* ﴿أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ﴾، أى: هوان، والهون والهوان بمعنى واحد، بلهجة قريش حكاه: أبو عبيد القاسم بن سلام عن الكسائى[٢].

وقد جاء الضمير مذكّراً فى «أيمسكه» لأنه مردود على «ما».

* ﴿أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ﴾: معطوف على ما قبله.

وحينئذ يكون المعنى: أيمسك ابنته المولودة على ذلّ وهوان، أم يدفنها فى التراب حيّة.

* قال قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ): كانت قبيلة (مُضَر وخُزاعة) يدفنون البنات أحياء، وأشدّهم فى هذا (تميم).. اهـ[٣].

* ﴿أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾:

* قال السدّى إسماعيل بن عبد الرحمن (ت ١٢٧هـ) فى معنى ذلك: بئس ما حكموا، شىء لا يرضونه لأنفسهم، فكيف يرضونه لله ـ تعالى ـ.. اهـ[٤].

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٢٢٦).
(٢) انظر: تفسير القرطبى (١٠/ ٧٧ ـ ٧٨).
(٣) انظر: تفسير القرطبى (١٠/ ٧٨).
(٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٢٢٦).

* وأقول لما جاء نبينا «محمد» ﷺ حرّم وَأْدَ البنات، بَلْ ورد عنه ﷺ فى كثير من الأحاديث الصحيحة التى تبين فضل من عال بنتًا فضلا عن الأكثر أقتبس من هذه الأحاديث ما يلى:

أولا: ثبت فى صحيح مسلم عن «عائشة» أم المؤمنين (ت ٥٨هـ ـ رضى الله عنها) أنها قالت: جاءتنى امرأة ومعها ابنتان لها، فسألتنى، فلم أجد عندى غير تمرة واحدة، فأعطيتها إيّاها، فأخذتها فقسمتها بين ابنتيها ولم تأكل منها شيئًا، ثم قامت فخرجت وابنتاها، فدخل النبى ﷺ فحدّثتُه حديثها، فقال النبى ﷺ: «من ابْتلى من البنات بشىء فأحسن إليهنّ كنّ له سترًا من النار» اهـ[1].

ثانيًا: فى صحيح مسلم عن «عائشة» أم المؤمنين ـ رضى الله عنها ـ أنها قالت: جاءتنى مسكينة تحمل ابنتين لها، فأطعمتها ثلاث تمرات، فأعطت كل واحدة منهما تمرة، ورفعت إلى فيها تمرة لتأكلها، فاستطعمتها ابنتاها، فشقت التمرة التى كانت تريد أن تأكلها بينهما، فأعجبنى شأنها، فذكرتُ الذى صنعتْ لرسول الله ﷺ فقال: «إنّ الله ـ عزّ وجلّ ـ قد أوجب لها الجنّة، أو أعتقها بها من النار» اهـ[2].

ثالثًا: فى صحيح مسلم عن أنس بن مالك (ت ٩٣هـ ـ رضى الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ عال جاريتين حتّى تبلغا، جاء يوم القيامة أنا وهو هكذا» وضمّ أصابعه.. اهـ[3].

رابعًا: خرّج أبو نعيم من حديث الأعمش، عن أبى وائل عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ كانت له بنت فأدّبها فأحسن أدبها، وعلّمها فأحسن تعليمها، وأسبغ عليها من نعم الله التى أسبغ عليه، كانت له سترًا، أو حجابًا من النار» اهـ[4].

﴿ لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٦٠) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ ﴾، أى: لهؤلاء الذين يجعلون لله البنات.

(١ : ٤) انظر: تفسير القرطبى (١٠/ ٧٨).

* ﴿ مَثَلُ السَّوْءِ ﴾: فى معنى ذلك أقوال أذكر أصحّها وأرجحها:

١ ـ قيل عذاب النار. ٢ ـ وقيل: صفة السوء من العذاب والنار(١).

* ﴿ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَىٰ ﴾: فى معنى ذلك أقوال أذكر أصحّها وأرجحها:

أولا: قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما): معنى ذلك: أن الله ليس كمثله شيء.. اهـ(٢).

ثانيًا: وقال قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ): معنى ذلك: الوصف الأعلى من الإخلاص والتوحيد لله ـ تعالى ـ.. اهـ(٣).

•• فائدة جليلة:

فإن قيل: كيف أضاف الله المثل هنا إلى نفسه، وقد قال: ﴿ فَلا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الأَمْثَالَ ﴾ [النحل: ٧٤].

أقول: أجاب على ذلك القرطبى فى تفسيره، فقال: إنّ قوله ـ تعالى ـ: ﴿ فَلا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الأَمْثَالَ ﴾: أى: الأمثال التى توجب الأشباه والنقائص: أى: لا تضربوا لله مثلا يقتضى نقصًا وتشبيهًا بالخلق.

والمثل الأعلى: هو وصف الله بما لا شبيه له ولا نظير، ـ جلّ وتعالى ـ الله عمّا يقول الظالمون والجاحدون علوّا كبيرًا.. اهـ(٤).

* ﴿ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾، الغالب على أمره الذى يضع الأمور كلها بحكمة.

﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَابَّةٍ وَلَكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ (٦١) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِم ﴾، أى: بكفرهم، وافترائهم، وعاجلهم بالعقوبة لوقع ما ذكره بعدُ:

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (١٠/ ٧٩).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٢٢٧).

(٣، ٤) انظر: تفسير القرطبى (١٠/ ٧٩).

* ﴿ مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَابَّةٍ ﴾، أى: على الأرض، لأنّ الدابّة لا تدبّ إلا على الأرض.

وقد ورد فى بيان المراد من ذلك أقوال أذكر أصحّها وأرجحها:

أولا: قال الحسن البصرى (ت ١١٠هـ): المراد بالآية العموم: أى لو يؤاخذ الله الخلق بما كسبوا ما ترك على ظهر هذه الأرض من دابّة: من نبىٍّ ولا غيره.. اهـ[١].

ثانيًا: قال عبد الله بن مسعود (ت ٣٢هـ ـ رضى الله عنه) لو آخذ الله الخلائق بذنوب المذنبين لأصاب العذابُ جميع الخلق حتّى «الجعْلان» فى جُحْرها، ولأمسك الأمطار فى السماء عن النبات فى الأرض فمات الدّواب، ولكنّ الله يأخذ بالعفو والفضل، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الشورى: ٣٠][٢].

ثالثًا: قال أنس بن مالك (ت ٩٣هـ ـ رضى الله عنه): كاد الضّبُّ أن يموت فى جحره هولا من ظلم ابن آدم.. اهـ[٣].

رابعًا: قال قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ): قد فعل الله ذلك فى زمان «نوح» ـ عليه السلام ـ أهلك الله ما على ظهر الأرض من دابَّة إلا ما حملت سفينة «نوح».. اهـ[٤].

* ﴿ وَلَكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾: وهو وقتهم الذى وقّته لهم.

* ﴿ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ ﴾: وهو أجل موتهم، ومنتهى أعمارهم.

* ﴿ لا يَسْتَأْخِرُونَ ﴾: عن الموت. * ﴿ سَاعَةً ﴾.

* ﴿ وَلا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾: ساعة حتى يستوفى آجالهم.

وقد حذف القرآن كلمة «ساعة» من الثانى، لدلالة الأوّل عليه. وهذا أسلوب بلاغىّ فصيح.

﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ لا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾

(١، ٢) انظر: تفسير القرطبى (١٠/ ٧٩).

(٣، ٤) انظر: تفسير الدرالمنثور للسيوطى (٤/ ٢٢٧).

❁ معانى المفردات:

* عن الضحّاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ ﴾ قال: يخبر الله ـ سبحانه وتعالى ـ بأن كفّار قريش يجعلون لله البنات، وهم يكرهون ذلك لأنفسهم.. اهـ[1].

* وعن مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ ﴾ قال: هو قول كفّار قريش لنا البنون ولله البنات.. اهـ[2].

و«الكذبَ» مفعول «تصف».

و﴿ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَى ﴾ فى محل نصب بدل اشتمال من الكذب، وهو بيان وتفسير له.

* ﴿ لا ﴾ ردّ لقولهم المتقدم، أى: ليس الواقع كما تزعمون.

* ﴿ جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ ﴾، أى: حقّا أنّ لهم النار.

* ﴿ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ ﴾: للمفسرين فى معنى «مفرطون» أقوال:

أولا: قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) معنى «مفرطون»: مبعدون.. اهـ[3].

ثانيًا: قال سعيد بن جبير بن هشام (ت ٩٥هـ): معنى «مفرطون»: متروكون فى النار منسيون فيها أبدًا.. اهـ[4].

ثالثًا: قال مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ): معنى «مفرطون»: مسيئون.. اهـ[5].

رابعًا: قال الحسن البصرى (ت ١١٠هـ) وقتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ): معنى «مفرطون»: معجّل بهم إلى النار.. اهـ[6].

▣ القراءات وتوجيهها:

* ﴿ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ ﴾ [رقم: ٦٢].

قرأ نافع: ﴿ مفرِطون ﴾ بكسر الراء مخفّفة، اسم فاعل من «أفرط» إذا جاوز الحدّ، يقال: كانوا مفرِطين على أنفسهم فى الذنوب.

(١، ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٢٢٨).

(٣) انظر: تفسير القرطبى (١٠/ ٨٠).

(٤ : ٦) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٢٢٨).

وقرأ أبو جعفر: ﴿ مفرِّطين ﴾ بكسر الراء مشدّدة، اسم فاعل من «فرَّط» مضعف العين، بمعنى: مضيِّع ومقصِّر.

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ مفرَطون ﴾ بفتح الراء مخففة، اسم مفعول من «أفرط» الرباعى[1].

﴿ تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٦٣) وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٦٤) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ ﴾:

المعنى: يقسم الله ـ عزّ وجل ـ لنبيه وحبيبه نبينا «محمد» بأنه أرسل رسلا إلى أمم من قبلك بالدعوة إلى توحيد الله ـ عزّ وجلّ ـ، وإخلاص العبادة له، ولكن كانت النتيجة كما أخبر الله بقوله:

* ﴿ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ ﴾، أى: حسّن لهم الشيطان ما كانوا عليه من الكفر حتى كذّبوا رسلهم، وفى هذا تسلية للنبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ ليصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل.

* ﴿ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ ﴾: الضمير «هو» عائد على الشيطان، وحينئذ يكون المعنى: الشيطان ناصر هؤلاء المكذبين فى الدنيا فقط.

* ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾، أى: فى الدار الآخرة وحينئذ لا ينفعهم الشيطان، بل سيتبرأ منهم، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٢) ﴾ [إبراهيم: ٢٢].

---

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ٣٢٦).

* ﴿ وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه ﴾:

✳ **المعنى:** يقول الله ـ تعالى ـ لنبيه وحبيبه نبينا «محمد» ﷺ: وما أنزلنا عليك «يا محمد» القرآن إلا لتبين لهم ما اختلفوا فيه من الدين، فتعرفهم الحقّ من الباطل، وتقيم عليهم الحجة ببيانك.

* ﴿ وهدى ورحمة ﴾ معطوفان على قوله ـ تعالى ـ: ﴿ لتبين ﴾ لأن محلها النصب بلام التعليل، وحينئذ يكون المعنى: وما أنزلنا عليك يا «محمد» القرآن إلا تبيانًا للناس وهدًى ورحمة ﴿ لقوم يؤمنون ﴾.

﴿ والله أنزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها إن في ذلك لآية لقوم يسمعون (٦٥) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ والله أنزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها ﴾:

✳ **المعنى:** الله ـ سبحانه وتعالى ـ هو وحده الذى أنزل من السماء ماءً وهو المطر، فأحيا الله بهذا الماء الأرض بعد موتها فأنبتت الزرع والعشب، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿ وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته حتى إذا أقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات ﴾ [الأعراف: ٥٧].

* ﴿ إن في ذلك لآية ﴾، أى: دلالات واضحات على وحدانية الله ـ تعالى ـ إذْ لا يستطيع على ذلك أىّ مخلوق مهما كان.

* ﴿ لقوم يسمعون ﴾، أى: يسمعون ما أنزل إليهم سماع قبول، وحينئذ تطمئن قلوبهم ويؤمنون بالله العزيز الحكيم.

﴿ وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين (٦٦) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وإن لكم في الأنعام لعبرة ﴾: المراد بالأنعام فى الآية: الأصناف الأربعة وهى:

١ - الإبل. ٢ - والبقر. ٣ - والضأن. ٤ - والمعز.

* ﴿ لَعِبْرَةً ﴾، أي: دلالة واضحة على قدرة الله، وعظمته، ووحدانيته.

والعبرة: أصلها تمثيل الشيء بالشيء لتُعْرف حقيقته من طريق المشاكلة.

* قال أبو بكر الورّاق: العبرة في الأنعام: تسخيرها لأربابها، وطاعتها لهم.. اهـ[1].

* قال الله ـ تعالى ـ في بعض منافع الأنعام: ﴿ وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (٥) وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ (٦) وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلاَّ بِشِقِّ الأَنفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ (٧) ﴾ [النحل: ٥ ـ ٧].

* وقال ـ تعالى ـ: ﴿ أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ (٧١) وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ (٧٢) وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلا يَشْكُرُونَ (٧٣) ﴾ [يس: ٧١ ـ ٧٣].

* ﴿ نُسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ ﴾: اختلف العلماء في عود الضمير من قوله ـ تعالى ـ: ﴿ بُطُونِهِ ﴾:

١ ـ فقال الزجاج إبراهيم بن السَّري (ت ٣١١هـ): لمّا كان «الأنعام» اسم جنس جَمْعي وهو يذكّر ويؤنث فيقال: هو الأنعام، وهي الأنعام جاز عود الضمير بالتذكير هنا. وعوده بالتأنيث في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا ﴾ [المؤمنون: ٢١].. اهـ[2].

٢ ـ وقال ابن العربيّ: إنما رجع الضمير مذكّراً هنا باعتبار لفظ الجمع، ورجع مؤنثًا في سورة المؤمنون باعتبار لفظ الجماعة.. اهـ[3].

* وأقول: هذا لا يختلف عن قول الزجّاج.

٣ ـ وقال الكسائي علي بن حمزة النحويّ والقارئ (ت ١٨٠هـ): معناه: مما في بطون ما ذكرناه، فهو عائد على المذكور، وهو مذكّر.. اهـ[4].

* ﴿ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا ﴾: نبّه الله ـ سبحانه وتعالى ـ على عظيم قدرته بخروج اللّبن خالصًا من بين الفرْث والدّم:

---

(١) انظر: تفسير القرطبي (١٠/ ٨١).

(٢ : ٤) انظر: تفسير القرطبي (١٠/ ٨٢).

* قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما): إنّ الدّابّة تأكل العلف فإذا استقرّ فى كرشها طبخته ـ أى هضمته ـ فكان أسفله فرْثًا، وأوسطه لبنًا، وأعلاه دمًا، والكبد مسلّط على هذه الأصناف فتقسّم الدم وتميّزه وتجريه فى العروق، وتجرى اللبن فى الضّرع، ويبقى الفرْث كما هو فى الكرش.. اهـ(١).

* ﴿ خَالِصًا ﴾، أى: خالصًا بياضه من حمرة الدّم، وخالصًا من قذارة الفرْث، وقد جمعهم وعاء واحد، وهذه قدرة عظيمة لا يستطيعها إلا الله ـ تعالى ـ القائم على كل شىء بحكمته. وصدق الله القائل: ﴿ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴾ [السجدة: ٧].

* ﴿ سَائِغًا لِّلشَّارِبِينَ ﴾، أى: لذيذًا هيّنًا، لا يَغصّ به من شربه.

* أخرج ابن مردويه، عن يحيى بن عبد الرحمن بن أبى كبشة، عن أبيه، عن جدّه: أن رسول الله ﷺ قال: «ما شرب أحد لبنًا فيشرق، إن الله يقول: ﴿ لَّبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِّلشَّارِبِينَ ﴾» اهـ(٢).

* يقال: ساغ الشراب يسوغ سَوْغًا: أى سهل مدخله فى الحلق.

* روى أبو داود، وغيره، عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) قال: أُتِى رسولُ الله ﷺ بلبن فشرب، فقال رسول الله ﷺ: «إذا أكل أحدكم طعامًا فليقل: اللهم بارك لنا فيه، وأطعمنا خيرًا منه. وإذا سُقِى لبنًا فليقل: اللهمّ بارك لنا فيه وزدنا منه، فإنه ليس شىء يُجزِى عن الطعام والشراب إلا اللّبَن» اهـ(٣).

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ نُّسْقِيكُم ﴾ من قوله ـ تعالى ـ: ﴿ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ ﴾ [النحل: ٦٦].

* ومن قوله ـ تعالى ـ: ﴿ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا ﴾ [المؤمنون: ٢١].

قرأ نافع، وابن عامر ،وشعبة، ويعقوب: ﴿ نَسقيكم ﴾ فى الموضعين بالنون المفتوحة، مضارع «سقى» الثلاثى، ومنه قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا

(١) انظر: تفسير القرطبى (١٠/ ٨٣).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٢٢٨).

(٣) انظر: تفسير القرطبى (١٠/ ٨٤).

طَهُورًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الإنسان: ٢١]، وفاعل «نَسقيكم» ضمير مستتر وجوبًا تقديره «نحن» يعود على الله ـ تعالى ـ المتقدّم ذكره فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلاَّ لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ ﴾ [رقم: ٦٤]. وجرى الكلام على نسق واحد وهو إسناد الفعل إلى المعظم نفسه.

وقرأ أبو جعفر: ﴿ تَسْقيكم ﴾ فى الموضعين بالتاء الفوقية المفتوحة، على تأنيث الفعل، والفاعل ضمير مستتر جوازًا تقديره «هى» يعود على «الأنعام» وهى مؤنثة، لذلك جاز تأنيث الفعل.

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ نُسْقيكم ﴾ فى الموضعين بالنون المضمومة، على أنه مضارع «أسقى» الرباعى، ومنه قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَأَسْقَيْنَاكُم مَّاءً فُرَاتًا ﴿٢٧﴾ ﴾ [المرسلات: ٢٧][1].

﴿ وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ﴾:

* ﴿ سَكَرًا ﴾ قال جمهور العلماء: «السَّكر»: ما يُسْكر وهو «الخمر».

ومِمَّن قال بهذا:

١ ـ عبد الله بن مسعود (ت ٣٢هـ ـ رضى الله عنه).

٢ ـ وعبد الله بن عمر بن الخطاب (ت ٧٣هـ ـ رضى الله عنهما).

٣ ـ ومجاهد بن جبر المفسّر (ت ١٠٤هـ).

٤ ـ والحسن البصرى (ت ١١٠هـ).

٥ ـ والكلبى محمد بن السائب (ت ١٤٦هـ).

٦ ـ وابن أبى ليلى محمد بن عبد الرحمن (ت ١٤٨هـ)[2].

---

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ٣٢٧ ـ ٣٢٨)، والنشر فى القراءات العشر بتحقيقنا (٣/ ١٤٥)، والمهذب فى القراءات العشر وتوجيهها (١/ ٣٧٢ ، ٢/ ٥٨)، والكشف عن وجوه القراءات (٢/ ٢٨ ـ ٣٩).

(٢) انظر: تفسير القرطبى (١٠/ ٨٥).

* وقال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) وسعيد بن جبير (ت ٩٥هـ) والشعبى عامر بن شراحيل (ت ١٠٥هـ) والنخعىّ إبراهيم بن يزيد بن قيس الكوفى (ت ٩٥هـ) وأبو ثور إبراهيم بن خالد (ت ٢٤٠هـ) قال هؤلاء جميعًا: نزلت هذه الآية قبل تحريم الخمر، والمراد بالسَّكَر: الخمر، وبالرزق الحسن: جميع ما يؤكل ويشرب من هاتين الشجرتين، وهو حلال.. اهـ(١).

* وقال ابن العربى: أسدّ هذه الأقوال قول ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ ويخرَّج ذلك على أحد معنيين:

الأول: إمّا أن يكون ذلك قبل تحريم الخمر، وحينئذ يكون الحكم منسوخًا، لأن هذه الآية مكيّة باتفاق العلماء، وتحريم الخمر كان بالمدينة، وهذا هو الصحيح.

والثانى: أن يكون المعنى: أنعم الله عليكم بثمرات النخيل والأعناب تتخذون منها ما حرّم الله عليكم اعتداء منكم، وما أحلّ لكم اتفاقًا، أو قصدًا إلى منفعة أنفسكم.. اهـ(٢).

* وعن الحسن البصرى (ت ١١٠هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا ﴾ قال: ذكَرَ اللهُ نعمته عليهم فى الخمر قبل أن يُحرِّمها عليهم.. اهـ(٣).

* وعن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) فى الآية قال: السَّكَر: ما حرم من ثمرتها، والرزق الحسن: ما حلّ من ثمرتها.. اهـ(٤).

* وعن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ فى رواية قال: حرّم الله السَّكَر بعد ذلك مع تحريم الخمر.

والرزق الحسن: هو الحلال مثل: الخلّ والزبيب، وأشباه ذلك، أقرّه الله وجعله حلالا للمسلمين.. اهـ(٥).

﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ (٦٨) ﴾

(١، ٢) انظر: تفسير القرطبى (١٠/ ٨٥).
(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٢٢٩).
(٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٢٢٨).
(٥) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٢٢٩).

❀ معانى المفردات:

* عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) ومجاهد بن جبر المفسّر (ت ١٠٤هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾: قالا: ألهمها إلهامًا، ولم يرسل إليها رسولا.. اهـ[١].

* والإلهام: هو ما يخلقه الله ـ تعالى ـ فى القلب ابتداء من غير سبب ظاهر[٢].

والنحل: يجوز تذكيره وتأنيثه، وكذا كل اسم جنس جمعى: وهو ما يفرق بينه وبين مفرده بالهاء مثل: شجر وشجرة.

* وعن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال: نهى رسول الله ﷺ عن قَتْل النّملة، والنحلة، والهُدْهد، والصُّرَد.. اهـ[٣].

* ﴿أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾:

* قال القرطبى فى تفسيره: جعل الله بيوت النّحل فى هذه الثلاثة الأنواع:

١ ـ إمّا فى الجبال. ٢ ـ وإمّا فى متجوّف الأشجار. ٣ ـ وإمّا فيما يعرش ابن آدم من الخلايا، والحيطان وغيرها.. اهـ[٤].

وعرش معناه هنا: هيَّأ، يقال: عرش يعرِش ويعرُش: بكسر الراء وضمها، وقد قرئ بهما كما سيأتى بيانه.

* قال ابن العربىّ: ومن عجيب ما خلق الله فى النّحل أن ألهمها لاتخاذ بيوتها مسدّسة، فبذلك اتصلت حتى صارت كالقطعة الواحدة وذلك أن الأشكال من المثلّث إلى المعشّر إذا جمع كلّ واحد منها إلى أمثاله لم يتصل وجاءت بينها فروج، إلا الشكل المسدّس، فإنه إذا جُمِع إلى أمثاله اتّصل كأنه كالقطعة الواحدة.. اهـ[٥].

▩ القراءات وتوجيهها:

* ﴿أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا﴾ [رقم: ٦٨].

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٢٣٠).
(٢) انظر: تفسير القرطبى (١٠/ ٨٨).
(٣) أخرجه أبو داود، انظر: تفسير القرطبى (١٠/ ٨٨).
(٤) انظر: تفسير القرطبى (١٠/ ٨٨).
(٥) انظر: تفسير القرطبى (١٠/ ٨٩).

قرأ قالون، وابن كثير، وابن عامر، وشعبة، وحمزة، والكسائى، وخلف البزّار: ﴿ بيوتا ﴾ بكسر الباء. وقرأ الباقون بضمها، وهما لهجتان[١].

* ﴿ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴾ [رقم: ٦٨].

قرأ ابن عامر، وشعبة: ﴿ يعرُشون ﴾ بضمّ الراء.

وقرأ الباقون: ﴿ يعرِشون ﴾ بكسر الراء، وهما لهجتان[٢].

﴿ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٦٩) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ ﴾: وذلك أنها إنما تأكل النوّار من الأشجار.

* ﴿ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً ﴾: قال مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) معنى ذلك: طرقًا لا يتوعّر عليها مكان تسلكه.. اهـ[٣].

* ﴿ يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ ﴾: هذا هو العسل، فمنه الأحمر، والأبيض، والأصفر، والأمّ واحدة.

* ﴿ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ ﴾: هذه بعض الأقوال الواردة فى ذلك:

أولا: قال السدّى إسماعيل بن عبد الرحمن (ت ١٢٧هـ): فيه شفاء الأوجاع التى شفاؤها فيه.. اهـ[٤].

ثانيًا: أخرج ابن أبى شيبة، وابن جرير، عن عبد الله بن مسعود (ت ٣٢هـ ـ رضى الله عنه) قال: إنّ العسل شفاء من كل داء، والقرآن شفاء لما فى الصدور.. اهـ[٥].

ثالثًا: أخرج ابن ماجه، وابن مردويه، والحاكم وصحّحه، والبيهقى فى شعب الإيمان، عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «عليكم بالشفاءين: العسل، والقرآن» اهـ[٦].

رابعًا: أخرج أحمد، والبخارى، ومسلم، وابن مردويه، عن أبى سعيد الخدرىّ ـ رضى الله عنه ـ أن رجلاً أتى النبىّ ﷺ فقال: يا رسول الله، إنّ أخى استطلق بطنه،

(١، ٢) انظر: المهذب فى القراءات العشر وتوجيهها (١/ ٣٧٢).

(٣ : ٦) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٢٣٠).

فقال: «اسقه عسلا» فسقاه عسلا، ثم جاء فقال: ما زاده إلا استطلاقًا، قال: «اذهب فاسقه عسلا»، ثم جاء فقال: ما زاده إلا استطلاقًا، قال رسول الله ﷺ: «صدق الله وكذب بطن أخيك، اذهب فاسقه عسلا» فذهب فسقاه فبرأ.. اهـ[١].

خامسًا: أخرج ابن ماجه، وابن السّنّى، والبيهقىّ فى الشعب، عن أبى هريرة (ت ٥٩هـ ـ رضى الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «من لعق العسل ثلاث غدوات كل شهر لم يصبه عظيم من البلاء» اهـ[٢].

* ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾، أى: يعتبرون، ومن العبرة فى «النّحل» أنّ من ألهمها الصنعة اللطيفة مع البنية الضعيفة، وتفاوت أحوالها هو الله ـ سبحانه وتعالى ـ.

﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ (٧٠)﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ﴾، أى: أوجدكم من العدم، وعلى غير مثال سبق.

* ﴿ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ﴾، أى: يميتكم بعد انتهاء آجالكم.

* ﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ﴾:

١ ـ قال علىّ بن أبى طالب (ت ٤٠هـ ـ رضى الله عنه): أرذل العمل: خمس وسبعون سنة.. اهـ[٣].

٢ ـ وقال السدّى إسماعيل بن عبد الرحمن (ت ١٢٧هـ): أرذل العمر: هو الخرَف.. اهـ[٤].

* وأقول: نظرًا لأن أرذل العمر الذى يصل من يصاب به إلى حالة الخرَف نتيجة لنقص عقله ـ والعياذ بالله تعالى ـ يعتبر أمرًا خطيرًا، وغير محبوب، لذلك فقد كان نبينا ﷺ يتعوذ منه، وقد ورد فى ذلك عدد من الأحاديث، وطلبًا للاختصار أذكر منها الحديث التالى:

(١، ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٢٣١).

(٣، ٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٢٣٢).

* فقد أخرج ابن مردويه، عن ابن مسعود (ت ٣٢هـ ـ رضى الله عنه) قال: كان دعاء رسول الله ﷺ: «أعوذ بالله من دعاء لا يُسمع، ومن قلب لا يخشع، ومن علم لا ينفع، ومن نفس لا تشبع، اللهم إنى أعوذ بك من الجوع فإنه بئس الضجيع، ومن الخيانة فإنها بئست البطانة، وأعوذ بك من الكسل، والهرم، والبخل، والجبن، وأعوذ بك أن أردّ إلى أرذل العمر، وأعوذ بك من فتنة الدَّجّال، وعذاب القبر» اهـ(١).

* وهذه بشرى سارّة أزفها لقراء القرآن، والعلماء، فقد وردت الأخبار التى تفيد أنهم لا يُردّون إلى أرذل العمر، أى: لا يخرفون، وهذه بعض الأخبار الواردة فى ذلك:

أولا: عن عكرمة مولى ابن عباس (ت ١٠٥هـ) قال: من قرأ القرآن لم يردّ إلى أرذل العمر، ثم قرأ قوله ـ تعالى ـ: ﴿ لِكَيْ لا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا ﴾.. اهـ(٢).

ثانيًا: عن طاووس بن كيسان (ت ١٠٦هـ) قال: إن العالم لا يخرف.. اهـ(٣).

ثالثًا: عن عبد الملك بن عمير قال: كان يقال: إنّ أبقى الناس عقولا قرّاء القرآن.. اهـ(٤).

* ﴿ لِكَيْ لا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا ﴾: أى: يرجع إلى حالة الطفولة فلا يعلم ما كان يعلم قبلُ من الأمور لفرط الكِبَر.

* ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾، أى: عليم بكلّ ما كان وما يكون، قدير على كل شىء ولا يعجزه أىّ شىء يريده.

* ومن الأدعية التى أدعو بها: اللهمّ احفظ علىّ دينى، وعَقْلى، وصحّتى، وحواسِّى حتى ألقاك، ولا تحوجْنى إلى أحدٍ سواك.

﴿ وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ (٧١) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ ﴾، أى: جعل منكم غنيًا وفقيرًا.

(١ : ٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٢٣٢).

* ﴿ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا ﴾، أي: في الرّزق.

* ﴿ بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ ﴾:

✳ **المعنى:** لا يردّ المولى على ما ملكت يمينه مما رُزق شيئًا حتى يستوى المملوك والمالك فى المال.

* وقيل هذا مَثَلٌ ضربه الله ـ تعالى ـ لعبدة الأصنام: أى: إذا لم يكن عبيدكم معكم سواء فكيف تجعلون عبيدى معى سواء، فلما لم يكن يشركهم عبيدهم فى أموالهم، لم يجز لهم أن يشاركوا الله ـ تعالى ـ فى عبادة غيره من الأوثان، والأنصاب، وغيرهما ممّا عُبِدَ من دون الله، مثل: الملائكة، والأنبياء، وهم عبيده وخلقه، وقد قال بهذا بعض العلماء منهم:

١ - ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما).

٢ - ومجاهد بن جبر المفسّر (ت ١٠٤هـ).

٣ - وقتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ).

٤ - وعطاء بن أبى مسلم الخراسانىّ (ت ١٣٥هـ)[١].

* ﴿ أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾، أى: يكفرون.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ [رقم: ٧١].

قرأ شعبة، ورويس: ﴿ تجحدون ﴾ بتاء الخطاب، مناسبة لقوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾.

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ يجحدون ﴾ بياء الغيبة، مناسبة لقوله ـ تعالى ـ: ﴿ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا ﴾[٢].

﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ (٧٢) ﴾

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (١٠/ ٩٣)، وتفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٢٣٣).

(٢) انظر: المهذب فى القراءات العشر وتوجيهها (١/ ٣٧٢).

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا ﴾:

* قال قتادة بن دعامة (ت ١١٨ هـ): معنى ذلك: أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ خلق «آدم» ثم خلق زوجه حوّاء منه(١).

* ﴿ وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً ﴾:

١ ـ قال ابن عباس (ت ٦٨ هـ ـ رضى الله عنهما): الحفدة: ولد الولد وهم الأعوان.. اهـ(٢).

٢ ـ وقال ابنِ العربىّ: الأظهر عندى فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً ﴾: أنّ البنين: أولاد الرجل لصلبه، والحفدة: أولاد ولده، ويكون تقدير الآية على هذا: الله جعل لكم من أزواجكم بنين، ومن البنين حفدة.. اهـ(٣).

* ﴿ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ﴾، أى: من الثمار، والحبوب، والحيوان وغير ذلك.

* ﴿ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ ﴾:

١ ـ قال ابن عباس (ت ٦٨ هـ ـ رضى الله عنهما): الباطل: الأصنام.. اهـ(٤).

٢ ـ وقال قتادة بن دعامة (ت ١١٨ هـ): الباطل: هو الشرك بالله ـ تعالى ـ.. اهـ(٥).

٣ ـ وقال ابن جريج عبد الملك بن عبد العزيز (ت ١٥٠ هـ): الباطل: هو الشيطان.. اهـ(٦).

* ﴿ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴾:

١ ـ قال ابن جريج: نعمة الله: نبينا «محمد» ﷺ(٧).

٢ ـ وقيل: نعمة الله: الإسلام(٨).

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ وَبِنِعْمَتَ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴾ [رقم: ٧٢].

رسمت كلمة «نعمت» بالتاء المفتوحة: ووقف عليها ابن كثير، وأبو عمرو، والكسائى، ويعقوب بالهاء، وهى لهجة قريش.

(١، ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٢٣٣). (٣) انظر: تفسير القرطبى (١٠/ ٩٥).
(٤) انظر: تفسير القرطبى (١٠/ ٩٦). (٥ : ٧) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٢٣٤).
(٨) انظر: تفسير القرطبى (١٠/ ٩٦).

ووقف عليها الباقون من القراء العشرة بالتاء، وهى لهجة «طئ»[(١)].

﴿ وَيَعْبُدُونَ من دُون اللَّه مَا لا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ شَيْئًا ولا يستطِيعون (٧٣) ﴾

❀ معانى المفردات:

* عن قتادة بن دعامة (ت ١١٨ هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَيَعْبُدُونَ من دُونِ اللَّهِ مَا لا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ الآية قال: هذه الأوثان التى تُعْبد من دون الله لا تملك لمن يعبدها رزقًا، ولا ضرًا ولا نفعًا، ولا حياة ولا نشورًا.. اهـ[(٢)].

* ﴿ شَيْئًا ﴾: منصوب بـ «يعبدون» أى: يعبدون ما لا يملك أن يرزقهم شيئًا.

* ﴿ وَلا يَسْتَطِيعُونَ ﴾، أى: هذه الأصنام التى تعبدونها من دون الله لا تقدر على فعل شىء مما ذكر لأنها لا تنفع ولا تضر.

﴿ فَلا تَضْرِبُوا للَّه الأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ (٧٤) ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً عَبْدًا مَّمْلُوكًا لاَّ يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ (٧٥) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ فَلا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الأَمْثَالَ ﴾، أى: لا تشبهوا به هذه الجمادات، لأنه إله واحد قادر، لا مثل له، ولا نِدَّ له، وليس كمثله شىء.

* وعن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) فى معنى الآية قال: يقول الله ـ تعالى ـ: لا تجعلوا معى إلهًا غيرى، فإنه لا إله غيرى.. اهـ[(٣)].

* وقال قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) فى معنى الآية: فإنّ الله أحد صمد، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد.. اهـ[(٤)].

* ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴾: أى: أن الله العليم الخبير يعلم خطأ ما تمثّلون به، وأنتم لا تعلمون، لأنكم مخلوقون وقدراتكم محدودة.

---

(١) انظر: المهذب فى القراءات العشر وتوجيهها (١/ ٣٧٢).

(٢ : ٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٢٣٤).

* وعن قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً عَبْدًا مَّمْلُوكًا لاَّ يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾: قال: هذا مثل ضربه الله للكافر رزقه الله مالا فلم يقدّم فيه خيرًا ولم يعمل فيه بطاعة الله.

وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَمَن رَّزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا﴾ الآية. قال: هذا مثل المؤمن أعطاه الله مالا رزقًا حلالا، فعمل فيه بطاعة الله وأخذه بشكر ومعرفة حقّ الله، فأثابه الله على ما رزقه الرزق المقيم الدائم لأهله فى الجنّة.. اهـ(١).

* وعن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) فى الآية قال: المراد بذلك الآلهة التى لا تملك ضرّا ولا نفعًا، ولا تقدر على شىء ينفعها.

ومن رزقه الله رزقًا حسنًا ﴿فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا﴾، فذلك علانية المؤمن الذى ينفق سرّا وجهرًا لله.. اهـ(٢).

* وقال الربيع بن أنس: إن الله ضرب الأمثال على حسب الأعمال: فليس عمل صالح إلا له المثل الصالح. وليس عمل سوء إلا له المثل السوء.

وقال: إن مثل العالم المتفهّم: كطريق بين شجر وجبل، فهو مستقيم لا يعوّجه شىء، فذلك مثل العبد المؤمن الذى قرأ القرآن وعمل به.. اهـ(٣).

* ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً﴾ [الزمر: ٢٩]: ضمير المثنى عائد على المثل الذى ضربه الله للكافر، والمثل الذى ضربه للمؤمن: قال قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ): لا والله لا يستويان.. اهـ(٤).

* ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾، أى: الله ـ سبحانه وتعالى ـ هو المستحق للحمد دون من سواه، لأنه هوالمنعم المتفضل على جميع خلقه. وهذه العبارة: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ من العبارات البليغة لأنها تفيد القصر أى قصر الصفة على الموصوف.

* وأسلوب القَصْر، من الأساليب البَلاغية الفصيحة، وبه تُعْرَفُ بلاغة القرآن وإعجازه.

* ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ﴾، أى: أكثر المشركين.

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٢٣٤ ـ ٢٣٥).

(٢ : ٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٢٣٥).

* ﴿ لا يَعْلَمُونَ ﴾: أنّ الحمد لله، وهو مقصور عليه وحده، لأنه هو المنعم على جميع خلقه، ونعمه لا حصر لها، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ (٣٤) ﴾ [إبراهيم: ٣٤].

﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٧٦) ﴾

سبب نزول هذه الآية:

* أخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، وابن عساكر، عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) قال: نزلت هذه الآية في رجلين: أحدهما عثمان بن عفّان ـ رضى الله عنه ـ، والآخر: مولى له كافر وهو أُسَيْد بن أبى العاص كان يكره الإسلام، وكان عثمان ينفق عليه، ويكفله، ويكفيه المؤنة، وكان الآخر ينهاه عن الصدقة، وفعل المعروف، فنزلت فيهما هذه الآية.. اهـ[1].

معانى المفردات:

* ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ ﴾: وهو: أُسَيْد بن أبى العاص مولى عثمان بن عفّان ـ رضى الله عنه ـ.

* ﴿ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلاهُ ﴾: قال ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ: كانوا إذا ارتحلوا حملوا أُسَيْد بن أبى العاص مولى عثمان على بعير ذلول، وجعلوا معه نفرًا يمسكونه خشية أن يسقط، فهو عناء، وعذاب، وعيال عليهم.. اهـ[2].

* ﴿ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ ﴾، أي: أُسَيْد بن أبى العاص.

* ﴿ وَمَن يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾، وهو: عثمان بن عفّان ـ رضى الله عنه ـ، الجواب: لا يستويان.

﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلاَّ كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٧٧) ﴾

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٢٣٥).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٢٣٦).

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾:

✱ **المعنى:** لله ملك ما غاب عن أبصاركم فى السموات والأرض، لا يملك ذلك أحد سواه.

* ﴿ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلاَّ كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ﴾: ﴿ السَّاعَةِ ﴾: هى الوقت الذى تقوم فيه القيامة، وسُمِّيت ساعة لأنها تفجأ الناس فى ساعة فيموت جميع الخلق بصيحة، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ إِن كَانَتْ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ (٢٩) ﴾ [يس: ٢٩].

* ﴿ إِلاَّ كَلَمْحِ الْبَصَرِ ﴾: اللّمْح: النظر بسرعة، يقال: لمحه لمحًا ولمحانًا.

و حينئذ يكون المعنى: وما أمر قيام الساعة التى يبعث فيها الخلق يوم القيامة للحساب والجزاء، إلا كنظرة من البصر، لأنّ ذلك يتمّ بقول الله ـ تعالى ـ له: كن فيكون.

* ﴿ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ﴾: ﴿ أَوْ ﴾ هنا بمعنى «بل» وحينئذ يكون المعنى: وما أمر قيام الساعة إلا كلمْح ببصر العين من السرعة، بَلْ هو أقرب من ذلك، وقد قال بهذا:

١ ـ السدّى إسماعيل بن عبد الرحمن (ت ١٢٧هـ).

٢ ـ وابن جريج عبد الملك بن عبد العزيز (ت ١٥٠هـ)[1].

* ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾، أى: لا يمتنع عليه شىء أراده.

* وقيل: هذا تمثيل للقرب، كما يقول القائل: ما اليَوْم إلا لحظة[2].

﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٧٨) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئًا ﴾:

✱ **المعنى:** من نِعَم الله على عباده أنه أخرجهم من بطون أمهاتهم أطفالا لا يعلمون أىَّ شىء وفى بيان المراد من قوله ـ تعالى ـ: ﴿ لا تَعْلَمُونَ شَيْئًا ﴾ قولان:

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٢٣٦).

(٢) انظر: تفسير القرطبى (١٠/ ٩٩).

الأول: لا تعلمون شيئًا مما قُضِيَ عليكم من السَّعادة والشقاء.

والثانى: لا تعلمون من منافعكم شيئًا ـ والله أعلم ـ(١).

* ﴿ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ ﴾: وهذه الثلاثة هى التى يدرك بها الإنسان الأشياء:

١ ـ فجعل السمع ليسمع الإنسان به الأوامر، والنواهى، وغير ذلك فى الحياة.

٢ ـ وجعل البصر ليبصر الإنسان به آثار صنعة الله ـ تعالى ـ، فيستدلّ بذلك على أن هذه المخلوقات لا بدّ لها من خالق وهذا الخالق هو الله الواحد القهار الذى يجب أن يعبد دون سواه، كما أن الإنسان يدرك بحاسة البصر كل من حوله من سائر المخلوقات، وهذه نعمة كبرى.

٣ ـ وجعل الأفئدة وهى العقول ليتوصل بها الإنسان إلى معرفة الله ـ تعالى ـ كما أن العقل من أكبر نعم الله على الإنسان، ولولاه لما كان هناك فرق بين الإنسان والحيوانات العجماوات وغيرها من سائر المخلوقات التى تعقل.

* ﴿ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾، أى: تشكرون نعم الله عليكم التى لا تحصى. قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا ﴾ [إبراهيم: ٣٤].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ ﴾ [رقم: ٧٨].

قرأ حمزة: ﴿ أمهاتكم ﴾ بكسر الهمزة والميم حالة وصل «بطون» بـ «أمهاتكم» لمناسبة الكسرة.

وقرأ الكسائى بكسر الهمزة فقط وصلا، وإذا ابتدآ ـ أى حمزة والكسائى ـ بـ «أمهاتكم» فإنهما يقرآن بضمّ الهمزة، وفتح الميم.

وقرأ الباقون من القراء العشرة بضم الهمزة، وفتح الميم فى الحالين أى حالة الوصل، وحالة البدء(٢).

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (١٠/ ٩٩).

(٢) انظر: المهذب فى القراءات العشر وتوجيهها (١/ ٣٧٣).

﴿ أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلاَّ اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٧٩) ﴾

❀ معاني المفردات:

* ﴿ أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلاَّ اللَّهُ ﴾:

* ﴿ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ ﴾:

١ ـ قال الكلبى محمد بن السائب (ت ١٤٦هـ): معنى مسخرات: مذلَّلات لأمر الله ـ تعالى ـ.. اهـ[١].

٢ ـ وقيل: معنى مسخرات: مذللات لمنافعها[٢].

* ﴿ فِي جَوِّ السَّمَاءِ ﴾: الجوّ هو ما بين السماء والأرض.

ولعلّ الحكمة من إضافة الجوِّ إلى السماء لارتفاعه عن الأرض. وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ مُسَخَّرَاتٍ ﴾ دليل على أنه لا بدَّ لها من مُسَخِّر يسخِّرها ويدبرها، وهذا المسخِّر هو الله ـ تعالى ـ الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى.

* ﴿ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلاَّ اللَّهُ ﴾: وذلك فى حالتى القبض والبسط فلا يقعن على الأرض.

* ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ ﴾، أى: علامات وعبراً، ودلالات.

* ﴿ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾: بالله ـ تعالى ـ، وبما أتى به الرسل.

* والاستفهام فى الآية الكريمة استفهام إنكارى.

وحينئذ يكون المعنى: ينكر الله ـ سبحانه وتعالى ـ على الكفار والمشركين عدم النظر فى أحوال هذه الطيور التى سخّرها الله وهى تطير فى جوِّ السماء وما يمسكها أحد من أن تقع وتسقط على الأرض حالة قبض أجنحتها إلا الله ـ تعالى ـ، إذْ فى ذلك دلالات على وحدانية الله ـ تعالى ـ وكمال قدرته.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ أَلَمْ يَرَوْا ﴾ [رقم: ٧٩].

(١، ٢) انظر: تفسير القرطبى (١٠/ ١٠٠).

قرأ ابن عامر، وحمزة، ويعقوب، وخلف البزّار: ﴿ تروا ﴾ بتاء الخطاب، مناسبة للخطاب فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم ﴾ الآية، فجرى الكلام على نسق واحد وهو الخطاب.

وقرأ الباقون: ﴿ يروا ﴾ بياء الغيبة على الالتفات من الخطاب إلى الغيبة، والالتفات من ضروب البلاغة العربية(١).

﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ (٨٠) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا ﴾: جَعَلَ هنا بمعنى صيّر.

* وقال مجاهد بن جبر المفسّر (ت ١٠٤ هـ) فى معنى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ مِّنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا ﴾ قال: تسكنون فيها.. اهـ(٢).

والسكن: مصدر يوصف به الواحد والجمع.

* ﴿ وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ﴾:

* عن السدّى إسماعيل بن عبد الرحمن (ت ١٢٧ هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الأَنْعَامِ بُيُوتًا ﴾ قال: هى الخيام. وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ ﴾ قال: تستخفونها فى الحمل يوم سفركم.. اهـ(٣).

* «الظّعن»: سير البادية فى الانتقال والتحوّل من موضع إلى آخر.

* ﴿ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ﴾: فى قراكم، ومساكنكم، ونجوعكم.

* ﴿ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا ﴾:

✵ المعنى: أباح الله ـ سبحانه وتعالى ـ الانتفاع بصوف الضأن، ووبر الإبل، وشعر المعز، وقد خاطبهم الله ـ تعالى ـ بما عرفوه فى ذلك الوقت، ولم يذكر القطن، والكتّان لأنه لم يكن موجوداً يومئذ فى بلاد العرب المخاطبين وقت نزول القرآن.

---

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ٣٣١).

(٢، ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٢٣٧).

* ﴿ أَثَاثًا ﴾، قال الخليل بن أحمد الفراهيدى (ت ١٧٠هـ): أى: متاعًا منضمّا بعضه إلى بعض.. اهـ(١).

* ﴿ وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴾:

١ ـ قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) معنى ذلك: تنتفعون به إلى حين.. اهـ(٢).

٢ ـ وقال السدّى إسماعيل بن عبد الرحمن (ت ١٢٧هـ): معنى ذلك: تنتفعون به إلى أن يأتيكم الموت.. اهـ(٣).

* وعن عطاء بن أبى مسلم الخراسانىّ (ت ١٣٥هـ) فى معنى الآية قال: إنما أنزل الله القرآن على قدر معرفة العرب:

١ ـ ألا ترى إلى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا ﴾ وما جعل لهم من غير ذلك أعظم منه وأكثر، ولكنهم كانوا أصحاب: صوف، ووبر، وشَعَر.

٢ ـ ألا ترى إلى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلالاً وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا ﴾ [النحل: ٨١]. وما جعل من السهل أعظم وأكثر، ولكنهم كانوا أصحاب جبال.

٣ ـ ألا ترى إلى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ ﴾ وما يقى البَرْد أعظم وأكثر، ولكنهم كانوا أصحاب حرّ.

٤ ـ ألا ترى إلى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ ﴾ [النور: ٤٣] يُعجّبهم بذلك، وما أنزل من الثلج أعظم وأكثر، ولكنهم كانوا لا يعرفونه.. اهـ(٤).

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الأَنْعَامِ بُيُوتًا ﴾ [رقم: ٨٠].

قرأ قالون، وابن كثير، وشعبة، وحمزة، والكسائى، وخلف البزّار: ﴿ بِيوتكم، بِيوتا ﴾ بكسر الباء فيهما.

وقرأ الباقون من القراء العشرة بضم الباء فيهما. والكسر والضم لهجتان فصيحتان(٥).

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (١٠/ ١٠٢).

(٢ : ٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٢٣٧).

(٥) انظر: المهذب فى القراءات العشر وتوجيهها (١/ ٨٥).

* ﴿ يَوْمَ ظَعْنِكُمْ ﴾ [رقم: ٨٠].

قرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وأبو جعفر، ويعقوب: ﴿ ظعَنكم ﴾ بفتح العين.

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ ظعْنكم ﴾ بإسكان العين، والفتح والإسكان لهجتان فصيحتان(١).

﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلالاً وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ (٨١) ﴾

معاني المفردات:

* عن قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلالاً ﴾ قال: من الشجر ومن غيرها.. اهـ(٢).

* ﴿ وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا ﴾: الأكنان: جمع «كنّ» وهو الحافظ من المطر والريح وغيره. والمراد بها هنا في الآية: الغيران في الجبال، جعلها الله عدّة للخلق يأوون إليها ويتحصنون بها، أو يسكنون فيها. وقد قال بهذا المعنى قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ)(٣).

* ﴿ وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ ﴾: وهي القمص، واحدها سربال.

* وقال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضي الله عنهما) المراد بذلك الثياب(٤).

* ﴿ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ ﴾: قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: هي الدروع التي تقي الناس في الحرب(٥).

* ﴿ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴾: قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: لعلكم تَسْلمون من الجراحات(٦).

* وقيل معنى ذلك: لعلكم تستسلمون وتنقادون إلى معرفة الله، وطاعته شكراً على نعمه.

---

(١) انظر: المهذب في القراءات العشر وتوجيهها (١/ ٣٧٤).

(٢ : ٦) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٤/ ٢٣٨).

﴿ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ الْمُبِينُ (٨٢) يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ (٨٣) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا ﴾، أى: أعرضوا عن النظر فى آيات الله ـ تعالى ـ، والاستدلال بها على عظمة الله وقدرته، وترتب على ذلك عدم إيمانهم.

* ﴿ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ الْمُبِينُ ﴾، أى: ليس عليك «يا محمد» ﷺ إلا التبليغ، أمّا الهداية فإنها لله ـ تعالى ـ، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ﴾ [البقرة: ٢٧٢].

* ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا ﴾: للمفسرين فى تأويل ذلك أقوال:

أولا: قال السدّى إسماعيل بن عبد الرحمن (ت ١٢٧هـ): المراد بنعمة الله: نبينا «محمد» ﷺ أى: يعرفون نبوته، ثم يكذبونه.. اهـ[١].

ثانيًا: وقال مجاهد بن جبر المفسر (ت ١٠٤هـ): هى المساكن، والأنعام، وغيرها من السرابيل، والثياب، كفار قريش يعرفون هذه النعم، ثم ينكرونها بقولهم: هذا كان لآبائنا فورّثونا إيّاه.. اهـ[٢].

وبقول مجاهد: قال قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ)[٣]. والكلبى محمد بن السائب ابن بشر (ت ١٤٦هـ)[٤].

﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ (٨٤) ﴾

❀ معانى المفردات:

* عن قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ﴾ قال: شهيدها نبيها على أنه قد بلّغ رسالات ربّه، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَؤُلاءِ شَهِيدًا (٤١) ﴾ [النساء: ٤١].

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (١٠/ ١٠٦).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٢٣٨).

(٣، ٤) انظر: تفسير القرطبى (١٠/ ١٠٦).

قال ـ أى قتادة ـ: ذكر لنا أن النبى ﷺ كان إذا قرأ هذه الآية فاضت عيناه.. اهـ(١).

* ﴿ ثُمَّ لا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾، أى: فى الاعتذار والكلام، وذلك حين يدخلون جهنم. ومثل هذه الآية فى المعنى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ هَذَا يَوْمُ لا يَنطِقُونَ (٣٥) وَلا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ (٣٦) ﴾ [المرسلات: ٣٥ ـ ٣٦].

* ﴿ وَلا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴾، أى: لا يكلّفون أن يرضوا ربهم، لأن الآخرة ليست بدار تكليف، ولا يتركون إلى رجوع الدنيا فيتوبون، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢٧) بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (٢٨) ﴾ [الأنعام: ٢٧ ـ ٢٨].

* وأصل الكلمة من «العَتْب» وهى المَوْجدة، يقال: عَتَبَ عليه: إذا وجد عليه.

﴿ وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلا هُمْ يُنظَرُونَ (٨٥) وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلاءِ شُرَكَاؤُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُو مِن دُونِكَ فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ (٨٦) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾، أى: أشركوا، ورأى هنا بَصَرِيَّة.

* ﴿ الْعَذَابَ ﴾، أى: عذاب جهنم بالدخول فيها.

* ﴿ فَلا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلا هُمْ يُنظَرُونَ ﴾، أى: لا يمهلون، إذْ لا توبة لهم يومئذ، ومثل هذه الآية فى المعنى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ هَذَا يَوْمُ لا يَنطِقُونَ (٣٥) وَلا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ (٣٦) ﴾ [المرسلات: ٣٥ ـ ٣٦].

* ﴿ وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ ﴾: أى: أصنامهم، وأوثانهم التى عبدوها من دون الله فى الدّنيا، وذلك أن الله يبعث معبوديهم فيتّبعونهم حتى يوردوهم النار.

* ﴿ قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلاءِ شُرَكَاؤُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُو مِن دُونِكَ ﴾: أى: هؤلاء الذين جعلناهم لك شركاء فعبدناهم من دونك.

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٢٣٩).

* ﴿ فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾، أى: نطقت الآلهة بتكذيب من عبدها بأنها ما أمرتهم بعبادتها.

قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ (١٦٦) وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ (١٦٧) ﴾ [البقرة: ١٦٦ ـ ١٦٧].

﴿ وَأَلْقَوْا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَمَ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (٨٧) الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ (٨٨) ﴾

❀ معانى المفردات:

* عن قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) وابن جريج عبد الملك بن عبد العزيز (ت ١٥٠هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَأَلْقَوْا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَمَ ﴾: قالا: ذلّوا واستسلموا يومئذ ـ أى لحكم الله فيهم ـ[1].

* ﴿ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾: أى: زال عنهم ما زيّن لهم الشيطان، وما كانوا يؤمّلون من شفاعة آلهتهم الكاذبة التى لا تنفع ولا تضر، والتى ليس لها من الأمر شىء.

* ﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ ﴾ الآية: ورد فى ذلك عدد من الأقوال يشيب من هولها الولدان، أذكر منها ما يلى:

أولا: أخرج ابن مردويه، عن جابر بن عبد الله (ت ٧٨هـ ـ رضى الله عنهما) عن النبى ﷺ قال: «الزيادة خمسة أنهار تجرى من تحت العرش على رءوس أهل النار: ثلاثة أنهار على مقدار الليل، ونهران على مقدار النهار، فذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ ﴾»[2].

ثانيًا: أخرج ابن مردويه، والخطيب فى تالى التلخيص، عن البراء بن عازب بن الحارث (ت ٦٢هـ ـ رضى الله عنه) أنّ النبى ﷺ سُئِلَ عن قول الله: ﴿ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ ﴾ فقال: «عقارب أمثال النّخل الطوال، تنهشهم فى جهنم» اهـ[3].

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٢٤٠).

(٢، ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٢٣٩).

ثالثًا: أخرج عبد الرزاق، والفريابى، وسعيد بن منصور، وابن أبى شيبة، وهنّاد بن السّرى، وأبو يعلى، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبى حاتم، والحاكم وصحّحه، والبيهقى فى البعث والنشور عن ابن مسعود (ت ٣٢هـ ـ رضى الله عنه) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ ﴾ قال: زِيدُوا عقارب لها أنياب كالنّخل الطوال.. اهـ[١].

رابعًا: أخرج ابن جرير، عن عبد الله بن عمرو بن العاص (ت ٧٣هـ ـ رضى الله عنهما) قال: إنّ لجهنم سواحل فيها حيّات وعقارب، أعناقها كأعناق البخت.. اهـ[٢].

خامسًا: أخرج ابن مردويه، عن مجاهد قال: قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما): أتدر ما سعة جهنم؟ قلتُ: لا، قال: ما بين شحمة أذن أحدهم وبين عاتقه: مسيرة سبعين خريفًا، تجرى أودية القيح والدَّم، قلت له: الأنهار؟ قال: لا بل الأودية.. اهـ[٣].

﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ (٨٩) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ﴾: وهم الأنبياء يكونون شهداء على أممهم يوم القيامة بأنّهم قد بلغوهم الرسالة، ودعوهم إلى الإيمان.

* ﴿ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ ﴾:

✳ **المعنى:** يقول الله ـ تعالى ـ لنبيه وحبيبه وصفوته من خلقه نبينا «محمد» ﷺ: وجئنا بك «يا محمد» شهيدًا على قومك وأمتك الذين أرسلتك إليهم: بم أجابوك، وماذا عملوا فيما أرسلتك به إليهم.

* ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾:

* عن ابن مسعود (ت ٣٢هـ ـ رضى الله عنه) قال: إن الله أنزل هذا الكتاب تبيانًا لكل شىء، ولقد علمنا بعضًا مما بُيِّنَ لنا فى القرآن، ثم تلا: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾.. اهـ[٤].

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٢٣٩).

(٢ : ٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٢٤٠).

* وعن مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾: قال: مما أمروا به ونهوا عنه.. اهـ[١].

* وعن ابن مسعود ـ رضى الله عنه ـ قال: إن هذه القلوب أوعية، فاشغلوها بالقرآن، ولا تشغلوها بغيره.. اهـ[٢].

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٩٠)﴾

❀ معانى المفردات:

* عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾ قال: شهادة أن لا إله إلا الله. وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَالإِحْسَانِ﴾ قال: أداء الفرائض، وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ﴾ قال: إعطاء ذى الرّحم الحقّ الذى أوجبه الله عليك بسبب القرابة والرحم.

وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ﴾ قال: الزنا.

وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَالْمُنكَرِ﴾، قال: الشرك بالله ـ تعالى ـ.

وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَالْبَغْيِ﴾ قال: الكِبْر والظلم.

وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿يَعِظُكُمْ﴾ قال: يوصيكم ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.. اهـ[٣].

* وعن الحسن البصرى (ت ١١٠هـ) أنه قرأ هذه الآية: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ﴾ إلى آخرها، ثم قال: إنّ الله ـ عزّ وجلّ ـ جمع لكم الخير كله، والشرّ كله فى آية واحدة، فوالله ما ترك العدل والإحسان من طاعة الله شيئًا إلا جمعه، ولا ترك الفحشاء والمنكر والبغى من معصية الله شيئًا إلا جمعه.. اهـ[٤].

وعن قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ﴾ الآية قال: ليس من خُلُق حسن كان أهل الجاهلية يعملون به، ويعظّمونه، ويخشونه إلا أمر الله به.

(١، ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٢٤٠).

(٣، ٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٢٤١).

وليس من خُلُق سيئ كانوا يتعايرونه بينهم إلا نهى الله عنه وقدّم فيه، وإنما نهى عن سفاسف الأخلاق ومذامّها.. اهـ(١).

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [رقم: ٩٠].

قرأ حفص، وحمزة، والكسائى، وخلف البزّار: ﴿ تذكرون ﴾ بتخفيف الذال، لأن أصلها «تتذكرون» فحذفت إحدى التاءين تخفيفًا.

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ تذّكّرون ﴾ بتشديد الذال، وذلك على إدغام التاء فى الذال(٢).

﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ (٩١) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ ﴾: هذا حكم عامٌّ لجميع ما يُعقد باللسان، ويلتزمه الإنسان بالعدل والإحسان، لأن المعنى فى جميع هذه العهود: افعلوا كذا، وانتهوا عن كذا.

* وعن سعيد بن جبير (ت ٩٥هـ) ومجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) وقتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا ﴾ قالوا: بعد تغليظها وتشديدها فى الحَلف.. اهـ(٣).

* وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ﴾:

١ ـ قال سعيد بن جبير: معنى ذلك: جعلتم الله شهيدًا فى العهد(٤).

٢ ـ وقال مجاهد بن جبر: معنى ذلك: جعلتم الله وكيلا فى العهد(٥).

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٢٤٢).

(٢) انظر: المهذب فى القراءات العشر وتوجيهها (١/ ٣٧٥).

(٣ : ٥) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٢٤٢).

* ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾:

* عن النبى ﷺ قال: «يُنْصَبُ لكلِّ غادر لواء يوم القيامة عِنْد «أَسْتِه» بقدر غَدْرته، يقال: هذه غدرة فلان»(١).

﴿وَلا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (٩٢)﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿وَلا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا﴾:

* عن السدّى إسماعيل بن عبد الرحمن (ت ١٢٧هـ): قال: كانت امرأة بمكّة تُسمَّى خَرْقاء مكّة، كانت تغزل فإذا أبرمت غَزْلها تنقضه.. اهـ(٢).

* وعن قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) فى الآية قال: لو سمعتم بامرأة نقضت غزلها من بعد إبرامه لقلتم: ما أحمق هذه، وهذا مثل ضربه الله لمن نكث عهده.. اهـ(٣).

* وأقول: شَبَّهَتْ هذه الآية الكريمة الذى يحلف بالله، ويبرم عهداً ثم ينقضه بالمرأة التى تغزل غزلها وتفتله محكمًا ثم تنقضه.

* وعن قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ﴾ قال: خيانة وغدْرًا.. اهـ(٤).

* وعن مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ﴾ قال: كانوا يحالفون الحلفاء فيجدون أكثر منهم وأعزّ فينقضون حِلْفَ هؤلاء، ويحالفون هؤلاء الذين هم أعزّ، فنهوا عن ذلك.. اهـ(٥).

* وعن سعيد بن جبير (ت ٩٥هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ﴾: قال: بالكثرة. ﴿وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾.. اهـ(٦).

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (١٠/ ١١٢).
(٢، ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٢٤٣).
(٤) انظر: تفسير عبد الرزّاق (١/ ٣١١)، وتفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٢٤٣).
(٥) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٢٤٣).
(٦) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٢٤٤).

﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٩٣) وَلا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٩٤) ﴾

معانى المفردات:

* عن سعيد بن جبير (ت ٩٥هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾ قال: المراد ملّة الإسلام وحدها.

* وقال فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلَكِن يُضِلُّ مَن يَشَاءُ ﴾، أى: عن دينه وهم المشركون.

* وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ ﴾ قال: هم المسلمون.

* وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ قال: المراد يوم القيامة.

* وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا ﴾ قال: هذا مثل ضربه الله ـ تعالى ـ لناقض العهد، أى: إنّ ناقض العهد يزلّ فى دينه كما يزلّ قدم الرجُل بعد الاستقامة.

* وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾: قال المراد بالسوء: العقوبة.. اهـ[1]. و «مما» مصدريّة، أى: بصدكم عن سبيل الله.

* ﴿ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾، أى: عذاب شديد يوم القيامة.

﴿ وَلا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلاً إِنَّمَا عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٩٥) مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩٦) ﴾

معانى المفردات:

* عن سعيد بن جبير (ت ٩٥هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلاً ﴾، قال: المراد عوضًا يسيرًا من الدنيا.

* وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ إِنَّمَا عِندَ اللَّهِ ﴾، قال: المراد الثواب.

* وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾، قال: أى أفضل لكم من العاجل.

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٢٤٤).

* وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ﴾، قال: ما عندكم من الأموال ينفد.

* وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ ﴾، قال: المراد وما عند الله فى الآخرة من الثواب دائم لا يزول عن أهله.

* وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ قال: فى الدنيا، ويعفو عن سيئاتهم.. اهـ[1].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُم ﴾ [رقم: ٩٦].

قرأ ابن كثير، وعاصم، وأبو جعفر، وابن عامر بخُلْف عنه: ﴿ ولنجزين ﴾ بنون العظمة.

وقرأ الباقون: ﴿ وليجزين ﴾ بياء الغيبة، وهو الوجه الثانى لابن عامر، والفاعل ضمير مستتر تقديره «هو» يعود على الله ـ تعالى ـ[2].

﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩٧) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ﴾: «مَنْ» اسم شرط جازم، وجواب الشرط قوله ـ تعالى ـ: ﴿ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ﴾.

* وللمفسّرين فى بيان المراد بالحياة الطيبة أقوال، أذكر أرجحها:

أولا: قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) وسعيد بن جبير (ت ٩٥هـ) والضحّاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ) قالوا: الحياة الطيبة: الرزق الحلال.. اهـ[3].

ثانيًا: قال زيد بن وهب الكوفى (ت ٨٢هـ) والحسن البصرى (ت ١١٠هـ) ووهب بن منبّه قالوا: الحياة الطيبة: القناعة.. اهـ[4].

* أخرج مسلم، عن ابن عمر (٧٣هـ ـ رضى الله عنهما) أن رسول الله ﷺ قال: «أفلح من أسلم ورزق كفافًا، وقنعه الله بما آتاه» اهـ[5].

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٢٤٤). (٢) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ٣٣٢).
(٣، ٤) انظر: تفسير القرطبى (١٠/ ١١٤). (٥) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٢٤٥).

ثالثًا: قال مجاهد بن جبر المفسّر (ت ١٠٤هـ) والحسن البصرى (ت ١١٠هـ) وقتادة ابن دعامة (ت ١١٨هـ) وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم (ت حوالى ١٧٠هـ) قالوا: الحياة الطيبة: هى الجنة، وقال الحسن البصرى: لا تطيب الحياة لأحد إلا فى الجنة.. اهـ(١).

رابعًا: قال أبو بكر الورّاق: الحياة الطيبة: هى حلاوة الطاعة.. اهـ(٢).

خامسًا: قال جعفر الصادق هو جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن علىّ بن أبى طالب (ت ١٤٨هـ): الحياة الطيبة: هى المعرفة بالله، وصدق المقام بين يدى الله .. اهـ(٣).

سادسًا: قيل: الحياة الطيبة: هى الاستغناء عن الخلق، والافتقار إلى الحقّ ـ عزّ وجلّ ـ.. اهـ(٤).

* ﴿ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾، أى: فى الآخرة.

﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (٩٨) ﴾

✵ المعنى:

* أقول: جمهور العلماء على أنّ الاستعاذة تكون قبل أن يَشْرع القارئ فى قراءة القرآن الكريم.

وهذا هو الذى عليه العمل، والأدلّة على ذلك كثيرة، وطلبًا للاختصار أذكر منها ما يلى:

أولا: أخرج ابن أبى شيبة، والبيهقى فى سننه، عن جبير بن مطعم أن النبى ﷺ لما دخل فى الصلاة كبّر ثم قال: «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم» اهـ(٤).

ثانيًا: أخرج أبو داود، والبيهقى عن أبى سعيد الخدرى ـ رضى الله عنه ـ قال: كان رسول الله ﷺ إذا قام من الليل فاستفتح الصلاة قال: «سبحانك اللهم وبحمدك، وتبارك اسمك، وتعالى جدّك، ولا إله غيرك»، ثم يقول: «أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم».. اهـ(٥).

ثالثًا: أخرج عبد الرزّاق فى المصنّف، وابن المنذر، عن عطاء قال: الاستعاذة واجبة لكل قراءة فى الصلاة أو غيرها، من أجل قوله ـ تعالى ـ: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ اهـ(٦).

(١ : ٤) انظر: تفسير القرطبى (١٠/ ١١٥). (٥، ٦) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٢٤٥).

﴿ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٩٩) إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ (١٠٠) ﴾

❀ معانى المفردات:

* عن سفيان الثورى (ت ١٦١هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ قال: ليس للشيطان سلطان على الذين آمنوا على أن يحملهم على ذنب لا يُغفَر لهم.. اهـ[١].

* وعن مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) فى الآية قال: لا حجة للشيطان على الذين آمنوا على ما يدعوهم إليه من المعاصى.. اهـ[٢].

* وقيل: إن الشيطان ليس له على الذين آمنوا سلطان بحال، لأن الله ـ سبحانه وتعالى ـ صرف سلطانه عليهم حين قال إبليس عليه لعنة الله: ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٣٩) إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (٤٠) ﴾ [الحجر: ٣٩ ـ ٤٠]. فقال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ (٤٢) ﴾ [الحجر: ٤٢].. اهـ[٣].

* وعن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ ﴾ قال: سلطان الشيطان على من تولّى الشيطان وعمل بمعصية الله.. اهـ[٤].

* وعن مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ ﴾ قال: يعدلون الشيطان بربّ العالمين[٥].

* وعن الربيع بن أنس فى الآية قال: إن عدوّ الله إبليس حين غلبت عليه الشقاوة قال: ﴿ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٣٩) إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (٤٠) ﴾ [الحجر: ٣٩ ـ ٤٠].

فهؤلاء الذين لم يجعل للشيطان عليهم سبيل، وإنما سلطانه على قوم اتخذوه وليّا فأشركوه فى أعمالهم.. اهـ[٦].

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٢٤٦).

(٢، ٣) انظر: تفسير القرطبى (١٠/ ١١٦).

(٤ : ٦) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٢٤٦).

﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ (١٠١) ﴾

المعنى:

* عن مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ ﴾ قال: هو كقوله ـ تعالى ـ: ﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا ﴾ [البقرة: ١٠٦].. اهـ[١].

* وعن السدّى إسماعيل بن عبد الرحمن (ت ١٢٧هـ) فى الآية قال: هذا فى الناسخ والمنسوخ، قال الله ـ تعالى ـ: وإذا نسخنا آية وجئنا بغيرها، قالوا ما بالكَ؟ قلتَ: كذا وكذا ثم نقضته، أنتَ تفترى، قال الله: ﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ ﴾.. اهـ[٢].

* ﴿ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ ﴾: أن الله هو الذى شرع الأحكام، وله تبديل البعض بالبعض لِحِكَم يعلمها ـ سبحانه وتعالى ـ.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ ﴾ [رقم: ١٠١].

قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: ﴿ بما ينْزِل ﴾ بسكون النون، وتخفيف الزاى، مضارع «أنزل» الرباعى.

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ بما ينَزِّل ﴾ بفتح النون، وتشديد الزاى، مضارع «نزّل» مضعف العين[٣].

﴿ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ (١٠٢) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ ﴾: الضمير فى ﴿ نَزَّلَهُ ﴾ المراد به القرآن الكريم، و﴿ رُوحُ الْقُدُسِ ﴾: هو «جبريل» ـ عليه السلام ـ.

* ﴿ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾: أى: بما فى القرآن من الحجج البينات، والآيات الواضحات.

(١، ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٢٤٦).

(٣) انظر: المهذب فى القراءات العشر وتوجيهها (١/ ٣٧٥).

* ﴿ وَهُدًى ﴾: خبر لمبتدأ محذوف، والتقدير: وهو أى: القرآن هدى.

* ﴿ وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾: معطوف على هدى. قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ ﴾ [مريم: ٩٧].

﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ (١٠٣) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ ﴾: اختلف المفسرون فى اسم هذا الذى قالوا إنما يُعَلِّمُ النبىَّ ﷺ، وسأذكر أصحَّ هذه الأقوال وأرجحها:

أولا: قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) ومجاهد بن جبر المفسِّر (ت ١٠٤هـ) وقتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) قالوا: اسم الذى قال كفّار قريش إنه يعلِّم النبى ﷺ عبدة بن الحضرمى يقال له مقيس وكان صاحب كتب(١).

ثانيًا: قال الضحاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ): كانوا يقولون: إنما يعلمه سلمان الفارسى.. اهـ(٢).

ثالثًا: قيل: اسمه جَبْر كان نصرانيًا فأسلم وهو أعجمى(٣).

* فأنزل الله ـ عزّ وجلّ ـ تكذيبًا لهم قوله ـ تعالى ـ:

﴿ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ﴾:

✳ **المعنى:** كيف يعلّم النبىَّ ﷺ واحد من هؤلاء، وكلهم أعاجم، لأن العرب يسمّون كلّ من لم يتكلم بالعربية أعجميًا.

▣ القراءات وتوجيهها:

* ﴿ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ ﴾ [رقم: ١٠٣].

قرأ حمزة، والكسائى، وخلف البزّار: ﴿ يَلْحَدون ﴾ بفتح الياء والحاء، مضارع «لحد» الثلاثى.

(١، ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٢٤٧).

(٣) انظر: تفسير القرطبى (١٠/ ١١٦).

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ يُلحِدون ﴾ بضم الياء، وكسر الحاء، مضارع «ألحد» الرباعى.

يقال: لَحَد وألْحَد بمعنى: مال عن القصد. أى: لسان الذى يميلون إليه أعجمىّ، والنبىّ ﷺ لسانه عربىّ[1].

﴿ إِنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٠٤) إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ (١٠٥) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ إِنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ﴾: وهم المشركون الذين لا يؤمنون بالقرآن.
* ﴿ لا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾.
* ﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ﴾ الآية:

✳ **المعنى:** هذا مبالغة فى وصف هؤلاء المشركين بالكذب، أى: كل كذب قليل بالنسبة إلى كذب هؤلاء وافترائهم على الرسول ﷺ وقولهم: ﴿ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ ﴾.

أخرج الخرائطى فى مساوئ الأخلاق، وابن عساكر فى تاريخه، عن عبد الله بن جراد ـ رضى الله عنه ـ أنه سأل النبى ﷺ: هل يزنى المؤمن؟ قال: «قد يكون ذلك». قال: هل يسرق المؤمن؟ قال: «قد يكون ذلك». قال: هل يكذب المؤمن؟ قال: «لا» ثم أتبعها النبىّ ﷺ بقوله ـ تعالى ـ: ﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ﴾.. اهـ[2].

* وأخرج الخطيب فى تاريخه، عن عبد الله بن جراد ـ رضى الله عنه ـ قال: قال أبو الدرداء ـ رضى الله عنه ـ: يا رسول الله، هل يكذب المؤمن؟ قال: «لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر من إذا حدّث كذب» اهـ[3].

---

(١) انظر: المهذب فى القراءات العشر وتوجيهها (١/ ٣٧٦).
(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٢٤٧).
(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٢٤٨).

﴿ مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٠٦) ﴾

معانى المفردات:

* قال الكلبي محمد بن السائب بن بشر (ت ١٤٦هـ): نزل قوله ـ تعالى ـ: ﴿ مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ ﴾ فى:

١ ـ عبد الله بن أبى سَرْح. ٢ ـ ومِقْيَس بن ضبابة. ٣ ـ وعبد الله بن خَطَل.

٤ ـ وقيس بن الوليد بن المغيرة، كفروا بعد إيمانهم.. اهـ(١).

* وأخرج عبد الرزاق، وابن سعد، وابن جرير، وابن أبى حاتم، وابن مردويه، والحاكم وصححه، والبيهقى فى الدلائل، من طريق أبى عبيدة بن محمد بن عمّار بن ياسر عن أبيه قال: أخذ المشركون عمّار بن ياسر فلم يتركوه حتى سبَّ النبيَّ ﷺ، وذكر آلهتهم بخير، ثم تركوه، فلمّا أتى رسولَ الله ﷺ قال ـ أى عمار ـ: ما تُرِكْتُ حتى نلتُ منك، وذكرتُ آلهتهم بخير، قال ـ أى الرسول ﷺ ـ: «كيف تجد قلبك؟» قال: مطمئن بالإيمان، قال: «إن عادوا فعد» فنزلت: ﴿ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ ﴾.. اهـ(٢).

* وعن أبى مالك، والحكَم فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ ﴾ قالا: نزلت فى عمّار بن ياسر.. اهـ(٣).

* ﴿ وَلَكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾:

المراد بهم: ١ ـ عبد الله بن أبى سَرْح. ٢ ـ ومِقْيَس بن ضبابة.

٣ ـ وعبد الله بن خَطَل. ٤ ـ وقيس بن الوليد بن المغيرة.

﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (١٠٧) أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ (١٠٨) لا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ (١٠٩) ﴾

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (١٠/ ١١٨).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٢٤٨).

(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٢٤٩).

❀ معانى المفردات:

* ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ ﴾:

✳ **المعنى:** حلّ بهؤلاء الكفار الذين تقدم ذكرهم فى الآية السابقة غضب الله، ووجب لهم العذاب العظيم من أجل أنهم اختاروا زينة الحياة الدنيا على نعيم الآخرة الذى لا يفنى ولا يزول.

* ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾:

✳ **المعنى:** أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ لا يوفق الجاحدين نعمه إلى ما فيه الخير.

* ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ ﴾:

✳ **المعنى:** هؤلاء الكفار الذين وصفهم الله فى الآية السابقة هم الذين ختم الله على قلوبهم فلا يؤمنون، وأصمّ أسماعهم فلا يسمعون داعى الهدى، وأعمى أبصارهم فلا يبصرون بها حجج الله فيتعظون.

* ﴿ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾، أى: الساهون عمّا أعدّ لهم من العذاب الأليم يوم القيامة.

* ﴿ لا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾، أى: الهالكون.

﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ (١١٠) ﴾

✳ **المعنى:**

* أخرج ابن سعد عن عمر بن الحكم قال: كان عمّار بن ياسر يُعَذَّب حتّى لا يدرى ما يقول، وكان صهيب يُعَذَّب حتّى لا يدرى ما يقول، وكان أبو فكيهة يُعَذَّب حتّى لا يدرى ما يقول، وبلال، وابن فهيرة، وعامر، وقوم من المسلمين: ـ يعذبون حتّى لا يدرون ما يقولون ـ وفيهم نزلت هذه الآية: ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ﴾ الآية.. اهـ[1].

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٢٤٩).

* أخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، عن قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) فى الآية قال: ذُكر لنا أنه لما أنزل الله أن أهل مكة لا يُقْبل منهم إسلام حتى يهاجروا كتب بها أهل المدينة إلى أصحابهم من أهل مكة فخرجوا، فأدركهم المشركون فردّوهم، فأنزل الله: ﴿الٓمٓ ① أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ ②﴾ [العنكبوت: ١ ـ ٢]. فكتب بهذا أهل المدينة إلى أهل مكة، فلما جاءهم ذلك تبايعوا على أن يخرجوا، فإن لحق بهم المشركون من أهل مكّة قاتلوهم حتى ينجوا أو يلحقوا بالله، فخرجوا فأدركهم المشركون فقاتلوهم، فمنهم من قُتِل، ومنهم من نجا، فأنزل الله: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا﴾ الآية.. اهـ[1].

* وأقول: الآية التى تفيد أن أهل مكة لا يقبل الله إسلامهم حتى يهاجروا، هى قوله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ⑨⑦﴾ [النساء: ٩٧].

﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ ①①①﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا﴾، أى: تُخَاصم وتحاجّ عن نفسها.

* قال القرطبى (ت ٦٧١هـ) فى تفسيره: جاء فى الخبر أن كلّ أحد يقول يوم القيامة: نفسى نفسى، من شدّة هول يوم القيامة سوى نبينا «محمد» ﷺ فإنه يَسأل فى أمّته.. اهـ[2].

* وقال القرطبى أيضًا فى تفسيره: قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) فى هذه الآية: ما تزال الخصومة بالناس يوم القيامة حتى تخاصم الروح الجسد، فتقول الروح: ربِّ الروح منك أنت خلقتها، لم تكن لى يد أبطش بها، ولا رجل أمشى بها، ولا عين أبصر بها، ولا أذن أسمع بها، ولا عقل أعقل به، حتى جئتُ فدخلتُ فى هذا الجسد، فضعِّف عليه أنواع العذاب ونجِّنى.

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٢٥٠).
(٢) انظر: تفسير القرطبى (١٠/ ١٢٦).

فيقول الجسد: ربِّ أنت خلقتنى بيـدك، فكنتُ كالخشبة: ليس لى يد أبطش بها، ولا قدم أسعى به، ولا بـصر أبصر به، ولا سمع أسمع بـه، فجاءت هذه ـ أى الروح ـ كشعاع النور، فبها نطق لسانى، وبهـا أبصرت عينى، وبها مشت رجلى، وبها سمعت أذنى، فضعِّف عليها أنواع العذاب ونجِّنى منه.

قال ـ أى ابن عبـاس ـ فيضرب الله لهمـا مثلاً: أعمى، ومُـقْعَدًا، دخلا بستـانًا فيه ثمار، فـالأعمى لا يبـصر الثـمرة، والمـقعد لا ينـالها، فنادى المـقعدُ الأعـمى: إيتنى فاحملنى آكل وأطعمك، فدنا منه فحمله، فأصابا من الثمرة، فعلى مَنْ يكون العذاب؟ قال: عليكما جميعًا العذاب.. اهـ(١).

* وأخرج ابن المبارك، وابن أبى شيبة، وأحـمد فى الزهد، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبى حاتم، عن كـعب الأحبار ـ رضى الله عنه ـ قال: كنت عنـد عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ فـقال: خـوِّفنا يا كعـب، فقلتُ: يا أمـير المـؤمنين، أولَيس فيكم كتـاب الله وحكمة رسوله؟ قال: بلى، ولكن خوِّفنا، قلت: يا أمـير المؤمنين، لو وافيتَ القيـامة بعمل سبعين نبـيًا لازدريتَ عملكَ مما ترى، قـال: زدنا، قلتُ: يا أمير المؤمنين، لو فُـتِح من جهنّم قدر منخر ثَوْر بالمـشرق، ورَجُلٌ بالمغرب، لغـلا دماغه حتى يسـيل من حرِّها، قـال: زدنا، قلتُ: يا أميـر المؤمنين، إنّ جـهنم لتزفـر زفرة يوم القـيامـة لا يبقى مَلَك مـقـرّب، ولا نبىّ مرسل إلا خـرّ جاثيًـا على ركـبتيه حتّى إنّ «إبراهيم» خليل الله ليخـرّ جاثيًا على ركبتـيه فيقول: ربِّ نفـسى.. نفسى.. لا أسألك اليوم إلا نفسى، فـأطرق عمر مليّا، قلت: يا أمير المـؤمنين أوليس هذا فى كتاب الله؟ قـال: كيف؟ قلت: قـول الله فى هذه الآية: ﴿ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِـهَـا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ ﴾.. اهـ(٢).

﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ (١١٢) ﴾

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (١٠/ ١٢٧).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٢٥١).

❀ معانى المفردات:

* عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) ومجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً﴾ الآية: قالا: هى مكّة، وقال مجاهد ألا ترى إلى قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ﴾.. اهـ(١).

* وقال القرطبى (ت ٦٧١هـ) فى تفسيره: كان رسول الله ﷺ دعا على مشركى قريش وقال: «اللهم اشدد وطأتك على (مُضَر) واجعلها عليهم سنين كسنى يوسف» فابتلوا بالقحط حتى أكلوا العظام.. اهـ(٢).

* ﴿يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ﴾، أى: من البرِّ والبحر. ونظير هذه الآية فى المعنى: قوله ـ تعالى ـ:﴿أَوَ لَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا﴾ [القصص: ٥٧].

* ﴿فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ﴾: الأنعُم: مفردها: «النِّعْمة».

وفى مقدّمة كفرهم بأنعم الله، كفرهم بنبينا «محمد» ﷺ.

* وعن قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ﴾ قال: فأخذهم الله بالجوع، والخوف، والقتل.. اهـ(٣).

* ولعلّ الحكمة من تسمية ما أنزله الله بهم لباسًا، لأنه يظهر عليهم من الهزال، وشحوبة اللون، وسوء الحال ما هو كاللباس ـ والله أعلم ـ.

* ﴿بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾، أى: من الكفر والمعاصى.

* وأصل الذوق: أن يكون بالفم، ثم استعير فوضع موضع الابتلاء والاختبار.

* ولعلّ الحكمة من ضرب مكة مثلاً لغيرها من البلاد، أنها لما كفر أهلها أصابهم القحط، والجوع، والخوف، إذًا فغيرها من باب أولى. ـ والله أعلم ـ.

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٢٥١).

(٢) انظر: تفسير القرطبى (١٠/ ١٢٧).

(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٢٥١).

﴿ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ (١١٣) فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلالاً طَيِّباً وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (١١٤) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ ﴾: هذه الآية من أقوى الأدلّة على أن المراد بقوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً ﴾ الآية: مكة المكرمة، وهو قول ابن عباس، ومجاهد.

* وعن قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ ﴾، قال: والله يعرفون نسبه وأمره[١].

* ﴿ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴾: قال مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) وقتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ): قالا: أخذهم الله بالجوع، والخوف الشديد، والقتل.. اهـ[٢].

* ﴿ فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلالاً طَيِّباً ﴾ الآية: القول الراجح الأمر هنا وهو ﴿ فكلوا ﴾ موجّه للمسلمين، بدليل قوله ـ تعالى ـ بعدُ: ﴿ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ وقوله ـ تعالى ـ: ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ ﴾ الآية.

والمراد بالرزق الحلال: الغنائم.

* ﴿ وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾: أى: اشكروا أيها المسلمون نعم الله عليكم التى لا حصر لها.

﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١١٥) ﴾

❀ معانى المفردات:

* تقدم تفسير كل ذلك مستوفى أثناء تفسير الآية رقم ١٧٣ فى سورة البقرة.

وحرصًا منّى على إفادة القارئ سأعيد ما قلته هناك مرّة ثانية فأقول وبالله التوفيق:

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٢٥٢).
(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٢٥١).

* ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ ﴾: ﴿ إنما ﴾ كلمة تفيد الحصر، تتضمن النفى والإثبات: فتثبت ما تناوله الخطاب، وتنفى ما عداه. وقد حصرت المحرمات من المطعومات وهى كما يلى:

* ﴿ الْمَيْتَةَ ﴾: هى كل ما لم تُدْرك ذكاته مما يذبح، فيذكّى ذكاة شرعية.

والذى نصب ﴿ الْمَيْتَةَ ﴾: الفعلُ «حَرَّم».

* ﴿ وَالدَّمَ ﴾ معطوف على «الميتة» أى: مما حرمه الله عليكم «الدَّم» والمراد به: الدمّ المسفوح، دليله قوله ـ تعالى ـ: ﴿ أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا ﴾ [الأنعام: ١٤٥].

وهذا من باب حَمْل المطلق على المقيّد. واستثنى الشارع من «الميتة»: السمك والجراد. ومن «الدَّم»: الكبد والطحال، فأحلّها.

يدلّ على ذلك الحديث التالى:

* فعن عبد الله بن عمر بن الخطاب (ت ٧٣هـ ـ رضى الله عنهما) قال: قال رسول الله ﷺ: «أحلّت لنا ميتتان، ودمان، الميتتان: الحوت والجراد، والدمان، أحْسِبه قال: الكبد والطحال» اهـ. [أخرجه الدارقطنىّ](١).

* ﴿ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ ﴾: المراد به: جميع أجزائه، وجاء التعبير باللحم لأنه معظمه.

* ﴿ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ﴾، المراد: ما ذبح للأصنام والطواغيت.

* وقال الربيع بن أنس، وغيره: المراد: ما ذكر عليه اسم غير الله.. اهـ(٢).

* ﴿ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾:

✳ **المعنى:** من ألجأته الضرورة فأكل من المحرّمات التى سبق بيانها بقدر الضرورة، أى ما يسدّ جوعته، حالة كونه غير باغ فى أكله فوق حاجته، ولا معتد بأن لا يجد عن هذه المحرّمات مندوحة ويأكلها.

* ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾: لمن أكل فى حال الاضطرار.

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (٢/ ١٤٦)، وتفسير البغوى (١/ ١٤٠).

(٢) انظر: تفسير القرطبى (٢/ ١٤٠).

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ الْمَيْتَةَ ﴾ [رقم: ١١٥].

قرأ أبو جعفر بتشديد الياء، والباقون بتخفيفها، وهما لهجتان[1].

* ﴿ فَمَنِ اضْطُرَّ ﴾ [رقم: ١١٥].

قرأ أبو عمرو، وعاصم، وحمزة، ويعقوب بكسر النون وصلا، والباقون بضمها، وقرأ أبو جعفر بكسر الطاء، والباقون بضمها[2].

﴿ وَلا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لا يُفْلِحُونَ (١١٦) مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١١٧) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ وَلا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلالٌ وَهَذَا حَرَامٌ ﴾:

المعنى: ولا تقولوا للكذب الذى تصفه ألسنتكم: هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب. والخطاب للكفار الذين حرّموا البحائر، والسوائب، وأحلوا ما فى بطون الأنعام وإن كان ميتة:

* قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ مِن بَحِيرَةٍ وَلا سَائِبَةٍ وَلا وَصِيلَةٍ وَلا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ (١٠٣) ﴾ [المائدة: ١٠٣].

* وقال ـ تعالى ـ: ﴿ وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰ أَزْوَاجِنَا وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ ﴾ [الأنعام: ١٣٩].

* ﴿ هَذَا حَلالٌ ﴾: إشارة إلى ميتة بطون الأنعام، وكلّ ما أحلّوه.

* ﴿ وَهَذَا حَرَامٌ ﴾: إشارة إلى البحائر والسَّوائب وكل ما حرّموه.

* وعن مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلالٌ وَهَذَا حَرَامٌ ﴾: قال: هى البحيرة السائبة.. اهـ[3].

(١، ٢) انظر: المهذب فى القراءات العشر وتوجيهها (١/ ٣٧٧).

(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٢٥٢).

* ﴿لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾: لأن التحليل والتحريم إنما هو لله وحده ـ عزّ وجلّ ـ، وليس لأحد مهما كان أن يقول بهذا، إلا أن يكون الله ـ تعالى ـ قد أخبر بذلك.

* ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لا يُفْلِحُونَ﴾.

* ﴿مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، أى: ما هم فيه من نعيم الدنيا قليل مهما كان بالنسبة لنعيم الدار الآخرة الذى لا يفنى.

* أخرج ابن أبى حاتم، عن أبى نَضْرة قال: قرأت هذه الآية فى سورة النحل: ﴿وَلا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلالٌ وَهَذَا حَرَامٌ﴾ إلى آخر الآية، فلم أزل أخاف الفتيا إلى يومى هذا.. اهـ[1].

﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (١١٨)﴾

❀ معانى المفردات:

* عن الحسن البصرى (ت ١١٠هـ) وقتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ﴾: قالا: حرّم الله على اليهود ما قصّه الله على نبينا «محمد» ﷺ فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلاَّ مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ (١٤٦)﴾ [الأنعام: ١٤٦].. اهـ[2].

* ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ﴾ أى: بتحريم ما حرّمه الله عليهم.

* ﴿وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾: وذلك بكفرهم وعنادهم فحرم الله تلك الأشياء التى حرمها عليهم عقوبة لهم.

يدلّ على ذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا (١٦٠) وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (١٦١)﴾ [النساء: ١٦٠ ـ ٦١].

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٢٥٢).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٢٥٢ ـ ٢٥٣).

﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ (١١٩) ﴾

❀ معانى المفردات:

* عن ابن عباس (ت ٦٨هـ - رضى الله عنهما) فى قوله - تعالى -: ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ﴾، قال: أى الشرك.. اهـ[١].

* ﴿ ثُمَّ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا ﴾، أى: امتثلوا لتعاليم الله - تعالى -:

* ﴿ إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾: الخطاب لنبينا «محمد» ﷺ، المعنى: يقول الله لنبيه وحبيبه نبينا «محمد» ﷺ، إن ربّك يا «محمد» قبل توبة من تاب منهم، وغفر لهم لأنه غفور رحيم.

﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٢٠) شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (١٢١) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً ﴾: للمفسرين فى تأويل ذلك أكثر من قول سأذكر أصحها بإذن الله - تعالى -:

أولا: أخرج عبد الرزاق، والفريابى، وسعيد بن منصور، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبى حاتم، والطبرانى، وابن مردويه، والحاكم وصححه، عن ابن مسعود (ت ٣٢هـ - رضى الله عنه) أنه سُئِل ما الأمّة؟ قال: الذى يعلّم الناسَ الخير.. اهـ[٢].

ثانيًا: أخرج ابن المنذر، عن ابن عباس (ت ٦٨هـ - رضى الله عنهما) فى قوله - تعالى -: ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً ﴾ قال: كان إمامًا فى الخير.. اهـ[٣].

ثالثًا: أخرج ابن جرير، وابن أبى حاتم، عن قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) فى قوله - تعالى -: ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً ﴾ قال: كان إمام هدى يقتدى به وتتبع سنته.. اهـ[٤].

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (١٠/ ١٢٩).

(٢ : ٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٢٥٣).

* ﴿ قَانِتًا لِّلَّهِ ﴾:

* قال ابن مسعود (ت ٣٢هـ ـ رضى الله عنه) وابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) معنى ﴿ قَانِتًا لِّلَّهِ ﴾، أي: مطيعًا لله ـ تعالى ـ.. اهـ[1].

* ﴿ حَنِيفًا ﴾، أي: مستقيمًا على دين الإسلام.

قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلا نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٦٧) ﴾ [آل عمران: ٦٧].

* ﴿ وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾، أي: لم يشرك بالله ـ تعالى ـ أحدًا في العبادة. وهذه الشهادة من الله ـ تعالى ـ: لنبيه وخليله «إبراهيم» ـ عليه السلام ـ من أقوى الأدلّة على أنه ﷺ كان مسلمًا خالصًا لله ـ تعالى ـ.

قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (١٣٠) إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (١٣١) ﴾ [البقرة: ١٣٠ ـ ١٣١].

* ﴿ شَاكِرًا لأَنْعُمِهِ ﴾، أي: كان نبى الله «إبراهيم» ﷺ شاكرًا لأنعم الله ـ تعالى ـ، والأنعم: جمع نعمة، ونعم الله ـ تعالى ـ على عباده لا حصر لها، وصدق الله إذْ قال: ﴿ وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا ﴾ [إبراهيم: ٣٤].

* ﴿ اجْتَبَاهُ ﴾، أي: اصطفاه واختاره لخلّته.

* ﴿ وَهَدَاهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾: أي: أرشده الله ـ تعالى ـ إلى الطريق المستقيم، وهو دين الإسلام.

قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ (١٣٢) ﴾ [البقرة: ١٣٢].

﴿ وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (١٢٢) ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٢٣) ﴾

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٢٥٣).

❀ معانى المفردات:

* عن مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً ﴾ قال: لسان صدق.. اهـ(١).

* واللسان الصدق كان من أدعية نبى الله «إبراهيم» ـ عليه السلام ـ: قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الآخِرِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾ [الشعراء: ٨٤].

* وعن قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً ﴾ قال: فليس من أهل دين إلا يرضاه ويتولاه.. اهـ(٢).

* قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [آل عمران: ٦٨].

* ﴿ وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾، أى: مع الصالحين.

* عن ابن عمرو بن العاص (ت ٦٥هـ ـ رضى الله عنهما) قال: صلّى «إبراهيم» ـ عليه السلام ـ الظهر والعصر بعرفات ثم وقف، حتّى إذا غابت الشمس دفع.

ثم صلّى المغرب والعشاء بجَمْع، ثم صلّى به الفجر كأسرع ما يصلّى أحد من المسلمين، ثم وقف به حتى إذا كان كأبطأ ما يصلّى أحد من المسلمين دَفَع، ثم رمى الجَمْرة، ثم ذبح وحلق، ثم أفاض إلى البيت فطاف به، فقال الله لنبيه «محمد» ﷺ: ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ﴾.. اهـ(٤).

﴿ إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٢٤﴾ ﴾

❀ معانى المفردات:

* عن السدّى إسماعيل بن عبد الرحمن (ت ١٢٧هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ ﴾: قال: إن الله فرض على اليهود الجمعة فأبوا وقالوا: يا موسى اجعل لنا السبت. فلمّا جعل لهم السبت استحلّوا فيه ما حرّم عليهم.. اهـ(٤).

(١، ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٢٥٣). (٣، ٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٢٥٤).

* قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لا يَسْبِتُونَ لا تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (١٦٣) ﴾ [الأعراف: ١٦٣].

* وعن مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ ﴾ قال: أراد الجمعة فأخذوا السبت مكانه.. اهـ[1].

* وأخرج الشافعيّ في الأمّ، والبخاري، ومسلم، عن أبي هريرة (ت ٥٩هـ ـ رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «نحن الآخرون السابقون يوم القيامة، بَيْد أنهم أوتوا الكتاب مِنْ قبلنا، وأوتيناه من بعدهم، ثم هذا يومهم الذي فرض عليهم يوم الجمعة فاختلفوا فيه فهدانا الله له، فالناس لنا فيه تبع اليهود غداً، والنصارى بعد غد» اهـ[2].

* وأخرج أحمد، ومسلم، عن أبي هريرة، وحذيفة ـ رضي الله عنهما ـ قالا: قال رسول الله ﷺ: «أضلّ عن الجمعة من كان قبلنا، فكان لليهود يوم السبت، وكان للنصارى يوم الأحد، فجاء الله بنا فهدانا الله ليوم الجمعة، وكذلك هم تبع لنا يوم القيامة، نحن الآخرون من أهل الدنيا، والأوّلون يوم القيامة المقضى لهم قبل الخلائق» ـ والله أعلم ـ.. اهـ[3].

* ﴿ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ ﴾: المراد: يوم الجمعة، اختلفوا على نبيهم: «موسى، وعيسى» ـ عليهما السلام ـ.

* ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾. * قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ وَاللَّهُ يَحْكُمُ لا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٤١) ﴾ [الرعد: ٤١].

﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (١٢٥) وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ (١٢٦) ﴾

❀ معاني المفردات:

* ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ﴾:

(١ : ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٤/ ٢٥٤).

✳ **المعنى:** أمر الله ـ تعالى ـ نبيه وصفوته من خلقه نبينا «محمد» ﷺ أن يدعو إلى دين الله وشرعه بتلطّف ولين، دون شدّة وتعنيف، وهكذا ينبغى أن يوعظ المسلمون إلى يوم القيامة.

* ﴿ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾: قال مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ): معنى ذلك: أعرض عن أذاهم إياك.. اهـ[١].

* ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾: فالله ـ سبحانه وتعالى ـ لا تخفى عليه خافية فى الأرض ولا فى السماء.

* وأخرج ابن المنذر، والطبرانى، وابن مردويه والبيهقى فى الدلائل، عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) قال: قال رسول الله ﷺ يوم قتل حمزة بن عبد المطلب ومُثِّل به: «لئن ظفرت بقريش لأمثّلنّ بسبعين رجلا منهم» فأنزل الله: ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ ﴾ الآية: فقال رسول الله ﷺ: «بل نصبر يا رب» فصبر ونهى عن المثلة.. اهـ[٢].

﴿ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللَّهِ وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ (١٢٧) إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ (١٢٨) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللَّهِ ﴾: هذا أمر من الله ـ تعالى ـ لنبيه وحبيبه نبينا «محمد» ﷺ: بالصبر عمّا أصابه ويصيبه فالله مع الصابرين.

* ﴿ وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ ﴾، أى: على قتلى أُحُد فإنهم صاروا إلى رحمة الله.

* ﴿ وَلا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴾، أى: لا يضيق صدرك من كفرهم ومكرهم.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ وَلا تَكُ فِي ضَيْقٍ ﴾ [رقم: ١٢٧]، وقوله: ﴿ وَلا تَكُن فِي ضَيْقٍ ﴾ [النمل: ٧٠].

(١، ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٢٥٥).

قرأ ابن كثير: ﴿ضيق﴾ فى الموضعين بكسر الصاد، وقرأ الباقون بفتحها، وهما لهجتان فى مصدر «ضاق» والضيق: ضدّ السعة[١].

* وعن الحسن البصرى (ت ١١٠هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِين اتَّقَوا﴾ الآية، قال: اتقوا فيما حرَّم الله عليهم، وأحسنوا فيما افترض عليهم.. اهـ[٢].

●●●

تم ولله الحمد والشكر تفسير سورة النحل

ويليها بإذن الله ـ تعالى ـ

[تفسير سورة الإسراء]

●●●

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ٣٣٥).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٢٥٦).



* أخرج النحاس، وابن مردويه، عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضي الله عنهما) قال: نزلت سورة بني إسرائيل: أي الإسراء بمكة.. اهـ[١].

* وقيل: سورة الإسراء مكيّة إلا الآيات: ٢٦، ٣٢، ٣٣، ٥٧، ومن الآية ٧٣ إلى الآية ٨٠ فمدنية[٢].

* وأخرج أحمد، والترمذيّ وحسّنه، والنسائيّ، والحاكم، وابن مردويه، عن «عائشة» أم المؤمنين (ت ٥٨هـ ـ رضي الله عنها) قالت: كان رسول الله ﷺ يقرأ كل ليلة: بني إسرائيل ـ أي: الإسراء ـ والزمر.. اهـ[٣].

﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (١) ﴾

✻ المعنى:

أولا: قال القرطبي (ت ٦٧١هـ) في تفسيره: ثبت الإسراء في جميع مصنّفات الحديث، وروى عن الصحابة في كل أقطار الإسلام، فهو من المتواتر بهذا الوجه. وذكر النقّاش: ممّن رواه عشرين صحابيّا.. اهـ[٤].

ثانيًا: قال القرطبي في تفسيره: هل كان إسراء نبينا «محمد» ﷺ بروحه أو جسده؟ الجواب: اختلف في ذلك السلف والخلف: وذهب معظم السلف والمسلمين إلى أن الإسراء كان بالجسد، وفي اليقظة، وأنه ركب البراق بمكة، ووصل إلى «بيت المقدس» وصلّى فيه، ثم أسرى بجسده.

ومن الأدلّة على ذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا ﴾ الآية.

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٤/ ٢٥٧).
(٢) انظر: تفسير القرطبي (١٠/ ١٣٤).
(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٤/ ٢٥٧).
(٤) انظر: تفسير القرطبي (١٠/ ١٣٥).

وليس فى الإسراء بجسده، وحال يقظته استحالة على الله ـ تعالى ـ.

ولو كان منامًا لقال الله: بروح عبده، ولم يقل ﴿ بِعَبْدِهِ ﴾.

وقوله ـ تعالى ـ: ﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ ﴾ [النجم: ١٧]. يدل على صحة ذلك.

ولو كان منامًا لما كانت فيه آية ولا معجزة.

ولما قالت له «أمّ هانئ»: لا تحدِّث الناس فيكذبوك، ولما أمكن قريش التشنيع على النبى ﷺ وتكذيبه، وقد كذّبته قريش فيما أخبرهم به ـ عليه الصلاة والسلام ـ حتّى ارتدّ أقوام كانوا آمنوا من قبل.

* وقد قال له كفّار مكة: إن كنتَ صادقًا فخبِّرنا عن عِيرنا أين لقيتها؟ قال: «بمكان كذا وكذا مررتُ عليها ففزع فلان».

* قالوا: فأخبرنا متى تأتينا العير؟ قال: «تأتيكم يوم كذا وكذا». قالوا: أيّة ساعة؟ قال: «ما أدرى طلوع الشمس من هاهنا أسرع، أم طلوع العير من هاهنا» فقال رجل: هذه الشمس قد طلعت. وقال رجل: هذه عيركم قد طلعت.

* واستخبروا النبى ﷺ عن صفة بيت المقدس: قال النبى ﷺ: «فرفعه الله لى أنظر إليه، فما سألونى عن شىء إلا أنبأتهم به»(١).

ثالثًا: اختلف العلماء فى تاريخ الإسراء: سأذكر أصحها فيما يلى:

١ ـ أخرج ابن مردويه عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده قال: أسرى بالنبى ﷺ ليلة سبع عشرة من شهر ربيع الأول قبل الهجرة بسنة.. اهـ(٢).

٢ ـ وقال الحربىّ: أسرى به ليلة سبع وعشرين من شهر ربيع الآخر قبل الهجرة بسنة.. اهـ(٣).

رابعًا: لا خلاف بين العلماء أنّ الصلاة فرضت بمكّة ليلة الإسراء حين عُرِج بالنبى ﷺ إلى السماء.

---

(١) انظر: تفسير القرطبى(١٠/ ١٣٧).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٢٧٦).

(٣) انظر: تفسير القرطبى (١٠/ ١٣٨).

* وإنما اختلفوا فى هيئتها حين فرضت، وفى ذلك قولان:

١ - فروى عن «عائشة» أم المؤمنين (ت ٥٨هـ ـ رضى الله عنها): أنها فرضت ركعتين ركعتين ـ إلا المغرب ـ فثلاث ثم زيد فى صلاة الحضر فأكملت أربعًا، وأقرّت صلاة السّفر على ركعتين. وبذلك قال الشّعْبى، وميمون بن مهران، ومحمد بن إسحاق[١].

٢ - وروى عن ابن عباس (٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) أنها فرضت فى الحضر أربعًا، وفى السفر ركعتين.

وروى عن النبى ﷺ ما يثبت صحة ذلك. وبذلك قال نافع بن جبير، والحسن بن أبى الحسن البصرى، وهو قول ابن جريج عبد الملك بن عبد العزيز (ت ١٥٠هـ)[٢].

خامسًا: اتفق العلماء على أن «جبريل» ـ عليه السلام ـ هبط صبيحة ليلة الإسراء عند الزوال، فعلّم النبى ﷺ الصلاة ومواقيتها[٣].

* وقد أجمع المسلمون على أن فرض الصلاة فى الحضر أربع ركعات، إلا المغرب فثلاث، وإلا الصبح فركعتان[٤].

سادسًا: اخترت من الأحاديث الواردة فى الإسراء جزءًا يسيرًا من حديث أنس بن مالك ـ رضى الله عنه ـ الذى فيه حادثة شق صدر النبى ﷺ. ثم حديثًا كاملا من أحاديث «أم هانئ» ـ رضى الله عنها ـ فأقول وبالله التوفيق:

● الجزء اليسير من حديث أنس:

أخرج البخارى، ومسلم، وابن جرير، وابن مردويه، عن أنس بن مالك (٩٣هـ ـ رضى الله عنه) قال: ليلة أسرى برسول الله ﷺ مِنْ مسجد الكعبة جاءه ثلاثة نفر فلم يكلّموه حتى احتملوه فوضعوه عند بئر زمزم فتولاه منهم «جبريل» ـ عليه السلام ـ فشقّ «جبريل» ما بين نَحْره إلى لبَّته حتى فرغ من صدره وجوفه، فغسله من ماء زمزم بيده حتّى أنقى جوفه، ثم أتى بطست من ذهب محشوّا إيمانًا وحكمة فحشا به صدره، ولغاديده ـ يعنى عروق حلقه ـ ثم أطبقه، الحديث[٥].

(١، ٢) انظر: تفسير القرطبى (١٠/ ١٣٨).		(٣، ٤) انظر:تفسير القرطبى (١٠/ ١٣٩).

(٥) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٢٥٩).

* حديث من أحاديث «أم هانئ» ـ رضى الله عنها ـ:

أخرج أبو يعلى، وابن عساكر، عن «أمّ هانئ» ـ رضى الله عنها ـ قالت: دخل علىّ النبىّ ﷺ بغَلَسٍ وأنا على فراشى، فقال: «شعرتُ أنى نمتُ الليلة فى المسجد الحرام فأتانى «جبريل» ـ عليه السلام ـ فذهب بى إلى باب المسجد، فإذا دابّة بيضاء فوق الحمار ودون البغل، فركبته، فكان يضع حافره عند مدّ بصره، إذًا أخذ بى فى هبوط طالت يداه، وقصرت رجلاه، وإذا أخذ بى فى صعود طالت رجلاه، وقصرت يداه، و«جبريل» لا يفوتنى، حتى انتهينا إلى بيت المقدس فأوثقته بالحَلَقة التى كانت الأنبياء توثق بها.

فنشر لى رهط من الأنبياء ـ عليهم السلام ـ: منهم «إبراهيم، وموسى، وعيسى» فصلّيتُ بهم وكلمتهم، وأُتيتُ بإناءين: أحمر وأبيض، فشربتُ الأبيض، فقال لى «جبريل» ـ عليه السلام ـ: شربتَ اللّبن وتركتَ الخمر، لو شربتَ الخمر لارتدَّت أمتك. ثم ركبته فأتيت المسجد الحرام فصلَّيتُ به الغداة. فتعلقتُ بردائه».

وقلتُ: أنشدك الله يا ابن عمّ إنْ تحدِّث بها قريشًا فيكذّبك من صدّقك.

فضرب بيدى على ردائه فانتزعه من يدى، فارتفع عن بطنه فنظرتُ إلى عكنه فوق إزاره كأنها طىّ القراطيس وإذا نور ساطع عند فؤاده كاد يخطف بصرى، فخررتُ ساجدة، فلمّا رفعتُ رأسى إذا هو قد خرج، فقلتُ لجاريتى: ويحك اتبعيه، وانظرى ماذا يقول، وماذا يقال له، فلما رجعتْ أخبرتنى أنه انتهى إلى نفر من قريش فيهم: المطعم بن عدىّ، وعمرو بن هشام، والوليد بن المغيرة.

فقال ـ أى النبى ﷺ ـ: «إنى صليتُ الليلة العشاء فى هذا المسجد وصليت به الغداة ـ يريد المسجد الحرام ـ وأتيتُ فيما بين ذلك بيت المقدس فنُشِر لى رهط من الأنبياء فيهم: «إبراهيم، وموسى، وعيسى» فصلّيتُ بهم وكلّمتهم».

فقال عمرو بن هشام كالمستهزئ: صفهم لى.

فقال رسول الله ﷺ:

١ ـ أمّا «عيسى» ـ عليه السلام ـ: ففوق الربْعة ودون الطّويل، عريض الصدر، جعد الشعر، يعلوه صهبة كأنه عروة بن مسعود الثقفى.

٢ ـ وأمّا «موسى» ـ عليه السلام ـ: فضخم، آدم، طويل، كأنه من رجال شَنُوأة، كثير الشعر، غائر العينين، متراكب الأسنان، مقلّص الشفة، خارج اللّثة.

٣ ـ وأمّا «إبراهيم» ـ عليه السلام ـ فوالله لأنا أشبه الناس به خَلْقًا».

فضجّوا وأعظموا ذلك، فقال المطعم بن عديّ: كل أمرك قبل اليوم كان غير اليوم، أنا أشهد أنك كاذب، نحن نضرب أكباد الإبل إلى بيت المقدس مصعدًا شهرًا، ومنحدرًا شهرًا تزعم أنك أتيته فى ليلة، واللّات والعزّى لا أصدّقك.

فقال أبو بكر ـ رضى الله عنه ـ: يا مطعم بئس ما قلتَ لابن أخيك جبهتَه وكذّبتَه، أنا أشهد أنه صادق.

فقالوا: يا «محمد» ﷺ: صف لنا بيت المقدس؟ قال: «دخلتُه ليلا، وخرجتُ منه ليلا»، فأتاه «جبريل» ـ عليه السلام ـ فصوّره فى جناحه، فجعل يقول: «باب منه كذا فى موضع كذا، وباب منه كذا فى موضع كذا»، وأبو بكر ـ رضى الله عنه ـ يقول: صدقتَ صدقتَ، فقال رسول الله ﷺ يومئذ: «يا أبا بكر إنّ الله قد سمّاك الصدِّيق».

قالوا: يا «محمد» ﷺ أخبرنا عن عيرنا؟ قال: «أتيتُ على عير بنى فلان بالرَّوْحاء قد أضلّوا ناقة لهم، فانطلقوا فى طلبها فانتهيتُ إلى حالهم ليس بها منهم أحد، وإذا قَدَح ماء فشربتُ منه، ثم انتهيتُ إلى عير بنى فلان فنفرت منِّى الإبل، وبرك منها جَمَلٌ أحمر، عليه جوالق مخططة ببياض، لا أدرى أكُسر البعير أم لا، ثم انتهيتُ إلى عير بنى فلان فى التنعيم يقدمها جَمَلٌ أورق وها هى ذه تطلع عليكم من الثنية».

فقال الوليد بن المغيرة: ساحر، فانطلقوا فنظروا فوجدوا كما قال ـ عليه الصلاة والسلام .. اهـ[١].

❀ معانى المفردات:

* ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً ﴾:

✵ **المعنى:** تنزيهًا لله الذى أسرى بعبده ونبيه وحبيبه وصفوته من خلقه نبينا «محمد» ﷺ. وتبرئة لله مما يقول فيه المشركون من أنّ له من خلقه شريكًا، وأنّ له صاحبة وولدًا.

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٢٧٤ ـ ٢٧٥).

و﴿ سُبْحَانَ ﴾ اسم وُضِع موضع المصدر فنصب لوقوعه موقعه والإسراء: سير الليل.

* ﴿ بِعَبْدِهِ ﴾: هو نبينا «محمد» ﷺ، أى: بجسده، وروحه معًا، وما ذلك على الله بعزيز.

* ﴿ لَيْلاً ﴾، أى: من الليل.

* ﴿ مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾: للعلماء فى تأويل ذلك قولان:

الأول: أن المراد بالمسجد الحرام: الحرم، إذ الحرم كله مسجد.

وقد كان الإسراء من بيت «أم هانئ» بنت عبد المطلب ـ رضى الله عنها ـ، وكانت تقول: ما أسرى برسول الله ﷺ إلا وهو فى بيتى نائم عندى تلك الليلة، فصلّى العشاء الآخرة، ثم نام ونمنا، فلما كان قُبَيْل الفجر أحبَّنا رسول الله ﷺ، فلمّا صلّى الصبح وصلينا معه قال: «يا أمَّ هانئ لقد صلّيتُ معكم العشاء الآخرة كما رأيْت بهذا الوادى، ثم جئتُ بيت المقدس فصلّيتُ فيه، ثم صليتُ صلاة الغداة معكم الآن كما ترَيْنَ» اهـ[١].

القول الثانى: أنّ النبىّ ﷺ أُسْرى به من المسجد الحرام، وكان ﷺ نائمًا فيه، يدلّ على ذلك ما يلى:

* عن أنس بن مالك (ت ٩٣هـ ـ رضى الله عنه) عن مالك بن صعصعة ـ رضى الله عنه ـ قال: قال نبىّ الله ﷺ: «بينا أنا عند البيت بين النائم واليقظان، إذْ سمعتُ قائلا يقول أحد الثلاثة، فأُتيتُ بِطَسْت من ذهب فيها من ماء زمزم، فشرح صدرى إلى كذا وكذا».

قال قتادة بن دعامة: قلت: ما يعنى به؟ قال: إلى أسفل بطنه.. اهـ[٢].

* ﴿ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا ﴾: المراد به «بيت المقدس» وقيل له الأقصا، لأنه أبعد المساجد التى تزار.

* ﴿ الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ ﴾: قال مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ): سمّاه الله مباركًا لأنه مقرّ الأنبياء، ومهبط الملائكة والوحى.. اهـ[٣].

* ﴿ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ﴾:

* عن أنس بن مالك (ت ٩٣هـ ـ رضى الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «لمّا أُسْرى بى إلى السماء قرّبنى ربّى ـ تعالى ـ حتى كان بينى وبينه كقاب قوسين

---

(١) انظر: تفسير الطبرى (٨/ ٤). (٢) انظر:تفسير الطبرى (٥/ ٤). (٣) انظر: تفسير البغوى (٣/ ٩٢).

أو أدنى، لا بل أدنى، وعلّمنى المسمّيات، قال: «يا محمد» قلت: «لبّيك يا رب»، قال: «هل غمّك أنْ جعلتك آخر النبيين؟» قلت: «يا ربّ لا». قال: «فهل غمّ أمتك أن جعلتُهم آخر الأمم؟» قلت: «يا ربِّ لا». قال: «أبلغ أمتك منّى السلام، وأخبرهم أنّى جعلتهم آخر الأمم، لأفضح الأمم عندهم، ولا أفضحهم عند الأمم» اهـ[١].

* ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾: أى: سميع لما يقول هؤلاء المشركون من أهل مكة فى مَسْرى نبيه «محمد» ﷺ من مكة إلى بيت المقدس، وسميعٌ لغير ذلك من قولهم، وقول غيرهم.

البصير بما يعملون من الأعمال لا يخفى عليه شىء من ذلك، ولا يعزب عن علمه شىء من ذلك، وهو لهم بالمرصاد، ليجزيهم جميعًا بما يعملون.

﴿وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلاَّ تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلاً (٢)﴾

معانى المفردات:

* ﴿وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾، أى: التوراة.

* ﴿وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾:

* قال قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) المعنى: جعله الله هدى لبنى إسرائيل يخرجهم من الظلمات إلى النور، وجعله الله رحمة لهم.. اهـ[٢].

* ﴿أَلاَّ تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلاً﴾: للعلماء فى تأويل ذلك أقوال:

١ ـ فقال مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) معنى ذلك: أن لا تتخذوا من دونى شريكًا.. اهـ[٣].

٢ ـ وقال الكلبى محمد بن السائب بن بشر (ت ١٤٦هـ) معنى ذلك: أن لا تتخذوا من دونى ربًا تتوكلون عليه فى أموركم.. اهـ[٤].

٣ ـ وقال أبو زكريا الفراء (ت ٢٠٧هـ) معنى ذلك: أن لا تتخذوا من دونى كفيلا.. اهـ[٥].

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٢٨٨).

(٢، ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٢٩٤).

(٤، ٥) انظر: تفسير القرطبى (١٠/ ١٤٠).

القراءات وتوجيهها:

* ﴿أَلَّا تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلًا﴾ [رقم: ٢].

قرأ أبو عمرو: ﴿ألا يتخذوا﴾ بياء الغيبة، حَمْلا على لفظ الغيبة المتقدم فى قوله ـ تعالى ـ أوّل الآية: ﴿وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ و«أنْ» مصدريّة مجرورة بحرف جرّ محذوف، و«لا» نافية أى: لئلا يتخذوا وكيلا من دونى.

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ألا تتخذوا﴾ بتاء الخطاب، على الالتفات من الغيبة إلى الخطاب، و«أنْ» مفسّرة بمعنى أىْ، و«لا» ناهية، والمعنى: وقلنا لهم: لا تتخذوا وكيلا من دونى(١).

﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا (٣)﴾

معانى المفردات:

* ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾:

* قال مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ): هو على النداء، والتقدير: يا ذرّية من حملنا مع نوح.. اهـ(٢).

* وأخرج ابن مردويه، عن عبد الله بن زيد الأنصارى قال: قال رسول الله ﷺ: «﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ ما كان مع نوح إلا أربعة أولاد: حام، وسام، ويافث، وكوش، فذلك أربعة أولاد انتسلوا هذا الخلق» اهـ(٣).

* ﴿إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾: ورد فى تأويل ذلك عدد من الروايات وهى متقاربة فى المعنى:

أولاً: أخرج ابن مردويه، عن معاذ بن أنس الجهنى ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ﷺ قال: «إنما سُمِّى عبداً شكوراً، لأنه كان إذا أمسى وأصبح قال: سبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد فى السموات والأرض وعشيّا وحين تظهرون» اهـ(٤).

---

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ٣٣٦).

(٢، ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٢٩٤).

(٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٢٩٥).

ثانيًا: عن سلمان الفارسى ـ رضى الله عنه ـ قال: كان «نوح» ـ عليه السلام ـ إذا لبس ثوبًا، أو طعم طعامًا، قال: الحمد لله، فسمّى عبدًا شكورًا[1]. * وقد قال بهذا:

١ ـ سعيد بن مسعود الثقفى ـ رضى الله عنه.

٢ ـ ومجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ).

٣ ـ ومحمد بن كعب القرظى[2].

* وعن عمر بن الخطاب (ت ٢٣هـ ـ رضى الله عنه) قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «من لبس ثوبًا جديدًا فقال: الحمد لله الذى كسانى ما أوارى به عورتى، وأتجمّل به فى حياتى، ثم عمد إلى الثوب الذى خَلَق فتصدق به، كان فى كنف الله وفى حفظ الله، وفى ستر الله حيًا وميتًا» قالها ثلاثًا.. اهـ[3].

﴿ وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ ﴾:

* عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) فى تأويل قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَقَضَيْنَا ﴾ ثلاثة أقوال وهى:

١ ـ قال: أعلمناهم. ٢ ـ قال: أخبرناهم. ٣ ـ قال: قضينا عليهم.. اهـ[4].

* وعن عبد الله بن مسعود (ت ٣٢هـ ـ رضى الله عنه) قال: إنّ الله عهد إلى بنى إسرائيل فى التوراة ﴿ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ ﴾:

١ ـ فكان أوّل الفساد: قتل «زكريا» ـ عليه السلام ـ.

٢ ـ وكان ثانى الفساد: قتل «يحيى» ـ عليه السلام ـ[5].

* وقال على بن أبى طالب (ت ٤٠هـ ـ رضى الله عنه) كما قال عبد الله بن مسعود[6].

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٢٩٤).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٢٩٤ ـ ٢٩٥).

(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٢٩٥).

(٤ : ٦) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٢٩٦).

* وقال عطية العوفى أفسدوا المرّة الأولى فقتلوا «زكريا» ـ عليه السلام ـ فبعث الله عليهم (جالوت) فقتلهم.

وأفسدوا المرّة الثانية فقتلوا «يحيى» ـ عليه السلام ـ، فبعث الله عليهم (بختنصّر).. اهـ[١].

* ﴿ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴾: المراد: التكبّر، والبغى، والطغيان، والعدوان.

﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولاً (٥) ﴾

معانى المفردات:

* عن سعيد بن جبير (ت ١٠٤هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ ﴾، قال: هو «سخاريب» من أهل «نِينَوى» بالموصل مَلِكُ «بابل» اهـ[٢].

* وقال الحسن البصرى (ت ١١٠هـ): هم العمالقة وكانوا كفارًا.. اهـ[٣].

* ﴿ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ ﴾، أى: ذوى بطش شديد فى الحرب.

* ﴿ فَجَاسُوا خِلالَ الدِّيَارِ ﴾، أى: فطافوا، وداروا خلال الديار، أى: وسطها يطلبونكم ويقتلونكم. و«الجَوْس»: طلب الشىء بالاستقصاء.

* ﴿ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولاً ﴾، أى: قضاءً كائنًا لا خُلْف فيه.

﴿ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا (٦) ﴾

معانى المفردات:

* عن قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم (ت حوالى ١٧٠هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ ﴾: قالا: يقول الله ـ تعالى ـ: ثم رددت الكرّة لبنى إسرائيل عليهم[٤].

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٢٩٦).

(٢، ٣) انظر: تفسير القرطبى (١٠/ ١٤٢).

(٤) انظر: تفسير الطبرى (٨/ ٢٩).

والضمير فى «عليهم» عائد على القوم الذين وصفهم الله أنه بعثهم عليهم فى قوله ـ تعالى ـ فى الآية السابقة: ﴿ بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ ﴾ [الآية رقم: ٥].

* ﴿ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ ﴾: حتى عاد أمركم كما كان.

* وعن قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) والسدّى إسماعيل بن عبد الرحمن (ت ١٢٧هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴾: قالا: أكثر عددًا.. اهـ[1].

* و «النّفير»: من نفر مع الرجل من عشيرته للقتال. يقال: نفير ونافر بمعنى واحد، مثل: قدير وقادر، إلا أنّ نفير أبلغ من نافر.

والمعنى: أنهم صاروا بعد الوقعة الأولى أكثر انضمامًا وأصلح أحوالا.

﴿ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ لِيَسُوؤُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا (٧) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لأَنفُسِكُمْ ﴾: لأن نفع إحسانكم عائد عليكم.

* ﴿ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ﴾، أى: فعليها.

ونظير هذه الآية فى المعنى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلاَّمٍ لِّلْعَبِيدِ (٤٦) ﴾ [فصّلت: ٤٦].

* والخطاب فى الآية الكريمة يحتمل أحد أمرين:

الأول: أن يكون خطابًا لبنى إسرائيل السابقين، وهذا إخبار من الله ـ تعالى ـ لبيان عَدْله فى حكمه.

والثانى: أن يكون خطابًا لبنى إسرائيل الموجودين زمن نبينا «محمد» ﷺ، والمراد أسلافهم.

وحينئذ يكون المعنى: قد عرفتم ما حلّ بأسلافكم وأجدادكم، فارتقبوا مثل ما حلّ بهم، إن خيرًا فخير، وإن شرّا فشرّ.

---

(١) انظر: تفسير الطبرى (٨/ ٢٩).

* ﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ ﴾: من إفسادكم، وذلك أنهم قتلوا فى المرّة الآخرة «يحيى بن زكريا» ـ عليهما السلام ـ.

* ﴿ لِيَسُوؤُوا وُجُوهَكُمْ ﴾: وذلك بالسبى، والقتل فيظهر أثر الحزن فى وجوهكم.

* ﴿ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ﴾:

١ ـ قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم (ت حوالى ١٧٠هـ) فى معنى الآية: كانت الآخرة أشدّ من الأولى بكثير، فإن الأولى كانت هزيمة فقط. والآخرة كانت تدميرًا.. اهـ[١].

٢ ـ وقال القرطبى (ت ٦٧١هـ) فى تفسيره: لما عاد بنو إسرائيل إلى المعاصى سلّط الله عليهم (قيصر) ملك الروم، فغزاهم فى البرّ والبحر، وسباهم، وقتلهم، وأخذ أموالهم ونساءهم، وأخذ حلىّ جميع بيت المقدس[٢].

* ومعنى: ﴿ مَا عَلَوْا ﴾ أى: ما غَلَبُوا عليه من بلادكم.

* وقال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) معنى ﴿ تَتْبِيرًا ﴾: أى: تدميرًا.. اهـ[٣].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ لِيَسُوؤُوا وُجُوهَكُمْ ﴾ [رقم: ٧].

قرأ الكسائى: ﴿ لنسوءَ ﴾ بنون العظمة، وفتح الهمزة من غير مدّ، على أنه فعل مضارع مسند إلى ضمير المعظم نفسه وتقديره «نحن» وذلك على الإخبار من الله ـ تعالى ـ عن نفسه، لمناسبة قوله ـ تعالى ـ: ﴿ بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ ﴾ [رقم: ٥].

وقرأ ابن عامر، وشعبة، وحمزة، وخلف البزّار: ﴿ ليسوءَ ﴾ بالياء التحتية وفتح الهمزة من غير مدّ، والفاعل ضمير مستتر تقديره «هو» يعود على «الوعد» والمراد به «الموعود» وهو العذاب الذى أعده الله لهم، وحينئذ يكون الإسناد مجازيًا، وهو مجاز مرسل. ويجوز أن يكون الفاعل ضميرًا يعود على الله ـ تعالى ـ المتقدم ذكره، وحينئذ يكون فى الكلام التفات من التكلم إلى الغيبة.

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٣٠٠).
(٢) انظر: تفسير القرطبى (١٠/ ١٤٦).
(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٣٠٠).

وقرأ الباقون من القراء العشرة وهم: نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وحفص، وأبو جعفر، ويعقوب: ﴿ ليسوءوا﴾ بالياء التحتية، وضم الهمزة، وبعدها واو ساكنة، والفعل مسند إلى واو الجماعة، وهي عائدة على ﴿ عبادًا﴾ في قوله - تعالى -: ﴿ بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ [رقم: ٥]، وقد جرى الكلام على نسق واحد وهو الغيبة والجمع(١).

﴿ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا (٨) ﴾

❀ معاني المفردات:

* عن الضحاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ) في قوله - تعالى -: ﴿ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ﴾ قال: كانت الرحمة التي وعدهم الله بها: بعث نبينا «محمد» ﷺ.. اهـ(٢).

* وعن قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) في قوله - تعالى -: ﴿ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا﴾ قال: فعادوا، فبعث الله عليهم نبينا «محمدًا» ﷺ فهم يعطون الجزية، قال الله - تعالى -: ﴿ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ (٢٩) ﴾ [التوبة: ٢٩].. اهـ(٣).

* وعن ابن عباس (ت ٦٨هـ - رضي الله عنهما) وأبي عمران الجوني في قوله - تعالى -: ﴿ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾ قالا: سجنًا.. اهـ(٤).

* وقال الحسن البصري (ت ١١٠هـ) معنى ﴿ حَصِيرًا﴾ فراشًا ومهادًا.. اهـ(٥).

* وعن مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) في قوله - تعالى -: ﴿ حَصِيرًا﴾ قال: يحصرون فيها.. اهـ(٦).

* وهو قريب في المعنى مما ذكره ابن عباس، والجوني.

﴿ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا (٩) ﴾

---

(١) انظر: المغني في توجيه القراءات العشر (٢/ ٣٣٦ - ٣٣٧).

(٢ : ٦) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٤/ ٣٠٠).

❀ معانى المفردات:

* عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم (ت حوالى ١٧٠هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ قال: يهدى للتى هى أصوب.. اهـ(١).

* وعن قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) فى الآية قال: إن هذا القرآن يدلكم على دائكم، ودوائكم، فأمّا داؤكم: فالذنوب والخطايا، وأمّا دواؤكم: فالاستغفار.. اهـ(٢).

* وعن ابن جريج عبد الملك بن عبد العزيز (ت ١٥٠هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ قال: الأجر الكبير: الجنة، ثم استطرد قائلاً: وكل شىء فى القرآن أجر كبير، ورزق كبير، ورزق كريم: فهو الجنّة.. اهـ(٣).

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [رقم: ٩].

قرأ حمزة، والكسائى: ﴿ وَيَبْشُرُ ﴾ بفتح الياء التحتية، وسكون الباء وضم الشين مخفّفة، من البِشْر، وهو البشارة.

وقرأ الباقون: ﴿ وَيُبَشِّرُ ﴾ بضم الياء، وفتح الباء، وكسر الشين مشددة، من بشّر المضعّف(٤).

﴿ وَأَنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (١٠) وَيَدْعُ الإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الإِنسَانُ عَجُولاً (١١) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَأَنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ ﴾: وهم الكفار والمشركون.

* ﴿ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ أى: مؤلمًا، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ (١٩) يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ (٢٠) وَلَهُم مَّقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ (٢١) كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ (٢٢) ﴾ [الحج: ١٩ ـ ٢٢].

(١ : ٣) انظر: تفسير الدر المنثور (٤/ ٣٠٠). (٤) انظر: المهذب فى القراءات العشر وتوجيهها (١/ ٣٨٠).

* وعن ابن عباس (ت ٦٨هـ - رضى الله عنهما) ومجاهد بن جبر المفسّر (ت ١٠٤هـ) والحسن البصرى (ت ١١٠هـ) فى قوله - تعالى -: ﴿ وَيَدْعُ الإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ ﴾ قالوا: معنى ذلك: هو دعاء الإنسان بالشرّ على ولده، وعلى امرأته، يغضب أحدهم فيدعو عليه، فيسب نفسه، ويسبّ زوجته، وماله وولده، فإن أعطاه الله ذلك شق عليه، فيمنعه ذلك، ثم يدعو بالخير فيعطيه.. اهـ[1].

* وأخرج أبو داود، والبزّار، عن جابر بن عبد الله (ت ٦٨هـ - رضى الله عنهما) قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تدعوا على أنفسكم، لا تدعوا على أولادكم، لا تدعوا على أموالكم لا توافقوا من الله ساعة فيها إجابة فيستجيب لكم» اهـ[2].

* وعن ابن عباس (ت ٦٨هـ - رضى الله عنهما) فى قوله - تعالى -: ﴿ وَكَانَ الإِنسَانُ عَجُولاً ﴾، قال: ضجراً لا صبر له على سرّاء ولا ضرّاء.. اهـ[3].

﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً (١٢) ﴾

❀ معانى المفردات:

* أخرج ابن مردويه، عن علىّ بن أبى طالب (ت ٤٠هـ - رضى الله عنه) فى قوله - تعالى -: ﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ ﴾ الآية: كان الليل والنهار سواء، فمحا الله آية الليل فجعلها مظلمة، وترك آية النهار كما هى.. اهـ[4].

* وعن مجاهد بن جبر المفسّر (ت ١٠٤هـ) فى قوله - تعالى -: ﴿ لِّتَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ قال: جعل الله لكم النهار سبحا طويلا.

قال الله - تعالى -: ﴿ إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلاً (٧) ﴾ [المزّمل: ٧].. اهـ[5].

* ﴿ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ﴾، أى: لتعرفوا الليل من النهار، ولتعرفوا عدد السنين، والشهور، والأيام، وتعرفوا الحساب والمعاملات التى تتم بينكم من بيع

(١ : ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٣٠١).

(٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٣٠٢).

(٥) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٣٠٣).

وشراء وبخاصة المؤجلين. قال الله ـ تعالى ـ: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٨٩].

* ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً﴾، أى: بيناه بيانًا واضحًا. قال الله ـ تعالى ـ: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨].

﴿وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا (١٣)﴾

معانى المفردات:

* أخرج أحمد، وعبد بن حميد، وابن جرير بسند حسن، عن جابر بن عبد الله (ت ٧٨هـ ـ رضى الله عنهما) قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «طائر كل إنسان فى عنقه» اهـ[١].

* ﴿وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ﴾: للمفسِّرين فى تأويل ذلك أقوال، أذكر أرجحها وأصحها فيما يلى:

أولا: عن أنس بن مالك (ت ٩٣هـ ـ رضى الله عنه) قال: المراد بقوله ـ تعالى ـ: ﴿ألزمناه طائره فى عنقه﴾: كتابه[٢].

ثانيًا: عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) قال المراد بذلك: سعادته، وشقاوته، وما قدّره الله له وعليه فهو لازمه أينما كان.. اهـ[٣].

ثالثًا: عن الضحّاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ) قال المراد بذلك: الشقاء، والسعادة، والرزق، والأجل.. اهـ[٤].

رابعًا: عن مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) قال: المراد بذلك: ما من مولود يولد إلا وفى عنقه ورقة مكتوب فيها: شقىّ أو سعيد[٥].

* وعن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا﴾ قال: هو عمله الذى عمل أحصى عليه، فأخرج له يوم القيامة ما كتب عليه من العمل فقرأه منشورًا.. اهـ[٦].

(١ : ٥) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٣٠٣).

(٦) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٣٠٤).

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا ﴾ [رقم: ١٣].

قرأ أبو جعفر: ﴿ ويُخرَجُ ﴾ بياء تحتية مضمومة، وراء مفتوحة، على أنه مضارع «أخرج» الرباعى، مبنى للمجهول، ونائب الفاعل ضمير مستتر تقديره «هو» يعود على «طائره» و«كتابًا» حال.

وقرأ يعقوب: ﴿ ويَخرُج ﴾ بالياء التحتية المفتوحة، وراء مضمومة على أنه مضارع «خرج» الثلاثى، مبنى للمعلوم، والفاعل ضمير مستتر تقديره «هو» يعود على «طائره» و«كتابًا» حال.

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ ونُخرِج ﴾ بنون العظمة المضمومة، وراء مكسورة، على أنه مضارع «أخرج» الرباعى، مبنى للمعلوم، والفاعل ضمير مستتر تقديره «نحن» و«كتابًا» مفعول به(١).

* ﴿ يَلْقَاهُ مَنشُورًا ﴾ [رقم: ١٣].

قرأ ابن عامر، وأبو جعفر: ﴿ يُلَقَّاه ﴾ بضم الياء، وفتح اللام، وتشديد القاف، مضارع «لَقَّى» مضعّف العين مبنىّ للمجهول، ونائب الفاعل ضمير مستتر تقديره «هو» يعود على «الإنسان» المتقدّم ذكره فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَكُلَّ إِنسَانٍ ﴾ وهو المفعول الأول، والهاء التى فى «يُلَقّاه» المفعول الثانى، وهو عائد على «كتابًا» و«منشورًا» صفة لـ «كتابًا».

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ يَلْقَاه ﴾ بفتح الياء، وتخفيف القاف، وسكون اللام، على أنه مضارع «لقى» الثلاثى، والفاعل ضمير مستتر تقديره «هو» يعود على صاحب الكتاب وهو الإنسان المتقدّم ذكره، والضمير فى «يلقاه» مفعول به، وهو عائد على «كتابًا» و«منشورًا» صفة لـ «كتابًا»(٢).

---

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/٣٣٨).

(٢) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/٣٣٩).

﴿ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا (١٤) مَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا (١٥) ﴾

❀ معانى المفردات:

* عن قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) فى قوله - تعالى -: ﴿ اقْرَأْ كِتَابَكَ ﴾: قال: سيقرأ يومئذ من لم يكن قارئًا فى الدنيا.. اهـ(١).

* وعن الحسن البصرى (ت ١١٠هـ) قال: يقول الله - تعالى -: «يا ابن آدم بسطت لك صحيفة، وَوُكِّلَ بك مَلَكان كريمان، أحدهما عن يمينك، والآخر عن يسارك، حتى إذا متَّ طُوِيتْ صحيفتك فجُعلت فى عنقك معك فى قبرك، حتى تخرج يوم القيامة، فعند ذلك يقول الله - تعالى -: ﴿ وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ ﴾ حتى بلغ: ﴿ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾».. اهـ(٢).

* ﴿ مَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ﴾:

✷ **المعنى:** إن كل واحد يحاسب عن نفسه لا عن غيره: فمن اهتدى فثواب اهتدائه له، ومن ضلّ فعقاب ضلاله عليه.

* ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾، أى: لا يحمل إنسان ذنب غيره.

* عن قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) فى قوله - تعالى -: ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾، قال: والله ما يحمل الله على عبد ذنب غيره، ولا يُؤاخذ إلا بعمله.. اهـ(٣).

* وعن قتادة فى قوله - تعالى -: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ قال: إن الله تبارك - وتعالى - ليس يُعذِّب أحدًا حتّى يسبق إليه من الله خبر، أو تأتيه من الله بيِّنة، وليس مُعذِّبًا أحدًا إلا بذنبه.. اهـ(٤).

﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا (١٦) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً ﴾ الآية:

(١، ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٣٠٤). (٣، ٤) انظر: تفسير الطبرى (٨/ ٥٠).

* **المعنى:** أخبر الله ـ سبحانه وتعالى ـ فى الآية التى قبلُ بأنه لم يعذب أىّ أحد حتّى يرسل إليه رسولا: مبشرًا ونذيرًا. وفى هذه الآية الكريمة أخبر الله ـ عزّ وجلّ ـ بأنه إذا أراد إهلاك قرية أمر مترفيها بالطاعة فخالفوا أمره وعصوا، وكفروا، عندئذ حق عليها أن ينزل عليها سخطه وعذابه فدمّرها تدميرًا.

والأمثلة على ذلك متعدّدة فى القرآن الكريم:

منها قوله ـ تعالى ـ فى شأن قوم «لوط» ـ عليه السلام ـ: ﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ (٨٢) مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ (٨٣) ﴾ [هود: ٨٢ ـ ٨٣].

* وعن قتادة بن دعامة (ت ١١٨ هـ) فى معنى الآية قال: يقول الله ـ تعالى ـ: وإذا أردنا أن نهلك قرية أكثرنا مترفيها، أى: جبابرتها، فـفسقوا فيها وعملوا بمعصية الله ـ عزّ وجلّ ـ فحقّ عليها القول فدمّرناها تدميرًا.. اهـ[١].

* وقال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما): معنى الآية: ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا ﴾، أى: سلطنا شرارها فعصوا فيها، فإذا فعلوا ذلك أهلكناهم بالعذاب، وهو قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا ﴾ [الأنعام: ١٢٣].. اهـ[٢].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا ﴾ [رقم: ١٦].

قرأ يعقوب: ﴿ آمرنا ﴾ بمدّ الهمزة بمعنى: أكثرنا. والمعنى: أكثرنا مترفيها ففسقوا فيها بارتكاب المعاصى، ومخالفة أوامر الله ـ تعالى ـ.

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ أمرنا ﴾ بقصر الهمزة، من الأمر ضدّ النهى، أى: أمرنا مترفيها بالطاعة ففسقوا فيها بعدم امتثال الأمر، لأن المترف إذا أمر بالطاعة خالف إلى الفسق والمعصية[٣].

---

(١) انظر: تفسير الطبرى (٨/ ٥٢).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٣٠٦).

(٣) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ٣٤٠).

﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿١٧﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ ﴾

❀ معاني المفردات:

* ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ ﴾: ﴿ كَمْ ﴾ خبرية بمعنى كثير، وهذا وعيد من الله ـ تعالى ـ لمشركي قريش الذين كفروا بالله ـ تعالى ـ وبرسوله، وتهديد لهم، أي: ينبغي عليكم أيها المشركون أن تعتبروا وتتعظوا بما حلّ بالأمم السابقة من العذاب الأليم لما كفروا بالله ـ تعالى ـ.

* ﴿ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴾: الخطاب لنبينا «محمد» ﷺ، المعنى: حسبك يا نبيّ الله أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ خبير بهؤلاء الكفار، وبصير، أي: يبصر أعمالهم لأنه لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء، وسيجازيهم بأعمالهم، وصدق الله إذْ قال: ﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ ﴾ [البروج: ١٢].

* وعن قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ ﴾ قال: من كانت الدنيا همّه ورغبته، وطلبته عجّل الله له فيها ما يشاء، ثم يضطره إلى جهنم يصلاها مذمومًا في نقمة الله «مدحورًا» في عذاب الله.. اهـ[1].

﴿ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰؤُلَاءِ وَهَٰؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ﴾

❀ معاني المفردات:

* ﴿ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ ﴾، أي: الدار الآخرة.

* ﴿ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا ﴾، أي: عمل الأعمال الصالحة التي تكون سببًا في الفوز والنجاة يوم القيامة.

* ﴿ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ﴾: لأن الله ـ سبحانه وتعالى ـ لا يقبل أي عمل بدون الإيمان، أي أن الإيمان بالله ـ تعالى ـ وبما أمر به شرط في قبول الأعمال، إنما يتقبل الله من المتقين.

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٤/ ٣٠٨).

* ﴿ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُم ﴾، أي: عملهم. * ﴿ مَّشْكُورًا ﴾، أي: مقبولا.

* وعن قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) في معنى الآية قال: شكر الله له اليسير، وتجاوز عن الكثير.. اهـ(١).

* وعن قتادة في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ كُلاًّ نُّمِدُّ هَؤُلاءِ وَهَؤُلاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ ﴾، قال: إنّ الله ـ تعالى ـ قسم الدنيا بين البرِّ والفاجر، وخصّ الآخرة بالمتقين.. اهـ(٢).

* ﴿ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴾، أي: محبوسًا وممنوعًا. و«محظورًا» اسم مفعول من «حَظَر يَحْظُر حَظْرًا».

﴿ انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَلَلآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً (٢١) لا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولاً (٢٢) ﴾

❀ معاني المفردات:

* عن قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾، قال: أي في الدنيا.. اهـ(٣).

* والكلام موجه إلى نبينا «محمد» ﷺ وحينئذ يكون المعنى: انظر يا نبيّ الله كيف فضّل الله ـ تعالى ـ بعض الناس على بعض في الرزق، وكل هذا لحكَم يعلمها الله ـ عزّ وجلّ ـ، وصدق الله إذْ قال: ﴿ وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الأَرْضِ وَلَكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ (٢٧) ﴾ [الشورى: ٢٧].

* وعن قتادة بن دعامة في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلَلآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً ﴾، قال: إنّ للمؤمنين في الجنة منازل، وإنّ لهم فضائل بأعمالهم.. اهـ(٤).

* وعن الضحّاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ) قال: إنّ أهل الجنّة بعضهم فوق بعض درجات، الأعلى يرى فضله على مَنْ هو أسفل منه، والأسفل لا يرى أنّ فوقه أحدًا.. اهـ(٥).

* وعن قتادة بن دعامة في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ لا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا ﴾ قال: أي في نقمة الله ـ عزّ وجل ـ.

* وفي قوله ـ تعالى ـ: ﴿ مَّخْذُولاً ﴾ قال: في عذاب الله.. اهـ(٦).

(١ : ٦) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٤/ ٣٠٨).

﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا (٢٣) ﴾

❀ معانى المفردات:

* عن ابن عباس (ت ٦٨هـ - رضى الله عنهما) فى قوله - تعالى -: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ ﴾، قال: أمرَ.. اهـ[(١)].

* وحينئذ يكون المعنى: أمر الله - سبحانه وتعالى - بعبادته وتوحيده، وجعل برَّ الوالدين مقرونًا بذلك، كما قرن الله - عزّ وجلّ - شكر الوالدين بشكره فقال: ﴿ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ (١٤) ﴾ [لقمان: ١٤].

* ومن البرِّ بهما والإحسان إليهما ألا يتعرّض لسبهما، فإنّ ذلك من الكبائر بالإجماع، ومن الأدلّة على ذلك الحديث الذى فى صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص (ت ٦٥هـ - رضى الله عنهما) أن رسول الله ﷺ قال: «إنّ من الكبائر شتم الرجل والديه» قالوا: يا رسول الله وهل يَشْتمُ الرجل والديه؟ قال: «نعم يسبّ الرجلُ أبا الرجل فيسُبُّ أباه، ويسُبّ أمَّه فيسبّ أمّه» اهـ[(٢)].

* وعن الحسن البصرى (ت ١١٠هـ) فى قوله - تعالى -: ﴿ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ قال: أى: برًا.. اهـ[(٣)].

* وعن مجاهد بن جبر (١٠٤هـ) فى قوله - تعالى -: ﴿ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ ﴾: قال: فيما تميط عنهما من الأذى: الخلاء والبول، كما كانا لا يقولانه فيما كانا يميطان عنك من الخلاء والبول.. اهـ[(٤)].

* وأقول: خصّ الله حالة الكبر بالذكر لأنها الحالة التى يحتاجان فيها إلى البرِّ لتغير الحال عليهما بالضعف والكبر.

* وعن الحسن بن علىّ بن أبى طالب (ت ٥٠هـ - رضى الله عنهما) مرفوعًا: لو علم الله شيئًا من العقوق أدنى من «أفّ» لحرَّمه.. اهـ[(٥)].

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٣٠٩). (٢) انظر: تفسير القرطبى (١٠/ ١٥٦).
(٣، ٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٣٠٩). (٥) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٣١٠).

* والأفّ كلمة تقال لكلّ ما يُضجِر ويُستثقل.

* ﴿ وَلا تَنْهَرْهُمَا ﴾: النَّهْر: الزجر والغلظة.

* ﴿ وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيماً ﴾، أى: ليِّنًا لطيفًا.

* وعن قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيماً ﴾، قال: أى: قولا ليِّنا سهلا.. اهـ[١].

* وعن الحسن البصرى (١١٠هـ) أنه سئل ما برّ الوالدين؟ قال: أن تبذل لهما ما ملكتَ، وأن تطيعهما فيما أمراك به، إلا أن يكون معصية.. اهـ[٢].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ إِمَّا يَبْلُغَنَّ ﴾ [رقم: ٢٣].

قرأ حمزة، والكسائى، وخلف البزّار: ﴿ يبلغانِّ ﴾ بإثبات ألف بعد الغين مع المدّ، وكسر النون مشدّدة، على أنّ الفعل مسند إلى ألف الاثنين وهى الفاعل، وكسرت نون التوكيد تشبيهًا لها بنون الرفع، بعد حذف النون للجازم، وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ يبلغنَّ ﴾ بحذف الألف، وفتح النون مشدّدة، على أنه مضارع مبنىّ على الفتح لاتصاله بنون التوكيد، و«أحدهما» فاعل، و«كلاهما» معطوف عليه[٣].

* ﴿ أفّ ﴾ حيثما وقعت فى القرآن نحو قوله ـ تعالى ـ: ﴿ فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا ﴾ [الإسراء: ٢٣]. قرأ نافع، وحفص، وأبو جعفر: ﴿ أفٍّ ﴾ حيثما وقعت بكسر الفاء منونة، فالكسر لهجة أهل الحجاز، واليمن، والتنوين للتنكير.

وقرأ ابن كثير، وابن عامر، ويعقوب: ﴿ أفَّ ﴾ بفتح الفاء بلا تنوين، فالفتح لهجة قَيْس، وترك التنوين لقصد عدم التنكير.

وقرأ الباقون من القراء العشرة ﴿ أفِّ ﴾ بكسر الفاء بلا تنوين، وقد تقدم توجيه ذلك[٤].

(١، ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٣١٠).

(٣) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ٣٤١).

(٤) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ٣٤١ ـ ٣٤٢).

﴿ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا (٢٤) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ ﴾: هذه استعارة فى الشفقة والرحمة بالوالدين، والتذلّل لهما تذلّل العبْد لسيِّده.

والذلّ: هو اللين بضم الذال، من «ذَلَّ يَذِلُّ ذُلا».

* وعن سعيد بن المسيَّب (ت ٩٤ هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ ﴾ قال: معنى ذلك: أن تخضع لوالديك كما يخضع العبد لسيِّده الفظّ الغليظ[1].

* وعن عروة بن الزبير (٩٣هـ ـ رضى الله عنهما) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ ﴾ قال: إن أغضباك فلا تنظر إليهما شزرًا، فإنه أوّل ما يُعرف غضب المرء بشدّة نظره إلى من غضب عليه.. اهـ[2].

* وعن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾، قال: ثم أنزل الله بعد هذا ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ ﴾ [التوبة: ١١٣].. اهـ[3].

﴿ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُورًا (٢٥) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ ﴾، أى: من اعتقاد الرحمة بهما، والحنوّ عليهما، أو من جعل ظاهر برِّهما رياء، أو من غير ذلك من العقوق.

* وعن سعيد بن جبير (ت ٩٥هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ ﴾ قال معنى ذلك: أن تكون النية صادقة ببرهما.. اهـ[4].

* ﴿ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُورًا ﴾: هذا وعد من الله ـ تعالى ـ بالغفران للأوّابين مع شرط التقوى والصلاح.

(١، ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٣١٠).

(٣، ٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٣١١).

* وللمفسرين فى بيان المراد «بالأوّابين» أقوال، أذكر أصحها فيما يلى:

أولا: قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) الأوَّاب: هو الذى إذا ذكر خطاياه استغفر منها.. اهـ[١].

ثانيًا: قال الضحاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ) الأوّابون: هم الرجَّاعون من الذنب إلى التوبة، ومن السيئات إلى الحسنات.. اهـ[٢].

ثالثًا: قال سعيد بن جبير (ت ٩٥هـ) الأوابون: هم الرجَّاعون إلى الخير.. اهـ[٣].

﴿ وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا (٢٦) ﴾

❀ معانى المفردات:

* عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ ﴾ الآية، قال: هو أن تصل ذا القرابة، وتطعم المسكين، وتحسن إلى ابن السبيل.. اهـ[٤].

* وأخرج البيهقى فى شعب الإيمان، عن ابن مسعود (ت ٣٢هـ ـ رضى الله عنه) أن أعرابيًا قال: يا رسول الله، إنِّى رجل موسر، وإنّ لى أمّا وأبًا، وأختًا وأخًا، وعمّا وعمَّة، وخالا وخالة، فأيهما أولى بصلتى؟ قال رسول الله ﷺ: «أمّك، وأباك، وأختك، وأخاك، وأدناك أدناك» اهـ[٥].

* وأخرج البيهقى، وابن عدىّ، وابن لال فى مكارم الأخلاق، وابن عساكر، عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما): أنّ رسول الله ﷺ قال: «إنّ أهل البيت إذا تواصلوا أجرى الله عليهم الرزق، وكانوا فى كنف الرحمن ـ عزّ وجل ـ» اهـ[٦].

* ﴿ وَلا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴾، أى: لا تسرف فى الإنفاق فى غير حقّ.

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (١٠/ ١٦١).

(٢، ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٣١١).

(٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٣١٨).

(٥) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٣١٩).

(٦) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٣٢٠).

* قال الإمام محمد بن إدريس الشافعي (ت ٢٠٤هـ ـ رحمه الله تعالى) التبذير: إنفاق المال في غير حقّه، ولا تبذير في عمل الخير.. اهـ[١].

﴿ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا (٢٧) ﴾

❀ معاني المفردات:

* ﴿ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ ﴾:

* عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ ﴾ قال: هم الذين ينفقون المال في غير حقّه.. اهـ[٢].

* ﴿ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ ﴾: المعنى: إنّ المبذرين وهم المنفقون أموالهم في معاصي الله، وفي غير طاعة الله هم أولياء الشياطين.

والعرب يقولون لكل ملازم عمل قوم، وتابع أثرهم: هو أخوهم. والإخوان جمع «أخ» من غير النّسب، ومنه قوله ـ تعالى ـ: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات: ١٠].

* ﴿ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴾:

✵ **المعنى:** كان الشيطان ولا زال لنعم ربه التي أنعم بها عليه جحوداً لا يشكره عليها. ولكنه يكفرها بترك طاعة الله، وركوبه معاصيه.

فكذلك المبذرون أموالهم في المعاصي، لا يشكرون الله على نعمه عليهم، ولكنهم يخالفون أوامره، وينفقون أموالهم في غير ما أمرهم الله.

* وعن عبد الرحمن بن زيد (ت حوالي ١٧٠هـ) في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ ﴾ قال: هم المنفقون أموالهم في معاصي الله.

* ﴿ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴾.. اهـ[٣].

﴿ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلاً مَّيْسُورًا (٢٨) ﴾

---

(١) انظر: تفسير القرطبي (١٠/ ١٦١).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٤/ ٣٢٠).

(٣) انظر: تفسير الطبري (٨/ ٦٩).

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ﴾: الضمير فى «عنهم» عائد على من تقدم ذكرهم من الآباء، والقرابة، والمساكين، وأبناء السبيل، فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ﴾ [رقم: ٢٦].

* ﴿ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا ﴾: هذا مفعول لأجله.

* وقال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) ومجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) والضّحاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ) معنى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا ﴾، أي: انتظار رزق الله.. اهـ[1].

* وعن الحسن البصرى (ت ١١٠هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ فَقُل لَّهُمْ قَوْلاً مَّيْسُوراً ﴾ أي: قل لهم قولا لينًا سهلا.. اهـ[2].

* وقال السدّى إسماعيل بن عبد الرحمن (ت ١٢٧هـ) معنى ذلك: قل لهم: نعم وكرامة، ليس عندنا اليوم شىء، فإن يأتينا شىء سنعرف حقكم.. اهـ[3].

* وحينئذ يكون معنى الآية: إن أعرضت يا نبىّ الله عن إعطاء هؤلاء المحتاجين لعدم السعة فقل لهم قولا حسنًا، وردّهم ردّا جميلا.

﴿ وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَّحْسُوراً (٢٩) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ ﴾: هذا مجاز عُبِّر به عن البخيل الذى لا يقدر من طبعه الذى جُبِلَ عليه على إخراج شىء من ماله ابتغاء مرضاة الله ـ تعالى ـ للفقراء والمساكين، فَضُرِب له مَثَلُ الغُلِّ الذى يمنع صاحبه من التصرف باليد.

* ﴿ وَلا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ ﴾: ضَرَبَ بسْط اليد مثلا لذهاب المال: فإن قبض الكفّ يحبس ما فيها، وبسطها يذهب ما فيها.

(١ : ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٣٢١).

* والآية خطاب للنبى ﷺ والمراد أمته. وهذا الأسلوب جاء فى القرآن الكريم فى مواضع كثيرة.

ولعلّ الحكمة من ذلك: أن النبىّ ﷺ لما كان هو القدوة والأسوة الحسنة خاطبه الله ـ تعالى ـ نيابة عن أمّته، على عادة العرب، فهو أسلوب معروف عندهم.

* ﴿ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾: قال ابن عرفة: يقول الله ـ تعالى ـ: لا تسرف، ولا تتلف مالك فتبقى محسوراً: منقطعًا عن النفقة والتصرف، كما يكون البعير الحسير: وهو الذى ذهبت قوته فلا انبعاث به، ومنه قوله ـ تعالى ـ: ﴿ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ۝٤ ﴾ [المُلك: ٤]، أى: وهو كليل منقطع.

* أخرج ابن أبى شيبة، وأحمد، والبيهقى، عن ابن مسعود (ت ٣٢هـ ـ رضى الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «ما عال من اقتصد» اهـ[1].

* ومن الحِكَم الواردة فى الاقتصاد وحسن التدبير ما يلى:

* أخرج البيهقى عن عبد الله بن شبيب ـ رضى الله عنه ـ قال: يُقال: حُسْن التدبير مع العفاف، خير من الغِنَى مع الإسراف.. اهـ[2].

* وأخرج الديلمى، عن أنس بن مالك (ت ٩٣هـ ـ رضى الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «التدبير نصف المعيشة، والتودّد نصف العقل، والهَمّ نصف الهرم» اهـ[3].

* وأخرج البيهقى، عن مطرّف ـ رضى الله عنه ـ قال: خير الأمور أوسطها.. اهـ[4].

﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ۝٣٠ وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا ۝٣١ ﴾

❀ معانى المفردات:

* عن الحسن البصرى (ت ١١٠هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ﴾ قال: ينظر الله له: فإن كان الغِنَى خيراً له أغناه، وإن كان الفقر خيراً له أفقره.. اهـ[5].

(١ : ٥) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٣٢٣).

* ويشهد لصحة هذا المعنى قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الأَرْضِ وَلَكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ (٢٧)﴾ [الشورى: ٢٧].

* وعن ابن عباس (٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) وقتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ﴾ قالا: معنى ذلك مخافة الفقر والفاقة.. اهـ[١].

* وكان أهل الجاهلية يقتلون البنات مخافة الفقر والفاقة، فلما جاء الإسلام حرّم ذلك تحريمًا أبديًا ونهى عن ذلك وبيّن أنه هو الرزاق فقال: ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾ ثم بين حكم قتل الأولاد فقال: ﴿إن قتلهم كان خطئًا كبيرًا﴾: أى: إثمًا كبيرًا، ومن هذا يفهم أن قتل الأولاد من الكبائر.

* أخرج أحمد، وابن منيع، عن جابر بن عبد الله (ت ٧٨هـ ـ رضى الله عنهما) قال: قال رسول الله ﷺ: «من كنّ له ثلاث بنات يموّنهنّ، ويرحمهنّ، ويكفلهنّ، وجبت له الجنة» قيل: يا رسول الله، فإن كنّ اثنتين؟ قال: «وإن كنّ اثنتين» اهـ[٢].

* وأخرج أحمد، والترمذى، عن أبى سعيد الخدرىّ ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يكون لأحد ثلاث بنات، أو ثلاث أخوات، أو بنتان، أو أختان، فيتقى الله فيهنّ ويحسن إليهنّ إلا دخل الجنّة» اهـ[٣].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا﴾ [رقم: ٣١].

قرأ ابن كثير: ﴿خِطَاء﴾ بكسر الخاء، والمدّ، على أنه مصدر «خاطأ يخاطئ خطاء» مثل: «قاتل يقاتل قتالا».

وقرأ ابن ذكوان، وأبو جعفر، وهشام بخُلْف عنه: ﴿خَطَأً﴾ بفتح الخاء والطاء من غير مدّ، على أنه مصدر «خَطِئ خَطَأً فهو خاطئ».

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٣٢٣).

(٢، ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٣٢٤).

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿خطأ﴾ بكسر الخاء، وسكون الطاء، وهو الوجه الثانى لهشام على أنه مصدر «خَطِئَ خِطأ» مثل: أَثِمَ إثْما»[١].

﴿وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا (٣٢)﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ﴾، أى: لا تدنوا من الزنى. وهذا الأسلوب أبلغ من أن يُقال: لا تزنوا.

* وعن السدّى إسماعيل بن عبد الرحمن (ت ١٢٧هـ) فى قوله - تعالى -: ﴿وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ﴾ قال: يوم نزلت هذه الآية لم تكن حدود، فجاءت بعد ذلك الحدود فى سورة النور.. اهـ[٢].

* أقول وذلك قوله - تعالى -: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢)﴾ [النور: ٢].

* وأخرج الحكيم الترمذى، عن أبى هريرة (ت ٥٩هـ - رضى الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، ولا يقتل وهو مؤمن، فإذا فعل ذلك نُزِع منه نور الإيمان، كما يُنزَع منه قميصه، فإذا تاب تاب الله عليه» اهـ[٣].

* وأخرج أحمد، ومسلم، والنسائى عن أبى هريرة (ت ٥٩هـ - رضى الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة لا يكلّمهم الله يوم القيامة، ولا يزكّيهم، ولا ينظر إليهم، ولهم عذاب أليم: شيخ زان، ومَلِكٌ كذّاب، وعائل مستكبر» اهـ[٤].

﴿وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا (٣٣)﴾

---

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات (٢/ ٣٤٢ - ٣٤٣).

(٢، ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٣٢٤).

(٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٣٢٦).

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ﴾: أي: بغير سبب يوجب القتل.

* وعن الضحاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ﴾ الآية: قال: كان هذا بمكة والنبيّ ﷺ بها. وهو أوّل شيء نزل من القرآن فى شأن القتل.. اهـ(١).

* ﴿ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ ﴾، أي: لمستحقٍّ دمه.

* ﴿ سُلْطَانًا ﴾: ورد فى بيان المراد بالسلطان أقوال، سأذكر أصحها وأرجحها فيما يلى:

أولا: قال أبو بكر محمد بن وهب (ت ٢٧٠هـ): قال الإمام مالك بن أنس (ت ١٧٩هـ ـ رحمه الله تعالى): «السلطان»: أمر الله ـ تعالى ـ.. اهـ(٢).

ثانيًا: قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما): «السلطان»: الحجة.. اهـ(٣).

ثالثًا: قال ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ فى رواية ثانية. والإمام محمد بن إدريس الشافعى (ت ٢٠٤هـ ـ رحمه الله تعالى) والضحّاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ): قالوا: «السلطان»: هو التَّسليط، إن شاء قتل، وإن شاء عفا، وإن شاء أخذ الدِّية.. اهـ(٤).

* ﴿ فَلا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ ﴾: ورد فى تفسير ذلك ثلاثة أقوال وهى:

القول الأول: لا يقتل غير قاتله، قاله:

١ ـ سعيد بن جبير (ت ٩٥هـ).

٢ ـ ومجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ).

٣ ـ والضحّاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ).

٤ ـ والحسن البصرى (ت ١١٠هـ)(٥).

القول الثانى: لا يقتل غير قاتله، ولا يمثّل به، قاله: طلق بن حبيب(٦).

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٣٢٦).

(٢ : ٥) انظر: تفسير القرطبى (١٠/ ١٦٦).

(٦) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٣٢٧).

القول الثالث: لا يقتل بدل وليّه اثنين كما كانت العرب تفعله. قاله ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما)[١].

* وعن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا﴾ قال: ينصره السلطان حتى ينصفه من ظالمه، ومن انتصر لنفسه دون السلطان فهو عاص قد عمل بحميّة أهل الجاهلية، ولم يرض بحكم الله[٢].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿فَلا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ﴾ [رقم: ٣٣].

قرأ حمزة، والكسائى، وخلف البزّار: ﴿فلا تسرف﴾ بتاء الخطاب، وذلك على الالتفات من الغيبة إلى الخطاب، والمخاطب هو الولىّ، والمعنى: لا تقتل أيها الولىّ غير قاتل وليّك.

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿فلا يسرف﴾ بياء الغيبة، لموافقة الأسلوب السابق فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا﴾ وضمير الغائب عائد على «الولىّ» والإسراف المنهىّ عنه هو التعدّى فى القصاص: كأن يقتل غير القاتل، أو يقتل بالواحد جماعة[٣].

﴿وَلا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً (٣٤)﴾

معانى المفردات:

* عن قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَلا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ قال: لما نزلت هذه الآية اشتدّ ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ فكانوا لا يخالطونهم فى طعام أو أكل ولا غيره، فأنزل الله ـ تعالى ـ: ﴿وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ﴾ [البقرة: ٢٢٠] فكانت هذه لهم فيها رخصة.. اهـ[٤].

(١، ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٣٢٧).

(٣) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ٣٤٣ ـ ٣٤٤).

(٤) انظر: تفسير الطبرى (٨/ ٧٨).

* ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾، أى: حتَّى يبلغ اليتيم وقت اشتداده فى العقل، وتدبير ماله، وصلاح حاله فى دينه.

* ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ﴾: المعنى: أوفوا بالعقد الذى تتعاقدون مع الناس عليه فى الصلح بين المحاربين وبينكم، وفى البيوع، والإجارات، وغير ذلك من سائر العقود الشرعية المباحة.

* ﴿إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً﴾: أى: إن الله ـ سبحانه وتعالى ـ يوم القيامة سيحاسب الذين ينقضون العهود، ويعاقبهم على ذلك.

﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً (٣٥)﴾

❀ معانى المفردات:

* عن سعيد بن جبير (ت ٩٥هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ﴾، قال: أى لغيركم.. اهـ[١].

* ﴿وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ﴾: ورد فى بيان المراد من ذلك أقوال، سأذكر أصحها فيما يلى:

أولا: قال مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ)، وقتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ): المراد بذلك: العَدْل.. اهـ[٢].

ثانيًا: وقال سعيد بن جبير (ت ٩٥هـ): المراد بذلك: الميزان ـ صغيرًا كان أو كبيرًا.. اهـ[٣].

* ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ﴾، أى: وفاء الكيل وإتمام الوزن خير عند الله ـ تعالى ـ.

* ﴿وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾، أى: عاقبة.

* قال الحسن البصرى (ت ١١٠هـ): ذُكر لنا أن رسول الله ﷺ قال: «لا يقدر رجل على حرام ثم يدعُه ليس لديه إلا مخافة الله ـ تعالى ـ إلا بدله الله فى عاجل الدنيا قبل الآخرة ما هو خير له من ذلك» اهـ[٤].

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٣٢٨).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٣٢٨ ـ ٣٢٩). (٣، ٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٣٢٨).

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ﴾ [الإسراء: ٣٥، والشعراء: ١٨٢].

قرأ حفص، وحمزة، والكسائى، وخلف البزّار: ﴿ بالقِسطاس ﴾ فى الموضعين بكسر القاف.

وقرأ الباقون من القراء العشرة بضم القاف، وهما لهجتان: فالضمّ لهجة أهل الحجاز والكسر لهجة غيرهم(١).

﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولًا (٣٦) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ﴾: للمفسرين فى تأويل ذلك أقوال، أذكر أصحها فيما يلى:

أولا: قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) ومجاهد بن جبر المفسّر (ت ١٠٤هـ): أى: لا تذُمّ أحدًا بما ليس لك به علم.. اهـ(٢).

ثانيًا: قال قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) أى: لا تقل رأيتُ وأنت لم تر، وسمعتُ وأنت لم تسمع، وعلمتُ وأنت لم تعلم.. اهـ(٣).

ثالثًا: قال محمد ابن الحنفيّة: هو شهادة الزور.. اهـ(٤).

* وأصل «القَفْو»: البُهْت والقذف بالباطل. يقال: قفوتُه أقفوه: إذا اتّبعت أثره.

* ﴿ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولًا ﴾: قال عمرو بن قيس معنى ذلك: يقال للأذن يوم القيامة هل سمعت؟ ويقال للعين: هل رأيت؟ ويقال للفؤاد: مثل ذلك.. اهـ(٥).

* أخرج الحاكم وصححه عن أبى ذرّ ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «أيما رجل أشاع على رجل مسلم بكلمة وهو منها برىء، كان حقّا على الله أن يذيبه يوم القيامة فى النار، حتّى يأتى بنفاذ ما قال» اهـ(٦).

---

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ٣٤٤).

(٢ : ٤) انظر:تفسير القرطبى (١٠/ ١٦٧). (٥، ٦) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٣٢٩).

﴿ وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً (٣٧) كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا (٣٨) ﴾

❀ معاني المفردات:

* ﴿ وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا ﴾: هذا نهى عن الْخُيلاء، والتكبّر. والمرح: شدّة الفرح، وقيل: التكبّر فى المشى.

* عن قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) فى الآية الكريمة قال: لا تمش فخرًا وكبْرًا، فإن ذلك لا يبلغ بك الجبال، ولا أن تخرق الأرض بفخرك وكبرك.. اهـ(١).

* ﴿ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الأَرْضَ ﴾، أي: بكبرك ومشيك عليها. والمراد بخرق الأرض هنا: نَقْبها، لا قطعها بالمسافة.

* ﴿ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً ﴾، أي: بعظمتك لن تبلغ هذا المبلغ، بل أنت عبد ذليل، فلا يليق بك التكبّر.

* ﴿ كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴾: ﴿ كُلُّ ذَلِكَ ﴾ إشارة إلى كلّ ما تقدم ذكره مما نهى الله عنه.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ كَانَ سَيِّئُهُ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴾ [رقم: ٣٨].

قرأ ابن عامر، وعاصم، وحمزة، والكسائى، وخلف البزّار: ﴿ سيئُه ﴾ بضم الهمزة، وبعدها هاء مضمومة، اسم «كان» و«مكروهًا» خبرها، والمعنى: كل ما ذكر مما أمرتم به، أو نهيتم عنه من قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه ﴾ إلى هنا كان سيئه وهو ما نهيتم عنه مكروهًا.

وقرأ الباقون: ﴿ سيّئَةً ﴾ بفتح الهمزة، وبعدها تاء تأنيث منصوبة منوّنة، على التوحيد، خبر «كان» وأنّث حَمْلا على معنى «كل» واسمها ضمير يعود على «كل».

---

(١) انظر: تفسيرالدر المنثور للسيوطى (٤/ ٣٣٠).

واسم الإشارة «ذلك» عائد على ما ذكر من النواهى السابقة، وقال «مكروهًا» ولم يقل «مكروهة» لأنه عائد على لفظ «كل»[١].

﴿ ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا (٣٩) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ ذَلِكَ ﴾، أى: هذا الذى بينه الله ـ تعالى ـ لنبيه وحبيبه، وصفوته من خلقه نبينا محمد ﷺ من الأخلاق الفاضلة التى أمره بها، كل ذلك هو ما ذكره الله بقوله:

* ﴿ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ ﴾: التى أوحاها الله إليه فى القرآن الكريم، وهذا ما ذكره عبد الرحمن بن زيد (ت حوالى ١٧٠هـ) إذْ قال فى تفسير قوله ـ تعالى ـ: ﴿ ذلك مما أوحى إليك ربك من الحكمة ﴾ قال: القرآن الكريم.. اهـ[٢].

* ﴿ وَلا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴾:

* عن قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴾ قال: ملومًا فى عبادة الله، مدحورًا: فى النار.. اهـ[٣].

﴿ أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلاً عَظِيمًا (٤٠) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ ﴾:

✵ **المعنى:** يقول الله ـ عزّ وجلّ ـ لمشركى العرب الذين قالوا: الملائكة بنات الله، يقول لهؤلاء الكفرة: أفخصكم ربكم بالبنين دونه، وجعل البنات مشركة بينكم وبينه؟

* ﴿ إِنَّكُمْ ﴾ أيها الكفار بقولكم هذا.

* ﴿ لَتَقُولُونَ قَوْلاً عَظِيمًا ﴾: أى: فى الإثم عن الله الواحد الأحد الذى لم يلد ولم يولد، ولم يتخذ صاحبة ولا ولدا، تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا.

---

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ٢٤٥).

(٢) انظر: تفسير الطبرى (٨/ ٨٢).

(٣) انظر: تفسير الطبرى (٨/ ٨٣).

﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلاَّ نُفُورًا (٤١) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا ﴾، أى: بيّنا ووضّحنا.

* ﴿ فِي هَذَا الْقُرْآنِ ﴾: ﴿ فِي ﴾ زائدة لتأكيد المعنى، والتقدير: ولقد وضّحنا وبيّنا هذا القرآن، وزيادة «فى» هنا مثل زيادتها فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي ﴾ [الأحقاف: ١٥]، أىْ: أصلح لى ذرِّيتى.

والتصريف: صرف الشىء من جهة إلى أخرى. والمراد بهذا التصريف: البيان والتكرير. وقيل: المغايرة، أى: غايرنا بين المواعظ ليعتبروا ويتعظوا.

* قال الثّعلبى: سمعتُ أبا القاسم الحسين يقول فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ ﴾، قال له معنيان:

أحدهما: لم يجعله نوعًا واحدًا، بَلْ وعدًا ووعيدًا، ومحكمًا ومتشابهًا، ونهْيًا وأمرًا، وناسخًا ومنسوخًا، وأخبارًا وأمثالا، مثل تصريف الرياح: من صَبًا ودَبُورا، وجنوبا وشمالا، ومثل تصريف الأفعال: من الماضى والمستقبل، والأمر والنهى، والفعل والفاعل والمفعول ونحوها.

والثانى: أنه لم ينزل مرّة واحدة بَلْ نُجُومًا، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلاً (١٠٦) ﴾ [الإسراء: ١٠٦]، ومعناه: أكثرنا صرف «جبريل» ـ عليه السلام ـ إليكَ يا رسول الله.. اهـ[1].

* ﴿ لِيَذَّكَّرُوا ﴾، أى: ليتذكروا، ويتعظوا.

وأصل الفعل «ليتذكروا» فأبدلت التاء ذالا وأدغمت فى الذال.

* ﴿ وَمَا يَزِيدُهُمْ ﴾، أى: القرآن، وما أنزلنا فيه من التصريف والتذكير.

* ﴿ إِلاَّ نُفُورًا ﴾، أى: تباعدًا عن الحقّ، وغفلة عن النظر والاعتبار، وذلك لأنهم كفروا به، وبما أنزل عليه وهو نبينا «محمد» ﷺ، قال الله ـ تعالى ـ:

(١) انظر: تفسير القرطبى (١٠/ ١٧٢).

﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ ﴿٢٣﴾ أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴿٢٤﴾ ﴾ [محمد: ٢٣ ـ ٢٤].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ لِيَذَّكَّرُوا ﴾ من قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا ﴾ [الإسراء: ٤١].

* ومن قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا ﴾ [الفرقان: ٥٠].

قرأ حمزة، والكسائي، وخلف البزّار: ﴿ ليذكروا ﴾ في الموضعين بسكون الذال، وضمّ الكاف مخفّفة، مضارع «ذكر يذكر» الثلاثي، من الذكر ضدّ النسيان.

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ ليذّكّروا ﴾ بتشديد الذال، والكاف حالة كونهما مفتوحتين، مضارع «تذكّر يتذكّر» مضعف العين، وأصله «ليتذكروا» فأبدلت التاء، ذالا، وأدغمت في الذال.

والتذكر معناه: التيقظ، والمبالغة في الانتباه من الغفلة، ومنه قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ [القصص: ٥١](١).

﴿ قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّابْتَغَوْا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلاً ﴿٤٢﴾ ﴾

معاني المفردات:

* ﴿ قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ ﴾: هذا ردّ على عبّاد الأصنام. أي: قل لهم يا نبيّ الله هذا: لو كان مع الله آلهة كما يقول هؤلاء الكفار.

* ﴿ إِذًا لَّابْتَغَوْا ﴾، أي: الآلهة التي يدّعونها.

* ﴿ إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلاً ﴾: للمفسرين في معنى ذلك أقوال وهي:

١ ـ قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضي الله عنهما) معنى ذلك: إذًا لطلبوا مع الله ـ تعالى ـ منازعة وقتالا كما تفعل ملوك الدنيا بعضهم مع بعض.. اهـ(٢).

---

(١) انظر: المغني في توجيه القراءات العشر (٢/ ٣٤٦ ـ ٣٤٧).

(٢) انظر: تفسير القرطبي (١٠/ ١٧٢).

قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ (٩١) عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٩٢) ﴾ [المؤمنون: ٩١ ـ ٩٢].

٢ ـ وقال سعيد بن جبير (ت ٩٥هـ) معنى ذلك: إذًا لطلبوا طريقًا إلى الوصول إلى الله ـ عزّ وجلّ ـ ليزيلوا ملكه لأنهم شركاؤه.. اهـ(١).

٣ ـ وقال قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) معنى ذلك: إذًا لابتغت الآلهة القربى إلى ذي العرش سبيلا، والتمست الزلفة عنده لأنهم دونه، والكفار اعتقدوا أن الأصنام تقربهم إلى الله زلفى، فإذا اعتقدوا في الأصنام أنها محتاجة إلى الله فقد بطل أنها آلهة.. اهـ(٢).

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ ﴾ [رقم: ٤٢].

قرأ ابن كثير، وحفص: ﴿ كما يقولون ﴾ بياء الغيبة، مناسبة لـلفظ الغيبةالمتقدّم في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلاَّ نُفُورًا ﴾ [رقم: ٤١].

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ كما تقولون ﴾ بتاءالخطاب، حَمْلا على الخطاب الذي سيقوله الرسول ﷺ لهم. على معنى: قل لهم يا «محمد»: (لو كان مع الله آلهة) كما تقولون أيها الكفار، ﴿ إِذًا لَّابْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلاً * سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴾(٣).

﴿ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا (٤٣) ﴾

✵ **المعنى:** نزّه الله ـ سبحانه وتعالى ـ نفسه، وقدّسها، ومجّدها، عمّا لا يليق به ـ عزّ وجلّ ـ، والتَّسْبيح معناه: التنزيه.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ ﴾ [رقم: ٤٣].

(١، ٢) انظر: تفسير القرطبي (١٠/ ١٧٢). (٣) انظر: المغني في توجيه القراءات العشر (٢/ ٣٤٧).

قرأ حمزة، والكسائى، وخلف البزّار، ورويْس بخُلْف عنه: ﴿ عمّا تقولون ﴾ بتاء الخطاب، رعاية لحكاية ما يقوله الرسول ﷺ لهم، على معنى قل لهم يا «محمد»: هذا.

وقرأ الباقون: ﴿ عما يقولون ﴾ بياء الغيبة، وهو الوجه الثانى لرويْس مناسبة للفظ الغيبة المتقدم فى قوله: ﴿ وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلاَّ نُفُورًا ﴾[1].

﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ ومن فيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا (٤٤) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ﴾: أعاد الله على السموات والأرض ضمير من يعقل وهو ﴿ وَمَن فِيهِنَّ ﴾ لما أسند إليها فعل العاقل وهو التسبيح.

* أخرج ابن أبى حاتم، عن لوط بن أبى لوط قال: بلغنى أن تسبيح السماء الدنيا: سبحان ربنا الأعلى. والثانية: سبحانه وتعالى، والثالثة: سبحانه وبحمده. والرابعة: سبحانه لا حول ولا قوة إلا به. والخامسة: سبحان محيى الموتى وهو على كل شىء قدير. والسادسة: سبحان الملك القدّوس. والسابعة: سبحان الذى ملأ السموات السبع، والأرضين السبع عِزَّة ووقارًا.. اهـ[2].

* ﴿ وَمَن فِيهِنَّ ﴾، المراد: الملائكة، والإنس، والجنّ.

* أخرج ابن مردويه، عن أنس بن مالك (ت ٩٣هـ ـ رضى الله عنه) أنّ رسول الله ﷺ قال وهو جالس مع أصحابه إذْ سمع هزَّة فقال: «أطّت السماء وحق لها أن تئط» قالوا: وما الأطيط؟ قال: «تناقضت السماء ويحق لها أن تنقض، والذى نفس محمد بيده ما فيها موضع شبرًا إلا فيه جبهة مَلَك ساجد يُسبّح الله بحمده»[3].

* وأخرج أحمد، وابن مردويه، عن ابن عمر بن الخطاب (ت ٧٣هـ ـ رضى الله عنهما): أنّ النبى ﷺ قال: «إنّ «نوحًا» ـ عليه السلام ـ لمّا حضرته الوفاة قال لابنيه: آمركما بسبحان الله وبحمده، فإنها صلاة كل شىء، وبها يُرْزق كلّ شىء» اهـ[4].

---

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ٣٤٨).

(٢، ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٣٣١).

(٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٣٣٢).

* ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾:

* أخرج ابن مردويه، عن عمرو بن عنبسة - رضى الله عنه - عن رسول الله ﷺ قال: «ما تستقلّ الشمس فيبقى شىء من خلق الله - تعالى - إلا سبّح بحمده، إلا ما كان من الشيطان، وأغنياء بنى آدم» اهـ(١).

* وأخرج النسائى، وابن مردويه، عن ابن مسعود (ت ٣٢هـ - رضى الله عنه) قال: كنّا أصحاب رسول الله ﷺ نعدّ الآيات بَرَكة، وأنتم تعدّونها تخويفًا، بينما نحن مع رسول الله ﷺ ليس معنا ماء، فقال لنا: «اطلبوا من معه فضل الماء» فأتى بماء فوضعه فى إناء ثم وضع يده فيه، فجعل الماء يخرج من بين أصابعه، ثم قال: «حيّ على الطهور المبارك والبركة من الله» فشربنا منه، قال ابن مسعود: كنا نسمع صوت الماء وتسبيحه وهو يشرب.. اهـ(٢).

* وعن ابن مسعود - رضى الله عنه - قال: كنا نأكل مع النبى ﷺ فنسمع تسبيح الطعام وهو يأكل.. اهـ(٣).

* وعن الحسن البصرى (ت ١١٠هـ) فى قوله - تعالى -: ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ﴾، قال: كل شىء فيه الروح يسبّح.. اهـ(٤).

* وعن قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) فى قوله - تعالى -: ﴿ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ قال: حليمًا على خلقه، فلا يعجل عليهم كعجلة بعضهم على بعض، غفورًا لهم إذا تابوا إليه(٥).

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ ﴾ [رقم: ٤٤].

قرأ نافع، وابن كثير، وابن عامر، وشعبة، وأبو جعفر، ورويْس بخُلْف عنه: ﴿ يسبح ﴾ بياء التذكير، لأن تأنيث الفاعل وهو «السموات» غير حقيقى.

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ تسبح ﴾ بتاء التأنيث، وهو الوجه الثانى لرويْس لتأنيث لفظ الفاعل(٦).

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٣٣٢).

(٢ : ٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٣٣٥).

(٥) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٣٣٦).

(٦) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ٣٤٩).

﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾ ﴾

✵ المعنى:

* عن قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) في الآية قال: الحجاب المستور: أكنّة على قلوبهم أن يفقهوه، وأن ينتفعوا به، أطاعوا الشيطان فاستحوذ عليهم.. اهـ[١].

* وأخرج أبو يعلى، وابن أبي حاتم وصححه، وابن مردويه، وأبو نعيم، والبيهقي معًا في الدلائل، عن أسماء بنت أبي بكر الصدّيق ـ رضي الله عنهما ـ قالت: لما نزلت: ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ ﴾ [المسد: ١] أقبلت (العوراء أمّ جميل) ولها ولولة وفي يدها (فِهْر) ورسول الله ﷺ جالس ـ في المسجد ـ وأبو بكر ـ رضي الله عنه ـ إلى جنبه، فقال أبو بكر: لقد أقبلت هذه وأنا أخاف أن تراك، فقال: «إنها لن تراني» وقرأ قرآنا اعتصم به، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴾ فجاءت حتى قامت على أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ فلم تر النبيّ ﷺ فقالت: يا أبا بكر بلغني أنّ صاحبك هجاني؟ فقال أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ: لا وربّ هذا البيت ما هجاك، فانصرفت وهي تقول: لقد علمت قريش أني بنتُ سيدها.. اهـ[٢].

* وفي رواية عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضي الله عنهما) مثل رواية أسماء بنت أبي بكر إلا أنه قال في نهاية روايته: فاندفعت وهي راجعة، فقال أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ: يا رسول الله ما رأتك؟ قال: «كان بيني وبينها مَلَكٌ يسترني بجناحه حتّى ذهبت»[٣].

﴿ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾ ﴾

❀ معاني المفردات:

* ﴿ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ ﴾:

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٤/ ٣٣٧).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٤/ ٣٣٦).

(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٤/ ٣٣٧).

* ﴿ أكنة ﴾ جمع «كنان» وهو ما ستر الشيء.

* ﴿ أَن يَفْقَهُوهُ ﴾، أي: لئلا يفهموا ما فيه من الأوامر والنواهي، والحكم والمعاني... إلخ.

* ﴿ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ﴾، أي: وجعلنا في آذانهم صممًا وثقلا لئلا يسمعوا القرآن. قال الله ـ تعالى ـ في وصف المنافقين: ﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَرْجِعُونَ (١٨) ﴾ [البقرة: ١٨].

* ﴿ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا ﴾:

* قال أبو الجوزاء أوس بن عبد الله: ليس شيء أطرد للشيطان من القلب من قول لا إله إلا الله.. اهـ(١).

و ﴿ نُفُورًا ﴾ جمع «نافر» مثل: شهود جمع شاهد، وهو منصوب على الحال.

* وعن عبد الرحمن بن زيد (ت حوالي ١٧٠هـ) في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلَّوْا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا ﴾ قال: بغضًا لما تتكلم به «يا نبيّ الله» لئلا يسمعوه، كما كان قوم «نوح» ـ عليه السلام ـ يجعلون أصابعهم في آذانهم، ويستغشون ثيابهم لئلا يسمعوا ما يأمرهم به(٢).

﴿ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰ إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ رَجُلاً مَّسْحُورًا (٤٧) ﴾

❀ معاني المفردات:

* ﴿ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ ﴾، أي: يستمعونه.

* ﴿ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ﴾:

* عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضي الله عنهما) في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ﴾ قال هم: عتبة، وشيبة ابنا ربيعة، والوليد بن المغيرة، والعاص بن وائل.. اهـ(٣).

---

(١) انظر: تفسير القرطبي (١٠/ ١٧٦).

(٢) انظر: تفسير الطبري (٨/ ٨٦ ـ ٨٧).

(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٤/ ٣٣٨).

* وقال قتادة بن دعامة (ت ١١٨ هـ): كانوا يستمعون من النبى ﷺ القرآن ثم ينفرون فيقولون: هو ساحر، ومسحور، كما أخبر الله به عنهم.. اهـ[١].

* وعن قتادة فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰ ﴾ قال: وكانت نجواهم قولهم: إنه مجنون، وإنه ساحر، وإنه يأتى بأساطير الأولين، وغير ذلك.. اهـ[٢].

* وقال الزجاج إبراهيم بن السَّرى (ت ٣١١هـ): «النّجوى»: اسم للمصدر، أى: وإذْ هم ذو نجوى.. اهـ[٣].

* ﴿ إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ ﴾، وهم أبو جهل، والوليد بن المغيرة وأمثالهما.

* ﴿ إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ رَجُلاً مَّسْحُوراً ﴾: قد خبّله السحر فاختلط عليه أمره.

* وأخرج ابن إسحاق، والبيهقى فى الدلائل، عن الزهرى محمد بن مسلم (ت ١٢٤ هـ) فى معنى الآية قال: حُدِّثتُ أنّ أبا جهل، وأبا سفيان، والأخنس بن شريق، خرجوا ليلة يستمعون من رسول الله ﷺ وهو يصلّى بالليل فى بيته: فأخذ كل رجل منهم مجلسًا يستمع فيه، وكلّ لا يعلم بمكان صاحبه، فباتوا يستمعون له حتى إذا طلع الفجر تفرّقوا، فجمعتهم الطريق فتلاوموا، فقال بعضهم لبعض: لا تعودوا، فلو رآكم بعض سفهائكم لأوقعتم فى نفسه شيئًا، ثم انصرفوا.

حتّى إذا كان الليلة الثانية، عاد كل رجل منهم إلى مجلسه فباتوا يستمعون له حتى طلع الفجر تفرّقوا، فجمعتهم الطريق فقال بعضهم لبعض: مثل ما قالوا أوّل مرّة، ثم انصرفوا.

حتّى إذا كانت الليلة الثالثة: أخذ كل رجل منهم مجلسه، فباتوا يستمعون له، حتّى إذا طلع الفجر تفرقوا، فجمعتهم الطريق، فقال بعضهم لبعض: لا نبرح حتى نتعاهد لا نعود، فتعاهدوا على ذلك ثم تفرقوا.

فلمّا أصبح الأخنس بن شريق أتى أبا سفيان فى بيته فقال: أخبرنى عن رأيك فيما سمعت من «محمد» ﷺ قال: والله لقد سمعتُ أشياء أعرفها، وأعرف ما يراد بها، وسمعتُ أشياء ما عرفتُ معناها ولا ما يراد بها.

(١، ٢) انظر: تفسير القرطبى (١٠/ ١٧٦).

(٣) انظر: تفسير القرطبى (١٠/ ١٧٧).

قال الأخنس: والذى حلفتَ به، ثم خرج من عنده حتى أتى أبا جهل فقال: ما رأيك فيما سمعت من «محمد»؟ قال: ماذا سمعتُ، تنازعنا نحن، وبنو عبد مناف فى الشرف: أطعموا فأطعمنا، وحملوا فحملنا، وأعطوا فأعطينا، حتى إذا تجاثينا على الرُّكب، وكنا كفرسَىْ رهان قالوا: منا نبىّ يأتيه الوحى من السماء، فمتى ندرك هذه، والله لا نؤمن به أبدًا، ولا نصدقه، فقام الأخنس وتركه.. اهـ(١).

﴿ انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً (٤٨) ﴾

❀ **معانى المفردات:**

* ﴿ انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الأَمْثَالَ فَضَلُّوا ﴾:

✳ **المعنى:** عجّب الله ـ تعالى ـ نبيّه وحبيبه نبينا «محمد» ﷺ من صنيع هؤلاء الكفار، يقولون تارة ساحر، وتارة مجنون، وتارة شاعر.

* ﴿ فَلا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً ﴾، أى: حيلة فى صدّ الناس عنك.

* وعن مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) فى معنى الآية قال: المراد بالواو فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ فَلا يَسْتَطِيعُونَ ﴾: الوليد بن المغيرة، وأصحابه الكفار، ومعنى ﴿ سَبِيلاً ﴾، أى: مخرجًا.. اهـ(٢).

﴿ وَقَالُوا أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا (٤٩) ﴾

❀ **معانى المفردات:**

* ﴿ وَقَالُوا أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا ﴾:

✳ **المعنى:** قالوا وهم يتناجون لما سمعوا القرآن، وسمعوا أمر البعث: لو لم يكن «محمد» مسحورًا لما قال هذا.

* وقد اختلف المفسرون فى معنى «رفاتا»:

١ ـ فقال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما): الرفات: الغبار.. اهـ(٣).

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٣٣٨). (٢) انظر: تفسير الطبرى (٨/ ٨٨).

(٣) انظر: تفسير القرطبى (١٠/ ١٧٧)، وتفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٣٣٩).

٢ - وقال مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ): الرفات: التراب.. اهـ[١].

٣- وقال أبو عبيدة معمر بن المثنّى (ت ٢١٠هـ) والكسائى على بن حمزة النحوى والقارئ (ت ١٨٠هـ) وأبو زكريا الفرّاء (ت ٢٠٧هـ) والأخفش الأوسط سعيد بن مسعدة (ت ٢١٥هـ): الرّفات: ما تكسّر وبلى من كل شىء كالفتات والحطام.. اهـ[٢].

﴿ قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ۝٥٠ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ۝٥١ ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴾:

✳ **المعنى:** قل لهم يا رسول الله كونوا حجارة، أو حديدًا فى الشدّة والقوّة، وهذا على جهة التعجيز.

* وللمفسرين فى تأويل ذلك أقوال سأذكر أصحها فيما يلى:

أولا: قال مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) معنى ذلك: كونوا ما شئتم فسيعيدكم الله كما كنتم.. اهـ[٣].

ثانيًا: قال أبو جعفر النحّاس (ت ٣٣٨هـ): هذا قول حسن، لأنهم لا يستطيعون أن يكونوا حجارة، وإنما المعنى: أنهم قد أقرّوا بخالقهم، وأنكروا البعث فقيل لهم: استشعروا أن تكونوا ما شئتم، فلو كنتم حجارة أو حديدًا لبُعثتم كما خُلقتم أول مرّة.. اهـ[٤].

ثالثًا: قال أبو جعفر الطبرى (ت ٣١٠هـ): إن عجبتم من إنشاء الله لكم عظامًا ولحمًا فكونوا أنتم حجارة، أو حديدًا إن قدرتم.. اهـ[٥].

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (١٠/ ١٧٧)، وتفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٣٣٩).

(٢) انظر: تفسير القرطبى (١٠/ ١٧٧).

(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٣٣٩).

(٤، ٥) انظر: تفسير القرطبى (١٠/ ١٧٨).

رابعًا: قال علىّ بن عيسى: معناه أنكم لو كنتم حجارة أو حديدًا، لم تفوتوا الله ـ عزّ وجلّ ـ إذا أرادكم، وقد خُرِّج مخرج الأمر، لأنه أبلغ فى الإلزام.. اهـ(١).

* ﴿أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ﴾:

للمفسرين فى بيان المراد بذلك أقوال، سأذكر أصحها فيما يلى:

أولا: قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) وابن عمر بن الخطاب (ت ٧٣هـ ـ رضى الله عنهما) وابن عمرو بن العاص (ت ٦٥هـ ـ رضى الله عنهما) وسعيد بن جبير (ت ٩٥هـ) ومجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) وعكرمة مولى ابن عباس (ت ١٠٥هـ) والضحّاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ)، قالوا: المراد بذلك: الموت، لأنه ليس شىء أكبر فى نفس ابن آدم من الموت.. اهـ(٢).

ثانيًا: قال قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) المراد بذلك: كونوا ما شئتم فإن الله يميتكم ثم يبعثكم.. اهـ(٣).

* ﴿فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾:

✵ **المعنى:** الذى خلقكم وأنشأكم أوّل مرّة وهو الله ـ تعالى ـ فإنه سيعيدكم مرّة ثانية يوم القيامة للحساب والجزاء.

* ﴿فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ﴾:

* عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) فى معنى ذلك قال: يحركون رءوسهم استهزاء برسول الله ﷺ(٤).

* يقال: نغض رأسُه ينغُض وينغِض نَغْضًا ونغوضًا: أى تحرك رأسه، والفعل حينئذ يكون لازمًا.

ويقال: أنغض رأسَه: أى حرّكه كالمتعجّب من الشىء، والفعل حينئذ يكون متعديًا بالهمزة.

* وعن مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ﴾ قال: أى البعث والإعادة.. اهـ(٥).

(١ : ٣) انظر: تفسير القرطبى (١٠/ ١٧٨). (٤، ٥) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٣٣٩).

* ﴿ قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴾، أى: قل لهم يا رسول الله: إن البعث والإعادة قريب، و﴿ عَسَى ﴾ هنا للوجوب.

ونظير ذلك فى الوجوب والقرب قوله ـ تعالى ـ: ﴿ يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا (٦٣) ﴾ [الأحزاب: ٦٣].

* وقوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ (١٧) ﴾ [الشورى: ١٧].

﴿ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا (٥٢) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ ﴾: الدعاء:النداء إلى المحشر بكلام تسمعه الخلائق، يدعوهم الله ـ تعالى ـ فيه بالخروج من قبورهم. وقيل: بالصيحة التى يسمعونها، فتكون داعية لهم إلى الاجتماع فى أرض القيامة.

قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ (٥٣) ﴾ [يس: ٥٣].

* وعن سعيد بن جبير (ت ٩٥هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ ﴾ قال: يخرجون من قبورهم وهم يقولون: سبحانك اللهم وبحمدك(١).

* وعن قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ قال: أى فى الدنيا، تحاقرت الأعمار فى أنفسهم، وقلّت حين عاينوا يوم القيامة.. اهـ(٢).

* وأخرج ابن مردويه عن أنس بن مالك (ت ٩٣هـ ـ رضى الله عنه): أنّ رسول الله ﷺ قال: «ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة عند الموت، ولا فى القبور، ولا فى الحشر، كأنى بأهل لا إله إلا الله قد خرجوا من قبورهم ينفضون رءوسهم من التراب يقولون الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن» اهـ(٣).

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٣٣٩).

(٢، ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى(٤/ ٣٤٠).

﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا (٥٣)﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾: للمفسرين فى بيان المراد من ذلك أقوال، سأذكر أصحها فيما يلى:

أولا: قال الحسن البصرى (ت ١١٠هـ) المراد من ذلك: هو أن يقول المؤمن للكافر إذا تشطط: هداك الله، يرحمك الله، يغفر الله لك.. اهـ[١].

ثانيًا: قال ابن سيرين محمد بن سيرين الأنصارى (ت ١١٠هـ) المراد بذلك أن يقولوا: لا إله إلا الله.. اهـ[٢].

ثالثًا: وقيل المعنى: وقل لعبادى المؤمنين إذا جادلوا الكفار فى التوحيد أن يقولوا الكلمة التى هى أحسن، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٠٨][٣].

* ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ﴾، أى: بالفساد، وإلقاء العداوة والإغواء.

* ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾، أى: شديد العداوة.

قال الله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ (٦)﴾ [فاطر: ٦].

﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلاً (٥٤)﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ﴾: للمفسرين فى بيان المراد من ذلك قولان وهما:

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (١٠/ ١٨٠).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٣٤٠).

(٣) انظر: تفسير القرطبى (١٠/ ١٨٠).

الأول: قال الكلبي محمد بن السائب (ت ١٤٦هـ): الخطاب هنا للمؤمنين، وحينئذ يكون المعنى: إن يشأ الله يرحمكم أيها المؤمنون فيحفظكم من كفار مكة، أو إن يشأ يعذبكم بتسليطهم عليكم.. اهـ[١].

والثاني: قال ابن جريج عبد الملك بن عبد العزيز (ت ١٥٠هـ): الخطاب هنا للمشركين، وحينئذ يكون المعنى: إن يشأ الله يوفقكم أيها المشركون للإسلام فيرحمكم، أو يميتكم على الشرك فيعذبكم.. اهـ[٢].

* ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلاً ﴾، الخطاب هنا لنبينا «محمد» ﷺ والضمير فى «عليهم» يجوز أن يكون عائدًا على المؤمنين، وحينئذ يكون المعنى: وما جعلناك عليهم حافظًا من كفّار مكّة. ويجوز أن يكون الضمير عائدًا على المشركين، وحينئذ يكون المعنى: وما وكلناك فى منعهم من الإيمان.

* وقال الكلبي المراد: وما جعلناك يا رسول الله كفيلا لهم تؤاخذ بهم[٣].

﴿ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا (٥٥) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾:

✱ **المعنى:** أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ خلق عباده وجعلهم مختلفين في صورهم، وأخلاقهم، وأحوالهم، وصدق الله إذْ قال: ﴿ أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (١٤) ﴾ [المُلك: ١٤].

* ﴿ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾:

* قال قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) فى تأويل ذلك: اتخذ الله إبراهيم خليلا، وكلّم الله موسى تكليمًا، وجعل عيسى كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فكان، وهو عبد الله ورسوله من كلمة الله، وآتى سليمان ملكًا عظيمًا لا ينبغى لأحد من بعده، وآتى داود زبورا، وغفر لنبينا «محمد» ﷺ ما تقدم من ذنبه وما تأخر.. اهـ[٤].

(١ : ٣) انظر: تفسير القرطبى (١٠/ ١٨٠).   (٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٣٤١).

* ﴿ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُوراً ﴾:

* أخرج أحمد فى الزهد، عن عبد الرحمن بن مردويه قال: فى زبور «داود» ثلاثة أحرف:

١ ـ طوبى لرجل لايسلك سبيل الخاطئين.

٢ ـ وطوبى لمن لم يأتمر بأمر الظالمين.

٣ ـ وطوبى لمن لم يجالس البطّالين.. اهـ(١).

* وأخرج أحمد عن مالك بن دينار (ت ١٢٧ هـ ـ رضى الله عنه) قال: مكتوب فى أوّل الزبور: «طوبى لمن لم يسلك سبيل الأئمة، ولم يجالس الخاطئين، ولم يفئ فى همّ المستهزئين، ولكن همّه سنة الله ـ عزّ وجلّ ـ، وإيّاها يتعلّم بالليل والنهار، مثله مثل شجرة تنبت على شطّ تؤتى ثمرتها فى حينها، ولا يتناثر من ورقها شىء، وكل عمله بأمرى، ليس ذلك مِثْلُ عمل المنافقين» اهـ(٢).

* وأخرج ابن أبى شيبة، عن مالك بن مغول قال: فى زبور «داود» مكتوب: «إنى أنا الله لا إله إلا أنا ملك الملوك، قلوب الملوك بيدى، فأيما قوم كانوا على طاعة، جعلتُ الملوكَ عليهم رحمة، وأيما قوم كانوا على معصية، جعلتُ الملوكَ عليهم نقمة، لا تشغلوا أنفسكم بسبب الملوك، ولا تثوبوا إليهم، ثوبوا إلىّ أعطّف قلوبهم عليكم» اهـ(٣).

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُوراً ﴾ [رقم: ٥٥].

قرأ حمزة، وخلف البزّار: ﴿ زُبورا ﴾ بضم الزاى، والباقون بفتحها، وهما لهجتان فصيحتان(٤).

﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلا تَحْوِيلاً (٥٦) أُوْلَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا (٥٧) ﴾

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٣٤١).

(٢، ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٣٤٢).

(٤) انظر: المهذب فى القراءات العشر وتوجيهها (١/ ٣٨٦).

معانى المفردات:

* عن الحسن البصرى (ت ١١٠هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ ﴾، قال المراد: الملائكة، وعيسى، وعزيرا، الذين كانوا يعبدونهم من دون الله ـ تعالى ـ، فإنها لن تنفعهم ولن تضرهم كما قال ـ تعالى ـ فى تتمة الآية(١):

* ﴿ فَلا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ ﴾، أى: القحط أو غيره.

* ﴿ وَلا تَحْوِيلاً ﴾، أى: هذه الآلهة التى تعبدونها من دون الله لا تملك تحويل حالتكم من الفقر إلى الغنى، أو من السّقم إلى الصحة، أو من الشرّ إلى الخير، لأنها لا تنفع ولا تضرّ، بل لا تغنى عن نفسها شيئًا.

* وعن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ ﴾ قال: هم: عيسى، وعزير، والشمس، والقمر ـ كان المشركون يعبدونهم من دون الله ـ(٢).

* وفى رواية عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال: كان أهل الشرك يعبدون: الملائكة، والمسيح، وعزيراً، من دون الله ـ تعالى ـ.. اهـ(٣).

* وعن عبد الله بن مسعود (ت ٣٢هـ ـ رضى الله عنه) قال: كان نفر من العرب يعبدون نفرًا من الجنّ، فأسلم الجنّيون والنفر من العرب لا يشعرون بذلك، فأنزل الله ـ تعالى ـ: ﴿ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ ﴾.. اهـ(٤).

* ﴿ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ ﴾: مبتدأ وخبر.

المعنى: المشركون يبتغون بمعبوديهم أيهم أقرب وسيلة إلى الله ـ تعالى ـ، ولكن كلهم لا فائدة فيهم.

* ﴿ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُوراً ﴾، أى: مخوفًا لا أمان لأحد فيه، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ (٩٩) ﴾ [الأعراف: ٩٩].

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (١٠/ ١٨١).

(٢، ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٣٤٣).

(٤) انظر: تفسير الطبرى (٨/ ٩٥).

﴿ وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلاَّ نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا (٥٨) ﴾

❀ معانى المفردات:

* عن مقاتل بن حيّان (ت ١١٠هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلاَّ نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا ﴾: قال: أمّا الصالحة فبالموت، وأمّا الطالحة فبالعذاب.. اهـ(١).

* وقال ابن مسعود (ت ٣٢هـ ـ رضى الله عنه): إذا ظهر الزّنى والرّبا فى قرية أذن اللهُ فى هلاكهم.. اهـ(٢).

* وصدق الله إذْ قال: ﴿ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلاَّ وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ (٥٩) ﴾ [القصص: ٥٩].

* وأخرج ابن أبى حاتم، عن إبراهيم التيمىّ فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴾ قال: أى: فى اللوح المحفوظ.. اهـ(٣).

﴿ وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالآيَاتِ إِلاَّ أَن كَذَّبَ بِهَا الأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالآيَاتِ إِلاَّ تَخْوِيفًا (٥٩) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالآيَاتِ إِلاَّ أَن كَذَّبَ بِهَا الأَوَّلُونَ ﴾:

✵ **المعنى:** يقول الله ـ سبحانه وتعالى ـ: وما منعنا أن نرسل بالآيات التى اقترحوها إلا أن يكذِّبوا بها فيهلكوا كما فُعِلَ بمن كان قبلهم، وقد أخّر الله ـ عزّ وجلّ ـ العذاب عن كفّار قريش لعلمه أن فيهم من يؤمن، وفيهم من يُولد له مؤمن.

* وأخرج أحمد، والبيهقى، عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) قال: قالت قريش للنبىّ ﷺ: ادع لنا ربَّك أن يجعل لنا الصَّفا ذهبًا، ونؤمن لك، قال: «وتفعلون» قالوا: نعم، فدعا ـ أى النبى ﷺ ـ فأتاه «جبريل» ـ عليه السلام ـ فقال: إنّ

(١، ٢) انظر: تفسير القرطبى (١٠/ ١٨٢).

(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٣٤٤).

ربك يقرئك السلام ويقول لك: إن شئت أصبح الصَّـفا لهم ذهبًا، فمن كفر منهم بعد ذلك عـذبتُه عـذابًا لا أعذّبه أحـدًا من العـالمين. وإن شـئت فـتحتُ لهم باب التـوبة والرحمة. قال: «باب التوبة والرحمة» اهـ[١].

* ﴿ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً ﴾، أي: معجزة واضحة على نبوّة «صالح» ـ عليه السلام ـ.

* ﴿ فَظَلَمُوا بِهَا ﴾، أي: جحدوا وكفروا بها، فاستأصلهم الله بالعذاب.

قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴿٦٧﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلا بُعْدًا لِّثَمُودَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [هود: ٦٧ ـ ٦٨].

* وعن الحسن البـصرى (ت ١١٠هـ) فى قـوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَمَا نُرْسِلُ بِالآيَاتِ إِلاَّ تَخْوِيفًا ﴾ قال: المراد بذلك: الموت الذّريع.. اهـ[٢].

* وقال قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ): المراد بذلك: أنّ الله يخوِّف الناس بما شاء من آياته لعلهم يعتبرون.. اهـ[٣].

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلاَّ طُغْيَانًا كَبِيرًا ﴿٦٠﴾ ﴾

❀ معانى المفردات:

* عن قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ ﴾ قال: أحاط بهم، فهو مانعك منهم وعاصمك حتى تبلّغ رسالة ربك.. اهـ[٤].

* وعن ابن عـباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهـمـا) قال: المـراد بالناس هنا أهل مكة، وإحـاطته بهم إهـلاكه إيّاهم، أى: أن الله سيهـلكهم، وعبّـر بالمـاضى لتحـقق وقوعه، وعنى بهذا الإهلاك الموعود ما جرى يوم بدر، ويوم الفتح.. اهـ[٥].

* وعن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلنَّاسِ ﴾، قـال: هى رؤيا عَيْنٍ، أُرِيهـا رسولُ الله ﷺ ليلة أُسْـرِى به إلى بيت المقدس، وليست برؤيا منام.. اهـ[٦].

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٣٤٤).
(٢ : ٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى(٤/ ٣٤٥).
(٥) انظر: تفسير القرطبى (١٠/ ١٨٣).
(٦) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٣٥٤).

* وعن «أمِّ هانى» ـ رضى الله عنها ـ: أن رسول الله ﷺ لمّا أُسْرِى به أصبح يُحدّث نفرًا من قريش وهم يستهزئون به فطلبوا منه آية، فوصف لهم بيت المقدس، وذكَر لهم قصّة العير، فقال الوليد بن المغيرة: هذا ساحر، فأنزل الله ـ تعالى ـ: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلنَّاسِ ﴾.. اهـ(١).

* وعن قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلنَّاسِ ﴾، قال: أرى الله ـ تعالى ـ نبينا «محمدًا» ﷺ من الآيات، والعبر، فى مسيره إلى بيت المقدس. ذُكِّر لنا أنّ ناسًا ارتدّوا بعد إسلامهم حين حدّثهم رسول الله ﷺ بمسيره، أنكروا ذلك، وكذّبوا به، وعجبوا منه، وقالوا: أتحدّثنا أنك سرتَ مسيرة شهرين فى ليلة واحدة؟.. اهـ(٢).

* وعن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ ﴾ قال: هى شجرة الزّقوم، خُوِّفوا بها، قال أبو جهل: أيخوفنى ابن أبى كبشة بشجرة الزقّوم؟ ثم دعا بتَمْر وزُبْد، فجعل يقول: زقّمونى. فأنزل الله ـ تعالى ـ: ﴿ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ (٦٥) ﴾ [الصافات: ٦٥]، وأنزل الله: ﴿ ونخوفهم فما يزيدهم إلا طغيانا كبيراً ﴾.. اهـ(٣).

* وعن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ ﴾، قال: ملعونة لأنّ ﴿ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ (٦٥) ﴾ [الصافات: ٦٥]. وهم ـ أى الشياطين ـ ملعونون.. اهـ(٤).

* وعن مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَنُخَوِّفُهُمْ ﴾ قال: هو أبو جهل: بشجرة الزقوم. وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ فَمَا يَزِيدُهُمْ ﴾ قال: ما يزيد أبا جهل * ﴿ إِلاَّ طُغْيَانًا كَبِيراً ﴾.. اهـ(٥).

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا (٦١) ﴾

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٣٤٥).

(٢، ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٣٤٦).

(٤، ٥) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٣٤٧).

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ ﴾ الآية:

* قال قتادة بن دعامة فى الآية: حسد إبليس «آدم» ـ عليه السلام ـ على ما أعطاه الله من الكرامة وقال: أنا نارى، وهذا طينى، فكان بدء الذنوب الكِبْر.. اهـ[١].

﴿ قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلاَّ قَلِيلاً (٦٢) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ قَالَ أَرَأَيْتَكَ ﴾: فاعل «قال» هو «إبليس» ـ عليه لعنة الله ـ والكاف فى «أرأيتك» خطاب لله ـ عزّ وجلّ ـ.

* ﴿ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ ﴾، أى: فضلتَه علىّ، والمراد به: «آدم» ـ عليه السلام ـ.

والإكرام: اسم جامع لكل ما يُحْمد، وفى الكلام مجاز بالحذف، وهو أسلوب بلاغىّ فصيح، وحينئذ يصبح التقدير: يقول «إبليس» ـ عليه لعنة الله ـ مخاطبًا ربّ العالمين: أخبرنى عن هذا الذى فضّلتَه علىّ، لمَ فضّلتَه علىّ وقد خلقتنى من نار، وخلقته من طين، وعزّتك وجلالك لأغوينّه وذرّيته أجمعين، ولأفعلن بهم كذا وكذا، إنْ أخّرتنى إلى يوم القيامة ولم تتوفّنى.

* ﴿ لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ ﴾: للمفسرين فى بيان المراد بذلك أقوال أذكر أصحها فيما يلى:

أولا: قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) معنى ذلك: لأستولينّ عليهم.. اهـ[٢].

ثانيًا: قال مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) معنى ذلك: لأحتوينّهم، أى: لأستأصلن ذرّيته بالإغواء، والإضلال، ولأجتاحنّهم.. اهـ[٣].

ثالثًا: قال عبد الرحمن بن زيد (ت حوالى ١٧٠هـ) معنى ذلك لأضلّنهم.. اهـ[٤].

* وأقول: المعانى كلها متقاربة، وقد روى عن العرب قولهم: إحْتَنكَ الجرادُ الزرعَ: إذا ذهب به كلّه[٥].

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٣٤٧).
(٢، ٣) انظر: تفسير القرطبى (١٠/ ١٨٦).
(٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٣٤٧).
(٥) انظر: تفسير القرطبى(١٠/ ١٨٦).

* ﴿ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ : وهم المعصومون الذين أخلصوا لله ـ تعالى ـ فى العبادة، فعصمهم الله ـ تعالى ـ من الشيطان الرجيم، وهم الذين ذكرهم الله ـ تعالى ـ فى قوله: ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ﴾ [الإسراء: ٦٥].

وعباد الله المقرّبون إليه هم الذين وصفهم الله بقوله: ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا (٦٣) وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا (٦٤) وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا (٦٥) إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا (٦٦) وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا (٦٧) وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ ﴾ [الفرقان: ٦٣ ـ ٦٨].

* وبقية صفات عباد الرحمن ذكرها الله فى قوله فى سورة الفرقان أيضًا: ﴿ وَالَّذِينَ لا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا (٧٢) وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا (٧٣) وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا (٧٤) ﴾ [الفرقان: ٧٢ ـ ٧٤].

* ثم ذكر الله ـ تعالى ـ بعد ذلك فى ختام صفات عباد الرحمن بعض الجزاء الجزيل، والثواب العظيم الذى أعده لهم فقال: ﴿ أُوْلَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلامًا (٧٥) خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا (٧٦) ﴾ [الفرقان: ٧٥ ـ ٧٦].

* واعلم أخى المسلم أن طريق الوصول إلى الله ـ تعالى ـ ليكون المسلم من عباد الرحمن مفتوح لكل مسلم ومسلمة، فما عليكم أيها المسلمون والمسلمات إلا التمسك بالعمل بكتاب الله ـ تعالى ـ، وبسنة رسوله ﷺ وأنتم جميعًا تكونون من عباد الرحمن، وما ذلك على الله بعزيز.

* اللهم اجعلنى منهم يا ذا الجلال والإكرام إنك سميع مجيب الدعاء آمين.

﴿ قَالَ اذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَّوْفُورًا (٦٣) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ قَالَ اذْهَبْ ﴾، هذا أمر إهانة من الله ـ تعالى ـ، لإبليس ـ عليه لعنة الله ـ أى: اجتهد قدر طاقتك فى إغواء بنى آدم فقد أنظرناك.

* ﴿ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ ﴾، أى: أطاعك من بنى آدم.

* ﴿ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَّوْفُورًا ﴾، أى: وافرًا، وقد قال بهذا مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ)[1].

* وقال سعيد بن جبير (ت ٩٥هـ) معنى ذلك: يوفِّر الله عذاب جهنّم للكافرين، فلا يدّخّر عنهم من ذلك شيئًا.. اهـ[2].

﴿ وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُورًا (٦٤) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَاسْتَفْزِزْ ﴾، أى: استزلّ واستخفّ، وأصله: القطع، والمعنى: استزلّه بقطعك إيّاه عن الحقّ.

* وعن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ ﴾، قال: صوتُه صوت كل داع دعا إلى معصية الله ـ تعالى ـ.. اهـ[3].

* وعن مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ ﴾، قال معنى ذلك: استزلّ من استطعتَ منهم بالغناء، والمزامير، واللهو، والباطل.. اهـ[4].

* وعن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ ﴾، قال: كل خيل تسير فى معصية الله، وكل رجل يمشى فى معصية الله، وكل مال أخذ بغير حقّه، وكل ولد زنا.. اهـ[5].

(١، ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٣٤٧).

(٣ : ٥) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٣٤٨).

وفى رواية ثانية عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ فى الآية قال: مشاركته فى الأموال: أن جعلوا البحيرة، والسائبة، والوصيلة، لغير الله، ومشاركته إياهم فى الأولاد: سَمُّوا عبد الحارث، وعبد شمس.. اهـ[١].

* ﴿ وَعِدْهُمْ ﴾، أى: منّهم الأمانى الكاذبة، ومنها: أنه لا قيام، ولا حساب، ولا جنة، ولا نار.

* ﴿ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُوراً ﴾، أى: باطلا لا أساس له من الصحة، بل كله كذب وافتراء على الله ـ تعالى ـ.

* واعلم أخى المسلم أن الشيطان سيتبرأ من جميع أتباعه يوم القيامة، يدلّ على ذلك قول الله ـ تعالى ـ: ﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ﴾ [إبراهيم: ٢٢].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ ﴾ [رقم: ٦٤].

قرأ حفص: ﴿ ورجِلك ﴾ بكسر الجيم: صفة مشبَّهة بمعنى راجل.

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ برجْلك ﴾ بإسكان الجيم، جمع «راجل» وهو ضدّ الراكب[٢].

﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلاً (٦٥) رَّبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً (٦٦) ﴾

معانى المفردات:

* عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ﴾، قال: هم المؤمنون[٣].

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٣٤٨).

(٢) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ٣٤٩ ـ ٣٥٠).

(٣) انظر: تفسير القرطبى (١٠/ ١٨٨).

* والمخاطب هنا «إبليس» عليه لعنة الله المتقدم ذكره فى قوله - تعالى -: ﴿ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ ﴾ [رقم: ٦١].

* وعن مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) قال: يقول الله - سبحانه وتعالى - لإبليس الملعون: عبادى الذين قضيتُ لهم بالجنة، ليس لك عليهم سلطان لا يذنبون ذنبًا إلا غفرته لهم.. اهـ(١).

* ﴿ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلاً ﴾، الخطاب هنا لنبينا «محمد» ﷺ. المعنى: يقول الله العلىّ الكبير لنبيه وحبيبه وصفوته من خلقه: كفى بربك «يا محمد» عاصمًا وحافظًا عباده المؤمنين من كيد إبليس، وسوء مكره.

* ﴿ رَبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ ﴾: الإزجاء: السوق، ومنه قوله - تعالى -: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ﴾ [النور: ٤٣].

والفلك: السفن، * و﴿ الْبَحْرِ ﴾: الماء الكثير، وغُلِّب على الملح.

* وعن ابن عباس (ت ٦٨هـ - رضى الله عنهما) فى قوله - تعالى -: ﴿ يُزْجِي لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ ﴾ قال معنى ذلك: يجرى لكم الفلك فى البحر.. اهـ(٢).

* وقال عطاء الخراسانىّ معنى ذلك: يسير لكم الفلك فى البحر(٣).

* والمعنيان متقاربان.

* ﴿ لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ ﴾، أى: فى التجارة وغيرها.

* ﴿ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾، قال الله - تعالى -: ﴿ نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٤٩) ﴾ [الحجر: ٤٩].

﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلاَّ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الإِنسَانُ كَفُورًا (٦٧) ﴾

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى(٤/ ٣٤٨).

(٢، ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٣٤٩).

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ﴾: «الضرّ» اسم جنس، يشمل القليل والكثير، نحو: خوف الغرق، واضطراب أمواج البحر... إلخ.

* ﴿ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلاَّ إِيَّاهُ ﴾: «ضلَّ» معناه: فُقِد.

✳ **المعنى:** الكفار يعتقدون فى أصنامهم أنها تنفعهم، وبخاصة وقت الشدائد، ولكن سرعان ما يتبين لهم فساد هذا المعتقد حينما يتعرضون للحالات المهلكة وهم فى البحر، عندئذ يلجؤون إلى الله ـ تعالى ـ يطلبون منه النجاة ولكن سرعان ما يرتدون بعد نجاتهم من المخاطر التى ألمت بهم، يدلّ على ذلك قوله ـ تعالى ـ:

* ﴿ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ﴾: عن الإخلاص لله ـ تعالى ـ، وعدتم إلى كفركم وشرككم، والمخاطب هنا: المشركون بالله ـ تعالى ـ.

* ﴿ وَكَانَ الإِنسَانُ كَفُورًا ﴾: الإنسان: اسم جنس، يشمل القليل والكثير، أى: أن طبع الإنسان جحود نعم الله عليه التى لا حصر لها، إلا من عصمه الله ـ تعالى ـ.

قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلاَّ كُفُورًا (٥٠) ﴾ [الفرقان: ٥٠].

والضمير فى ﴿ صَرَّفْنَاهُ ﴾ عائد على الرياح المتقدم ذكرها فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ ﴾ [الفرقان: ٤٨].

﴿ أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلاً (٦٨) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ ﴾:

✳ **المعنى:** بيّن الله ـ سبحانه وتعالى ـ أنه قادر على إهلاكهم فى البرِّ، وإن سلموا وهم فى البحر، فحذّرهم الله ما أمنوه فى البرِّ، كما حذّرهم ما خافوه من البحر. والخسف: أن تنهار الأرض بالشىء. وسمّاه الله جانبًا، لأنه يصير بعد الخسف جانبًا، كما أنّ البحر جانب والبرَّ جانب.

* ﴿ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ﴾، أى: ريحًا شديدة، لأنها هى التى ترمى بالحصباء، وهى الحصى الصغار.

* وقال قتادة بن دعامة (ت ١١٨ هـ) المراد بقوله ـ تعالى ـ: ﴿ أويرسل عليكم حاصبا ﴾، أى: حجارة من السماء تَحْصِبُهم، كما فعل بقوم لوط.. اهـ[١].

قال الله ـ تعالى ـ فى العذاب الذى حلّ بقوم لوط: ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ (٧٣) فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ (٧٤) ﴾ [الحجر: ٧٣ ـ ٧٤].

* ﴿ ثُمَّ لا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلاً ﴾، أى: حافظًا ونصيرًا يمنعكم من بأس الله ـ تعالى ـ وعذابه.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ أَن يَخْسِفَ، أَوْ يُرْسِلَ، أَن يُعِيدَكُمْ، فَيُرْسِلَ، فَيُغْرِقَكُم ﴾ [رقم: ٦٨ ـ ٦٩].

قرأ ابن كثير، وأبو عمرو بنون العظمة فى الأفعال الخمسة، وذلك على الالتفات من الغيبة إلى التكلم.

وقرأ أبو جعفر، ورويس: ﴿ فتغرقكم ﴾ بتاء التأنيث، وبقية الأفعال بياء الغيبة.

وجه التأنيث أن الفعل مسند إلى ضمير «الريح» وهى مؤنثة، ووجه الغيبة أن الأفعال مسندة إلى ضمير مستتر تقديره «هو» يعود على «ربكم».

وقرأ الباقون بياء الغيبة فى الأفعال الخمسة، لأن الفاعل ضمير مستتر تقديره «هو» يعود على «ربكم»[٢].

﴿ أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا (٦٩) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴾، أى: مرّة أخرى، والضمير فى «فيه» يعود على «البحر» المتقدّم ذكره فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ﴾ [رقم: ٦٧].

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (١٠/ ١٨٩).

(٢) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ٣٥٠ ـ ٣٥١).

* ﴿ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ الرِّيحِ ﴾: القاصف: الريح الشديدة التى تكسر بشدّة. مشتقّ من قَصَفَ الشىءَ يقصفه قصفًا: أى كسره بشدة يقال: قصفت الريحُ السفينةَ.

* قال عبد الله بن عمر بن الخطّاب (٧٣هـ رضى الله عنهما): القاصف، والعاصف لهجتان وهما يكونان فى البحر.. اهـ(١).

* ﴿ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ﴾، الباء: سببيّة، و«ما» مصدريّة أى: فيغرقكم بسبب كفركم.

* ﴿ ثُمَّ لا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا ﴾:

* قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما): معنى «تبيعا»: نصيرًا.. اهـ(٢).

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ الرِّيحِ ﴾ [رقم: ٦٩].

قرأ أبو جعفر: ﴿ الرياح ﴾ بالجمع، نظرًا لاختلاف الرياح فى هبوبها، شرقًا وغربًا، وشمالا وجنوبًا، وصبا ودبورًا.

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ الريح ﴾ بالإفراد، وهى اسم جنس يشمل القليل والكثير(٣).

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً (٧٠) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ﴾: للمفسرين فى بيان المراد من التكريم أقوال أذكر أصحها فيما يلى:

أولا: قال الضحّاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ) المراد من هذا التكريم: أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ كرّم بنى آدم بالنطق والتمييز.. اهـ(٤).

(١، ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٣٤٩).

(٣) انظر: المهذب فى القراءات العشر وتوجيهها (٢/ ٣٨٨).

(٤) انظر: تفسير القرطبى (١٠/ ١٩٠).

ثانيًا: قال القرطبى (ت ٦٧١هـ) فى تفسير: الصحيح الذى يعوّل عليه أن التفضيل إنما كان بالعقل الذى هو عمدة التكليف، وبه يُعْرف الله، ويُفْهم كلامُه ويوصِّل إلى نعيم الله، وتصديق رسله، إلا أنه لما كان لم ينهض بكل المراد بَعَثَ الله الرسلَ، وأنزل الكتب.

فمثال الشرع: الشمس، ومثال العقل: العين، فإذا كانت العين سليمة رأت الشمس وأدركت تفاصيل الأشياء.. اهـ[١].

* ﴿ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ ﴾ على الدوّابِّ، وغيرها من الوسائل التى أوجدها الله لهم، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لا تَعْلَمُونَ ⑧ ﴾ [النحل: ٨].

* ﴿ وَالْبَحْرِ ﴾، أى: وحملناهم فى البحر، على الفلك، وغيرها من الوسائل التى أشار إليها قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَيَخْلُقُ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴾.

وقد حُذف لفظ «وحملناهم» من الثانى لدلالة الأول عليه، وهو أسلوب بلاغىّ فصيح.

* ﴿ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ﴾، أى: من كل ما لذّ وطاب من المطاعم، والمشارب، المباحة شرعًا، وهى كثيرة ومتنوّعة.

* وقال مقاتل بن حيّان (ت ١١٠هـ): هى السمن، والعسل، والزّبد، والتّمر، والحلوى وجعل رزق غيرهم ما لا يخفى مثل: التِّبن، والحشائش وغيرها.. اهـ[٢].

* ﴿ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾: مثل: البهائم، والدوابّ، والوحش، والطير، والتمييز، وإصابة الفراسة، وغير ذلك.

﴿ يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُوْلَٰئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلا يُظْلَمُونَ فَتِيلاً ⑦١ ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ ﴾: للمفسرين فى بيان المراد من «إمامهم» أقوال أذكر أصحها فيما يلى:

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (١٠/ ١٩٠).

(٢) انظر: تفسير القرطبى (١٠/ ١٩١).

أولا: قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) والضحّاك بن مزاحم (ت١٠٥هـ) والحسن البصرى (ت ١١٠هـ) وقتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ): المراد من قوله ـ تعالى ـ: ﴿ بإمامهم ﴾، أي: بكتاب كلِّ إنسان منهم الذى فيه عمله، دليله قوله ـ تعالى ـ بعدُ: ﴿ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴾.. اهـ[1].

ثانيًا: قال مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) ﴿ بِإِمَامِهِمْ ﴾، أي: بنبيّهم، والإمام مَنْ يؤتمّ به، فيقال: هاتوا متبعى «إبراهيم» ـ عليه السلام ـ، هاتوا متّبعى «موسى» ـ عليه السلام ـ، هاتوا متّبعى الشيطان، هاتوا متّبعى الأصنام، فيقوم أهل الحقّ فيأخذون كتابهم بأيمانهم، ويقوم أهل الباطل فيأخذون كتابهم بشمالهم[2].

ثالثًا: قال عبد الرحمن بن زيد (ت حوالى ١٧٠هـ): ﴿ بِإِمَامِهِمْ ﴾، أى: بالكتاب المنزّل عليهم، أى: يُدْعى كل إنسان بكتابه الذى يتلوه، فيُدْعى أهل التوراة بالتوراة، وأهل القرآن بالقرآن، فيقال: يا أهل القرآن: ماذا عملتم، هل امتثلتم أوامره، هل اجتنبتم نواهيه، وهكذا.. اهـ[3].

* ﴿ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُوْلَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلا يُظْلَمُونَ فَتِيلاً ﴾: «الفتيل» هو الشقّ الذى فى النواة.

* وأخرج الترمذىّ وحسّنه، والبزّار، وابن أبى حاتم، وابن حبّان، والحاكم وصحّحه، وابن مردويه، عن أبى هريرة (ت ٥٩ هـ ـ رضى الله عنه) عن رسول الله ﷺ فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ ﴾ الآية، قال: يُدْعى أحدهم فيُعْطى كتابه بيمينه، ويُمَدُّ له فى جسمه ستّين ذراعًا، ويُبَيَّضُ وجهه، ويُجْعلُ على رأسه تاج من نور يتلألأ، فينطلق إلى أصحابه فيرونه من بعيد فيقولون: اللهمَّ ائتنا بهذا وبارك لنا فى هذا حتى يأتيهم، فيقول: أبشروا لكل رجل منكم مثل هذا.

وأما الكافر فيسودّ وجهه، ويُمدّ له فى جسمه ستين ذراعًا، على صورة «آدم» ويلبس تاجًا من نار، فيراه أصحابه فيقولون: نعوذ بالله من شرّ هذا اللهمّ لا تأتنا بهذا، قال: فيأتيهم فيقولون ربَّنا أخِّرْه، فيقول: أبعدكم الله، فإن لكلّ رجل منكم مثل هذا.. اهـ[4].

(١، ٢) انظر: تفسير القرطبى (١٠/ ١٩٢).

(٣) انظر: تفسير القرطبى (١٠/ ١٩٢).

(٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٣٥١).

﴿ ومن كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سبيلاً (٧٢) ﴾

❀ معانى المفردات:

* عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) فى قوله ـ تعالى: ﴿ وَمَن كَانَ فِي هَذه أَعْمَىٰ ﴾ الآية، قال: من كان فى الدنيا أعمى عمّا يراه من قدرة الله ـ تعالى ـ من خلق السموات والأرض، والجبال، والبحار، والناس وأشباه ذلك.

* ﴿ فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سبيلاً ﴾: عمّا وصف الله له فى الآخرة ولم يره.

* ﴿ وَأَضَلُّ سبِيلاً ﴾، أى: أبعد حجة.. اهـ(١).

* وقال قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) فى معنى الآية قال: مَنْ عمى عمّا يراه من الشمس والقمر والليل والنهار، وما يراه من الآيات ولم يصدّق بها، فهو عمّا غاب عنه من آيات الله أعمى وأضلّ سبيلا.. اهـ(٢).

﴿ وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لاَّتَّخَذُوكَ خَلِيلاً (٧٣) ﴾

۞ سبب نزول هذه الآية:

* أخرج ابن أبى إسحاق، وابن أبى حاتم، وابن مردويه، عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) قال: إنّ أميّة بن خلف، وأبا جَهْل بن هشام، ورجالا من قريش، أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: تعال فاستلم آلهتنا، وندخل معك فى دينك، وكان رسول الله ﷺ يشتدّ عليه فراق قومه، ويحبّ إسلامهم، فرقّ لهم، فأنزل الله: ﴿ وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ ﴾ إلى قوله: ﴿ نَصِيرًا ﴾.. اهـ(٣).

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ ﴾: «كاد» من أفعال المقاربة. «ليفتنونك» أى: يزيلونك.

* قال أبو عبيد القاسم بن سلام الهروى (٢٢٤هـ): يقال: فتنتُ الرجلَ عن رأيه: إذا أزلته عمّا كان عليه.. اهـ(٤).

(١ : ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٣٥٢).

(٤) انظر: تفسير القرطبى (١٠/ ١٩٤).

* ﴿ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ﴾، أى: عن حكم القرآن، لأن فى إطاعتهم ما سألوه مخالفة لحكم القرآن.

* ﴿ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ ﴾، أى: لتختلق على الله ـ تعالى ـ غير ما أوحاه إليك، وهو قول ثقيف للنبى ﷺ: حرِّم وادينا كما حرّمتَ مكّة: شجرها وطيرها ووحشها، فإن سألتكَ العرب لم خصصتهم بذلك فقل: الله أمرنى بذلك حتى يكون عذرًا لك[١].

* ﴿ وَإِذًا لَّاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴾، أى: لو فعلتَ ما أرادوا لاتّخذوك خليلا، أى: والوك وصافوك. مأخوذ من «الخُلّة» بضم الخاء وهى الصداقة.

﴿ وَلَوْلَا أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَلَوْلَا أَن ثَبَّتْنَاكَ ﴾ الآية:

✳ **المعنى:** يقول الله ـ تعالى ـ مخاطبًا نبيّه وحبيبه وصفوته من خلقه: لولا أنى ثبتك على الحق، وعصمتك من موافقة كفار قريش لقد كدت تميل إليهم شيئًا قليلاً.

* قال قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ): لما نزلت هذه الآية قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «اللهمّ لا تكلنى إلى نفسى طرفة عين» اهـ[٢].

* وقال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما): كان رسول الله ﷺ معصومًا، ولكن هذا تعريف لأمّته لئلا يركن أحد منهم إلى المشركين فى شىء من أحكام الله ـ تعالى ـ وشرائعه.. اهـ[٣].

* وأقول: إنّ مقصد ابن عباس ـ رضى الله تعالى عنهما ـ: لئلا يركن أحد من المسلمين إلى المشركين فى عمل أىّ شىء مخالف لأحكام الله ـ تعالى ـ وشرائعه.

ولقد سرّنى كثيرًا كلام ابن عباس هذا، لأنه مما لا ريب فيه أن نبينا ـ عليه الصلاة والسلام ـ كان من المعصومين.

(١، ٢) انظر: تفسير القرطبى (١٠/ ١٩٤).

(٣) انظر: تفسير القرطبى (١٠/ ١٩٥).

﴿ إِذًا لأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ إِذًا لأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ﴾:

* قال ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ: المعنى: لو ركنت إليهم لأذقناك مثلى عذاب الحياة فى الدنيا، ومثلى عذاب الممات فى الآخرة.. اهـ(١).

* وضعف الشىء: مثله مرّتين.

* ﴿ ثُمَّ لا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴾، أى: من ينصرك علينا، ويمنعك من العذاب.

﴿ وَإِن كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لاَّ يَلْبَثُونَ خِلافَكَ إِلاَّ قَلِيلاً ﴿٧٦﴾ ﴾

❀ معانى المفردات:

* أخرج عبد الرزّاق، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبى حاتم، عن قتادة بن دعامة (ت ١١٨ هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَإِن كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ﴾ الآية: قال: همّ أهل مكّة بإخراج النبى ﷺ من مكّة، وقد فعلوا ذلك فيما بعدُ، ولم يلبثوا بعد إخراجه من مكّة إلا قليلاً حتّى أهلكهم الله ـ تعالى ـ يوم بدر.

وكذلك كانت سنة الله ـ تعالى ـ فى الرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ إذا فعل بهم قومهم مثل ذلك.. اهـ(٢).

* قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلا نَاصِرَ لَهُمْ ﴿١٣﴾ ﴾ [محمد: ١٣].

* وأقول: وافق قتادة فيما ذكرته عنه، مجاهد بن جبر (ت ١٠٤ هـ) وأرى أن هذا أصحّ وأرجح ما قيل فى تفسير هذه الآية ـ والله أعلم ـ.

* ﴿ وَإِذًا لاَّ يَلْبَثُونَ خِلافَكَ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾، أى: لا يلبثون خلفك يا رسول الله فى مكة بعد أن أخرجوك منها إلا مدّة قليلة، وقد خرجوا منها فقتلوا يوم بدر. وقد جنح لهذا المعنى ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ(٣).

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (١٠/ ١٩٥).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٣٥٣).

(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٣٥٤).

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ وَإِذًا لاَّ يَلْبَثُونَ خِلافَكَ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ [رقم: ٧٦].

قرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وشعبة، وأبو جعفر: ﴿ خَلْفَكَ ﴾ بفتح الخاء، وإسكان اللام من غير ألف.

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ خلاَفك ﴾ بكسر الخاء، وفتح اللام وألف بعدها. وهما لهجتان بمعنى: بعد خروجك من مكّة[1].

﴿ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ من رُّسُلنَا وَلا تَجِدُ لسُنَّتنَا تَحْوِيلاً (٧٧) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا ﴾:

المعنى: أن قومك يا رسول الله لا يلبثون خلفك فى مكّة بعد ما أخرجوك منها إلا قليلا، كسنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا. وحينئذ يكون «سنّةَ» منصوب بنزع الخافض، والتقدير: كسنّة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا.

* ﴿ وَلا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلاً ﴾، أى: لا خُلْفَ فى وعد الله ـ تعالى ـ.

﴿ أَقِمِ الصَّلاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا (٧٨) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ أَقِمِ الصَّلاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ ﴾:

* أخرج ابن مردويه، عن عمر بن الخطاب (ت ٢٣هـ ـ رضى الله عنه) عن النبى ﷺ فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ أَقِمِ الصَّلاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ ﴾ قال: لزوال الشمس.. اهـ[2].

* وأخرج ابن جرير، عن ابن مسعود (ت ٣٢هـ ـ رضى الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «أتانى «جبريل» ـ عليه السلام ـ لدلوك الشمس حين زالت فصلّى بى الظهر».. اهـ[3].

---

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ٣٥١ ـ ٣٥٢).

(٢، ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٣٥٤).

* وأخرج ابن مردويه، عن أنس بن مالك (ت ٩٣هـ ـ رضى الله عنه) قال: كان النبىّ ﷺ يصلّى الظهر عند دلوك الشمس(١).

* وعن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ﴾ قال: اجتماع الليل وظلمته.. اهـ(٢).

* وعن ابن مسعود ـ رضى الله عنه ـ فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ﴾ قال: العشاء الآخرة.. اهـ(٣).

* وعن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) ومجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ﴾ قالا: أى: صلاة الفجر.. اهـ(٤).

* ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾: قال قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ): تشهده ملائكة الليل، وملائكة النهار.. اهـ(٥).

* وأخرج عبد الرزاق، والبخارى، ومسلم، وابن جرير، وابن أبى حاتم، وابن مردويه، عن أبى هريرة (ت ٥٩هـ ـ رضى الله عنه) عن النبى ﷺ قال: «تجتمع ملائكة الليل، وملائكة النهار فى صلاة الفجر».

ثم يقول أبو هريرة ـ رضى الله عنه ـ: اقرءوا إن شئتم: ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾.. اهـ(٦).

* ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ﴾: للعلماء فى نصب ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ﴾ قولان:

الأول: قال أبو زكريا الفراء(ت ٢٠٧هـ): هو معطوف على «الصلاة» فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ﴾، وحينئذ يكون المعنى: وأقم قرآن الفجر، أى: صلاة الصبح.. اهـ(٧).

* وقال الزّجّاج إبراهيم بن السَّرى (ت ٣١١هـ): انتصب على الإغراء، أى: فعليك بقرآن الفجر.. اهـ(٨).

(١ : ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٣٥٤).

(٤ : ٦) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٣٥٥).

(٧، ٨) انظر: تفسير القرطبى (١٠/ ١٩٨).

﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا (٧٩) ﴾

❀ معانى المفردات:

* عن مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) فى قوله ـ تعالى ـ:﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ ﴾ قال: لم تكن النافلة لأحد إلا للنبىّ ﷺ خاصّة، من أجل أنه قد غُفر له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر، فما عمل من عمل مع المكتوب فهو نافلة له سوى المكتوب، من أجل أنه لا يعمل ذلك فى كفّارة الذنوب فهو نوافل له وزيادة، والناس يعملون ما سوى المكتوب فى كفارة ذنوبهم، فليس للناس نوافل، إنما هى للنبىّ ﷺ خاصّة.. اهـ(١).

* وقد قال الحسن البصرى(ت ١١٠هـ) وقتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) مثل قول مجاهد(٢).

* وعن أبى أمامة الباهلىّ ـ رضى الله عنه ـ فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ نَافِلَةً لَّكَ ﴾، قال: كانت للنبى ﷺ نافلة، ولكم فضيلة. وفى لفظ: إنما كانت النافلة خاصّة لرسول الله ﷺ(٣).

* وأخرج أحمد، والترمذى وحسّنه، وغيرهما، عن أبى هريرة (ت ٥٩هـ ـ رضى الله عنه) أن النبى ﷺ سئل عن قوله ـ تعالى ـ: ﴿ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾، قال: «المقام الذى أشفع فيه لأمّتى»(٤).

* وأخرج ابن مردويه، عن سعد بن أبى وقّاص ـ رضى الله عنه ـ قال: سُئِل رسول الله ﷺ عن المقام المحمود، فقال: «هو الشفاعة» اهـ(٥).

* وأخرج الترمذىّ وحسّنه، وابن جرير، وابن مردويه، عن أبى سعيد الخدرىّ ـ رضى الله عنه ـ فى قوله ـ تعالى ـ:﴿ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ قال:قال رسول الله ﷺ: «أنا سيِّد ولد آدم يوم القيامة ولا فخْر، وبيدى لواء الحمد ولا فخْر، وما من نبىٍّ يومئذ: ـ آدم فمن سواه ـ إلا تحت لوائى، وأنا أوّل من تنشقُّ عنه الأرض ولا فخر، فيفزع الناسُ ثلاث فزعات، فيأتون «آدم» ـ عليه السلام ـ، فيقولون: أنت أبونا فاشفع لنا إلى ربك، فيقول: إنِّى أذنبتُ ذنبًا أُهْبطْتُ منه إلى الأرض، ولكن ائتوا «نوحًا» فيأتون نوحًا فيقول: إنِّى دعوتُ على أهل الأرض دعوة فأُهلكوا، ولكن اذهبوا إلى «إبراهيم» فيأتون «إبراهيم» فيقول: ائتوا «موسى» فيأتون «موسى» ـ عليه

(١ : ٥) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٣٥٦).

الصلاة والسلام ـ فيقول: إنِّي قتلتُ نفسًا، ولكن ائتوا «عيسى» فيأتون «عيسى» ـ عليه السلام ـ فيقول: إنِّي عُبدتُ من دون الله، ولكن ائتوا «محمدًا» ﷺ فيأتونى فأنطلق معهم فآخذ بحلقة باب الجنّة فأقعقعها، فيقال: من هذا؟ فأقول: «محمد» فيفتحون لى ويقولون: مرْحبًا، فأخرُّ ساجدًا، فيلهمنى الله ـ عزّ وجلّ ـ من الثناء والحمد والمجد فيُقال: ارفع رأسك، سَلْ تُعْط، واشْفع تُشفّع، وقُلْ يُسمع لقولك، فهو المقام المحمود الذى قال الله: ﴿ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾» اهـ[١].

﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا (٨٠) ﴾

❀ معانى المفردات:

* عن قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ ﴾ الآية قال: أخرجه الله من مكّة ﴿ مُخْرَجَ صِدْقٍ ﴾ وأدخله المدينة ﴿ مُدْخَلَ صِدْقٍ ﴾ قال: ـ أى قتادة ـ: وعَلِمَ نبىُّ الله ﷺ أنه لا طاقة له بهذا الأمر إلا بسلطان، فسأل سلطانًا نصيرًا لكتاب الله ـ تعالى ـ وحدوده، وفرائضه، وإقامة كتاب الله ـ تعالى ـ فإنّ السلطان عزّة من الله ـ تعالى ـ جعلها بين عباده، ولولا ذلك لغار بعضهم على بعض، وأكل شديدُهم ضعيفَهم.. اهـ[٢].

* وعن زيد بن أسلم (ت ١٣٠هـ) فى الآية قال: جعل الله ﴿ مُدْخَلَ صِدْقٍ ﴾ المدينة، و﴿ مُخْرَجَ صِدْقٍ ﴾ مكة، و﴿ سُلْطَانًا نَّصِيرًا ﴾ الأنصار.. اهـ[٣].

﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا (٨١) ﴾

❀ معانى المفردات:

* عن مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ ﴾، قال: القرآن.

وفى قوله ـ تعالى ـ:﴿ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ ﴾ قال: الشيطان.. اهـ[٤].

* وقال قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) مثل قول مجاهد.. اهـ[٥].

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٣٥٨).
(٢، ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٣٥٩).
(٤) انظر: تفسير القرطبى (١٠/ ٢٠٤).
(٥) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٣٦٠).

* ﴿ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾، أي: لا بقاء له. * وقيل: المراد «بالحق»: الإسلام، و«بالباطل»: الشرك[١].

* وأخرج ابن أبي شيبة، والبخاري، ومسلم، والترمذي، والنسائي، وابن جرير، وابن المنذر، وابن مردويه، عن ابن مسعود (ت ٣٢هـ ـ رضى الله عنه) قال: دخل النبي ﷺ مكّة، وحول البيت ستّون وثلثمائة نُصُب ـ أي صنم ـ فجعل يطعنها بعود في يده ويقول: ﴿ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾[٢].

* وأخرج الطبراني في الصغير، وابن مردويه، والبيهقي، عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) قال: دخل رسول الله ﷺ مكّة يوم الفتح وعلى الكعبة ثلثمائة وستّون صنمًا، فشدّ لهم إبليس أقدامها بالرصاص، فجاء ومعه قضيب فجعل يهوى به إلى كل صنم منها فيخرّ لوجهه، فيقول: ﴿ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾[٣].

﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا (٨٢) ﴾

❀ معاني المفردات:

* ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ ﴾، قال القرطبي في تفسيره: إن القرآن شفاء للقلوب بزوال الجهل عنها، وإزالة الرِّيب، ولكشف غطاء القلب من مرض الجهل لفهم المعجزات والأمور الدالّة على الله ـ تعالى ـ.. اهـ[٤].

* وأقول: يشهد لصحة قول القرطبي هذا ما يلي:

أولا: قول الله ـ تعالى ـ: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ (٥٧) ﴾ [يونس: ٥٧].

وهذا هو تفسير القرآن بالقرآن، وحَمْل المجمل على المفصّل.

---

(١) انظر: تفسير القرطبي (١٠/ ٢٠٤).

(٢، ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٤/ ٣٦٠).

(٤) انظر: تفسير القرطبي (١٠/ ٢٠٥).

ثانيًا: قول قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) فى هذه الآية: جعل الله هذا القرآن شفاء ورحمة للمؤمنين، إذا سمعه المؤمن انتفع به وحفظه ووعاه، ﴿ وَلا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلاَّ خَسَارًا ﴾، أي: لا ينتفع به، ولا يحفظه ولا يعيه.. اهـ[١].

ثالثًا: قول أويس القرنى: لم يجالس هذا القرآن أحد إلا قام عنه بزيادة، أو نقصان، قضاء الله الذى قضى: ﴿ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلاَّ خَسَارًا ﴾.. اهـ[٢].

* ﴿ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾: إذْ فى القرآن: تفريج الكروب، وتطهير العيوب، وتكفير الذنوب، مع ما تفضّل الله به من الثواب الجزيل على تلاوته، وقد ورد فى ثواب قراءة القرآن الكثير من الأحاديث الصحيحة، منها: ما رواه الترمذيّ عن: عبد الله بن مسعود (ت ٣٢هـ ـ رضى الله عنه) إذْ قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ حرفًا من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول ﴿ الٓمٓ ﴾ حرف، بل ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف» اهـ[٣].

* ﴿ وَلا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلاَّ خَسَارًا ﴾: وذلك لتكذيبهم به ونظير هذه الآية قول الله ـ تعالى ـ: ﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ﴾ [فصلت: ٤٤].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ ﴾ [رقم: ٨٢].

* وقوله ـ تعالى ـ: ﴿ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ ﴾ [رقم: ٩٣].

قرأ أبو عمرو، ويعقوب: ﴿ وننزل، تنزل ﴾ بتخفيف الزاى، وإسكان النون فيهما، مضارع «أنزل».

وقرأ الباقون بتشديد الزاى، وفتح النون، مضارع «نزّل» مضعّف العين[٤].

(١، ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٣٦٠).

(٣) انظر: تفسير القرطبى (١٠/ ٢٠٨).

(٤) انظر: المهذب فى القراءات العشر وتوجيهها (١/ ٣٨٩).

﴿ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا (٨٣) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ ﴾:

✳ **المعنى:** يقول الله ـ سبحانه وتعالى ـ: وإذا أنعمنا على الإنسان: فنجيّناه من الكروب التى تنزل به، وغير ذلك من نعمنا التى لا حصر لها، أعرض عن ذكرنا، وقد كان قبل ذلك مستغيثًا بنا فى حال الشدّة التى كان فيها.

ولعلّ هؤلاء هم الذين قال الله فيهم فى الآية السابقة: ﴿ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾، أى: هؤلاء الذين لا يزيدهم القرآن إلا خسارًا، لأن صفتهم الإعراض عن تدبر آيات الله، والكفر بنعمه ـ سبحانه وتعالى ـ.

* وعن مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ ﴾، قال: تباعد عنّا.. اهـ[١].

* ﴿ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا ﴾، أى: إذا نالته شدّة من فقر، أو سقم، أو غير ذلك يئس، وقنط.

* وعن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ كَانَ يَئُوسًا ﴾ قال: قنوطًا.. اهـ[٢].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ ﴾ [رقم: ٨٣].

قرأ ابن ذكوان، وأبو جعفر: ﴿ وناء ﴾ بألف ممدودة بعد النون، وبعدها همزة مفتوحة، مثل «شاء» من «ناء» بمعنى: نهض.

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ ونئا ﴾ بهمزة مفتوحة ممدودة بعد النون، مثل «رأى» من «النأى» بمعنى: البعد[٣].

(١، ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٣٦١).

(٣) انظر: المهذب فى القراءات العشر وتوجيهها (١/ ٣٨٩).

﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلاً (٨٤) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ ﴾: للمفسرين فى معنى ﴿ شاكلته ﴾ أقوال أذكر أصحها فيما يلى:

أولا: قال الحسن البصرى (ت ١١٠هـ) وقتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ): معنى ذلك: على نيته.

ثانيًا: قال مقاتل بن حيان (ت ١١٠هـ): معنى ذلك: على جبلّته.

ثالثًا: قال مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ): معنى ذلك: على طبيعته(١).

رابعًا: قال أبو زكريا الفراء (ت ٢٠٧هـ) معنى ذلك: على طريقته ومذهبه الذى جُبِل عليه(٢).

* وهذه الأقوال كلها متقاربة. وحينئذ يكون المعنى: كل يعمل على ما يشاكل أخلاقه التى ألفها. والشَّكل بفتح الشين المشدّدة: المثل والنظير. وبكسر الشين المشدّدة: الهيئة.

* ﴿ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلاً ﴾، أى: بالمؤمن، والكافر، وما سيحصل من كل واحد منهما.

﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً (٨٥) ﴾

المعنى:

* أخرج أحمد، والبخارى، ومسلم، والترمذى، والنسائى، وابن جرير، وابن المنذر، وابن حبّان، وابن مردويه، وأبو نعيم، والبيهقىّ معًا فى الدلائل، عن ابن مسعود (ت ٣٢هـ ـ رضى الله عنه) قال: كنت أمشى مع النبى ﷺ فى (خرب المدينة) وهو متكئ على (عسيب) فمرّ بقوم من اليهود فقال بعضهم لبعض: سلوه عن الروح، وقال بعضهم: لا تسألوه، فسألوه فقالوا: يا «محمد» ما الروح؟ فما زال يتوكأ على

(١، ٢) انظر: تفسير القرطبى (١٠/ ٢٠٨).

(العسيب) وظننتُ أنه يوحى إليه، فأنزل الله: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾.. اهـ[١].

* وأخرج ابن جرير، عن قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾: قال: المخاطبون هم اليهود.. اهـ[٢].

﴿ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلاً ﴿٨٦﴾ إِلاَّ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيراً ﴿٨٧﴾ ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ﴾:

✳ **المعنى:** يقول الله ـ سبحانه وتعالى ـ لنبيه وحبيبه نبينا «محمد» ﷺ: ولئن شئنا لنذهبنّ بالذى أوحينا إليك أى: بالقرآن، فكما قدرنا على إنزاله عليك، نقدر على إذهابه حتى ينساه الخلق.

* ﴿ ثُمَّ لا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلاً * إِلاَّ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ﴾: المعنى: ولكنّ الله لم يشأ ذلك رحمة من ربك، وتفضّلا منه عليك.

* ﴿ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيراً ﴾: وذلك باصطفائه إياك يا رسول الله، وبإنزال كتابه عليك، كما أنّ نعمه عليك يا نبيّ الله لا تحصى ولا تعدّ.

* أخرج الحاكم وصحّحه، والبيهقى عن حذيفة بن اليمان (٣٦هـ ـ رضى الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «يُدْرسُ الإسلام كما يُدْرس وشْيُ الثوب، حتى لا يُدْرى ما صيام، ولا صدقة، ولا نسك، ويسرى على كتاب الله فى ليلة، فلا يبقى فى الأرض منه آية، ويبقى الشيخ الكبير والعجوز يقولون: أدركنا آباءنا على هذه الكلمة: (لا إله إلا الله فنحن نقولها)» اهـ[٣].

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (/ ٣٦١).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٣٦٣).

(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٣٦٤).

* وأخرج سعيد بن منصور، وابن أبى شيبة، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبى حاتم، والطبرانى، والحاكم وصحّحه، وابن مردويه، والبيهقى فى شعب الإيمان، عن ابن مسعود (ت ٣٢هـ ـ رضى الله عنه) قال: إنّ هذا القرآن سيرفع، قيل: كيف يُرْفع وقدأثبته الله فى قلوبنا، وأثبتناه فى المصاحف؟ قال: يسرى عليه فى ليلة واحدة فلا يترك منه آية فى قلب ولا مصحف إلا رفعت، فتصبحون وليس فيكم منه شىء، ثم قرأ: ﴿ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ﴾.. اهـ[1].

* وأخرج ابن أبى حاتم، والحاكم وصححه، عن أبى هريرة (ت ٥٩هـ ـ رضى الله عنه) قال: يسرى على كتاب الله فيرفع إلى السماء فلا يبقى على الأرض من القرآن، ولا من التوراة، والإنجيل، والزبور، فيرفع من قلوب الرجال، فيصبحون فى الصلاة لا يدرون ما هم فيه.. اهـ[2].

﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا (٨٨) ﴾

* **المعنى:** يقول الله ـ تعالى ـ لنبيه وحبيبه وصفوته من خلقه نبينا «محمد» ﷺ: قل يا نبىّ الله للذين قالوا لك: إنّا نأتى بمثل هذا القرآن: لئن اجتمعت الإنس والجنّ على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله أبدًا، ولو كان بعضهم لبعض عونًا وظهيرًا.

* وأخرج ابن إسحاق، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبى حاتم، عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) قال: أتى رسول الله ﷺ: محمود بن سيحان، ونعيمان ابن أُصى، ومجزئ بن عمر، وسلام بن مشكم، قالوا: يا «محمد» هذا الذى جئت به حقّ من عند الله؟ فإنا لا نراه متناسقًا كما تتناسق التوراة، فقال لهم: «أمَا والله إنكم لتعرفون أنه من عند الله» قالوا: إنّا نجيئك بمثل ما تأتى به، فأنزل الله: ﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ ﴾ الآية[3].

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٣٦٣).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٣٦٤).

(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٣٦٥).

* وأخرج ابن جرير، عن ابن جريج عبد الملك بن عبد العزيز (ت ١٥٠هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ﴾ الآية، قال: يقول الله ـ تعالى ـ: لو برزت الجنّ وأعانهم الإنس فتظاهروا، لم يأتوا بمثل هذا القرآن.. اهـ[١].

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلاَّ كُفُورًا (٨٩)﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾:

✳ **المعنى:** يقول الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ولقد بينا للناس فى هذا القرآن من كل مثل يجب به الاعتبار، من الآيات والعبر، والترغيب، والترهيب، والأوامر، والنواهى، وأخبار السابقين، والجنة والنار، والقيامة، ليتّبعوه ويعملوا به.

* ﴿فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلاَّ كُفُورًا﴾: المعنى: فأبى أكثر الناس وهم كفار مكّة إلا كفورا، وجحوداً للحق، وإنكاراً لحجج الله ـ تعالى ـ وأدلّته.

﴿وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنبُوعًا (٩٠)﴾

❀ معانى المفردات:

* عن قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ﴾ الآية قال كفّار مكة للرسول ﷺ: لن نؤمن لك ونصدّقك حتى تفجر لنا من الأرض عيونًا: ببلدنا هذا وهو مكّة.. اهـ[٢].

والقائلون هم: عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأبو سفيان بن حرب، وأبو البحترى، والأسود بن المطلب، وزمعة بن الأسود، والوليد بن المغيرة، وأبو جهل بن هشام، وعبد الله بن أميّة، وأميّة بن خلف، والعاص بن وائل، ونبيها ومنبها ابنا الحجاج السهميّان: والذى أخبر بذلك ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما)[٣].

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٣٦٥).

(٢) انظر: تفسير الطبرى (٨/ ١٤٥)، وتفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٣٦٧).

(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٣٦٥).

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنْبُوعًا ﴾ [رقم: ٩٠].

قرأ عاصم، وحمزة، والكسائى، ويعقوب، وخلف البزّار: ﴿ تَفْجُرَ ﴾ بفتح التاء، وسكون الفاء، وضمّ الجيم مخففة، على أنه مضارع «فجر» الثلاثى.

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ تُفَجِّرَ ﴾ بضم التاء، وفتح الفاء، وكسر الجيم مشدّدة، على أنه مضارع «فجّر» مضعّف العين، وذلك أنهم سألوا النبى ﷺ كثرة التفجير[(١)].

﴿ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الأَنْهَارَ خِلالَهَا تَفْجِيرًا (٩١) ﴾

المعنى: يقول الله ـ تعالى ـ لنبيه ﷺ: ويقول لك كفّار مكّة: لن نؤمن لك «يا محمد» ونصدّقك حتّى يكون لك بستان من نخيل وعنب، وتفجّر الأنهار خلال هذا البستان تفجيراً.

﴿ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلائِكَةِ قَبِيلاً (٩٢) ﴾

معانى المفردات:

* عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا ﴾، قال: معنى ﴿ كِسَفًا ﴾، أى: قطعًا.

* وعنه فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلائِكَةِ قَبِيلاً ﴾: قال: معنى ﴿ قَبِيلاً ﴾ أى: عيانًا.. اهـ[(٢)].

* وهذا أيضًا من الأمور التى طلبها كفار مكّة من النبى ﷺ.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا ﴾ [الإسراء: ٩٢].

وفى سورة الشعراء [رقم: ١٨٧، والروم: ٤٨، وسبأ: ٩]، قرأ حفص: ﴿ كِسَفًا ﴾ بفتح السين فى المواضع الأربعة.

---

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ٣٥٥).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٣٦٧).

وقرأ نافع، وشعبة بالفتح فى الإسراء، والروم، والإسكان فى الشعراء، وسبأ.

وقرأ ابن ذكوان، وأبو جعفر بالفتح فى الإسراء، وبالإسكان فى الباقى.

وقرأ هشام بالفتح فى الإسراء، وبالإسكان فى الشعراء، وسبأ، وبالفتح والإسكان فى الروم.

وقرأ الباقون من القراء العشرة وهم: ابن كثير، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائى، ويعقوب، وخلف البزّار بالإسكان فى المواضع الأربعة.

وجه قراءة الفتح، أنه جمع «كسْفة» مثل: «قطعة وقطع». ووجه قراءة الإسكان، أنّ «كسْفة» مفرد(١).

﴿أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا (٩٣)﴾

معانى المفردات:

* ﴿أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ﴾: هذا معطوف على ما قبله ضمن ما طلبه كفار مكّة من النبى ﷺ.

* عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) ومجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) وقتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ): فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ﴾: قالوا: أى بيت من ذهب.. اهـ(٢).

* ﴿أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ﴾، أى: تصعد فى درج إلى السماء.

* ﴿وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ﴾:

المعنى: وقال كفار مكة للنبى ﷺ: لن نصدقك من أجل رقيِّك إلى السماء حتى تُنزّل علينا كتابًا خاصًا نؤمر فيه باتباعك، ويكون عند كل رجل منا صحيفة عند رأسه يقرؤها، وقد قال بهذا المعنى: مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ)(٣).

---

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ٣٥٤ ـ ٣٥٥).

(٢) انظر: تفسير الطبرى (٨/ ١٤٨).

(٣) انظر: تفسير الطبرى (٨/ ١٤٩).

﴿ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَن قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا (٩٤) قُل لَّوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَّسُولًا (٩٥) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ ﴾: المراد بالهدى: الرسل، والكتب التى أنزلها الله - تعالى -، والكل يدعو إلى توحيد الله - تعالى -، والإيمان بما جاءت به الرسل.

* ﴿ إِلَّا أَن قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴾:

✴ **المعنى:** وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا قولهم أبعث الله بشرًا رسولا؟.

* ﴿ قُل لَّوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ ﴾ الآية:

✴ **المعنى:** يقول الله - سبحانه وتعالى - لنبيه - عليه الصلاة والسلام -: قل «يا محمد» لهؤلاء الذين أبوا الإيمان بك وتصديقك فيما جئتهم به استكبارًا لأنْ بعث الله رسولا من البشر: لو كان فى الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزّل الله عليهم من السماء ملكًا رسولا، لأن الملائكة إنما تراهم أمثالهم من الملائكة، ومن خصّه الله من بنى آدم برؤيتها وهم الرسل، أمّا غير الرسل فإنهم لا يقدرون على رؤية الملائكة فكيف يبعث الله إليهم رسلا من الملائكة، وهم لا يقدرون على رؤيتهم وهم بهيئاتهم التى خلقهم الله بها، وإنما يرسل الله الرسل إلى بنى آدم منهم، ليكون فى استطاعتهم رؤيتهم والتفاهم معهم.

﴿ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا (٩٦) وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَّأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا (٩٧) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ﴾:

✴ **المعنى:** يقول الله - تعالى - لنبيه ﷺ: قل «يا محمد» لهؤلاء القائلين لك: ﴿ أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴾: ﴿ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ﴾ فإنه نعم الكافى والحاكم.

* ﴿ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴾:

المعنى: أي: إن الله ـ سبحانه وتعالى ـ كان ولا زال بعباده ذو خبرة بأمورهم وأفعالهم، وبصيراً بتدبيرهم، لا يخفى عليه شيئًا من أمورهم، وسيجازى كل واحد بعمله إن خيرًا فخير، وإن شرّا فشر، فمن يعمل مثقال ذرّة خيرًا يره، ومن يعمل مثقال ذرّة شرّا يره.

* ﴿ وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ ﴾:

المعنى: ومن يهده الله للإيمان به، وتصديق ما جئتَهم به يا نبيّ الله، فهو المهتد الرشيد المصيب للحق.

* ﴿ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِهِ ﴾: المعنى: ومن يضلله الله ـ عزّ وجلّ ـ عن الحق، ولم يوفّقه للإيمان، فلن تجد لهم يا رسول الله أولياء ينصرونهم من دون الله.

* ﴿ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ﴾: الضمير فى ﴿ وَنَحْشُرُهُمْ ﴾ على من يضلهم الله.

* عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا ﴾ قال: لا يرون شيئًا يسرّهم.

* وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَبُكْمًا ﴾ قال: لا ينطقون بحجة.

* وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَصُمًّا ﴾ قال: لا يسمعون شيئًا يسرّهم[١].

* وأخرج أبو داود، والترمذىّ وحسَّنه، وابن جرير، وابن مردويه، والبيهقى فى البعث، عن أبى هريرة (ت ٥٩هـ ـ رضى الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «يُحشر الناسُ يوم القيامة على ثلاثة أصناف: ١ ـ صنف مشاة. ٢ ـ وصنف ركبان. ٣ ـ وصنف على وجوههم». قيل: يا رسول الله، وكيف يمشون على وجوههم؟ قال: «إن الذى أمشاهم على أقدامهم قادر أن يمشيهم على وجوههم» اهـ[٢].

* ﴿ مَّأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ﴾:

(١، ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٣٦٨).

* أخرج البخارى فى تاريخه، وابن مردويه، والبيهقى فى شعب الإيمان، عن أبى هريرة (ت ٥٩هـ ـ رضى الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تغبطنّ فاجراً بنعمة، فإنّ من ورائه طالبا حثيثا» وقرأ: ﴿ مَّأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيراً ﴾.. اهـ[1].

* وعن مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيراً ﴾ قال: كلما طفئت النار أسعرت وأوقدت.. اهـ[2].

* وقال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما): الخبء: الذى يُطفأ مرّة، ويشتغل أخرى.. اهـ[3].

﴿ ذَلِكَ جَزَاؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا (٩٨) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ ذَلِكَ جَزَاؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا ﴾: «ذلك» اسم الإشارة هذا عائد على العذاب الذى تقدم ذكره فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ﴾.. إلخ.

وحينئذ يكون المعنى: ذلك العذاب الذى أعدّه الله لهؤلاء بسبب كفرهم بآيات الله ـ تعالى ـ.

إذًا فالباء فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ بِأَنَّهُمْ ﴾ للسببيّة.

* ﴿ وَقَالُوا أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا ﴾ بالية، وهذا معطوف على ما قبله.

* ﴿ وَرُفَاتًا ﴾ أى: قد صرنا ترابًا.

* ﴿ أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴾: وهذا إنكار منهم للبعث. وقد أبطل الله إنكارهم هذا بقوله: قل لهم يا رسول الله: ﴿ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ (٧٩) ﴾ [يس: ٧٩].

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٣٦٨).

(٢، ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٣٦٩).

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلاً لاَّ رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلاَّ كُفُورًا ﴿٩٩﴾ ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ ﴾:

✱ **المعنى:** أولم ينظر هؤلاء الكفار القائلون للنبى ﷺ: ﴿ أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴾، أى: أولم يروا أن الله الذى خلق السموات والأرض، وجعل لهم أجلا لا ريب فيه قادر على أن يخلق مثلهم؟.

* ﴿ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلاً لاَّ رَيْبَ فِيهِ ﴾: المعنى: لقد أبى هؤلاء الكفار إلا جحوداً بحقيقة وعد الله الذى أوعدهم، وتكذيبًا به.

﴿ قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الإِنفَاقِ وَكَانَ الإِنسَانُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾ ﴾

❀ معانى المفردات:

* عن عطاء فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي ﴾ قال: المراد بذلك: خزائن الأرزاق.. اهـ(١).

* وعن عكرمة مولى ابن عباس (ت ١٠٥هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ إِذًا لأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الإِنفَاقِ ﴾ قال معنى ذلك: إذًا ما أطعمتم أحدًا شيئًا ـ خشية الفقر ـ».. اهـ(٢).

* وعن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَكَانَ الإِنسَانُ قَتُورًا ﴾ قال: بخيلا.. اهـ(٣).

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لأَظُنُّكَ يَا مُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ﴾: ورد فى بيان المراد بالآيات قولان:

(١ : ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٣٦٩).

الأول: أن المراد بها آيات الكتاب، وقد بينها الحديث التالي:

* فقد أخرج الطيالسىّ، وسعيد بن منصور، وابن أبى شيبة، وأحمد، والترمذىّ وصححه، والنسائىّ، وابن ماجه، وأبو يعلى، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبى حاتم، والطبرانى، والحاكم وصحّحه، وابن مردويه، وأبو نعيم، والبيهقى معًا فى الدلائل، عن صفوان بن عسّال المرادى أن يهوديّين قال أحدهما لصاحبه: انطلق بنا إلى هذا النبىّ فاسأله، فأتياه فسألاه عن قول الله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ﴾ فقال رسول الله ﷺ:

« ١ ـ لا تشركوا بالله شيئًا. ٢ ـ ولا تزنوا. ٣ ـ ولا تقتلوا النفس التى حرّم إلا بالحق. ٤ ـ ولا تسرقوا. ٥ ـ ولا تسحروا. ٦ ـ ولا تمشوا ببرىء إلى ذى سلطان فيقتله. ٧ ـ ولا تأكلوا الربا. ٨ ـ ولا تقذفوا محصنة، أو قال: ولا تفرّوا من الزّحف، شكّ الراوى. ٩ ـ وعليكم يا يهود خاصة أن لا تعتدوا فى السبت».

فقبّلا يديه ورجليه، وقالا: نشهد أنّك نبىّ، قال ـ أى النبى ﷺ ـ: «فما يمنعكما أن تسلما؟» قالا: إنّ «داود» ـ عليه السلام ـ دعا الله أن لا يزال فى ذرّيته نبىّ، وإنّا نخاف إن أسلمنا أن تقتلنا اليهود.. اهـ[١].

والثانى: أن المراد بها: المعجزات، وقد بينها الخبر التالى: قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) والضحّاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ): الآيات التسع هى: ١ ـ العصا. ٢ ـ واليد. ٣ ـ والطوفان. ٤ ـ والجراد. ٥ ـ والقمّل. ٦ ـ والضفادع. ٧ ـ والدّم. ٨ ـ والسنين. ٩ ـ ونقص من الثمرات.. اهـ[٢].

* ﴿ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ ﴾، أى: سلهم يا رسول الله إذ جاءهم «موسى» ـ عليه السلام ـ بهذه الآيات.

* ﴿ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴾، أى: ساحرًا بغرائب أفعالك.

﴿ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا (١٠٢) ﴾

(١، ٢) انظر: تفسير القرطبى (١٠/ ٢١٧).

❀ معانى المفردات:

* ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَؤُلاءِ إِلاَّ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ بَصَائِرَ﴾: المخاطب في قوله ـ تعالى ـ: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ﴾: فرعون ـ عليه لعنة الله ـ، والمراد بـ ﴿هَؤُلاءِ﴾: الآيات التسع. ومعنى ﴿بَصَائِرَ﴾، أى: دلالات يُستدلّ بها على قدرة الله ـ تعالى ـ ووحدانيته.

✳ **المعنى:** أخبر الله ـ تعالى ـ بأنّ «فرعون» ـ عليه لعنة الله ـ وقومه تبع له جحدوا وكفروا بما جاءهم به «موسى» ـ عليه السلام ـ من الآيات التسع، مع علمهم بأنها من عند الله ـ تعالى ـ. قال الله ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ (١٢) فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ (١٣) وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ (١٤)﴾ [النمل: ١٢ ـ ١٤].

* ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾: «الظن» هنا بمعنى: التحقق واليقين.

* وعن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿مَثْبُورًا﴾ قال: ملعونًا، وفى رواية: قليل العقل.. اهـ[1].

▣ القراءات وتوجيهها:

* ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ﴾ [رقم: ١٠٢].

قرأ الكسائى: ﴿علمتُ﴾ بضم التاء،على أن الفعل مسند إلى ضمير المتكلم وهو نبىّ الله «موسى» ـ عليه السلام ـ.

وقد أخبر ـ عليه السلام ـ بذلك عن نفسه، وأنه لا شكّ عنده فى أنّ الذى أنزل الآيات التسع هو الله رب السموات والأرض.

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿علمتَ﴾ بفتح التاء، وفاعل «قال» هو نبىّ الله «موسى» ـ عليه السلام ـ، وفاعل «علمتَ» ضمير المخاطب وهو فرعون ـ عليه لعنة الله ـ، وذلك أن فرعون ومن سار فى ركبه، قد علموا صحّة ما أتاهم به نبىّ الله

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٣٧١).

«موسى» ـ عليه السلام ـ ولكنهم جحدوا ذلك معاندة، وتكبرًا، يدلّ على ذلك قوله ـ تعالى ـ في سورة النّمل: ﴿ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ (١٣) وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾ [النمل: ١٣ ـ ١٤].

فلذلك قال «موسى» إلى فرعون: لقد علمتَ ما أنزل هؤلاء إلا ربّ السموات والأرض، لعلمه أنه جحد ذلك متعمدًا[١].

﴿ فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ الأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ جَمِيعًا (١٠٣) وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا (١٠٤) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ الأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ ﴾ الآية:

✳ **المعنى:** لما أراد فرعون أن يخرج نبى الله «موسى» وبنو إسرائيل من أرضه بالقتل أو الإبعاد، أخذه الله أخذ عزيز مقتدر فأهلكه الله ـ عزّ وجلّ ـ وقومه بالإغراق فى البحر.

* ﴿ وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ ﴾، أى: من بعد إغراق فرعون.

* ﴿ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الأَرْضَ ﴾، أى: أرض الشام.

* ﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ ﴾، وهو يوم القيامة.

* ﴿ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴾، أى: من قبوركم مختلطين من كل موضع، قد اختلط المؤمن بالكافر، ولكن لا يتعارفون، ولا ينحاز أحد إلى قبيلته.

* وعن ابن عباس (ت ٦٨ هـ ـ رضى الله عنهما) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴾، قال أى: جميعًا.. اهـ[٢].

* قال الأصمعىّ: اللفيف جمع وليس له واحد.. اهـ[٣].

﴿ وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (١٠٥) ﴾

---

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ٣٥٧).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٣٧١).

(٣) انظر: تفسير القرطبى (١٠/ ٢١٩).

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ ﴾: الضمير فى ﴿ أَنزَلْنَاهُ ﴾ عائد على القرآن المتقدم ذكره فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [رقم: ٨٢].

✻ **المعنى:** يخبر الله ـ تعالى ـ بأنه أنزل القرآن على نبيه «محمد» ﷺ بالحق، أى: أنزله متضمنًا لجميع الأخلاق الفاضلة الحسنة الجميلة، وفى مقدمة ذلك الأمر بتوحيد الألوهيّة والربوبيّة، كما أنه أنزله مشتملا على نبذ عبادة الأصنام، وتحريم الشرك بالله ـ تعالى ـ، وعلى تحريم جميع الأخلاق القبيحة والعادات الذميمة... إلخ.

* ﴿ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ ﴾: هذا تأكيد لما قبله.

* ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ مُبَشِّراً وَنَذِيراً ﴾: الخطاب فى ﴿ أَرْسَلْنَاكَ ﴾ إلى نبينا «محمد» ﷺ. المعنى: يخاطب الله ـ سبحانه وتعالى ـ نبيه وحبيبه قائلا له: وما أرسلتك «يا محمد» إلا مبشرًا من أسلم وأطاعنى بالجنة، ومنذرًا من كفر وعصانى بالنار. فالدعوة الإسلامية قائمة على التبشير، والإنذار.

﴿ وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلاً (١٠٦) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ ﴾: ﴿ وَقُرْآنًا ﴾ منصوب بفعل مضمر يفسره الفعل الظاهر الذى بعده وهو: ﴿ فرقناه ﴾.

وهذا ما يُعرف عند النّحاة بأنه منصوب على الاشتغال.

وقال أبىّ بن كعب (ت ٣٠هـ ـ رضى الله عنه): معنى ﴿ فَرَقْنَاهُ ﴾: بينّاه.. اهـ[١].

أى: بينّاه، وأوضحناه، وفرّقنا فيه بين الحق والباطل. قاله الحسن البصرى (ت ١١٠هـ)[٢].

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٣٧٢).

(٢) انظر: تفسير القرطبى (١٠/ ٢١٩).

* وقال مجاهد بن جبر المفسّر (ت ١٠٤هـ): معنى ﴿لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ﴾، أي: على ترسّل فى التلاوة والترتيل، قال الله - تعالى -: ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ④﴾ [المزّمل: ٤][1].

* وقال ابن عباس (ت ٦٨هـ - رضى الله عنهما) وابن جريج عبد الملك بن عبد العزيز (ت ١٥٠هـ): مثل قول ابن مجاهد[2].

* وقال القرطبى (ت ٦٧١هـ) فى تفسيره: فيعطى القارئ القراءة حقّها من ترتيلها، وتحسينها، وتطييبها بالصّوت الحسن ما أمكن، من غير تلحين، ولا تطريب مؤدّ إلى تغيير لفظ القرآن بزيادة أو نقصان فإنّ ذلك حرام.. اهـ[3].

●● **مهمة:** أقول: قراءة القرآن الكريم يجب أن تكون وَفْقًا للكيفية التى نزل بها «جبريل» - عليه السلام - على نبينا «محمد» ﷺ. وكما تلقّاها الصحابى - رضى الله عنهم - عن الرسول ﷺ. وكما تلقّاها التابعون عن الصحابة. وهكذا تلقّاها المسلمون جيلا عن جيل حتّى وصلت إلينا بالسند الصحيح حتى رسول الله ﷺ. وهذه الكيفية التى نزل بها القرآن الكريم لن تتحقّق إلا إذا أخذ المسلم القرآن عن شيخ من أساتذة القرآن، لأن القراءة سنة متّبعة مبنيّة على التلقى والمشافهة حتّى يتجنّب القارئ اللّحن، أو التحريف فى كتاب الله - تعالى -. وقراءة القرآن لها كيفية مخصوصة تختلف عن القراءة العاديّة، لذلك فإنه يجب فيها التلقى والمشافهة، ولا تجوز القراءة من مجرّد المصحف لأن ذلك يؤدّى حتمًا إلى التحريف فى كتاب الله - تعالى -.

كما أنه لم يثبت قطّ أنّ أحدًا من الصحابة أو التابعين قرأ القرآن من مجرّد المصحف، وإنما كان ذلك بالتلقى والمشافهة، اللهم قد بلّغتُ اللهم فاشهد.

* ﴿وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلًا﴾:

* عن قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) فى قوله - تعالى -: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلًا﴾: قال: لم ينزل فى ليلة ولا ليلتين، ولا شهر ولا شهرين، ولا سنة ولا سنتين، ولكن كان بين أوّله وآخره عشرون سنة، وما شاء الله من ذلك.. اهـ[4].

(١ : ٣) انظر: تفسير القرطبى (١٠/ ٢٢٠).
(٤) انظر: تفسير الطبرى (٨/ ١٦٣).

* وعن القرطبى (ت ٦٧١هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلاً ﴾: قال: هذا مبالغة وتأكيد بالمصدر للمعنى المتقدّم، أى: أنزلناه نجمًا بعد نَجْم، ولو أُخذوا بجميع الفرائض فى وقت واحد لنفروا.. اهـ(١).

﴿ قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّدًا (١٠٧) وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً (١٠٨) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لا تُؤْمِنُوا ﴾: الضمير فى «به» عائد على القرآن المتقدم ذكره فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ ﴾ [رقم: ١٠٦].

✷ **المعنى:** يقول الله ـ سبحانه وتعالى ـ لنبيه «محمد» ﷺ: قل «يا محمد» لهؤلاء القائلين لك: ﴿ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنبُوعًا (٩٠) ﴾ [رقم: ٩٠]: آمنوا بهذا القرآن الذى لو اجتمعت الإنس والجنّ على أن يأتوا بمثله لم يأتوا به ولو كان بعضهم لبعض ظهيرًا، ألا تؤمنوا به، فإنّ إيمانكم به لن يزيد فى خزائن رحمة الله ـ تعالى ـ.

كما أن ترككم الإيمان به لن يُنقص من ذلك شيئًا. وهذا من الله ـ عزّ وجلّ ـ على وجه التبكيت والتهديد لهم، لا على وجه التخيير الحقيقى.

* ﴿ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ ﴾: أى: من قبل نزول القرآن عليك يا رسول الله، وهم مؤمنو أهل الكتابين.

* ﴿ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ﴾، أى: يُقرأ عليهم القرآن الكريم.

* ﴿ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴾: أى: مؤمنو أهل الكتاب إذا قرئ عليهم القرآن يخرّون لأذقانهم سجّدًا لله ـ تعالى ـ تعظيمًا له وتكريمًا، ويقولون فى سجودهم: ﴿ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً ﴾.

* فى صحيح مسلم وغيره عن «عائشة» أم المؤمنين (ت ٥٨هـ ـ رضى الله عنها) قالت: كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول فى سجوده وركوعه: «سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لى» اهـ(٢).

(١، ٢) انظر: تفسير القرطبى (١٠/ ٢٢٠).

﴿ وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا (١٠٩) قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ وَلا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَلا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً (١١٠) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴾:

✳ **المعنى:** ويخرّ الذين أوتوا العلم من مؤمنى أهل الكتابين من قبل نزول القرآن لأذقانهم يبكون عندما يقرأ عليهم القرآن ويزيدهم ما فى القرآن من المواعظ والعبر خشوعًا، وخضوعًا لأمر الله ـ تعالى ـ واستكانة له.

* عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ ﴾، قال: صلّى رسول الله ﷺ بمكة ذات يوم، فدعا الله فقال فى دعائه: «يا الله.. يا رحمن» فقال المشركون: انظروا إلى هذا الصابئ، ينهانا أن ندعو إلهين وهو يدعو إلهين، فأنزل الله: ﴿ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ ﴾[١].

* وعن مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ أَيًّا مَّا تَدْعُوا ﴾ قال: بأى اسم من أسمائه.. اهـ[٢].

* ﴿ فَلَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴾: قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون فى أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون ﴾ [النحل: ١٨٠].

* وعن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَلا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً ﴾: قال: نزلت ورسول الله ﷺ بمكة متوارٍ، فكان إذا صلّى بأصحابه رفع صوته بالقرآن، فإذا سمع ذلك المشركون سبُّوا القرآن ومن أنزله ومن جاء به، فقال الله لنبيه ﷺ: ﴿ وَلا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ ﴾، أى: بقراءتك، فيسمع المشركون فيسبوا القرآن، ﴿ وَلا تُخَافِتْ بِهَا ﴾ عن أصحابك فلا تسمعهم القرآن حتّى يأخذوه عنك، ﴿ وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً ﴾، أى: بين الجهر والمخافتة.. اهـ[٣].

(١ : ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٣٧٣).

﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا (١١١) ﴾

❀ معاني المفردات:

* ﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا ﴾: هذه الآية ردّ على كل من ادّعى أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ ولدًا.

* ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ ﴾: لأنه إله واحد لا شريك له في ملكه، ولا في عبادته.

* وعن مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ ﴾، قال: لأنه ـ تعالى ـ ما حالف أحدًا، ولا ابتغى نصر أحد.. اهـ(١).

* ﴿ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴾، أي: عظمه عظمة تامّة.

* ورد أنّ أبلغ كلمة في تعظيم الله ـ سبحانه وتعالى ـ: «الله أكبر» إذْ معناها: أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ أكبر من كل شيء على الإطلاق.

● ● ●

تمّ ولله الحمد والشكر تفسير سورة الإسراء

ويليها بإذن الله ـ تعالى ـ

[تفسير سورة الكهف]

● ● ●

(١) انظر: تفسير القرطبي (١٠/ ٢٢٣).

سورة الكهف
مكية وهي مائة وعشر آيات

* عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) وعبد الله بن الزبير (ت ٣هـ ـ رضى الله عنه): أنّ سورة الكهف نزلت بمكّة.. اهـ[١].

* وأخرج أحمد، ومسلم، وأبوداود، والترمذى، والنسائى، وغيرهم، عن أبى الدراء ـ رضى الله عنه ـ، عن النبى ﷺ قال: «من حفظ عشر آيات من أوّل سورة الكهف عُصِم من فتنة الدجّال» اهـ[٢].

* وأخرج أحمد، ومسلم، وأبو عبيد فى فضائله، عن أبى الدرداء ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ العشر الأواخر من سورة الكهف عُصِم من فتنة الدجّال» اهـ[٣].

* وأخرج البيهقى فى شعب الإيمان، عن أبى سعيد الخدرىّ ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «من قرأ سورة الكهف كما أنزلت، كانت له نوراً يوم القيامة» اهـ[٤].

* وأخرج الحاكم وصححه والبيهقى فى السنن عن أبى سعيد الخدرىّ ـ رضى الله عنه ـ أنّ النبى ﷺ قال: «من قرأ سورة الكهف فى يوم الجمعة أضاء له من النور ما بين الجمعتين» اهـ[٥].

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا (١) قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا (٢) ﴾

سبب النزول:

* قال القرطبى (ت ٦٧١هـ) فى تفسيره: ذكر ابن إسحاق أنّ قريشًا بعثوا النَّضْر ابن الحارث، وعُقْبة بن أبى مُعَيْط إلى أحبار يهود، وقالوا لهما: سلاهم عن «محمد» وصِفَا لهم صِفَته، وأخبراهم بقوله، فإنهم أهل الكتاب الأول، وعندهم عِلْم ليس عندنا من عِلْم الأنبياء.

(١ : ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٣٧٨).

(٤، ٥) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٣٧٩).

فخرجا حتى قدما المدينة، فسألا أحبار يهودعن رسول الله ﷺ، ووصفا لهم أمره، وأخبراهم ببعض قوله، وقالا لهم: إنكم أهل التوراة وقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا.

فقالت لهما أحبار يهود: اسألوه عن ثلاث نأمركم بهنّ، فإن أخبركم بهنّ فهو نبيّ مرسل، وإن لم يفعل فالرّجل مُتَقوِّل، فَرَوْا فيه رأيكم:

١ ـ سلوه عن فتية ذهبوا فى الدهر الأوّل، ما كان من أمرهم، فإنه قد كان لهم حديث عَجَبٌ.

٢ ـ وسلوه عن رجل طوّاف قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها، ما كان نَبَؤُه.

٣ ـ وسلوه عن الروح ما هى؟

فإذا أخبركم بذلك فاتّبعوه فإنه نبىّ، وإن لم يفعل فهو رجل متقوِّل فاصنعوا فى أمره ما بدا لكم.

فأقبل النَّضْر بن الحارث، وعقبة بن أبى مُعَيْط حتى قدما مكّة على قريش فقالا: يا معشر قريش قد جئناكم بفَصْل ما بينكم وبين «محمد» ﷺ. قد أمرنا أحبار يهود أن نسأله عن أشياء أمرونا بها، فإن أخبركم عنها فهو نبيّ، وإن لم يفعل فالرّجل متقوِّل، فَرَوْا فيه رأيكم.

فجاءوا رسول الله ﷺ فقالوا: يا«محمد»:

١ ـ أخبرنا عن فتية ذهبوا فى الدّهْر الأوّل، قد كانت لهم قصّة عجب.

٢ ـ وعن رجل كان طوّافًا قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها.

٣ ـ وأخبرنا عن الرّوح ما هى؟

فقال لهم رسول الله ﷺ: «أخبركم بما سألتم عنه غداً» ولم يستثن، فانصرفوا عنه.

فمكث رسول الله ﷺ فيما يزعمون خمس عشرة ليلة، لايُحْدث الله إليه فى ذلك وَحْيا لا يأتيه «جبريل» حتّى أرْجَف أهل مكة وقالوا: وعَدَنا «محمد» غداً، واليوم خمس عشرة ليلة، وقد أصْبَحنا منها لا يخبرنا بشىء ممّا سألناه، وحتّى أحزن رسول الله ﷺ مُكْثُ الوحى عنه، وشقّ عليه ما يتكلّم به أهل مكة، ثم جاءه «جبريل»

ـ عليه السلام ـ من عند الله بسورة أصحاب الكهف فيها معاتبته إيّاه على حزنه عليهم، وخبر ما سألوه عنه من أمْر الفتية، والرجل الطوّاف، والروح.. اهـ[١].

❀ معانى المفردات:

* ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا ﴾: الضمير فى «عبده» عائد على لفظ الجلالة «الله» والمراد بـ «عبده» نبينا «محمد» ﷺ، وإضافة الرسول ﷺ إلى لفظ الجلالة إضافة تكريم وتشريف.

* وعن مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) فى الآية الكريمة قال: هذا من التقديم والتأخير، والمعنى: أنزل على عبده الكتاب قيِّما، ولم يجعل له عوجا.. اهـ[٢].

* والمراد بالكتاب: القرآن الكريم.

* ﴿ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا * قَيِّمًا ﴾، أى: أنزل الله ـ سبحانه وتعالى ـ القرآن على نبيه «محمد» ﷺ، وأنزله معتدلا لا اختلاف فيه.

* وعن الضحاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ) فى معنى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ قَيِّمًا ﴾ قال: معناه: مستقيمًا.. اهـ[٣].

* وعن السّدّى إسماعيل بن عبد الرحمن (ت ١٢٧هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا ﴾ قال: عذابًا شديدًا.. اهـ[٤].

* وعن قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ مِّن لَّدُنْهُ ﴾ قال: أى من عند الله ـ تعالى ـ.. اهـ[٥].

* وعن السدّى إسماعيل بن عبد الرحمن (ت١٢٧هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴾: قال: الأجر الحسن هو الجنّة.. اهـ[٦].

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (١٠/ ٢٢٥ ـ ٢٢٦).
(٢ : ٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٣٨٢).
(٥، ٦) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٣٨٢).

▣ القراءات وتوجيهها:

* ﴿ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا ﴾ [رقم: ١ ـ ٢].

قرأ حفص حال وصل: ﴿ عوجًا ﴾ بـ ﴿ قيِّما ﴾ بخُلْف عنه بالسكت على الألف المبدلة من تنوين﴿ عوجًا ﴾ سكتة لطيفة من غير تنفّس مقدار حركتين[١]. وذلك أى السكت لعدم إيهام أن يكون ﴿ قيمًا ﴾ نعتًا لـ ﴿ عوجًا ﴾ فيفسد المعنى، لأنّ ﴿ قيِّما ﴾ حال من «الكتاب» فهى من أوصافه.

وقرأ الباقون من القراء العشرة بعدم السكت، وهو الوجه الثانى لحفص وذلك على الأصل، واعتمادًا على أنّ المتأمّل فى معنى الآية يدفع هذا الإيهام الذى عللنا به السكت[٢].

* ﴿ لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ ﴾ [رقم: ٢].

قرأ شعبة: ﴿ لدنه ﴾ بإسكان الدال مع إشْمامها[٣].

وكسر النون، والهاء، ووصلها بياء فى اللفظ فتصير «لدنهى».

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ لدُنْهُ ﴾ بضم الدال، وسكون النون، وضم الهاء، على الأصل.

و﴿ لَدُن ﴾ ظرف غير متمكن بمعنى «عند» وهو مبنى على السكون[٤].

* ﴿ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [رقم: ٢].

قرأ حمزة، والكسائى: ﴿ ويَبْشُر ﴾ بفتح الياء، وإسكان الباء، وضمّ الشين مخففة، من «البِشْر» وهو البشارة.

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ ويُبَشِّر ﴾ بضمِّ الياء، وفتح الباء، وكسر الشين مشدّدة، من «بشّر» مضعّف العين، لهجة أهل الحجاز[٥].

---

(١) الحركة قدّرها علماء القراءات بزمن قبض إصبع اليد، أو بسطه.

(٢) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ٣٥٨).

(٣) الإشمام هنا: عبارة عن إشمام الدّال الضم بدون صوت، ليدلّ بذلك على أن أصلها الضمّ، ولا يعرف ذلك إلا بالتّلقّى والمشافهة.

(٤) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ٣٥٩).

(٥) انظر: المهذب فى القراءات العشر وتوجيهها (١/ ٣٩٤).

﴿ مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ③ وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ④ ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴾، أى: المؤمنون خالدون فى نعيم الجنّة خلودًا أبديًا لا نهاية له.

* وعن السدّى إسماعيل بن عبد الرحمن (ت ١٢٧هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴾ قال: هم اليهود والنصارى.. اهـ[١].

* ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ﴾ [التوبة: ٣٠].

﴿ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلا لآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِبًا ⑤ فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَٰذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ⑥ ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلا لآبَائِهِمْ ﴾:

المعنى:

ليس لليهود، والنصارى بقولهم: لله ـ عزّ وجلّ ـ وَلَدٌ، عِلم، ولا لآبائهم، لأنهم قالوا ذلك بغير دليل، وإنما هو عبارة عن تقليد للكافرين الذين جاءوا قبلهم، يرشد إلى ذلك قول الله ـ تعالى ـ: ﴿ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ ﴾ [التوبة: ٣٠].

* ﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً ﴾: ﴿ كَلِمَةً ﴾ منصوبة على التمييز.

أى: عظمت تلك الكلمة كلمةً، وهى قولهم: اتخذ الله ولدًا. يقال: كبر الشىء: إذا عظم، وكبر الرجل: إذا أسنّ.

* ﴿ تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ﴾: فى موضع الصفة لـ «كلمةً».

* ﴿ إِن يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِبًا ﴾: ﴿ إِنْ ﴾ حرف نفى بمعنى «ما»،أى: ما يقولون إلا كذبا.

---

(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٣٨٢).

* عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) وسعيد بن جبير (ت ٩٥هـ) ومجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) والسدّى إسماعيل بن عبد الرحمن (ت ١٢٧هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ ﴾ قالوا: قاتل نفسك.. اهـ[١].

* ﴿ عَلَىٰ آثَارِهِمْ ﴾: جمع «إثر» والمعنى: على إثر تولّيهم وإعراضهم عنك يا رسول الله.

* ﴿ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَٰذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ﴾، أى: القرآن، وهذا قول السدّى إسماعيل بن عبد الرحمن[٢].

﴿ أسفا ﴾: منصوب على التمييز، أى: حزنًا وغضبًا على كفرهم.

* عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) فى الآية قال: اجتمع عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأبو جهل بن هشام ، والنضر بن الحارث، وأميّة بن خلف، والعاص بن وائل، والأسود بن المطلب، وأبو البُخْترى، مع نفر من قريش.

وكان رسول الله ﷺ قد كبُر عليه ما يرى من خلاف قومه إيّاه، وإنكارهم ما جاء به من النصيحة، فأحزنه حزنًا شديدًا، فأنزل الله: ﴿ فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ ﴾ الآية.. اهـ[٣].

* وعن قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) فى معنى الآية قال: نهى الله ـ سبحانه وتعالى ـ نبيَّه ﷺ أن يأسف على الناس فى ذنوبهم.. اهـ[٤].

﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا ﴾: ﴿ مَا ﴾ اسم موصول بمعنى الذى مفعول أوّل لـ ﴿ جعلنا ﴾ و﴿ زينة ﴾ المفعول الثانى، لأن «جعل» تنصب مفعولين. والزينة: كل ما يتزيّن به.

* وقد اختلف العلماء فى تفسير ذلك، وسأذكر أرجح الأقوال فى ذلك:

(١ : ٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٣٨٢).

أولا: قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما): العلماء هم زينة الأرض.. اهـ[١].

ثانيًا: قال الحسن البصرى (ت ١١٠هـ): هم الرجال العبّاد العمّال لله بالطاعة.. اهـ[٢].

ثالثًا: قال مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ): المراد: كل ما عليها من شيء[٣].

* وعن قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿لِنَبْلُوَهُمْ﴾، قال: أى لنختبرهم.. اهـ[٤].

* وأخرج ابن جرير، وابن أبى حاتم، وابن مردويه، والحاكم فى تاريخه، عن ابن عمر بن الخطاب (ت ٧٣هـ ـ رضى الله عنهما) قال: تلا رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ فقلت: ما معنى ذلك يا رسول الله؟ قال: «ليبلوكم أيكم أحسن عقلا، وأورع عن محارم الله، وأسرعكم فى طاعة الله» اهـ[٥].

﴿وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا (٨)﴾

❀ معانى المفردات:

* عن قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿صَعِيدًا جُرُزًا﴾ قال: الصعيد: التراب، والجرز: التى ليس فيها زرع.. اهـ[٦].

* وعن سعيد بن جبير (٩٥هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿جُرُزًا﴾ قال: يعنى بالجرز: الخراب.. اهـ[٧].

* وقال الكسائى على بن حمزة (ت ١٨٠هـ): يقال: جَرِزت الأرضُ تجرَز، وجرَزها القوم يجرُزونها: إذا أكلوا كل ما جاء فيها من النبات والزرع فهى مجروزة وجُرُز[٨].

* وعن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) فى تفسير الآية قال: معنى ذلك: يهلك كل شيء عليها ويبيد.. اهـ[٩].

﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا (٩)﴾

(١ : ٧) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٣٨٣).

(٨) انظر: تفسير القرطبى (١٠/ ٢٣١).

(٩) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٣٨٣).

❀ معانى المفردات:

* قال سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت ١٨٠هـ): إنّ ﴿أَمْ﴾ إذا جاءت دون أن يتقدمها ألف استفهام كانت بمعنى «بَلْ».. اهـ(١).

* وعن الضحّاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ) قال: ﴿الْكَهْفِ﴾: هو غار فى الوادى.. اهـ(٢).

* ﴿وَالرَّقِيمِ﴾ اختلف العلماء فى المراد منه:

١ - فعن سعيد بن جبير (ت ٩٥هـ) قال: ﴿الرَّقِيمِ﴾: لوح من حجارة، كتبوا فيه قصّة أصحاب الكهف وأمْرهم، ثم وضعوه على باب الكهف.. اهـ(٣).

٢ - وقال السدّى إسماعيل بن عبد الرحمن (ت ١٢٧هـ): ﴿الرَّقِيمِ﴾ حين رقمت أسماؤهم فى الصخرة، كتب الْملكُ فيها أسماءهم، وكتب أنهم هلكوا فى زمان كذا وكذا فى مُلْك (ريبوس) ثم ضربها فى سور المدينة على الباب، فكان من دخل أو خرج قرأها فذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ﴾.. اهـ(٤).

* وعن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) فى معنى الآية قال: يقول الله ـ تعالى ـ: الذى آتيتك «يا محمد» من العلم والسنّة والكتاب، أفضل من شأن أصحاب الكهف والرَّقيم.. اهـ(٥).

* وعن مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) فى معنى الآية قال: كانوا بقولهم أعجب آياتنا، ليسوا بأعجب آياتنا.. اهـ(٦).

* وأخرج عبد الرزّاق، وابن أبى حاتم، عن عكرمة مولى ابن عباس (١٠٥هـ ـ رضى الله عنه) قال: كان أصحاب الكهف أبناء ملوك، رزقهم الله الإسلام، فتعوَّذوا بدينهم واعتزلوا قومهم حتّى انتهوا إلى الكهف، فضرف الله على صماخاتهم فلبثوا دهرًا طويلا حتى هلكت أمتهم، وجاءت أمَّة مسلمة وكان ملِكُهم مسلمًا.

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (١٠/ ٢٣١).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٣٨٣).

(٣ : ٦) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٣٨٤).

واختلفوا فى الروح والجسد:

١ ـ فقال قائل: يبعث الله الروح والجسد جميعًا.

٢ ـ وقال قائل: يبعث الله الروح، وأمّا الجسد فتأكله الأرضُ فلا يكون شيئًا.

فشقّ على مَلكهم اختلافُهم، فانطلق فلبس المسوح وجلس على الرَّماد، ثم دعا الله فقال: أى ربِّ قد ترى اختلاف هؤلاء فابعث لهم آية تبيِّن لهم، فبعث اللهُ أصحابَ الكهف فبعثوا أحدهم ليشترى لهم طعامًا، فدخل السوق، فلما نظر جعل ينكر الوجوه، ويَعْرِف الطرق، ورأى الإيمان ظاهرًا بالمدينة، فانطلق وهو مستخف حتّى أتى رجلا يشترى منه طعامًا، فلما نظر الرجل إلى «الوَرِق» أنكرها. فقال الفتى: أليس ملككم فلان؟ قال الرجل: بل ملكنا فلان. فلم يزل ذلك بينهما حتّى رفعه إلى الملك.

فنادى فى الناس فجمعهم فقال: إنكم اختلفتم فى الرُّوح والجسد وإنّ الله قد بعث لكم آية، فهذا الرجل من قوم فلان ـ يعنى ملكهم الذى قبله ـ فقال الفتى: انطلقوا بى إلى أصحابى. فركب الملِك وركب معه الناس حتى انتهوا إلى الكهف، فقال الفتى: دعونى أدخل إلى أصحابى، فلما أبصروه وأبصرهم، ضرب الله على آذانهم، فلما استبطؤوه دخل الملك، ودخل الناسُ معه، فإذا أجساد لا يبلى منها شىء، غير أنها لا أرواح فيها، فقال الملِك: هذه آية بعثها الله لكم.. اهـ[١].

* وقال ابن عباس (ت ٦٨ هـ ـ رضى الله عنهما) إنّ الفتية لمّا هربوا من أهليهم خوفًا على دينهم، فقدوهم فخبّروا الملِك خبرهم، فأمر بلوح من رصاص، فكتب فيه أسماءهم وألقاه فى خزانته، وقال: إنه سيكون لهم شأن، وذلك اللوح هو الرَّقيم.. اهـ[٢].

﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا (١٠)﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ﴾: ﴿إِذْ﴾ ظرف متعلق بفعل محذوف، والتقدير: اذكر يا رسول الله لقومك ما حدث لهؤلاء الفتية حين آووا إلى الكهف.. إلخ:

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٣٨٧).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٣٨٩).

* فعن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) قال: إنّ مَلكا من الملوك يُقال له (دقيانوس) ظهر على مدينة من مدائن الروم يقال لها (طرسوس) وكان بعد زمن «عيسى» ـ عليه السلام ـ فأمر بعبادة الأصنام، ودعا أهلها إلى عبادة الأصنام. وكان بها سبعة أحداث يعبدون الله سراً.

فرُفع خبرهُم إلى الملك، وخافوه فهربوا ليلا، ومرّوا براعٍ معه (كلب) فتبعهم، فآوَوْا إلى الكهف، فتبعهم الملِك إلى فَمِ الغار، فوجد أثر دخولهم ولم يجد أثر خروجهم، فدخلوا فأعمى الله أبصارهم فلم يروا شيئًا، فقال الملِك: سُدّوا عليهم باب الغار ـ أى الكهف ـ حتى يموتوا فيه جوعًا وعطشًا.. اهـ[١].

* ﴿ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ﴾، أي: مغفرة ورزقًا.

* ﴿ وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾: قال ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ: أى: مخرجًا من الغار فى سلامة.. اهـ[٢].

﴿ فَضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا (١١) ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا (١٢) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ فَضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴾:

* قال الزجّاج إبراهيم بن السَّرى (ت ٣١١هـ): يقول الله ـ تعالى ـ: منعناهم عن أن يسمعوا، لأنّ النائم إذا سمع انتبه[٣].

* وقال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما): ضربنا على آذانهم بالنوم أى: سددنا آذانهم عن نفوذ الأصوات إليها.. اهـ[٤].

* ﴿ عَدَدًا ﴾: نعت للسنين، أى معدودة، والقصد به: التكثير، لأن القليل لا يحتاج إلى عدد، لأنه معروف. والعدد: اسم للمعدود، أمّا المصدر فهو «العدّ».

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (١٠/ ٢٣٣).

(٢) انظر: تفسير القرطبى (١٠/ ٢٣٦).

(٣، ٤) انظر: تفسير القرطبى (١٠/ ٢٣٦).

* ثم بيّن الله ـ سبحانه وتعالى ـ عدد تلك السنين بعدُ فقال: ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا (٢٥)﴾ [الكهف: ٢٥].

* ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ﴾، أي: من بعد نومهم. يقال لمن أحيي، أو أقيم من نومه: مبعوث، لأنه كان ممنوعًا من الانبعاث والتصرّف.

* ﴿لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ﴾: قال ابن جريج عبد الملك بن عبد العزيز (ت ١٥٠هـ): أي من قوم الفتية أهل الهدى، وأهل الضلالة.. اهـ[١].

* وعن ابن جريج عبد الملك بن عبد العزيز فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا﴾ قال: إنهم كتبوا اليوم الذى أخرجوا فيه والشهر والسنة.. اهـ[٢]. والأمد: الغاية.

وقال أبو زكريا الفراء (ت ٢٠٧هـ): ﴿أَمَدًا﴾ نصب على التمييز[٣].

﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى (١٣)﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ﴾:

✵ **المعنى:** يقول الله ـ عزّ وجلّ ـ لنبيه «محمد» ﷺ: نحن «يا محمد» نقصّ عليك خبر هؤلاء الفتية الذين أوَوْا إلى الكهف بالحق، أي: بالصدق واليقين الذى لا شك فيه.

* ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ﴾:

✵ **المعنى:** إنّ الفتية الذين أوَوْا إلى الكهف آمنوا بربهم، وهم شباب وأحداث.

* ﴿وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾:

✵ **المعنى:** يقول الله ـ تعالى ـ: وزدنا هؤلاء الفتية إلى إيمانهم بربّهم إيمانًا وبصيرة بدينهم حتى صبروا على هجران قومهم، والهرب من بين أظهرهم بدينهم إلى الله، وإلى خشونة المكث فى الكهف.

(١، ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٣٨٩).

(٣) انظر: تفسير القرطبى (١٠/ ٢٣٧).

﴿ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَهًا لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا (١٤) ﴾

❀ معاني المفردات:

* عن قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ﴾ قال: بالإيمان.. اهـ[(١)].

* ﴿ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾: أي: حين قاموا بين يدي الملك الجبار (دقيانوس)، فقالوا له إذْ عاتبهم على تركهم عبادة آلهتهم: ﴿ رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾.

* ﴿ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَهًا ﴾: أي: لن ندعو من دون ربِّ السموات والأرض إلها، لأنه لا إله غيره.

* وعن السدّي إسماعيل بن عبد الرحمن (ت ١٢٧هـ) في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا ﴾ قال: جوراً.. اهـ[(٢)].

* وعن عبد الرحمن بن زيد (ت حوالى ١٧٠هـ) قال: الشطط: الخطأ من القول.. اهـ[(٣)].

﴿ هَؤُلاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّوْلا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا (١٥) وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا (١٦) ﴾

❀ معاني المفردات:

* ﴿ هَؤُلاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً ﴾:

✵ المعنى: يخبر الله ـ عزّ وجلّ ـ عمّا قاله الفتية أصحاب الكهف: هؤلاء قومنا اتخذوا من دون الله آلهة يعبدونها من دون الله.

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٨/ ١٨٩).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٤/ ٣٩٠).

(٣) انظر: تفسير الطبري (٨/ ١٨٩).

* وعن قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿لَوْلا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ﴾، قال: بعُذْر بيّن.

* وعنه فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾: قال: ومن أشدّ اعتداءً وإشراكًا بالله ـ تعالى ـ ممّن اختلق فتخرّص على الله كذبًا، وأشرك مع الله فى سلطانه شريكًا يعبده من دونه، ويتخذه إلها.. اهـ[1].

* وعن عطاء بن أبى مسلم الخراسانىّ (١٣٥هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ﴾ قال: كان قوم الفتية يعبدون الله، ويعبدون معه آلهة شتّى، فاعتزلت الفتية عبادة تلك الآلهة، ولم تعتزل عبادة الله.. اهـ[2].

* وعن مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ﴾ قال: كان كهفهم بين جبلين.. اهـ[3].

وقوله ـ تعالى ـ: ﴿فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ﴾، جواب «إذْ» وحينئذ يكون المعنى: وإذ اعتزلتم أيها الفتية قومكم.. إلخ. فأووا إلى الكهف.

* ﴿يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِ﴾، أى: يبسط لكم ربكم من رحمته.

* ﴿وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا﴾، أى: شيئًا ترفقون به.

* وعن السدّى إسماعيل بن عبد الرحمن (ت ١٢٧هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا﴾ قال: غذاء.. اهـ[4].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا﴾ [رقم: ١٦].

قرأ نافع، وابن عامر، وأبو جعفر: ﴿مَرْفِقا﴾ بفتح الميم، وكسر الفاء، مع تفخيم الراء.

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿مِرْفَقا﴾ بكسر الميم، وفتح الفاء، مع ترقيق الراء، وهما لهجتان فيما يرتفق به[5].

---

(١) انظر: تفسير الطبرى (٨/ ١٩٠).

(٢ : ٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٣٩٠).

(٥) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ٣٦٠).

﴿ وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا (١٧) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت ﴾ .. إلخ، الخطاب لنبينا «محمد» ﷺ.

* وعن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) وسعيد بن جبير (ت ٩٥هـ) وقتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ ﴾: قالوا معنى ذلك: تميل عن كهفهم ذات اليمين.. اهـ(١).

* ﴿ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ ﴾:

المعنى: وإذا غربت الشمس تتركهم ذات الشمال فلا تصيبهم.

* وعن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال: لو أن الشمس تطلع عليهم لأحرقتهم، ولو أنهم لا يقلّبون لأكلتهم الأرض.. اهـ(٢).

* وعن سعيد بن جبير ومجاهد بن جبر وقتادة بن دعامة فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ ﴾: قالوا: تتركهم ذات الشمال.. اهـ(٣).

* وعن سعيد بن جبير (ت ٩٥هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ ﴾، قال: فى مكان داخل الكهف.. اهـ(٤).

* وقال قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ): وهم فى فضاء من الكهف.. اهـ(٥).

* وأقول: المعنيان متقاربان.

* ﴿ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ ﴾:

المعنى: يقول الله ـ سبحانه وتعالى ـ: فعلنا ما فعلنا بهؤلاء الفتية الذين قصصنا عليك «يا محمد» أمرهم وذلك: إذْ أردنا أن نضرب على آذانهم، وجعلنا الشمس

(١، ٢) انظر: تفسير الطبرى (٨/ ١٩٢).

(٣ : ٥) انظر: تفسير الطبرى (٨/ ١٩٣).

تميل عن مضاجعهم ذات اليمين إذا هى طلعت، وتتركهم ذات الشمال إذا هى غربت، مع كونهم فى المكان المتسع من الكهف، بحيث لا تحرقهم الشمس، ولا تبلى على طول رقدتهم ثيابهم، ولا تعفّن أجسادهم، كل ذلك من الأدلّة الواضحة على كمال قدرة الله ـ سبحانه وتعالى ـ، وأنه لا يعجزه شىء.

* ﴿ مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ ﴾:

✵ **المعنى:** من يوفقه الله ـ تعالى ـ للاهتداء بآياته وحججه إلى الحقّ فهو المهتدى.

* ﴿ وَمَن يُضْلِلْ ﴾، أى: ومن أضلّه الله عن آياته وحججه:

* ﴿ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴾، أى: لن تجد له يا رسول الله من يرشده إلى الحقّ.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ ﴾ [رقم: ١٧].

قرأ عاصم، وحمزة، والكسائى، وخلف البزّار: ﴿ تزَاور ﴾ بفتح الزاى مخففة، وألف بعدها، وتخفيف الراء، على أنه مضارع «تزاور» وأصله «تتزاور» فحذفت منه إحدى التاءين تخفيفًا، ومعنى «تزاور»: تميل.

وقرأ ابن عامر، ويعقوب: ﴿ تَزْوَرُّ ﴾ بإسكان الزاى، وتشديد الراء بلا ألف «كتحمرّ» ومعنى «تزورّ»: تنقبض عنهم. و«تزورّ» مضارع «ازْورّ» مضعّف اللام.

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ تزّاور ﴾ بفتح الزاى مشدّدة، وألف بعدها، وتخفيف الراء، مضارع «تزاور» وأصله «تتزاور» فأدغمت التاء فى الزاى[١].

﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا (١٨) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ﴾: ﴿ وَتَحْسَبُهُمْ ﴾: الخطاب لنبينا «محمد» ﷺ، ويَعمُّ كل مَنْ يصلح للخطاب.

---

(٤) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ٣٦١).

﴿ أَيْقَاظًا ﴾ جمع «يقظ ويقظان» وهو المنتبه، وذلك لكثرة تقلّبهم كالمستيقظ فى مضجعه.

* وعن قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) فى قوله - تعالى -: ﴿ وَهُمْ رُقُودٌ ﴾ ،قال: وهم فى رقدتهم الأولى.. اهـ[١].

* وعن ابن عباس (ت ٦٨هـ - رضى الله عنهما) وسعيد بن جبير (ت ٩٥هـ) فى قوله - تعالى -: ﴿ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ ﴾: قالا: وذلك كى لا تأكل الأرض لحومهم.. اهـ[٢].

* وعن ابن عباس (ت ٦٨هـ - رضى الله عنهما) وسعيد بن جبير (ت ٩٥هـ) ومجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) فى قوله - تعالى -: ﴿ وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ ﴾ قالوا: بفناء باب الكهف.. اهـ[٣].

* ﴿ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا ﴾: أى: لو أشرفت عليهم ونظرت إليهم أيها المخاطب لهربت منهم.

* ﴿ وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴾: وذلك لما حفّهم الله - تعالى - من الرعب، واكتنفهم من الهيبة.

* قال ابن عطيّة: إنّ الله - عزّ وجلّ - حفظ لهم الحالة التى ناموا عليها: فلم يُبْلَ لهم ثوب، ولم تُغَيَّر لهم صفة، وذلك لتكون لهم، ولغيرهم فيهم آية وعلامة على قدرة الله - تعالى -.. اهـ[٤].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا ﴾ [رقم: ١٨].

قرأ ابن عامر، وعاصم، وحمزة، وأبو جعفر: ﴿ وتحسبهم ﴾ بفتح السين، والباقون بكسرها، وهما لهجتان فى المضارع[٥].

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٣٩١).
(٢) انظر: تفسير القرطبى (١٠/ ٢٤١)، وتفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٣٩١).
(٣، ٤) انظر: تفسير القرطبى (١٠/ ٢٤٣).
(٥) انظر: المهذب فى القراءات العشر وتوجيهها (١/ ٣٩٦).

* ﴿ وَلَمُلِئْتَ ﴾ [رقم: ١٨].

قرأ نافع، وابن كثير، وأبو جعفر: ﴿ ولملّئت ﴾ بتشديد اللام الثانية.

وقرأ الباقون بتخفيفها، وهما لهجتان(١).

* ﴿ وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴾ [رقم: ١٨].

قرأ ابن عامر، والكسائى، وأبو جعفر، ويعقوب: ﴿ رُعُبا ﴾ بضم العين، والباقون بإسكانها للتخفيف(٢).

﴿ وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا (١٩) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ ﴾:

✳ **المعنى:** كما ضربنا على آذانهم وأنمناهم، وقلّبناهم ذات اليمين وذات الشمال، أيقظناهم من نومهم على ما كانوا عليه من هيئتهم فى ثيابهم وأحوالهم.

* ﴿ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ ﴾: اللام فى ﴿ لِيَتَسَاءَلُوا ﴾ لام العاقبة، كقوله ـ تعالى ـ: ﴿ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ﴾ [القصص: ٨]. أى: ليسأل بعضهم بعضًا.

* ﴿ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ﴾:

✳ **المعنى:** فتساءلوا فقال قائل منهم لأصحابه: ﴿ كَمْ لَبِثْتُمْ ﴾ وذلك أنهم استنكروا من أنفسهم طول نومهم.

* ﴿ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ﴾:

✳ **المعنى:** أجابه الآخرون بقولهم: ﴿ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ﴾: وذلك أنهم دخلوا الكهف غُدْوة، وانتبهوا من النوم عشيّة، فقالوا لبثنا يومًا، ثم نظروا فقالوا:

---

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ٣٦٢).

(٢) انظر: المهذب فى القراءات العشر وتوجيهها (١/ ٣٩٦).

﴿ أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ﴾. فأجابهم الآخرون بقولهم:

* ﴿ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ ﴾: فسلّموا العلم إلى الله ـ تعالى ـ.

* ﴿ فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَىٰ طَعَامًا ﴾:

✳ **المعنى:** يروى أنهم انتبهوا من نومهم جياعًا فقال بعضهم: أرسلوا أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة التى خرجتم منها هربًا بدينكم، فلينظر أيها أطيب طعامًا.

* قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) معنى «أطيب طعاما»: أى: أحلّ ذبيحة، لأنهم كانوا يذبحون للطواغيت.

وفى رواية: أطهر ذبيحة لأنهم كانوا يذبحون الخنازير.. اهـ[١].

* وقال ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ: كان معهم (دراهم) عليها صورة الملِك الذى كان فى زمانهم وقت دخولهم الكهف[٢].

* ﴿ فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ ﴾، أى: بطعام.

* ﴿ وَلْيَتَلَطَّفْ ﴾ أى: فى دخول المدينة، وفى شراء الطعام.

* ﴿ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴾، أى: لا يعلمنّ بكم أحدًا من الناس.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ بِوَرِقِكُمْ ﴾ [رقم: ١٩].

قرأ أبو عمرو، وشعبة، وحمزة، وروح، وخلف البزّار: ﴿ بورْقكم ﴾ بإسكان الراء للتخفيف.

وقرأ الباقون بكسر الراء على الأصل[٣].

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٣٩٢).

(٢) انظر: تفسير القرطبى (١٠/ ٢٤٤).

(٣) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ٣٦٣).

﴿ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا (٢٠) وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا (٢١) ﴾

❀ معاني المفردات:

* ﴿ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ ﴾:

✳ **المعنى:** هذا متصلٌ بقوله ـ تعالى ـ قبل: ﴿ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴾، أي: إنهم حينئذ إن يظهروا عليكم أي: (دقيانوس) وقومه: إن يعرفوا مكانكم ﴿ يَرْجُمُوكُمْ ﴾:

* قال الزجاج إبراهيم بن السَّرى (ت ٣١١هـ): أى: يرجموكم بالحجارة، وهو أخبث القتل.. اهـ[١].

* وقال ابن جريج عبد الملك بن عبد العزيز (ت ١٥٠هـ): معنى ﴿ يَرْجُمُوكُمْ ﴾ أى: يؤذوكم، ويشتموكم.. اهـ[٢].

* ﴿ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ ﴾: هذا معطوف على ما قبله، يقولون: إنهم إن يظهروا عليكم يرجموكم أو يعيدوكم فى ملتهم، أى: يردّوكم فى دينهم فتحيروا كفارًا بعبادة الأوثان.

* ﴿ وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا ﴾، أى: إن عدتم فى ملتهم.

* ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ ﴾: أى: أطلعنا عليهم، وأظهرناهم.

* ﴿ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ﴾: وذلك أنّ (دقيانوس) مَاتَ، ومضت قرون، ثم جاء مَلِكٌ صالح.

يُقال: إنهم لما بعثوا أحدهم بورقهم إلى المدينة ليأتيهم بالطعام، واسم الذى بعثوه (تمليخا). فلما دخل (تمليخا) المدينة استنكروا شخصه، واستنكروا دراهمه

(١) انظر: تفسير القرطبى (١٠/ ٢٤٤).
(٢) انظر: تفسير الطبرى (٨/ ٢٠٤).

لبعد العهد،فحُمل (تمليخا) إلى الملك الصالح، فلما نظر إليه قال: لعلّ هذا من الفتية الذين خرجوا على عهد (دقيانوس) الملك السابق، فقد كنتُ أريد أن يرينَيهم.

ثم سأل الملك الصالح (تمليخا) فأخبره بقصتهم وحالهم. فركبوا جميعًا وذهبوا إلى الكهف، فلما دنَوْا من الكهف قال (تمليخا): أنا أدخل عليهم وحدى كى لا يرعبوا، فدخل عليهم وأعلمهم الأمر، وأن الأمّة الحاليّة أمّة مسلمة. وأكثر الروايات على أنهم بعد أن حدّثهم (تمليخا) ماتوا جميعًا ميتة حقيقية.

ورجع كل من كان قد شكّ فى بعث الأجساد إلى اليقين، وهذا معنى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لا رَيْبَ فِيهَا ﴾.

* ﴿ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴾:

* عن السدّى إسماعيل بن عبد الرحمن (ت ١٢٧هـ) قال: لمّا مات أصحاب الكهف الميتة الحقيقية، قال الملكُ الصالح: لأتّخذنّ عند هؤلاء القوم الصالحين مسجداً، لأعبد الله فيه حتى الموت.. اهـ[(١)].

﴿ سَيَقُولُونَ ثَلاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ قَلِيلٌ فَلا تُمَارِ فِيهِمْ إِلاَّ مِرَاءً ظَاهِرًا وَلا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا (٢٢) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾:

* قال البغوىّ (ت ٥١٦هـ) فى تفسيره: روى أنّ السيِّد، والعاقب، وأصحابهما من نصارى أهل نجران كانوا عند النبى ﷺ فجرى ذكر أصحاب الكهف:

١ ـ فقال «السيِّد» وكان يعقوبيا: كانوا ثلاثة رابعهم كلبهم.

٢ ـ وقال «العاقب» وكان نسطوريّا: كانوا خمسة سادسهم كلبهم.

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٣٩٢).

٣ ـ وقال المسلمون: كانوا سبعة ثامنهم كلبهم[١].

ثم استطرد البغوى قائلا: فحقّق الله قول المسلمين بعدما حكى قول النصارى، فقال: ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ ﴾، أيْ: ظنّا وحَدْسًا من غير يقين، ولم يقل هذا فى حق السبعة فقال: ﴿ ويقولون ﴾، أى: المسلمون ﴿ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾.. اهـ[٢].

* وقد اختلف العلماء فى الواو فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَثَامِنُهُمْ ﴾ على قولين:

* القول الأول: قيل: هى واو الحكم والتحقيق كأنّ الله ـ سبحانه وتعالى ـ حكى اختلافهم، وتمَّ الكلام عند قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ ﴾ ثم حقّق الله هذا القول بقوله: ﴿ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾، والثامن لا يكون إلا بعد السابع.

* والقول الثانى: قيل: هذه واو الثمانية، أى: تدخل على العدد «ثمانية»، ونظير ذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿ التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾ [التوبة: ١١٢].

* وقوله ـ تعالى ـ: ﴿ عَسَىٰ رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا (٥) ﴾ [التحريم: ٥].

* ﴿ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ قَلِيلٌ ﴾:

المعنى: أمر الله ـ سبحانه وتعالى ـ نبيّه «محمدًا» ﷺ أن يردّ علم عدد أصحاب الكهف إليه ـ عزّ وجلّ ـ. ثم أخبر ـ سبحانه وتعالى ـ بأن عالم ذلك من البشر قليل.

* قال ابن مسعود (ت ٣٢هـ ـ رضى الله عنه) وابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) قال كل واحد منهما: أنا من القليل، كانوا سبعة وثامنهم كلبهم[٣].

* ﴿ فَلا تُمَارِ فِيهِمْ إِلاَّ مِرَاءً ظَاهِرًا ﴾:

(١، ٢) انظر: تفسير البغوى (٣/ ١٥٦).

(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٣٩٣).

❋ **المعنى:** هذا أمر من الله - تعالى - لنبيّه وحبيبه نبينا «محمد» ﷺ بعدم المجادلة فى عدد أصحاب الكهف ﴿إِلاَّ مِرَاءً ظَاهِرًا﴾ وهو: ما قصّه الله - عزّ وجلّ - عليه، فيقف عنده ولا يزيد عليه.

* ﴿وَلا تَسْتَفْتِ فِيهِم﴾، أى: أصحاب الكهف. * ﴿مِّنْهُمْ﴾، أى: من أهل الكتاب.

* ﴿أَحَدًا﴾ يقول الله لنبيه ﷺ: لا ترجع إلى قول أهل الكتاب فى شأن أصحاب الكهف بعد أن أخبرتك.

﴿وَلا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿وَلا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا * إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾:

* أخرج ابن مردويه عن ابن عباس (ت ٦٨هـ - رضى الله عنهما): أنّ النبىّ ﷺ حَلَفَ على يمين فمضى له أربعون ليلة، فأنزل الله: ﴿وَلا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ﴾ الآية: واستثنى النبىّ ﷺ بعد أربعين ليلة.. اهـ[1].

* وقال القرطبى (ت ٦٧١هـ) فى تفسيره: قال العلماء: عاتب الله - تعالى - نبيّه ﷺ على قوله للكفّار حين سألوه عن: الرّوح، والفتية، وذى القرنين: غداً أخبركم بجواب أسئلتكم، ولم يستثن فى ذلك، فاحتبس الوحى عنه خمسة عشر يومًا، حتّى شقّ ذلك عليه، وأرْجف الكفّار به، فنزلت عليه هذه السورة مفرِّجة.

وأمره الله - سبحانه وتعالى - فى هذه الآية ألا يقول فى أمر من الأمور إنِّى أفعل غداً كذا وكذا، إلا أن يعلق ذلك بمشيئة الله - عزّ وجلّ - حتّى لا يكون محقّقًا لحكم الخبر، فإنه إذا قال: لأفعلنّ ذلك إن شاء الله خرج عن أن يكون محقّقًا للمخبر عنه[2].

* وأخرج البيهقى فى الأسماء والصفات، عن ابن عمر (٧٣هـ - رضى الله عنهما) قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ حلَف فقال: إن شاء الله، فإن شاء مضى، وإن شاء رجع غير حانث» اهـ[3].

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٣٩٤). (٢) انظر: تفسير القرطبى (١٠/ ٢٥٠).
(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٣٩٥).

* وعن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) فى هذه الآية، قال: إذا نسيتَ أن تقول لشىء إنِّى أفعله، فنسيتَ أن تقول: إن شاء الله، فقل إذا ذكرتَ: إن شاء الله.. اهـ[١].

* وعن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ: أنه كان يرى الاستثناء ولو بعد سنة، ثم قرأ: ﴿ وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ﴾ قال: إذا ذكرتَ[٢].

* وعن أبى العالية رفيع بن مهران الرِّياحىّ (ت ٩٠هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ﴾ قال: تستثنى إذا ذكرتَ.. اهـ[٣].

* وعن الحسن البصرى (ت ١١٠هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ﴾ قال: إذا لم تقل إن شاء الله.. اهـ[٤].

* ﴿ وَقُلْ عَسَىٰ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴾:

✻ **المعنى:** أمر الله ـ سبحانه وتعالى ـ نبيه ﷺ أن يذكره إذا نسى شيئًا ويسأله أن يهديه لما هو خير له من ذكر ما نسيه.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ وَقُلْ عَسَىٰ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي ﴾ [رقم: ٢٤].

قرأ نافع، وأبو عمرو، وأبو جعفر: ﴿ أن يهدين ﴾ بإثبات الياء وصلا.

وقرأ ابن كثير، ويعقوب بإثباتها وصلا ووقفا.

وقرأ الباقون من القراء العشرة بحذفها فى الحالين[٥].

﴿ وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا (٢٥) ﴾

✻ المعنى:

* عن قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا ﴾ قال: هذا قول أهل الكتاب، فردّ الله عليهم بقوله: ﴿ قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا ﴾.. اهـ[٦].

(١ : ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٣٩٤).

(٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٣٩٥).

(٥) انظر: المهذب فى القراءات العشر وتوجيهها (١/ ٣٩٦).

(٦) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٣٩٦).

* وقال آخرون: هذا إخبار من الله ـ سبحانه وتعالى ـ عن قدر لبثهم فى الكهف.

قال البغوى فى تفسيره: وهذا هو الأصح[١].

وقال الطبرى (ت ٣١٠هـ) فى تفسيره: وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب أن يقال كما قال الله ـ عزَّ ذكره ـ: ولبث أصحاب الكهف فى كهفهم رقودًا إلى أن بعثهم الله ليتساءلوا بينهم، وإلى أن عُثِرَ عليهم: ثلاث مائة سنة وتسع سنين، لأن الله أخبر بذلك فى كتابه.. اهـ[٢].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ ثَلاثَ مِائَةٍ سِنِينَ ﴾ [رقم: ٢٥].

قرأ حمزة، والكسائى، وخلف البزّار: ﴿ مائة ﴾ بترك التنوين على الإضافة إلى «سنين» على القياس فى تمييز المائة فى مجيئه مجرورًا بالإضافة.

وإنما وقع جمعًا، والقياس أن يكون مفردًا رعاية للأصل، إن الأصل أن يكون التمييز مطابقًا للمميِّز، لكنهم التزموا فى تمييز ما فوق العشرة أن يكون مفردًا ميلا للاختصار.

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ مائةٍ ﴾ بالتنوين، على أن «سنين» عطف بيان لـ «ثلاث» المميَّز بمائة[٣].

﴿ قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا (٢٦) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا ﴾:

المعنى: يقول الله ـ سبحانه وتعالى ـ لنبيه «محمد» ﷺ: قل «يا محمد»: الله أعلم بما لبثوا بعد أن قبض أرواحهم من بعد أن بعثهم من رقدتهم إلى يومهم هذا، لا يعلم بذلك غير الله ـ تعالى ـ.

---

(١) انظر: تفسير البغوى (٣/ ١٥٨). (٢) انظر: تفسير الطبرى (٨/ ٢١١).

(٣) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ٣٦٣ ـ ٣٦٤).

* ﴿ لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾: أى: لله وحده عِلْم غيب السموات والأرض، لا يعزب عنه علم شىء منه، ولا يخفى عليه شىء.

* وعن قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ ﴾ قال: لا أحد أبصر من الله ولا أسمع ـ تبارك وتعالى ـ.. اهـ[(١)].

* ﴿ مَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ ﴾:

المعنى: ليس لخلقه دون ربهم الذى خلقهم ولىٌّ يلى أمورهم.

* ﴿ وَلا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴾:

المعنى: لا يشرك الله فى حكمه أحدًا من خلقه، لأنه ليس فى حاجة إلى أحد منهم، لأنه هو المنفرد بالحكم والقضاء فى جميع مخلوقاته، وهو العزيز الحكيم.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ وَلا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴾ [رقم: ٢٦].

قرأ ابن عامر: ﴿ ولا تشركْ ﴾ بتاء الخطاب، وجزم الكاف، على أنّ «لا» ناهية.

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ ولا يشركُ ﴾ بياء الغيبة، ورفع الكاف، على أنّ «لا» نافية[(٢)].

﴿ وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا (٢٧) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ﴾:

المعنى: يقول الله ـ تعالى ـ لنبيه وصفوته من خلقه نبينا «محمد» ﷺ: اقرأ «يا محمد» ما أنزلته عليك من القرآن، إنْ فى قراءته الأجر العظيم، والثواب الجزيل.

* ﴿ لا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ ﴾، أى: لا مغيِّر لكلمات القرآن، وصدق الله إذْ قال: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (٩) ﴾ [الحجر: ٩].

---

(١) انظر: تفسير الطبرى (٨/ ٢١٢)، وتفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٣٩٦).

(٢) انظر: المغنى فى توجيه القراءات (٢/ ٣٦٤).

* وعن مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴾ قال: ملجأ.. اهـ(١).

* وعن قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴾ قال: ملجأ ولا موئلا.. اهـ(٢).

* وعن عبد الرحمن بن زيد (ت حوالى ١٧٠هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴾، قال: لا يجدون ملتحدا يلتحدونه، ولا يجدون من دون الله ملجأ ولا أحد يمنعهم.. اهـ(٣).

* وأصل «الملتحد»: الميل، ومَنْ لجأتَ إليه فقد ملتَ إليه.

* قال القشيرىّ أبو نصر عبد الرحيم: هذا آخر قصّة أصحاب الكهف.. اهـ(٤).

﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا (٢٨) ﴾

سبب نزول هذه الآية:

* أخرج ابن مردويه، وأبو نعيم فى الحلية، والبيهقى فى شعب الإيمان عن سلمان الفارسىّ ـ رضى الله عنه ـ قال: جاءت المؤلفة قلوبهم إلى رسول الله ﷺ: ١ ـ عُيَيْنة بن حصن. ٢ ـ والأقرع بن حابس، وذووهم، فقالوا: يا رسول الله، إنك لو جلست فى صدر المجلس، ونحَّيْت عنّا هؤلاء، وأرْواح جبابهم، يعنون (سلمان الفارسى، وأبا ذرّ) وفقراء المسلمين، وكانت عليهم جِبَابُ الصوف، ولم يكن عليهم غيرها، جلسنا إليك وأخذنا عنك، فأنزل الله ـ تعالى: ﴿ اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ ﴾ حتى بلغ: ﴿ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا ﴾ يتهدّدهم بالنار، فقام النبى ﷺ يلتمسهم حتى إذا أصابهم فى مؤخر المسجد يذكرون الله ـ تعالى ـ قال: «الحمد لله الذى لم يُمتْنى حتى أمرنى أن أصبر نفسى مع رجال من أمّتى، معكم المحيّا، ومعكم الممات» اهـ(٥).

(١، ٢) انظر: تفسير الطبرى (٨/ ٢١٣). (٣) انظر: تفسير الطبرى (٨/ ٢١٣). (٤) انظر: تفسير القرطبى (١٠/ ٢٥٣).
(٥) انظر: تفسير القرطبى (١٠/ ٢٥٤)، وأسباب النزول للواحدى ص ٣٠٥)، وتفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٣٩٦).

* وأخرج ابن مردويه، عن الضحّاك، عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ولَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا﴾، قال: نزلت فى أميّة بن خلف وذلك أنه دعا النبيّ ﷺ إلى أمر كرهه الله من طرد الفقراء عنه، وتقريب صناديد أهل مكة، فأنزل الله: ﴿ولَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا﴾ يعنى: من ختمنا على قلبه، يعنى: التوحيد.

﴿وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ يعنى: الشرك ﴿وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ يعنى: فرطًا فى أمر الله وجهالة بالله.. اهـ[1].

❀ معانى المفردات:

* أخرج ابن جرير، والطبرانى، وابن مردويه، عن عبد الرحمن بن سهل بن حنيف قال: نزلت على رسول الله ﷺ وهو فى بعض أبياته: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ فخرج يلتمسهم فوجد قومًا يذكرون الله، فيهم ثائر الرأس، وجافّ الجلْد، وذو الثوب الواحد، فلما رآهم جلس معهم، وقال: «الحمد لله الذى جعل فى أمّتى من أمرنى أن أصبر نفسى معهم» اهـ[2].

* وأخرج أبو يعلى، وابن مردويه، والبيهقى فى الدلائل، عن أبى سعيد الخدريّ ـ رضى الله عنه ـ قال: أتى علينا رسول الله ﷺ ونحن ناس من ضعفة المسلمين، ورجل يقرأ علينا القرآن ويدعو لنا، فقال رسول الله ﷺ: «الحمد لله الذى جعل فى أمّتى مَنْ أُمِرْتُ أن أصبر نفسى معه» ثم قال: «بشّر فقراء المسلمين بالنّور التامّ يوم القيامة، يدخلون الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم، مقدار خمسمائة عام، هؤلاء فى الجنّة يتنعّمون، وهؤلاء يحاسبون»[3].

* وأخرج أحمد، عن أنس بن مالك (ت ٩٣هـ ـ رضى الله عنه) عن رسول الله ﷺ قال: «ما من قوم اجتمعوا يذكرون الله لا يريدون بذلك إلا وجه الله إلا ناداهم منادٍ من السماء: أنْ قوموا مغفوراً لكم، قد بدّلت سيئاتكم حسنات»[4].

* وعن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ولَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾ قال: لا تجاوزهم إلى غيرهم.. اهـ[5].

---

(١) انظر: أسباب النزول للواحدى ص ٣٠٦)، وتفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٣٩٨).

(٢، ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٣٩٧).

(٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٣٩٨). (٥) انظر: تفسير الطبرى (٨/ ٢١٤).

* ﴿ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾:

المراد: طلب مجالسة الأغنياء والأشراف وصحبة أهل الدنيا.

* ﴿ وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا ﴾: أي: جعلنا قلبه غافلاً عن ذكرنا، والمراد به: عيينة بن حصن. وقيل: أميّة بن خلف(١).

* ﴿ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ ﴾، أي: مراده في طلب الشهوات.

* ﴿ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾: للمفسرين في معنى فرطا أقوال أذكر أ صحها فيما يلي:

أولا: قال قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) ومجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) معنى «فرطًا»: ضياعًا(٢).

ثانيًا: قال مقاتل بن حيّان (ت ١١٠هـ) معنى «فرطا»: سرَفا(٣).

ثالثًا: قال الأخفش الأوسط سعيد بن مسعدة (ت ٢١٥هـ): معنى «فرطا»: مجاوزًا للحدّ.. اهـ(٤).

﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا (٢٩) ﴾

❀ معاني المفردات:

* ﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾:

* عن قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ﴾ قال: الحقّ هو القرآن.. اهـ(٥).

* وعن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضي الله عنهما) في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ قال: من شاء الله له الإيمان آمن، ومن شاء الله له الكفر كفر، وهو كقوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٢٩) ﴾ [التكوير: ٢٩].. اهـ(٦).

(١ : ٤) انظر: تفسير البغوي (٣/ ١٥٩).

(٥، ٦) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٤/ ٣٩٩).

* ومعنى الآية يقول الله ـ تعالى ـ لنبيه «محمد» ﷺ: قل «يا محمد» لهؤلاء الذين أغفلنا قلوبهم عن ذكرنا: أيها الناس الحقّ من ربكم، فإليه التوفيق والخذلان، وبيده الهدى والضلال، يهدى من يشاء فيؤمن، ويضلّ من يشاء فيكفر، وليس هذا بترخيص وتخيير بين الإيمان والكفر، وإنما هو وعيد وتهديد، إن كفرتم فقد أعد الله لكم النار، وإن آمنتم فلكم الجنة.

* ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا﴾، أى: أعددنا.

* ﴿للظَّالمينَ﴾، أى: الكافرين الجاحدين.

* ﴿نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾: ورد فى تفسير ﴿سُرَادِقُهَا﴾ أقوال أذكر أرجحها فيما يلى:

أولا: أخرج أحمد، والترمذى، وابن أبى الدنيا فى صفة النار، وابن جرير، وأبو يعلى، وابن أبى حاتم، وابن حبّان، وأبو الشيخ، والحاكم وصححه، وابن مردويه، عن أبى سعيد الخدرىّ ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ﷺ قال: «سرادق النار أربعة جُدُر كافة، كل جدار منها أربعون سنة» اهـ[١].

ثانيًا: قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ قال: حائط من نار.. اهـ[٢].

ثالثًا: قال ابن الأعرابى: ﴿سرادقها﴾: سورها.. اهـ[٣].

* ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ﴾: ورد فى تفسير قوله ـ تعالى ـ: ﴿بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ﴾ أقوال أذكر أرجحها فيما يلى:

أولا: أخرج أحمد، وعبد بن حميد، والترمذى، وأبو يعلى، وابن جرير، وابن أبى حاتم، وابن حبّان، والحاكم وصححه، وابن مردويه، والبيهقى فى الشعب، عن أبى سعيد الخدرىّ ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ﷺ فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿مَاءٍ كَالْمُهْلِ﴾ قال: كعكر الزيت، فإذا قرب إليه سقطت فروة وجهه فيه.. اهـ[٤].

(١، ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٣٩٩).

(٣) انظر: تفسير القرطبى (١٠/ ٢٥٦).

(٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٤٠٠).

ثانيًا: قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما): ﴿ المُهْل ﴾: ماء غليظ كدرديّ الزيت.. اهـ[١].

* وقد وافق ابن عباس فى قوله: سعيد بن جبير (ت ٩٥هـ) وعبد الله بن مسعود (ت ٣٢هـ ـ رضى الله عنه)[٢].

ثالثًا: قال مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) قال: ﴿ المهل ﴾: القيح والدم أسود كعكر الزيت.. اهـ[٣].

* ﴿ وساءتْ مُرْتفقًا ﴾:

١ ـ قال مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) معنى ذلك: وساءت مجتمعا.. اهـ[٤].

٢ ـ وقال قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) معنى ذلك: وساءت منزلا.. اهـ[٥].

﴿ إنَّ الَّذين آمَنُوا وعملُوا الصَّالحَات إنَّا لا نُضيعُ أَجْر منْ أَحْسن عملاً (٣٠) أُولَئك لَهُمْ جَنَّاتُ عدْنٍ تَجْري من تحْتهمُ الأَنْهارُ يُحلَّوْن فيها منْ أَساور من ذَهب ويلْبسُون ثيابًا خُضْرًا مّن سُندُسٍ وإِسْتبْرَقٍ مُّتَّكئين فيها عَلَى الأَرائك نعْمَ الثَّوابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا (٣١) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ إنَّ الَّذين آمَنُوا وَعَملُوا الصَّالحَات إنَّا لا نُضيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً ﴾:

✳ **المعنى:** لما ذكر الله ما أعدّه للكافرين من الهوان والعذاب فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ إنَّا أَعْتَدْنَا للظَّالمينَ نَارًا ﴾ [الآية: ٢٩].

ذكر فى هذه الآية الكريمة ما للمؤمنين من الثواب الجزيل، والأجر العظيم، ثم أخبر ـ سبحانه وتعالى ـ بأنه لا يضيع أجر من أحسن من المؤمنين عملا، و﴿ عملا ﴾ منصوب على التميز.

أمّا من أحسن عملا من غير المؤمنين فعمله محبط، ومن الأدلّة على ذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وقَدمْنَا إلَىٰ مَا عَملُوا منْ عملٍ فَجَعَلْنَاهُ هباءً مَّنثُورًا (٢٣) ﴾ [الفرقان: ٢٣].

* ﴿ أُولَئكَ لَهُمْ جنَّاتُ عَدْنٍ ﴾: وهى وسط الجنّة، وسائر الجنات محيطة بها، وذكرت بلفظ الجمع لسعتها.

(١ : ٥) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٤٠٠).

و«العدن» الإقامة، يقال: عدن بالمكان: إذا أقام به. ومنه جنات عَدْن، أي: جنات إقامة.

* ﴿ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ﴾، أي: تجرى من دونهم، ومن بين أيديهم الأنهار، وقيل: تجرى من تحت قصورهم الأنهار. وهذا أتمّ فى النعيم، وأبلغ فى المتعة.

* ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ﴾: الأساور: جمع سوار.

* قال سعيد بن جبير (ت ٩٥هـ): على كل واحد منهم ثلاثة أسورة: واحد من ذهب، وواحد من وَرِق، وواحد من لؤلؤ.. اهـ(١).

* وأقول: قد ذكر الله ـ تعالى ـ فى القرآن هذه الأصناف الثلاثة: فقال: ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا﴾ [فاطر: ٣٣].

وقال: ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا﴾ [الحج: ٢٣]. فذكر الله فى هاتين الآيتين صنفين من الأساور وهما: الذهب واللؤلؤ.

* وقال: ﴿وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ﴾ [الإنسان: ٢١]. فذكر الله فى هذه الآية الصنف الثالث من الأساور وهو: الفضّة.

* وعن عكرمة مولى ابن عباس (ت ١٠٥هـ) قال: إنّ أهل الجنّة يحلّون أسورة من ذهب، ولؤلؤ، وفضّة، هى أخفّ عليهم من كل شىء إنما هى نور.. اهـ(٢).

* وأخرج البخارى، ومسلم، عن أبى هريرة (ت ٥٩هـ ـ رضى الله عنه) أنّ النبى ﷺ قال: «تبلغ حلية المؤمن حيث يبلغ الوضوء» اهـ(٣).

* وأخرج الطبرانى فى الأوسط، والبيهقى فى البعث، عن أبى هريرة (ت ٥٩هـ ـ رضى الله عنه) أن النبى ﷺ قال: «لو أنّ أدْنى أهْل الجنّة حلية، عدلت حليته بحلية أهل الدنيا جميعًا لكان ما يحلّيه الله به فى الآخرة أفضل من حلية أهل الدنيا جميعًا» اهـ(٤).

* ﴿وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾:

* قال القرطبى (ت ٦٧١هـ) فى تفسيره: خصّ الله الأخضر بالذكر، لأنه الموافق للبَصَر، لأن البياض يبدِّد البصر ويؤلم، والسَّواد يُذَمّ، والخضرة بين البياض والسواد، وذلك يجمع الشعاع.. اهـ(٥).

(١) انظر: تفسير القرطبى (١٠/ ٢٥٧).

(٢ : ٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٤٠١).

(٥) انظر: تفسير القرطبى (١٠/ ٢٥٨).

و«السندس»: الرقيق النّحيف، واحده سندسة، قاله: الكسائى على بن حمزة (ت ١٨٠هـ)[١].

* وعن عكرمة مولى ابن عباس (ت ١٠٥هـ) والضحّاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ) وقتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) قالوا: الإستبرق: الديباج الغليظ.. اهـ[٢].

* ﴿ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ ﴾ فى تفسير ذلك قولان:

١ ـ عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) وقتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ ﴾ قالا: الأرائك: السّرر فى جوف الحجال، عليها الفرش.. اهـ[٣].

٢ ـ وعن مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) وعكرمة مولى ابن عباس (ت ١٠٥هـ) قالا: الأرائك: هى الحجال على السرر.. اهـ[٤].

* ﴿ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴾: أى: الجنات وما أعده الله فيها من النعيم، والثواب الجزيل لعباده المؤمنين.

قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا (١٢) مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ لا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلا زَمْهَرِيرًا (١٣) وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلاً (١٤) وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَ (١٥) قَوَارِيرَ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا (١٦) وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلاً (١٧) عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلاً (١٨) ﴾ [الإنسان: ١٢ ـ ١٨].

﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا (٣٢) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً رَّجُلَيْنِ ﴾ الآية:

(١) انظر: تفسير القرطبى (١٠/ ٢٥٨).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٤٠١).

(٣، ٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٤٠٢).

* قال القرطبى (ت ٦٧١هـ) فى تفسيره: هذا مثل ضربه الله ـ تعالى ـ: لعُيَيْنة بن حصن وأصحابه، مع سلمان الفارسىّ، وصُهَيب الرومىّ وأصحابهما، شبَّههم الله ـ تعالى ـ برجلين من بنى إسرائيل أخوين: أحدهما مؤمن، والآخر كافر.

قال مقاتل بن حيّان البلخىّ (ت ١١٠هـ): اسم المؤمن (تمليخا) واسم الكافر (قرطوش): وقصتهما: أنهما كانا شريكين ثم اقتسما المال، فصار لكل واحد منهما ثلاثة آلاف دينار:

١ ـ فاشترى المؤمن عبيدًا بألف وأعتقهم، وبالألف الثانية اشترى ثيابًا فكسا العراة، وبالألف الثالثة اشترى طعامًا فأطعم الجوَّع، وفَعَل خيرًا.

٢ ـ وأمّا الكافر فنكح بماله نساء ذوات يسار، واشترى دوابّ، وبقرًا فاستنتجها فنمت له نماء مفرطًا، واتّجر بباقيها فربح حتّى فاق أهل زمانه غِنًى.

وأدرك المؤمن الحاجة، فأراد أن يستخدم نفسه فى جنّة يخدمها فقال: لو ذهبتُ إلى صاحبى فسألتُه أن يستخدمنى فى بعض جناته، رجوتُ أن يكون ذلك أصلح بى فجاءه فلم يكد يصل إليه، فلمّا دخل عليه وعرفه وسأله حاجته قال له: ألم أكن قاسمتك المال نصفين فما صنعتَ بمالك؟

قال: اشتريتُ به من الله ـ تعالى ـ ما هو خير منه وأبقى. فقال له: أئنك لمن المصدّقين، ما أظنّ الساعة قائمة، وما أراك إلا سفيهًا، وما جزاؤك عندى على سفاهتك إلا الحرمان، أو ما ترى ما صنعتُ أنا بمالى حتى آل إلى ما تراه من الثروة وحسن الحال، وذلك أنّى كسبتُ وسفهتَ أنتَ اخرج عنّى.

ثم كان من قصة هذا الغنىّ ما ذكره الله ـ تعالى ـ فى القرآن: من الإحاطة بثمره، وذهابها أصلا بما أرسل عليها من السماء من الحُسْبان.. اهـ[١].

* وعن السدّى إسماعيل بن عبد الرحمن (ت ١٢٧هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ جَعَلْنَا لأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ ﴾: قال: الجنة هى البستان.. اهـ[٢].

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (١٠/ ٢٥٩).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٤٠٣).

* ﴿ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ ﴾، أى: أطفناهما من جوانبهما بنخل. والحِفاف: الجانب، وجمعه (أحفّة).

يقال: حَفَّ القوم بفلان يحُفّون حفّا: أى طافوا به. ومنه قوله - تعالى -: ﴿ وَتَرَى الْمَلائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ ﴾ [الزمر: ٧٥].

* ﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴾، أى: جعلنا وسط الأعناب: الزرع.

﴿ كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلالَهُمَا نَهَرًا (٣٣) وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَرًا (٣٤) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ ﴾، أى: كل واحدة من الجنتين.

* قال أهل البصرة: (كلتا وكلا) اسم مفرد غير مثنّى، فإذا ولى اسمًا ظاهرًا كان فى الرفع والنصب والخفض على حالة واحدة، تقول: رأيت كلا الرجلين، وجاءنى كلا الرجلين، ومررت بكلا الرجلين.

فإذا اتصل بمضمر قلبت الألف ياء فى موضع النصب والجرِّ، تقول: رأيت كليهما، ومررت بكليهما.. اهـ[١].

* ﴿ آتَتْ أُكُلَهَا ﴾، أى: كل واحدة من الجنتين آتت أكلها تامًا.

* وعن ابن عباس (ت ٦٨هـ - رضى الله عنهما) فى قوله - تعالى -: ﴿ وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئًا ﴾، قال: ولم تنقص منه شيئًا.. اهـ[٢].

* وعن السدّى إسماعيل بن عبد الرحمن (ت ١٢٧هـ) فى قوله - تعالى -: ﴿ وَفَجَّرْنَا خِلالَهُمَا نَهَرًا ﴾ قال: وسطهما[٣]. أى: أجرينا وشققنا وسط الجنتين نهرًا.

* ﴿ وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ ﴾ بفتح الثاء والميم جمع «ثمرة».

قال الجوهرى إسماعيل بن حمّاد الفارابى (ت ٣٩٣هـ): «الثَمَرة» واحدة «الثَّمَر» وجمع «الثَّمر» «ثِمار» مثل: جبل وجبال.. اهـ[٤].

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (١٠/ ٢٦١).

(٢، ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٤٠٣).

(٤) انظر: تفسير القرطبى (١٠/ ٢٦٢).

* ﴿ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ ﴾، أى: يراجعه فى الكلام ويجاوبه. والمحاورة: المجاوبة، والتحاور: التجاوب.

* ﴿ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَراً ﴾، المراد: الأتباع، والولد، والخدم. والنفر: الرهط: وهو ما دون العشرة.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ ﴾ [الكهف: ٣٤].

* ﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ ﴾ [الكهف: ٤٢].

قرأ عاصم، وأبو جعفر، وروح: ﴿ ثمر، بثمره ﴾ بفتح الثاء والميم فيهما.

وقرأ رويس: ﴿ ثمر ﴾ بفتح الثاء والميم، و﴿ بثمره ﴾ بضم الثاء والميم.

وقرأ الباقون من القراء العشرة الكلمتين بضم الثاء والميم.

وجه من فتح الثاء والميم: أنه جمع ﴿ ثمرة ﴾ مثل «بقرة وبقر».

ووجه من ضم الثاء والميم: أنه جمع «ثمار» مثل «كتاب، وكتب».

ووجه من ضم الثاء، وأسكن الميم: أنه جمع «ثمار» أيضًا، وإسكان الميم للتخفيف. والثَّمر: ما يجتنى من ذوى الثَّمَر[١].

﴿ ودَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَداً (٣٥) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ ﴾: فاعل «دخل» ضمير مستتر جوازًا تقديره (هو) والمراد به: الكافر، أى: أخذ بيد أخيه المؤمن يُطيف به فى جنته ليريه إيّاها، إعجابًا منه بها، وليدخل الحسرة فى قلب أخيه المؤمن ليحزنه.

* وعن قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ ﴾، قال: وهو كفور بنعمة ربّه.. اهـ[٢].

---

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ٣٦٥ ـ ٣٦٦).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٤٠٣).

والواو فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ ﴾ واو الحال، أى: والحال أنه ظالم لنفسه، كفور بنعمة ربّه.

* وعن السدّى إسماعيل بن عبد الرحمن (ت ١٢٧هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِ أَبَدًا ﴾ قال: أى: ما أظنّ أن تهلك هذه الجنة أبدًا.. اهـ(١).

و«ظنّ» هنا لليقين لا للشكّ ـ والله أعلم ـ.

﴿ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا (٣٦) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً ﴾: «ظنّ» بمعنى «حسب» وهى تفيد الشك وعدم اليقين إلا فى بعض الأحوال حسب القرائن فإنها قد تفيد اليقين.

وحينئذ يكون المعنى: يقول الكافر: وما أحسب البعث كائنًا، أى: هو يشك فى البعث لأنه كافر ـ والعياذ بالله تعالى ـ.

* ﴿ وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴾:

المعنى: يقول الكافر: وإن بعثتُ كما يقول أخى المؤمن، فسيعطينى الله فى الدار الآخرة أفضل مما أعطانى فى الدنيا.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴾ [رقم: ٣٦].

قرأ نافع، وابن كثير، وابن عامر، وأبو جعفر: ﴿ منهما ﴾ على التثنية، والضمير يعود إلى الجنتين المتقدم ذكرهما فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ ﴾ [رقم: ٣٢].

وعلى هذه القراءة جاء رسم المصحف المدنى، والمكى، والشامى.

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ منها ﴾ على الإفراد، والضمير يعود على الجنة المدخولة فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ ﴾ [رقم: ٣٥]. وعلى هذه القراءة جاء رسم المصحف البصرى، والكوفى(٢).

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٤٠٤). (٢) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ٣٦٦ ـ ٣٦٧).

﴿ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا (٣٧) لَّكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا (٣٨) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ ﴾: المؤمن وهو (تمليخا).

* ﴿ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ﴾، أى: خلق آباك آدم - عليه السلام - من تراب، والاستفهام هنا إنكارى، أى: ينكر عليه كفره بالله - تعالى -.

* ﴿ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ﴾، أى: خلقك من نطفة الرجل والمرأة.

* ﴿ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا ﴾، أى: جعلك بشرا سويًا: تامَّ الخلقة والأعضاء، وجعلك فى أحسن تقويم.

* ﴿ لَّكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي ﴾:

المعنى: يقول المؤمن: أمّا أنا فأنا مؤمن بأن الله هو ربّى الذى أنشأنى من العدم ولا أعبد أحدًا سواه. * ﴿ وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴾ مهما كان.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ لَّكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي ﴾ [رقم: ٣٨].

قرأ ابن عامر، وأبو جعفر، ورويس: ﴿ لاكنا ﴾ بإثبات ألف بعد النون وصلا، ووقفًا، والأصل: «لكن أنا» فحذفت الهمزة للتخفيف، ثم أدغمت النون فى النون، فأصبحت «لاكنّا».

وقرأ الباقون بحذف الألف التى بعد النون وصلا، وإثباتها وقفًا. وقد اتفق القراء على إثبات الألف وقفًا اتباعًا للرسم(١).

﴿ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِن تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا (٣٩) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ ﴾:

---

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ٣٦٧ - ٣٦٨).

* **المعنى:** هذا توبيخ، ووصيّة من المؤمن للكافر وردّ على قوله: ﴿مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِ أَبَدًا﴾ [رقم: ٣٥]. وجواب «لولا» محذوف والتقدير: ما شاء الله كان، وما لا يشاء لا يكون.

* ﴿لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾، أى: ما اجتمع لك من المال فهو بقدرة الله ـ تعالى ـ: لا بقدرتك، ولو شاء الله لنزع البركة منه فلم يكثر.

* أخرج ابن أبى شيبة عن زيد بن ثابت (ت ٤٥هـ ـ رضى الله عنه) أنّ رسول الله ﷺ كان يقول: «ألا أدلكم على كنز من كنوز الجنة؟ تكثرون من (لا حول ولا قوّة إلا بالله)» اهـ[١].

* وعن أنس بن مالك (ت ٩٣هـ ـ رضى الله عنه) مرفوعًا قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أنعم الله على عبد نعمة فى أهل أو مال أو ولد فيقول: ما شاء الله لا قوّة إلا بالله إلا دفع الله عنه كل آفة حتى تأتيه منيته» اهـ[٢].

* وعن أبى هريرة (ت ٥٩هـ ـ رضى الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «لا حول ولا قوة إلا بالله دواء من تسعة وتسعين داء أيسرها الهمّ» اهـ[٣].

* ﴿إِن تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا﴾: «إنْ» حرف شرط جازم يجزم فعلين الأول فعل الشرط، والثانى جوابه وجزاؤه، وفعل الشرط جملة «ترن» وجواب الشرط قوله ـ تعالى ـ: ﴿فَعَسَىٰ رَبِّي﴾.. إلخ.

﴿فَعَسَىٰ رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾﴾

معانى المفردات:

* ﴿فَعَسَىٰ رَبِّي﴾: هذا جواب الشرط، و«عسى» تفيد الترجّى، مثل «لعلّ»، أى: فلعلّ ربِّى.

* ﴿أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ﴾، أى: فى الآخرة، وقيل: فى الدنيا.

(١، ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٤٠٥).

(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٤٠٦).

* ﴿ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا ﴾، أي: على جنتك.

* ﴿ حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ ﴾:

* قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضي الله عنهما) والضحّاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ): معنى ﴿ حُسْبَانًا ﴾: نارًا[١].

* وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴾، قال: مثل الجرز.. اهـ[٢]. أي: أرضًا ملساء لا ينبت فيها نبات ولا يثبت عليها قدم. وهي أقبح أرض، بعد أن كانت جنة أنفع أرض.

﴿ أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا (٤١) وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا (٤٢) ﴾

❀ معاني المفردات:

* عن قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا ﴾ قال: أي: ذاهبًا قد غار في الأرض.. اهـ[٣].

والغَوْر: مصدر وضع موضع الاسم للمبالغة، يستوي فيه المذكر والمؤنث والتثنية والجمع. كما يقال: رجل عَدْل، مبالغة في عَدْله.

* ﴿ فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا ﴾، أي: لن تستطيع ردّ الماء الغائر، ولا تقدر عليه بأيّة حيلة.

* وبهذا انتهت مناظرة الأخ المسلم وإنذاره. وقد استجاب الله دعاءه، يتّضح ذلك في قوله ـ تعالى ـ:

* ﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ ﴾، أي: أهلك الله ماله كلّه. وهذا أوّل ما حقّق الله ـ تعالى ـ من دعاء المسلم على الكافر.

* وعن قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَنفَقَ فِيهَا ﴾ قال: أصبح يصفّق ـ أي يضرب إحدى يديه على الأخرى ندمًا ـ[٤].

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٤/ ٤٠٦ ـ ٤٠٧).

(٢ : ٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٤/ ٤٠٧).

* وعن السدّى إسماعيل بن عبد الرحمن (ت ١٢٧هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾: قال: قُلب أسفلُها أعلاها.. اهـ[١].

ومأخوذ من خَوَت النجوم تخوى: إذا سقطت. ومنه قوله ـ تعالى ـ: ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا﴾ [النمل: ٥٢].

* ﴿وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا﴾، أى: يقول: يا ليتنى عرفت أنّ نعم الله علىّ كانت بقدرته. وهذا تعبير عن ندمه وتحسّره حيث لا ينفعه ذلك.

﴿وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا (٤٣)﴾

معانى المفردات:

* وعن قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ قال: ولم يكن له جُنْد يعينونه.

وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا﴾، قال: وما كان ممتنعًا.. اهـ[٢].

«له» خبر «تكن» مقدّم، و«فئة» اسم «تكن» مؤخر، و«ينصرونه» صفة إلى «فئة» أى: فئة ناصرة.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ﴾ [رقم: ٤٣].

قرأ حمزة، والكسائى، وخلف البزّار: ﴿يكن﴾ بالياء التحتية على تذكير الفعل، لأن تأنيث «فئة» غير حقيقى.

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿تكن﴾ بالتاء الفوقية، على تأنيث الفعل، وذلك لتأنيث لفظ «فئة»[٣].

(١، ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٤٠٧).

(٣) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ٣٦٩).

﴿ هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا (٤٤) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ ﴾: ﴿ هنالك ﴾ إشارة إلى يوم القيامة، و﴿ الولاية ﴾ مصدر وليتُ الأمر أليه ولاية، ومعناها: النصرة.

وحينئذ يكون المعنى: يوم القيامة تكون النصرة لله ـ تعالى ـ وحده.

* ﴿ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا ﴾، أى: يوم القيامة الله ـ تعالى ـ خير من يثيب المؤمنين على أعمالهم، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ﴾ [الأعراف: ١٦٠].

* ﴿ وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴾ أى: الله ـ تعالى ـ خير عاقبة لمن رجاه وآمن به.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ ﴾ [رقم: ٤٤].

قرأ حمزة، والكسائى، وخلف البزّار: ﴿ الوِلاية ﴾ بكسر الواو.

وقرأ الباقون من القراء العشرة بفتح الواو، وهما لهجتان فى مصدر «وليت الأمر أليه ولاية» ومعناها: النصرة. والعرب يقولون: «نحن لكم على بنى فلان ولاية». أى: أنصار[1].

* ﴿ هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ ﴾ [رقم: ٤٤].

قرأ أبو عمرو، والكسائى: ﴿ الحقُّ ﴾ برفع القاف، صفة لـ «ولاية» لأنّ ولاية الله لا يشوبها نقص ولا خلل.

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ الحقِّ ﴾ بالخفض، على أنه صفة للفظ الجلالة «للّه»[2].

* ﴿ وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴾ [رقم: ٤٤].

قرأ عاصم، وحمزة، وخلف البزّار: ﴿ عُقْبا ﴾ بسكون القاف. وهو لهجة تميم، وأسد.

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ عُقُبا ﴾ بضم القاف، وهو لهجة الحجازيين[3].

---

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ٣٦٩).

(٢) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ٣٧٠).

(٣) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ٣٧١).

﴿ واضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا (٤٥) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ ﴾:

* ﴿ وَاضْرِبْ ﴾ الكلام موجه من الله ـ تعالى ـ إلى نبينا «محمد» ﷺ.

* ﴿ لَهُم ﴾: الضمير عائد على المتكبرين الذين سألوا النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ طرد فقراء المسلمين من مجلسه، وهم المقصودون فى قوله ـ تعالى ـ قبلُ: ﴿ وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا (٢٨) ﴾ [الكهف: ٢٨].

وحينئذ يكون المعنى: يقول الله ـ سبحانه وتعالى ـ لنبيه وحبيبه وصفوته من خلقه نبينا «محمد» ﷺ: صف «يا محمد» لهؤلاء المتكبرين الذين سألوك طرد فقراء المؤمنين من مجلسك صفْ لهم مثل الحياة الدنيا أى: شبهها ما هو إلا كماء أنزلناه من السماء فاختلط بالماء نبات الأرض حتى استوى.

* **موعظة مهمة وجليلة فيما يلى:**

قال بعض الحكماء: إنما شبه الله ـ سبحانه وتعالى ـ الدنيا بالماء لحِكَمٍ جليلة بيانها فيما يلى:

١ ـ لأنّ الماء لا يستقرّ فى موضع، كذلك الدنيا لا تبقى على حال واحد.

٢ ـ ولأنّ الماء لا يستقيم على حالة واحدة، كذلك الدنيا.

٣ ـ ولأنّ الماء لا يبقى ويذهب، كذلك الدنيا تفنى.

٤ ـ ولأنّ الماء لا يقدر أحد أن يدخله ولا يبتلّ، كذلك الدنيا لا يسلم أحد دخلها من فتنتها وآفاتها.

٥ ـ ولأنّ الماء إذا كان بِقَدَر كان نافعًا مُنبتًا، وإذا جاوز المقدار كان ضارًا مهلكًا، كذلك الدنيا الكفاف منها ينفع وكثرتها تضرّ ـ والله أعلم ـ.

* وفى صحيح مسلم أن النبى ﷺ قال: «قد أفلح من أسلم وكان رزقه كفافًا وقنّعه الله بما آتاه»(١).

(١) انظر: تفسير القرطبى (١٠/ ٢٦٨).

* ﴿ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا ﴾، أى: أصبح النبات متكسرًا ومتفتتًا من اليبس بسبب انقطاع الماء عنه. والهشم: كسر الشىء اليابس، والهشيم من النبات: اليابس المتكسّر.

* ﴿ تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ ﴾، قال أبو عبيدة معمر بن المثنّى (ت ١١٠هـ): معنى ﴿ تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ ﴾، أى: تفرّقه الرياح.. اهـ[١].

* ﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴾: من الإنشاء، والإفناء، والإحياء.. إلخ.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ ﴾ [رقم: ٤٥].

قرأ حمزة، والكسائى، وخلف البزّار: ﴿ الريح ﴾ بالإفراد، لإرادة الجنس.

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ الرياح ﴾ بالجمع،لاختلاف أنواعها: شمالا، وجنوبًا، وصبا، ودبورا، وحارّة، وباردة[٢].

﴿ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا (٤٦) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾: وإنما كان المال والبنون زينة الحياة الدنيا، لأنّ فى المال جمالا ونفعًا، وفى البنين قوّة ودفعًا، فصارا زينة الحياة الدنيا.

* ﴿ وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾:

* أخرج أحمد، وأبو يعلى، وابن جرير، وابن أبى حاتم، وابن حبّان، والحاكم وصحّحه، عن أبى سعيد الخدرى ـ رضى الله عنه ـ أنّ رسول الله ﷺ قال: «استكثروا من الباقيات الصالحات» قيل: وما هنّ يا رسول الله؟ قال: «التكبير، والتهليل، والتسبيح، والتحميد، ولا حول ولا قوّة إلا بالله» اهـ[٣].

وأخرج الطبرانىّ، وابن شاهين فى الترغيب فى الذكر، وابن مردويه، عن أبى الدرداء ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (١٠/ ٢٦٨).

(٢) انظر: المهذب فى القراءات العشر وتوجيهها (١/ ٤٠١).

(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٤٠٨).

الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوّة إلا بالله، هنّ الباقيات الصالحات، وهنّ يحططن الخطايا كما تحطّ الشجرة ورقها، وهنّ من كنوز الجنّة» اهـ[١].

* وعن قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ ﴾ قال: كل شيء من طاعة الله فهو من الباقيات الصالحات.. اهـ[٢].

* وعن سعيد بن جبير (ت ٩٥هـ) في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا ﴾ قال: خير جزاء.. اهـ[٣].

* وعن قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾ قال: إنّ لكل عامل أملا يؤمِّله، وإنّ المؤمن خير الناس أملا.. اهـ[٤].

﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا (٤٧) ﴾

❀ معاني المفردات:

* ﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ ﴾:

✳ **المعنى:** يقول الله ـ سبحانه وتعالى ـ لنبيه ﷺ: اذكر «يا محمد» لقومك يوم نسيِّر الجبال، أي: نزيلها من أماكنها من على وجه الأرض، ونسيّرها كما نسير السحاب. قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ ﴾ [النمل: ٨٨].

* ﴿ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً ﴾:

* قال مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) معنى ذلك: لا عمران فيها ولا علامة.. اهـ[٥].

* وقال قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) معنى ذلك: ليس عليها بناء ولا شجر.. اهـ[٦].

* ﴿ وَحَشَرْنَاهُمْ ﴾: إلى الموقف.

* ﴿ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴾، أي: لم نترك منهم أحدا.

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٤/٤٠٨).

(٢ : ٥) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٤/ ٤١٠).

(٦) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٤/ ٤١١).

* وأخرج ابن منده فى التوحيد، عن معاذ بن جبل (ت ١٧ هـ - رضى الله عنه): أنّ النبى ﷺ قال: «إن الله ينادي يوم القيامة يا عبادى، أنا الله لا إله إلا أنا أرحم الراحمين، وأحكم الحاكمين، وأسرع الحاسبين، أحضروا حجتكم، ويسِّروا جوابًا، فإنكم مسؤولون مُحاسبون، يا ملائكتى أقيموا عبادى صفوفًا على أطراف أنامل أقدامهم للحساب» اهـ[١].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ ﴾ [رقم: ٤٧].

قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر: ﴿ تُسَيَّر ﴾ بتاء مثناة فوقية مضمومة مع فتح الياء المشددة، على البناء للمفعول، و﴿ الجبالُ ﴾ بالرفع نائب فاعل.

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ نُسيِّر ﴾ بنون العظمة المضمومة مع كسر الياء المشدّدة، على البناء للفاعل، والفاعل ضمير مستتر وجوبًا تقديره «نحن» يعود على الله - تعالى - المتقدم ذكره فى قوله - تعالى -: ﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴾ [رقم: ٤٥]. و﴿ الجبال ﴾ بالنصب مفعول به[٢].

﴿ وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا (٤٨) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا ﴾: ﴿ صَفًّا ﴾ نصب على الحال.

* قال مقاتل بن حيّان البلَخىّ (ت ١١٠ هـ): يعرضون صفّا بعد صفّ كالصفوف فى الصلاة، كل أمّة، وزمرة صفّا، لا أنهم صفّ واحد.. اهـ[٣].

* وخرّج الحافظ أبو القاسم عبد الرحمن بن مَنْدَه فى كتاب التوحيد، عن معاذ ابن جبل (ت ١٧ هـ - رضى الله عنه) أن النبى ﷺ قال: «إن الله - تبارك وتعالى - ينادى

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٤١١).
(٢) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ٣٧٢).
(٣) انظر: تفسير القرطبى (١٠/ ٢٧١).

يوم القيامة بصوت رفيع غير فظيع يا عبادى أنا الله لا إله إلا أنا أرحم الراحمين، وأحكم الحاكمين، وأسرع الحاسبين، يا عبادى لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون، أحضروا حجّتكم ويسّروا جوابًا فإنكم مسئولون محاسبون، يا ملائكتى أقيموا عبادى صفوفًا على أطراف أنامل أقدامهم للحساب» اهـ(١).

* قال القرطبى فى تفسيره: هذا الحديث غاية فى البيان فى تفسير الآية.. اهـ(٢).

* ﴿ لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾: أى: يقال لهم: لقد جئتمونا حفاة عُراة، لا مال معكم ولا ولد.

* ﴿ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴾:

* **المعنى:** هذا خطاب لمنكرى البعث، أى: زعمتم أيها الكفار فى الدنيا أن لن تبعثوا، وأن لن نجعل لكم موعدًا للبعث.

* وفى صحيح مسلم عن «عائشة» أم المؤمنين (ت ٥٨هـ ـ رضى الله عنها) قالت: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «يُحشر الناسُ يوم القيامة حُفاةً عُراةً غُرْلا» قلتُ: يا رسول الله الرجال والنساء ينظر بعضهم إلى بعض؟ قال: «يا عائشة، الأمر أشدّ من أن ينظر بعضهم إلى بعض» اهـ(٣). ومعنى «غُرْلا» أى: غير مختونين.

﴿ وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا (٤٩) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ وَوُضِعَ الْكِتَابُ ﴾: وهو اسم جنس يشمل القليل والكثير.

* قال قتادة بن دعامة (ت ١١٨ هـ) المراد بالكتاب: كتب أعمال العباد.. اهـ(٤).

* ﴿ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ ﴾:

* **المعنى:** ترى المجرمين فى الدنيا وهم الذى يخالفون التعاليم التى أمرهم الله بها على لسان أنبيائه ورسله وهى تشمل المأمورات والمنهيات، ترى هؤلاء المجرمين يوم القيامة خائفين وجلين مما هو مكتوب فى صحائف أعمالهم.

(١ : ٤) انظر: تفسير القرطبى (١٠/ ٢٧١).

* ﴿ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا ﴾ الآية:

✳ **المعنى:** هؤلاء المجرمون عندما يشاهدون أعمالهم السيئة التى عملوها فى الدنيا مسطرة فى كتاب كل واحد منهم ينادون بالويل والثبور لأنهم يوقنون حينئذ بأن عذاب الله سينزل بهم لا محالة، ويقولون: يا هلاكنا إن هذا الكتاب ما ترك صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، أى: إلا وهى مسطرة فيه ولا يظلم ربك أحداً.

* عن قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا ﴾ الآية، قال: يشتكى القوم كما تسمعون الإحصاء، ولم يشك أحد ظلمًا، فإياكم والمحقّرات من الذنوب، فإنها تجتمع على صاحبها حتى تهلكه.. اهـ(١).

* وأخرج الطبرانى، عن سعد بن جنادة قال: لما فرغ رسول الله ﷺ من غزوة (حنين) نزلنا قفراً من الأرض ليس فيه شىء، فقال النبى ﷺ: «اجمعوا من وجد عوداً فليأت به، ومن وجد عظمًا أو شيئًا فليأت به» قال: فما كان إلا ساعة حتى جعلناه ركامًا. فقال النبى ﷺ: «أترون هذا؟ فكذلك تجتمع الذنوب على الرجل منكم كما جمعتم هذا، فليتق الله رجل لا يذنب صغيرة ولا كبيرة فإنها محصاة عليه» اهـ(٢).

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً (٥٠) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا ﴾:

✳ **المعنى:** يقول الله ـ تعالى ـ لنبيه «محمد» ﷺ: اذكر يا «محمد» لقومك إذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم سجود تحية، لا سجود عبادة، فسجدوا.

* ﴿ إِلاَّ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ﴾:

* اختلف العلماء فى (إبليس) ـ عليه لعنة الله ـ هل كان من الملائكة أو لا؟

* فقال الحسن البصرى (ت ١١٠هـ): ما كان إبليس من الملائكة طرفة عين، وإنّه لأصل الجنّ، كما أنّ آدم أصل الإنس.. اهـ(٣).

---

(١) انظر: تفسير الطبرى (٨/ ٢٣٤).
(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٤١١).
(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٤١٢).

* وفى رواية عن الحسن البصرى قال: قاتل الله أقوامًا يزعمون أنّ إبليس كان من ملائكة الله، والله يقول: ﴿ كَانَ مِنَ الْجِنِّ ﴾.. اهـ[١].

* وعن ابن شهاب فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ إِلاَّ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ ﴾ قال: إبليس أبو الجنّ، كما أن آدم أبو الإنس، فآدم من الإنس وهو أبوهم، وإبليس من الجنّ وهو أبوهم، وقد تبين للناس ذلك حين قال الله: ﴿ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ ﴾.. اهـ[٢].

* وعن مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ﴾ قال: فى عدم السجود لآدم.. اهـ[٣].

* وعن قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ ﴾ قال: هم أولاده يتوالدون، كما يتوالد بنو آدم وهم أكثر عددًا.. اهـ[٤].

* قال القشيرى أبو نصر: والجملة أن الله ـ تعالى ـ أخبر أن لإبليس أتباعًا وذريّة، وأنهم يوسوسون إلى بنى آدم وهم أعداؤهم، ولم تثبت عندنا كيفية التوالد منهم وحدوث الذرّيّة عن إبليس، فيتوقّف الأمر فيه على نقل صحيح.. اهـ[٥].

* وقال الشعبىّ عامر بن شراحيل (ت ١٠٥هـ): سألنى رجل فقال: هل لإبليس زوجة؟ فقلت: إنّ ذلك عُرْس لم أشهده.. اهـ[٦].

* ﴿ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً ﴾، قال قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ): بئس ما استبدلوا طاعة إبليس وذرّيته بعبادة ربهم.. اهـ[٧].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ ﴾ [رقم: ٥٠].

قرأ أبو جعفر بخُلْف عن ابن وردان: ﴿ للملائكة ﴾ بضم التاء إذًا وصلت بـ «اسجدوا» وذلك تبعًا لضمّ الجيم.

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٤١٢).

(٢ : ٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٤١٢).

(٥، ٦) انظر: تفسير القرطبى (١٠/ ٢٧٣).

(٧) انظر: تفسير البغوى (٣/ ١٦٧).

وقرأ ابن وردان في وجهه الثاني بإشمام كسرة التاء الضم. والإشمام لهجة لبعض القبائل العربية.

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿للملائكة﴾ بالكسرة الخالصة، وذلك على الأصل[١].

﴿مَّا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا (٥١)﴾

❀ معاني المفردات:

* ﴿مَّا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ﴾:

الضمير في ﴿أَشْهَدتُّهُمْ﴾ عائد على إبليس وذرّيته المتقدّم ذكرهم في قوله ـ تعالى ـ: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي﴾ [رقم: ٥٠].

وحينئذ يكون المعنى: ما أشهدت إبليس وذريته خلق السموات والأرض، ولا خلق أنفسهم، بل خلقتهم وفق ما أردتُ، فكيف اتخذتموهم أولياء من دوني، وهو استفهام إنكاري.

* وعن مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) وقتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) في قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾ قالا: أعوانا[٢].

▣ القراءات وتوجيهها:

* ﴿مَّا أَشْهَدتُّهُمْ﴾ [رقم: ٥١].

قرأ أبو جعفر: ﴿ما أشهدناهم﴾ بنون وألف، على الجمع للعظمة، جريًا على نسق ما قبله في قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ﴾ [رقم: ٥٠].

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ما أشهدتهم﴾ بالتاء المضمومة، على إسناد الفعل إلى ضمير المتكلم وهو الله ـ تعالى ـ، وقد جاء مطابقًا لقوله ـ تعالى ـ قبلُ: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي﴾ [رقم: ٥٠][٣].

---

(١) انظر: المغني في توجيه القراءات العشر (٢/ ٣٧٢ ـ ٣٧٣).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٤/ ٤١٤).

(٣) انظر: المغني في توجيه القراءات العشر (٢/ ٣٧٣).

* ﴿ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴾ [رقم: ٥١].

قرأ أبو جعفر: ﴿ وما كنتَ ﴾ بفتح التاء، خطابًا لنبينا «محمد» ﷺ، والمقصود إعلام أمته أنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ لم يزل محفوظًا من أوّل حياته لم يعتضد بمضلّ، ولم يتخذه عونًا له على نجاح دعوته، وفى الكلام التفات من التكلم إلى الخطاب.

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ وما كنتُ ﴾ بضم التاء، إخبارًا من الله ـ تعالى ـ عن ذاته المقدّسة بأنه ليس فى حاجة للاستعانة بأحد من خلقه فَضْلا عن المضلين، لأنه هو الله القوىّ العزيز الذى أوجد العالم من العدم، وليس له شريك فى الملك، ولم يتخذ صاحبة ولا ولدًا، وقد جرى الكلام على نسق ما قبله[(١)].

﴿ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا (٥٢) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ ﴾:

✵ **المعنى:** يقول الله ـ تعالى ـ لنبيه «محمد» ﷺ: قل يا «محمد» لعبدة الأصنام: اذكروا يوم يقول الله لكم ادعوا الذين أشركتموهم معى فليمنعوكم من عذابى.

* ﴿ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ ﴾، أى: دعوهم فلم يجيبوهم إلى نصرهم، ولم يغنوا عنهم شيئًا.

* ﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴾: للعلماء فى بيان معنى ذلك أقوال أذكر أصحها فيما يلى:

أولا: قال أنس بن مالك (ت ٩٣هـ ـ رضى الله عنه): الموبق: هو واد فى جهنم من قيح ودم.. اهـ[(٢)].

ثانيًا: قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما): أى: جعلنا بين المؤمنين والكافرين حاجزًا.. اهـ[(٣)].

ثالثًا: قال ابن عمر (ت ٧٣هـ ـ رضى الله عنهما): الموبق: هو واد عميق فى النار، فرق الله به يوم القيامة بين أهل الهدى، وأهل الضلال.. اهـ[(٤)].

---

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ٣٧٤). (٢، ٣) انظر: تفسير القرطبى (١١/ ٤).

(٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٤١٤).

* وعن عكرمة مولى ابن عباس (ت ١٠٥هـ): الموبق: هو نهر فى النار يسيل نارًا، على حافّتيه حيّات أمثال البغال الدّعم، فإذا ثارت إليهم لتأخذهم، استغاثوا بالاقتحام فى النار منها.. اهـ[١].

﴿ وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا (٥٣) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ ﴾: ﴿ رَأَى ﴾ هنا بصريّة، ولذا نصبت مفعولا واحدًا وهو «النار»، والمعنى: أبصر المجرمون النار يوم القيامة.

* ﴿ فَظَنُّوا أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا ﴾: «ظن» هنا بمعنى اليقين، وليست بمعنى الشك، ولذا قال ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ: أى: أيقنوا أنهم مواقعوها[٢].

* ﴿ وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا ﴾، أى: مَهْرَبًا لإحاطتها بهم من كل جانب.

* وأخرج أحمد، وأبو يعلى، وابن جرير، وابن حبّان، والحاكم وصحّحه، وابن مردويه، عن أبى سعيد الخدرىّ ـ رضى الله عنه ـ عن رسول الله ﷺ قال: «ينصب الكافر يوم القيامة مقدار خمسين ألف سنة كما لم يعمل فى الدنيا، وإن الكافر ليرى جهنم ويظنّ أنها مواقعته من مسيرة أربعين سنة» اهـ[٣].

﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً (٥٤) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ﴾: معنى هذا يحتمل أ حد أمرين:

الأول: أن يكون المراد ما ذكره الله ـ عزّ وجلّ ـ فى القرآن من العبر، وما حدث للأمم السابقة، وحينئذ يكون المقصود: الزجر والتخويف من ارتكاب المعاصى.

والثانى: أن يكون المراد: ما أوضحه الله وبيّنه من دلائل الربوبية، والوحدانية، وحينئذ يكون المقصود: البيان.

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٤١٤).

(٢) انظر: تفسير القرطبى (١١/ ٥).

(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٤١٥).

* ﴿ وَكَانَ الإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً ﴾: فى تفسير ذلك قولان:

أولا: قال عبد الرحمن بن زيد (ت حوالى ١٧٠هـ): الجدل: الخصومة، أى: خصومة القوم لأنبيائهم، وردّهم عليهم ما جاؤوا به.. اهـ[(١)].

ثانيًا: قال الزجّاج إبراهيم بن السّرى (ت ٣١١هـ): المراد بالإنسان: الكافر، أى الكافر أكثر شىء جدلا، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا (٥٦) ﴾ [الكهف: ٥٦].. اهـ[(٢)].

﴿ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلاً (٥٥) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ ﴾: المراد بالهدى: القرآن، والإسلام، ونبينا «محمد» ـ عليه الصلاة والسلام ـ.

* ﴿ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلاً ﴾: معطوف على ﴿ أَن يُؤْمِنُوا ﴾.

* ﴿ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الأَوَّلِينَ ﴾: وسنة الأولين: عادة الأوّلين فى عذاب الاستئصال. وحينئذ يكون المعنى: ما منع الناس من الإيمان وطلب المغفرة من الله ـ تعالى ـ، إلا طلب أن يحلّ بهم عذاب الله ـ تعالى ـ كما حلّ ونزل بالأمم السابقة: قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣٢) ﴾ [الأنفال: ٣٢].

* ﴿ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلاً ﴾: ﴿ قُبُلاً ﴾ نصب على الحال.

وللمفسرين فى معنى ﴿ قُبُلاً ﴾ أقوال:

أولا: قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) وقتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ): معنى ﴿ قُبُلاً ﴾ عيانا.. اهـ[(٣)].

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٤١٥). (٢) انظر: تفسير القرطبى (١١/ ٦).

(٣) انظر: تفسير القرطبى (١١/ ٦)، تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٤١٥).

ثانيًا: قال السدّى إسماعيل بن عبد الرحمن (ت ١٢٧هـ): معنى ﴿قُبُلاً﴾ أى: مقابلهم ينظرون إليه.. اهـ[١].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلاً﴾ [رقم: ٥٥].

قرأ عاصم، وحمزة، والكسائى، وأبو جعفر، وخلف البزّار: ﴿قُبُلا﴾ بضم القاف والباء، جمع «قبيل» بمعنى: ألوانًا وأنواعًا من العذاب، ونصبه على الحال.

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿قِبَلا﴾ بكسر القاف، وفتح الباء، بمعنى مقابلة، أى: معاينة[٢].

﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا (٥٦)﴾

معانى المفردات:

* ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ مُبَشِّرِينَ﴾، أى: بالجنة لمن آمن.

* ﴿وَمُنذِرِينَ﴾، أى: مخوِّفين بالنار والعذاب من كفر.

* ﴿وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾، معنى: ﴿لِيُدْحِضُوا﴾: ليبطلوا، ويزيلوا. يقال: دَحَضَتْ حُجّته دحوضًا: أى: بطلت.

* ﴿وَاتَّخَذُوا آيَاتِي﴾، أى: القرآن. * ﴿وَمَا أُنذِرُوا﴾: من الوعيد.

* ﴿هُزُوًا﴾، أى: اتخذوا القرآن، والذى أنذروا به من الوعيد هزوًا، أى لعبًا، وباطلا، مثل قولهم فى القرآن هو سحر، وأضغاث أحلام، وأساطير الأولين.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا (٥٧)﴾

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٤١٥).

(٢) انظر: المهذب فى القراءات العشر وتوجيهها (١/ ٤٠٣).

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا ﴾:

✳ **المعنى:** لا أحد أظلم لنفسه ممن وُعِظ بآيات ربه فتهاون بها، وأعرض عن قبولها.

* وعن قتادة بن دعامة (ت ١١٨ هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ﴾ قال: أى نسى ما سلف من الذنوب الكثيرة ـ التى عملها ـ.. اهـ[١].

* ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً ﴾، أى: أغطية.

* ﴿ أَن يَفْقَهُوهُ ﴾، أى: لئلا يفهموه.

* ﴿ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ﴾، أى: جعلنا فى آذانهم صمما وثقلا، بسبب كفرهم: فالله ـ سبحانه وتعالى ـ هو الذى منع الإيمان من أن يدخل أسماعهم فضلا عن قلوبهم، لأنه فعّال لما يريد.

* ﴿ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ ﴾، أى: إن تدعهم يا رسول الله إلى الإيمان.

* ﴿ فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ﴾: وهذا فى أناس علم الله منهم أنهم لن يؤمنوا، ولأن الهدى هدى الله، وويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (٤٥) ﴾ [الزمر: ٤٥].

﴿ وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا مِن دُونِهِ مَوْئِلًا (٥٨) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ ﴾: وهذا خاصّ بالمؤمنين الموحّدين، أمّا الكفّار والمشركون، فقد قال الله فى شأنهم: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا (١١٦) ﴾ [النساء: ١١٦].

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٤١٥).

* ﴿ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ ﴾:

✳ **المعنى:** لو يؤاخذ الله الكفار بكفرهم وأعمالهم السيئة لعجّل لهم العذاب فى الدنيا، ولكنه برحمته يؤخرهم إلى أجل لا ريب فيه وهو يوم القيامة، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ وَلَكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ [فاطر: ٤٥].

* وعن السدّى إسماعيل بن عبد الرحمن (ت ١٢٧هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ ﴾ قال: الموعد يوم القيامة.. اهـ[١].

* وعن ابن عباس (ت ١١٨هـ ـ رضى الله عنهما) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ لَّن يَجِدُوا مِن دُونِهِ مَوْئِلًا ﴾، قال: ملجأ.. اهـ[٢].

﴿ وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا (٥٩) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَتِلْكَ ﴾: مبتدأ مرفوع. * ﴿ الْقُرَىٰ ﴾ نعت، أو بدل، أو عطف بيان من ﴿ تِلْكَ ﴾ لأنّ ما بعد اسم الإشارة المحلّى بألْ يجوز إعرابه: بدل، أو عطف بيان، أو صفة، وهذه قاعدة نحويّة.

* ﴿ أَهْلَكْنَاهُمْ ﴾: هذه الجملة فى محلّ رفع خبر المبتدأ محمول على المعنى، لأن المعنى: أهلكنا أهل القرى.

* ﴿ لَمَّا ظَلَمُوا ﴾، أى: بسبب ظلمهم، وعدم إيمانهم برسلهم. قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا (١٥) ﴾ [الإسراء: ١٥].

* وعن مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴾ قال: أجلا.. اهـ[١].

و«مَهْلَك» بفتح الميم واللام، مصدر ميمىّ من «هَلَكَ» الثلاثى.

و«موعِدًا» مصدر ميمىّ أيضًا من «وعد» الثلاثى.

(١ : ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٤١٦).

القراءات وتوجيهها:

* ﴿لِمَهْلِكِهِم﴾ من قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِداً﴾ [الكهف: ٥٩].

* و﴿مَهْلِكَ﴾ من قوله ـ تعالى ـ: ﴿مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ﴾ [النمل: ٤٩].

قرأ شعبة: ﴿لمَهلكهم، مهلك﴾ بفتح الميم واللام، على أنه مصدر ميمى قياسى من «هلك» الثلاثى.

وقرأ حفص: ﴿لمَهلِكهم، مهلِك﴾ بفتح اللازم، وكسر اللام، على أنه مصدر ميمى سماعى من «هلك» الثلاثى.

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿لمُهلَكهم، مُهلَك﴾ بضم الميم، وفتح اللام، على أنه مصدر ميمى قياسى من «أهلك» المزيد بهمزة[(١)].

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾﴾

معانى المفردات:

* ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ﴾:

* ﴿وَإِذْ﴾ هذا الظرف متعلق بفعل محذوف والتقدير: اذكر يا نبيّ الله لقومك هذه القصة.

* ﴿مُوسى﴾ الجمهور من العلماء والمؤرّخين على أنه: نبيّ الله «موسى بن عمران» ـ عليه السلام ـ.

* ﴿لِفَتَاهُ﴾: هو «يوشع بن نون». * ﴿لَا أَبْرَحُ﴾، أى: لا أزال أسير.

* ﴿حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ﴾، أى: ملتقاهما.

* قال مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) وقتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ): البحران: هما بحر فارس والروم.. اهـ[(٢)].

---

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ٣٧٦ ـ ٣٧٧).

(٢) انظر: تفسير القرطبى (١١/ ٨).

* وأخرج البخارى، ومسلم، والترمذى، والنسائى، وابن جرير، وابن مردويه، والبيهقى فى الأسماء والصفات من طريق: سعيد بن جبير (ت ٩٥هـ) قال: قلتُ لابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) إنّ (نوفًا البكالى) يزعم أنّ «موسى» صاحب «الخضر» ليس صاحب بنى سرائيل، قال ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ: كذب عدوّ الله، حدّثنا أبىّ بن كعب (ت ٣٠هـ ـ رضى الله عنه) أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إنّ «موسى» قام خطيبًا فى بنى إسرائيل، فسئل: أىُّ الناس أعلم؟ فقال: أنا، فعتب الله عليه إذْ لم يردّ العِلْم إليه، فأوحى الله إليه: إنّ لى عبدًا بمجمع البحرين هو أعلم منك. قال «موسى»: يا ربّ كيف لى به؟ قال: تأخذ معك حُوتًا تجعله فى مِكْتل، فحيثما فقدت الحوتَ فهو ثَمَّ.

فأخذ حُوتًا فجعله فى مِكْتل، ثم انطلق، وانطلق معه فتاه: (يوشع بن نون) حتى إذا أتيا الصخرة وضعا رأسهما فناما، واضطرب الحوت فى المكتل فخرج منه فسقط فى البحر.

* ﴿فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا﴾ وأمسك الله عن الحوت جَرْى الماء فصار عليه مثل الطّاق، فلما استيقظ نسى صاحبه أن يخبره بالحوت، فانطلقا بقية يومهما وليلتهما يمشيان حتى إذا كانا من الغد، قال «موسى»: ﴿لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾ فقال له فتاه: ﴿أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلاَّ الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا﴾ فكان للحوت سربا، ولموسى وفتاه عجبا ﴿قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾[(١)].

* ﴿أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾: ﴿حُقُبًا﴾ بضم الحاء والقاف: هو الدهر، والجمع «أحقاب».

وقد اختلف العلماء فى مقدار «الحُقُب»:

١ ـ فقال عبد الله بن عمر (ت ٧٣هـ ـ رضى الله عنهما): الحُقُب: ثمانون سنة.. اهـ[(٢)].

٢ ـ وقال مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ): الحُقُب: سبعون خريفًا.. اهـ[(٣)].

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٤١٧).

(٢، ٣) تفسير القرطبى (١١/ ١٠).

٣ ـ وقال أبو جعفر النحّاس (ت ٣٣٨هـ): الذى يعرفه أهل اللغة أنّ «الحُقُب» و«الحِقْبة»: زمان من الدهر مبهم غير محدود، وجمعه «أحقاب».. اهـ[١].

﴿ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا (٦١) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا ﴾ الآية: ضمير التثنية فى ﴿ بَلَغَا ﴾ المراد به نبىّ الله «موسى، ويوشع بن نون» ﴿ مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا ﴾، أى: مجمع البحرين وهو ملتقاهما. ﴿ نَسِيَا حُوتَهُمَا ﴾ ضمير التثنية المراد به نبىّ الله «موسى، ويوشع بن نون».

* ﴿ فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ﴾: فاعل ﴿ فَاتَّخَذَ ﴾ ضمير مستتر تقديره «هو» يعود على الحوت.

* وقد اختلف العلماء فى معنى «سربا»:

١ ـ فقال مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ): السرب: المسلك[٢].

٢ ـ وقال قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ): جمد الماء فصار كالسَّرب.. اهـ[٣].

٣ ـ وقال عبد الرحمن بن زيد (ت حوالى ١٧٠هـ): دخل الحوت فى البطحاء بعد موته حين أحياه الله، ثم اتخذ فيها سربا حتّى وصل إلى البحر، والسَّرب: طريق حتى وصل إلى الماء وهى بطحاء يابسة فى البرّ.. اهـ[٤].

﴿ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا (٦٢) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ فَلَمَّا جَاوَزَا ﴾، أى: جاوز نبى الله «موسى، وفتاه» مجمع البحرين.

* قال «موسى» ـ عليه السلام ـ: * ﴿ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا ﴾، أى: طعامنا، والغداء: ما يعدّ للأكل غدوة، والعشاء ما يعدّ للأكل عشيّة.

* ﴿ لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ﴾، أى: تعبا وشدّة.

(١ : ٣) انظر: تفسير القرطبى (١١/ ١٠).

(٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٤٢٧).

﴿ قال أرأيت إذْ أوينا إلى الصَّخْرة فإنّي نسيتُ الْحُوتَ وما أنسانيهُ إلاَّ الشَّيطانُ أنْ أذْكُرهُ واتّخذ سبيلهُ في الْبحر عجبًا (٦٣) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ قَالَ ﴾، أى: «يوشع» إلى نبىّ الله «موسى» ـ عليه السلام ـ:

* ﴿ أرأيت إذْ أوينا إلى الصّخْرة ﴾: وهى صخرة كانت بالموضع الموعود.

* ﴿ فإني نسيتُ الحُوت ﴾، أى: تركته وفقدته: وذلك أن «يوشع» حين رأى ذلك من الحوت قام ليدرك نبىّ الله «موسى» فيخبره، فنسى أن يخبره كما قال ـ تعالى ـ:

* ﴿ وما أنسانيهُ إلاَّ الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ ﴾، أى: وما أنسانى أن أذكر لك أمر الحوت إلا الشيطان. فمكثا يومهما حتى صليا الظهر من الغد، فلمّا تذكر أخبر «يوشعُ» نبىّ الله «موسى» أنه نسى الحوت وفقده عند الصخرة التى كانا قد أويا إليها.

* ﴿ واتَّخذَ سبيلهُ في الْبحْرِ عَجَبًا ﴾: يحتمل أن يكون هذا من قول «يوشع» لنبى الله «موسى» ـ عليه السلام ـ، أى: اتخذ الحوت سبيله فى البحر عجبًا للناس، أى: ليعجبوا من قدرة الله ـ تعالى ـ.

ويحتمل أن يكون هذا إخبارًا من الله ـ تعالى ـ عن الحوت بأنه اتخذ سبيله فى البحر عجبًا للناس ليعجبوا من قدرة الله ـ تعالى ـ. إذْ أنه أعاد الحياة إلى الحوت بعد أن كان ميتًا.

قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ قَالَ مَن يُحْيِي الْعظَام وَهِي رميمٌ (٧٨) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذي أنشأَهَا أَوَّلَ مرَّةٍ وَهُو بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ (٧٩) ﴾ [يس: ٧٨ ـ ٧٩].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ وما أنسانيهُ إلاَّ الشَّيطانُ ﴾ [رقم: ٦٣].

قرأ حفص: ﴿ وما أنسانيه ﴾ بضم الهاء من غير صلة، وذلك لأن الأصل فى هاء الضمير البناء على الضم.

وقرأ ابن كثير بكسر الهاء مع الصلة حالة وصلها بما بعدها، وجه الكسر لمناسبة الياء، ووجه الصلة أن الهاء حرف خفىّ فقوِّى بالصلة بحرف من جنس حركته.

وقرأ الباقون من القراء العشرة بكسر الهاء من غير صلة، لمناسبة الياء[1].

﴿ قال ذلك ما كنا نبغ فارتدا على آثارهما قصصا (٦٤) فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما (٦٥) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ﴾، أى: قال نبىّ الله «موسى» لفتاه «يوشع»: أمر الحوت وفقده هو الذى كنا نطلب، فإن الرجل الذى جئنا له ثَمَّ أىْ هناك.

* ﴿ فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصاً ﴾، أى: فرجعا يقصان أثرهما لئلا يخطئا طريقهما.

* ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا ﴾: فاعل «وجدا»: نبىّ الله «موسى» ـ عليه السلام ـ ويوشع. و«العبد» هو «الخضر» ـ عليه السلام ـ فى قول جمهور العلماء.

* ﴿ آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا ﴾، المراد بالرحمة: النعمة.

* ﴿ وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾، أى: ألهم الله ـ سبحانه وتعالى ـ «الخضر» العِلْم، وعلّمه إيّاه، ولم يكن «الخضر» نبيّا عند أكثر أهل العلم.

﴿ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا (٦٦) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ ﴾، أى: قال نبىّ الله «موسى للخضر» ـ عليهما السلام ـ:

* ﴿ هَلْ أَتَّبِعُكَ ﴾، أى: هل أصحبك، وهذا سؤال الإنسان المؤدّب.

* ﴿ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴾:

* قال الثعلبىّ فى كتاب (العرائس): إنّ «موسى» وفتاه وجدا الخضر وهو نائم على (طِنِفسة خضراء) وهو متّشح بثوب أخضر، فسلّم عليه «موسى»، ثم كشف عن

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ٣٧٧ ـ ٣٧٨).

وجهه، فقال ـ أى الخضر ـ: وأنّى بأرضنا السلام؟ ثم رفع رأسه واستوى جالسًا وقال: وعليك السلام يا نبىّ بنى إسرائيل، فقال له «موسى»: ومَنْ أدراك بى؟ ومن أخبرك أنّى نبىّ بنى إسرائيل؟ قال: الذى أدراك بى ودلّك علىّ، ثم قال «موسى»: إن ربّى أرسلنى إليك لأتبعك وأتعلّم من علمك.. اهـ(١).

القراءات وتوجيهها:

* ﴿قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ [رقم: ٦٦].

قرأ أبو عمر، ويعقوب: ﴿رَشَدًا﴾ فى هذا الموضع فقط بفتح الراء، والشين.

وقرأ الباقون من القراء العشرة بضم الراء، وإسكان الشين، وهما لهجتان فى مصدر «رشد»(٢).

﴿قال إنّك لن تستطيع معي صبرا (٦٧) وكيف تصبر علىٰ ما لم تحط به خبرا (٦٨)﴾

معانى المفردات:

* ﴿قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾:

المعنى: قال «الخضر» إلى نبىّ الله «موسى»: إنك يا موسى لا تطيق أن تصبر على ما تراه من علمى.

* ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾:

المعنى: وكيف تصبر على ما لم تُحط به خبرا، أى: إنك لن تستطيع السكوت جريًا على عادتك وحكمك. و﴿خُبْرًا﴾ تمييز مُحوَّل عن الفاعل، أى: وكيف تصبر على ما لم تحط به خِبْرتُك.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿مَعِيَ صَبْرًا﴾ الثلاثة [رقم: ٦٧ ـ ٧٢ ـ ٧٥].

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (١١/ ١٢).

(٢) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ٣٧٨).

قرأ حفص بفتح ياء الإضافة، والباقون بإسكانها[١].

﴿ قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا (٦٩) قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا (٧٠) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا ﴾:

✳ **المعنى:** قال نبى الله «موسى» - عليه السلام - «للخضر» سأصبر بمشيئة الله.

* ﴿ وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴾، أي: قد ألزمتُ نفسى طاعتك.

* ﴿ قَالَ ﴾، أي: «الخضر لنبيّ الله موسى» - عليهما السلام -:

* ﴿ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴾، أي: حتى أكون أنا الذى أفسّره لك وأبيّنه.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا ﴾ [رقم: ٦٩].

قرأ نافع، وأبو جعفر: ﴿ ستجدنى ﴾ بفتح ياء الإضافة وصلا.

والباقون بإسكانها، وهما لهجتان[٢].

* ﴿ فَلَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ ﴾ [رقم: ٧٠].

قرأ نافع، وابن عامر، وأبو جعفر: ﴿ فلا تَسْأَلَنِّى ﴾ بفتح اللام، وتشد النون على أنها نون التوكيد، وكسرت لمناسبة الياء.

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ فلا تَسْئَلْنى ﴾ بإسكان اللام، وتخفيف النون، على أنّ الفعل معرب والنون للوقاية[٣].

﴿ فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا (٧١) قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٧٢) قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا (٧٣) ﴾

(١ : ٣) انظر: المهذب فى القراءات العشر وتوجيهها (١/ ٤٠٥).

❋ **المعنى:** جاء فى تفسير القرطبى ما يلى:

فى صحيح مسلم، والبخارى: فانطلقا يمشيان على ساحل البحر، فمرّت سفينة فكلّموهم أن يحملوهم، فعرفوا «الخضر» فحملوه بغير «نَوْل» ـ أى: أجر ـ فلما ركبا فى السفينة لم يَفجأ «موسى» إلا والخضر قد قلع لَوْحًا من ألواح السّفينة بالقدوم، فقال له «موسى»: قوم حملونا بغير «نَوْل» عَمَدتَ إلى سفينتهم فخرقتها لتغرق أهلها، ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا (٧١) قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٧٢) قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا (٧٣)﴾.. اهـ[١].

* وعن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) ومجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾ قالا: منكرا.. اهـ[٢].

* وعن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ﴾ قال: هذا من معاريض الكلام.. اهـ[٣].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا﴾ [رقم: ٧١].

قرأ حمزة، والكسائى، وخلف البزّار: ﴿ليغرق﴾ بفتح الياء المثنّاة من تحت، وفتح الراء، على الغيب، مضارع «غرق» الثلاثى، و﴿أهلُها﴾ بالرفع فاعل «يغرق» وفى الكلام التفات من الخطاب إلى الغيبة.

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿لتغرق﴾ بضمّ التاء المثناة من فوق، وكسر الراء، على الخطاب، مضارع «أغرق» الثلاثى المزيد بهمزة، والفاعل ضمير مستتر وجوبًا تقديره «أنت» يعود على «الخضر» ـ عليه السلام ـ و﴿أهلَها﴾ بالنصب مفعول به، والخطاب جاء موافقًا للسياق، إذْ قبله قوله ـ تعالى ـ: ﴿قَالَ أَخَرَقْتَهَا﴾[٤].

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (١١/ ١٤).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٤٢٨).

(٣) انظر: تفسير القرطبى (١١/ ١٥).

(٤) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ٣٨١).

* ﴿ وَلا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴾ [رقم: ٧٣].

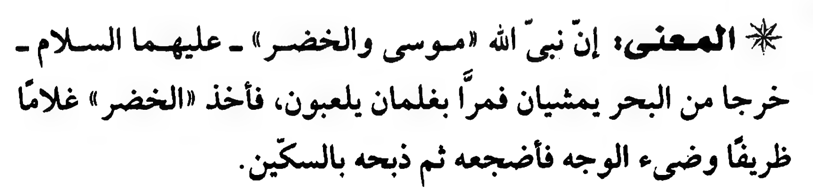
قرأ أبو جعفر: ﴿ عُسُرا ﴾ بضم السين.

وقرأ الباقون من القراء العشرة بإسكان السين، وهما لهجتان[١].

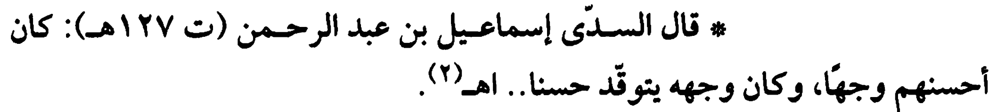
﴿ فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا (٧٤) قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٧٥) ﴾

معاني المفردات:

* ﴿ فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ ﴾:



* **المعنى:** إنّ نبيّ الله «موسى والخضر» - عليهما السلام - خرجا من البحر يمشيان فمراً بغلمان يلعبون، فأخذ «الخضر» غلامًا ظريفًا وضيء الوجه فأضجعه ثم ذبحه بالسكّين.



* قال السدّي إسماعيل بن عبد الرحمن (ت ١٢٧هـ): كان أحسنهم وجهًا، وكان وجهه يتوقّد حسنا.. اهـ[٢].

* وقال ابن عباس (ت ٦٨هـ - رضى الله عنهما): كان غلامًا لم يبلغ الحنث[٣].

* وقال البغويّ (ت ٥١٦هـ) فى تفسيره: وقول ابن عباس - رضى الله عنهما - قال به الأكثرون.. اهـ[٤].

* وعن قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) فى قوله - تعالى -: ﴿ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا ﴾، قال: النُّكر أنكَر من العجب.. اهـ[٥].

* وأخرج مسلم، وأبو داود، والترمذى عن أُبيّ بن كعب (ت ٣٠هـ - رضى الله عنه) عن النبيّ ﷺ قال: «الغلام الذى قتله الخضر، طُبِعَ يوم طُبِع كافرًا، ولو أدرك لأرهق أبويه طغيانًا وكفرًا» اهـ[٦].

---

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ٣٨٢).

(٢ : ٤) انظر: تفسير البغوى (٣/ ١٧٤).

(٥) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٤٢٨).

(٦) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٤٢٩).

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً ﴾ [رقم: ٧٤].

قرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وأبو جعفر، ورويس: ﴿ زاكية ﴾ بألف بعد الزاى، وتخفيف الياء، اسم فاعل من «زكى» بمعنى: طاهرة من الذنوب وصالحة، لأنها صغيرة لم تبلغ بعْدُ حدّ التكليف.

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ زكيَّة ﴾ بحذف الألف، وتشديد الياء، صفة مشبهة من «الزكاء» بمعنى الطهارة(١).

* ﴿ نكرا ﴾ المنوّن المنصوب وهو فى ثلاثة مواضع:

١ ـ قوله ـ تعالى ـ: ﴿ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا ﴾ [الكهف: ٧٤].

٢ ـ قوله ـ تعالى ـ: ﴿ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكْرًا ﴾ [الكهف: ٨٧].

٣ ـ قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُّكْرًا (٨) ﴾ [الطلاق: ٨].

قرأ نافع، وابن ذكوان، وشعبة، وأبو جعفر، ويعقوب: ﴿ نكرًا ﴾ المنصوب فى المواضع الثلاثة بضم الكاف، لمجانسة الحرف الأول، وهو لهجة الحجازيين.

وقرأ الباقون من القراء العشرة بإسكان الكاف، على الأصل، وهو لهجة تميم وأسد(٢).

﴿ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا (٧٦) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلا تُصَاحِبْنِي ﴾:

المعنى: قال نبىّ الله «موسى» للخضر ـ عليهما السلام ـ: إن سألتك عن شىء بعد هذه المرة فلا تصاحبنى وفارقنى.

* ﴿ قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا ﴾: أذكر فى تأويل ذلك ما يلى:

---

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ٣٨٢ ـ ٣٨٣).

(٢) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ٣٨٣ ـ ٣٨٤).

١ ـ أى: بلغت مبلغًا تُعْذَر به فى ترك مصاحبتى.

٢ ـ أى: اتضح لك العذر فى مفارقتى.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا﴾ [رقم: ٧٦].

قرأ نافع، وأبو جعفر: ﴿لدُنِى﴾ بضم الدال، وتخفيف النون، وذلك على الأصل فى ضمّ الدال، وحذفت نون الوقاية اكتفاء بكسر النون الأصلية لمناسبة الياء.

وقرأ شعبة بوجهين:

الأول: إسكان الدال مع الإيماء بالشفتين إلى جهة الضمّ للمح الأصل، ولا يعرف ذلك إلا بالتلقّى والمشافهة.

والثانى: اختلاس ضمة الدال لقصد التخفيف. وكلا الوجهين مع تخفيف النون.

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿لدُنِّى﴾ بضم الدال وتشديد النون، لأن الأصل فى «لدُن» بضمّ الدال، والإدغام للتماثل[1].

﴿فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا (٧٧)﴾

معانى المفردات:

* ﴿فَانطَلَقَا﴾، أى: نبيّ الله «موسى والخضر» ومعهما (يوشع بن نون).

* ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ﴾: وقد اختلف العلماء فى اسم هذه القرية:

١ ـ فعن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) قال: هى بَرْقة، ثم قال: وحدّثنى رجل إنها أنطاكيّة[2].

٢ ـ وعن السدّى إسماعيل بن عبد الرحمن (ت ١٢٧هـ): قال: كانت القرية تُسمّى (بَاجَرْوان) وهى بناحية أذربيجان[3].

---

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ٣٨٤ ـ ٣٨٥).

(٢، ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٤٢٩).

* ﴿ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا ﴾، أي: طلبا من أهلها الطعام.

* ﴿ فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا ﴾:

* أخرج الديلمىّ، عن أُبَىّ بن كعب (ت ٣٠هـ ـ رضى الله عنه) عن النبى ﷺ فى قوله ـ تعالى ـ ﴿ فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا ﴾ قال: «كانوا أهل قرية لئامًا ـ فطافوا فى المجالس يستطعمان أهلها فأبوا أن يضيفوهما ـ» اهـ[(١)].

* وعن السدّىّ فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ ﴾، قال: يريد أن يسقط.. اهـ[(٢)].

* وإسناد الإرادة إلى الجدار مجاز مجاز مرسل، لأن الجدار لا إرادة له، وحينئذ يكون المعنى: فوجدا فيها جداراً قرب ودنا من السقوط.

* وأخرج أبو بكر بن الأنبارى (ت ٣٢٨هـ) فى المصاحف، أى: كتاب المصاحف، عن أبىّ بن كعب (ت ٣٠هـ ـ رضى الله عنه) عن رسول الله ﷺ أنه قرأ ﴿ فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ ﴾، قال: «فهدمه ثم قعد يبنيه» اهـ[(٣)].

* ﴿ قَالَ ﴾، أى: نبىّ الله «موسى للخضر» ـ عليهما السلام ـ:

* ﴿ لَوْ شِئْتَ لاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴾، أى: جعلا، لأنه فعل يستحقّ الأجر.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ قَالَ لَوْ شِئْتَ لاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴾ [رقم: ٧٧].

قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب: ﴿ لَتَخِذْتَ ﴾ بتخفيف التاء الأولى، وكسر الخاء من غير ألف وصل، على أنه فعل ماض من «تخذ يتخذ» على وزن «علم يعلم».

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ لاتَّخَذْتَ ﴾ بألف وصل، وتشديد التاء الأولى، وفتح الخاء، على أنه فعل ماض من «اتّخذ يتخذ» على وزن «افتعل» فأدغمت فاء الكلمة فى تاء «افتعل».

(١) انظر: تفسير البغوى (٣/ ١٧٥)، تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٤٢٩).

(٢ ، ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٤٢٩).

وقرأ ابن كثير، وحفص، ورويس بخُلْف عنه بإظهار الذال عند التاء.

وقرأ الباقون من القراء العشرة بالإدغام، وهو الوجه الثاني لرويس[1].

﴿ قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا (٧٨) أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا (٧٩) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ قَالَ ﴾ الخضر لنبيّ الله «موسى» ـ عليهما السلام ـ:

* ﴿ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ﴾، أى: هذا وقت فراق بينى وبينك.

* أخرج ابن أبى حاتم من طريق محمد بن كعب القرظى قال: قال عمر بن الخطاب (ت ٢٣هـ ـ رضى الله عنه) ورسول الله ﷺ يحدّثهم بهذا الحديث حتى فرغ من القصّة: يرحم الله موسى، وَدَدْنَا أنه لو صبر حتى يقصّا علينا من حديثهما. اهـ[2].

* ﴿ سَأُنَبِّئُكَ ﴾، أى: سأخبرك.

* ﴿ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾: تأويل الشىء: مآله، أى: قال الخضر لنبى الله «موسى» ـ عليهما السلام ـ: إنّى سأخبرك لم فعلتُ ما فعلتُ:

* ﴿ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ ﴾: اختلف العلماء فى عدد المساكين:

١ ـ فقال كعب الأحبار (ت ٣٠هـ ـ رضى الله عنه) وغيره: كانت لعشرة إخوة من المساكين ورثوها عن أبيهم، خمسة زمْنَى، وخمسة يعملون فى البحر[3].

٢ ـ وقيل: كانوا سبعة لكل واحد منهم أمانة ليست بالآخر[4].

* قال الثعلبى: كان البحر الذى يعملون فيه ما بين فارس والرّوم[5].

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ٣٨٦ ـ ٣٨٧).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٤٣٠).

(٣) انظر: تفسير البغوى (٣/ ١٧٦)، وتفسير القرطبى (١١/ ٢٤).

(٤، ٥) انظر: تفسير القرطبى (١١/ ٢٤).

* ﴿ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ ﴾، أي: يؤاجرون ويكسبون بها.

* ﴿ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا ﴾، أي: أجعلها ذات عيب.

يُقال: عِبْتُ الشيء فعاب إذا صار ذا عيب، فهو معيب وعائب.

* ﴿ وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ ﴾، أي: أمامهم، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ مِّن وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّاءٍ صَدِيدٍ (١٦) ﴾ [إبراهيم: ١٦]، أي: أمامه جهنم.

* ﴿ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴾، أي: ذلك الملك الظالم كان يأخذ كل سفينة صالحة للعمل غصبا، أي: كرها عن أصحابها.

﴿ وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا (٨٠) ﴾

❀ معانى المفردات:

* قال سعيد بن جبير (ت ٩٥هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴾، قال: خشينا أن يحملهما حبّه على أن يتابعاه على دينه ـ وهو الكفر ـ.. اهـ[١].

﴿ فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا (٨١) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً ﴾، أي: صلاحًا وتقوى.

* ﴿ وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴾:

* عن قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴾ قال: أبرّ بوالديه.. اهـ[٢].

* وعن ابن جريج عبد الملك بن عبد العزيز (ت ١٥٠هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴾ قال: أرحم بهما من الذى قتل الخضر[٣].

* وفى رواية عن ابن جريج قال: أبدلهما الله بغلام مسلم.. اهـ[٤].

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٤٣٠).

(٢، ٣) انظر: تفسير الطبرى (٨/ ٢٦٧).

(٤) انظر: تفسير البغوى (٣/ ١٧٧).

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ أَن يُبْدِلَهُمَا ﴾ [رقم: ٨١].

قرأ ابن كثير، وابن عامر، وعاصم، وحمزة، والكسائى، ويعقوب، وخلف البزّار: ﴿ يُبْدِلهما ﴾ بإسكان الباء، وتخفيف الدال، مضارع «أبدل» المزيد بهمزة.

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ يُبَدِّلهما ﴾ بفتح الباء، وتشديد الدال، مضارع «بدّل» مضعف العين(١).

* ﴿ وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴾ [رقم: ٨١].

قرأ ابن عامر، وأبو جعفر، ويعقوب: ﴿ رحُما ﴾ بضم الحاء، لمجانسة ضم الحرف الأول، وهو لهجة الحجازيين.

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ رحْما ﴾ بإسكان الحاء، على الأصل، وهو لهجة تميم وأسد(٢).

﴿ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا (٨٢) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ ﴾: يفهم من نصّ الآية الكريمة أنّ الغلامين كانا دون البلوغ بقرينة وصفهما باليتم، إذْ لا يُتمْ بعد البلوغ.

* ﴿ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا ﴾: اختلف العلماء فى هذا الكنز، وسأذكر أصحّ الأقوال فى ذلك:

* فعن عكرمة مولى ابن عباس (ت ١٠٥هـ) وقتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ): قالا: هو كنز مال.. اهـ(٣).

---

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ٣٨٧).

(٢) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ٣٨٨).

(٣) انظر: تفسير الطبرى (٨/ ٢٦٩)، وتفسير القرطبى (١١/ ٢٧).

* قال الطبرى محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ) فى تفسيره: وأولى التأويلين فى ذلك بالصواب: القول الذى قاله عكرمة لأنّ المعروف من كلام العرب أنّ الكنز اسم لما يكنز من مال، وأنّ كل ما كنز فقد وقع عليه كنز.. اهـ[١].

* وعن قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا﴾ قال: كان كنز لمن قبلنا، وحَرُم علينا، وحُرِّمت الغنيمة على من كان قبلنا وأُحلّت لنا، فلا تعجبَنّ للرجل يقول: ما شأن الكنز أُحِلّ لمن قبلنا وحرم علينا؟ فإنّ الله يُحلّ من أمره ما يشاء، ويحرِّم ما يشاء.. اهـ[٢].

* ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صالِحًا﴾:

١ ـ قيل: هو الأب السابع.

٢ ـ وقيل: هو الأب العاشر، فحفظا فيه[٣].

* وقال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿وكان أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾ قال: حُفظا بصلاح أبيهما[٤].

* ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا﴾، أى: يبلغا ويعقلا، ويدركا شدّتهما وقوّتهما.

* ﴿ويستخرجا﴾ حينئذ. * ﴿كنزَهُمَا رحْمَةً من رَّبّك﴾، أى: نعمة من ربك.

* وعن قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾ قال: كان «الخضر» عبدًا مأمورًا مضى لأمر الله ـ تعالى ـ.. اهـ[٥].

* ﴿ذلك تَأْوِيلُ ما لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صبْرًا﴾:

المعنى: يقول «الخضر»، لنبىّ الله «موسى» ـ عليهما السلام ـ: ذلك الذى ذكرتُ لك من الأسباب التى من أجلها فعلتُ الأمور التى استنكرتَها منِّى، تأويل ما لم تسطع عليه صبرا.

---

(١) انظر: تفسير الطبرى (٨/ ٢٦٩).
(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٤٣١).
(٣) انظر: تفسير القرطبى (١١/ ٢٧).
(٤) انظر: تفسير الطبرى (٨/ ٢٦٩).
(٥) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٤٣١).

* وقال القرطبى أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبى بكر (ت ٦٧١هـ) فى تفسيره: قيل: إنّ «الخضر» لما ذهب يفارق نبيّ الله «موسى» ـ عليه السلام ـ قال له «موسى»: أوصنى.

قال: كن بَسَّامًا ولا تكن ضحَّاكا، ودع اللَّجاجة ولا تمش فى غير حاجة، ولا تعجب على الخطَّائين خطاياهم، وابك على خطيئتك يا ابن عمران[1].

﴿ ويسألونك عن ذي القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرا (٨٣) ﴾

* **معنى الآية:** يقول الله ـ تعالى ـ لنبيه «محمد» ﷺ: ويسألك يا «محمد» قوم من أهل الكتاب عن (ذى القرنين) ما كان من شأنه، وما كانت قصته، فقل لهم: سأقصّ عليكم من خبره ذكرا، وهو ما سأنزله عليك فيما يلى.

* وقال ابن إسحاق (ت ٢٩٠هـ): كان من خبر (ذى القرنين) أنه أوتى ما لم يُؤت غيرُه، فمدّت له الأسباب حتى انتهى من البلاد إلى مشارق الأرض، ومغاربها، ولا يطأ أرضًا إلا سُلِّط على أهلها، حتى انتهى من المشرق والمغرب إلى ما ليس وراءه شىء من الخَلْق.. اهـ[2].

* وأخرج ابن عبد الحكم فى فتوح مصر، وابن المنذر، وابن أبى حاتم، وأبو الشيخ فى العظمة، عن خالد بن معدان الكلاعىّ: أن رسول الله ﷺ سُئِل عن (ذى القرنين) فقال: «مَلِكٌ مسح الأرض من تحتها بالأسباب» اهـ[3].

* وعن وهب بن منبّه أنه سُئِل عن (ذى القرنين) فقال: لم يوح إليه، وكان مَلِكا.. اهـ[4].

* وقد اختلف العلماء فى سبب تسميته بذى القرنين:

١ ـ فقال الزهرى محمد بن مسلم (ت ١٢٤هـ): لأنه بلغ قرنى الشمس مشرقها ومغربها.. اهـ[5].

٢ ـ وقيل: لأنه كان مَلِك الروم وفارس[6].

٣ ـ وقيل: لأنه كانت له ذؤابتان حسنتان[7].

(١ ، ٢) انظر: تفسير القرطبى (١١/ ٣١).
(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٤٣٥).
(٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٤٣٧).
(٥ : ٧) انظر: تفسير البغوى (٣/ ١٧٨).

﴿ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ ﴾: «التمكين» تمهيد الأسباب.

* وقال علىّ بن أبى طالب (ت ٤٠هـ ـ رضى الله عنه) سخّر الله له السحابَ فحمله عليها، ومدّ له فى الأسباب، وبسط له النور فكان الليل والنهار عليه سواء، فهذا معنى تمكنه فى الأرض، وهو أنه سهّل عليه السير فيها، وذلّل له طُرقَها.. اهـ[1].

* ﴿ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴾: ورد فى تفسير ذلك عدد من الأقوال أذكر أصحها فيما يلى:

أولا: قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) وآتيناه من كل شىء علما يتسبب به إلى ما يريد.. اهـ[2].

ثانيًا: قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم (ت حوالى ١٧٠هـ): وآتيناه من كل شىء علما: من ذلك تعليم الألسنة، كان لا يعرف قومًا إلا كلمهم بلسانهم.. اهـ[3].

ثالثًا: قال قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ): المراد بذلك: منازل الأرض وأعلامها.. اهـ[4].

رابعًا: قيل المراد بذلك: من كل شىء يستعين به الملوك من فتح المدن، ومحاربة الأعداء.. اهـ[5].

* ﴿ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴾، أى: سلك وسار طرقًا.

* وقال مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ)، أى: منزلا وطرقًا من المشرق إلى المغرب.. اهـ[6].

* والسبب: ما يتوصّل به إلى الشىء، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ ﴾ [غافر: ٣٦ ـ ٣٧].

---

(١) انظر: تفسير البغوى (٣/ ١٧٨).
(٢) انظر: تفسير القرطبى (١١/ ٣٣).
(٣، ٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٤٤٥).
(٥) انظر: تفسير البغوى (٣/ ١٧٨)، تفسير القرطبى (١١/ ٣٣).
(٦) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٤٤٥).

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ فَأَتْبَع ﴾ من قوله ـ تعالى ـ: ﴿ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴾ [رقم: ٨٥].

* ﴿ أتبع ﴾ من قوله ـ تعالى ـ: ﴿ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴾ [رقم: ٨٩، ٩٢].

قرأ ابن عامر، وعاصم، وحمزة، والكسائى، وخلف البزّار: ﴿ فأتبع، أتبع ﴾ معًا بقطع الهمزة، وإسكان التاء فى الألفاظ الثلاثة، على أنه فعل ماض على وزن «أفعل» يتعدّى إلى مفعولين فـ «سببا» المفعول الثانى، والمفعول الأول محذوف تقديره: فأتبع أمره.

وقرأ الباقون من القراء العشرة الأفعال الثلاثة بوصل الهمزة، وتشديد التاء، على وزن «افتعل» من «تبع» الثلاثى ثم أدغمت تاء الافتعال فى فاء الكلمة[1].

﴿ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا (٨٦) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ ﴾: ﴿ حمِئَةٍ ﴾ بالهمز من غير ألف صفة مشبهة مشتقة من «الحمأة» يقال: حمئت البئر تحمأ حمأ فهى حمئة، إذا كان فيها «الحمأ» وهو الطين الأسود.

وقد قرأ نافع وغيره: ﴿ حَمِئَةٍ ﴾ بالهمز من غير ألف كما سيأتى بيانه.

وقرأ الباقون: ﴿ حامية ﴾ على أنها اسم فاعل من «حمى يحمى» أى: حارّة.

* وقد أخرج ابن أبى شيبة، وابن المنذر، وابن مردويه، والحاكم وصححه عن أبى ذرّ الغفارىّ (ت ٣٢هـ ـ رضى الله عنه) قال: كنت ردف رسول الله ﷺ وهو على حمار، فرأى الشمس حين غربت فقال: «أتدرى أين تغرب؟» قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «فإنها تغرب فى عين حامية» غير مهموزة.. اهـ[2].

---

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ٣٨٩).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٤٤٧).

* وعن ابن جريج عبد الملك بن عبد العزيز (ت ١٥٠هـ) في قوله - تعالى -: ﴿ ووجد عندها قومًا ﴾، قال: مدينة لها اثنا عشر ألف باب، لولا أصوات أهلها لسمع الناس دويّ الشمس حين تجبّ.. اهـ(١).

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ وجدها تغرب في عين حمئة ﴾ [رقم: ٨٦].

قرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وحفص، ويعقوب: ﴿ حمئة ﴾ بالهمز من غير ألف، على أنها صفة مشبهة، مشتقّة من «الحمأة» وهي الطين الأسود.

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ حامية ﴾ بألف بعد الحاء، وإبدال الهمزة ياء مفتوحة، على أنها اسم فاعل من: «حمي يحمي»، أي: حارّة.

ولا تنافي بين القراءتين إذْ لا مانع من أن تكون العين ذات طين أسود، وفيها الحرارة(٢).

﴿ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكْرًا (٨٧) ﴾

معاني المفردات:

* عن الضحّاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ) في قوله - تعالى -: ﴿ قَالَ أَمَّا من ظَلَمَ ﴾ قال: معنى ﴿ من ظَلَمَ ﴾، أي: من أشرك.. اهـ(٣).

* وعن قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) في قوله - تعالى -: ﴿ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ﴾، قال: بالقتل.. اهـ(٤).

* ﴿ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ ﴾: في الآخرة.

* ﴿ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكْرًا ﴾، أي: شديدًا في جهنّم.

﴿ وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا (٨٨) ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا (٨٩) ﴾

---

(١) انظر: تفسير البغوي (٣/ ١٧٩)، تفسير الدر المنثور (٤/ ٤٤٧).

(٢) انظر: المغني في توجيه القراءات العشر (٢/ ٣٩٠).

(٣، ٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٤/ ٤٤٨).

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَىٰ ﴾: ﴿ فَلَهُ ﴾ خبر مقدّم، و﴿ الْحُسْنَى ﴾ مبتدأ مؤخر، و﴿ جَزَاءً ﴾ حال. وحينئذ يكون المعنى: فله الحسنى حالة كونها جزاءً.

* ﴿ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴾، أى: نلين له القول، ونعامله باليسر.

* وعن مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) قال معنى ﴿ يُسْرًا ﴾ أى: معروفًا[١].

* ﴿ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴾، أى: سلك طرقًا ومنازل.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَىٰ ﴾ [رقم: ٨٨].

قرأ حفص، وحمزة، والكسائى، ويعقوب، وخلف البزّار: ﴿ جزاءً ﴾ بفتح الهمزة منوّنة منصوبة مع كسر التنوين وصلا على أنه مصدر فى موضع الحال، والتقدير: فله الحسنى حالة كونها جزاء من الله ـ تعالى ـ.

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ جزاءُ ﴾ بالرفع من غير تنوين، على أنه مبتدأ مؤخّر، وخبره الجارّ والمجرور قبله، و﴿ الحسنى ﴾ مضاف إليه، والتقدير: فله جزاءُ الحسنى من الله ـ تعالى ـ[٢].

* ﴿ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴾ [رقم: ٨٨].

قرأ أبو جعفر ﴿ يسُرا ﴾ بضم السين، والباقون بإسكانها، وهما لهجتان[٣].

﴿ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا (٩٠) كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا (٩١) ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا (٩٢) ﴾

(١) انظر: تفسير البغوى (٢/ ١٧٩)، تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٤٤٨).
(٢) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ٣٩١).
(٣) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ٣٩٢).

❀ معانى المفردات:

* أخرج ابن المنذر، وابن أبى حاتم، وأبو الشيخ فى العظمة، عن ابن جريج عبد الملك بن عبد العزيز (ت ١٥٠هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ﴾ الآية، قال: حُدِّثتُ عن الحسن البصرى، عن سَمُرة بن جندب الخزاعىّ (ت ٦٠هـ ـ رضى الله عنه) قال: قال النبى ﷺ: «لم نجعل لهم من دونها سِتْرا»: إنها لم يُبْن فيها بناء قط، كانوا إذا طلعت الشمس دخلوا أسْرابًا لهم حتّى تزول الشمس» اهـ[١].

* وعن قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ﴾ الآية، قال: تطلع على قوم يقال لهم الزّنج.. اهـ[٢].

* وعن مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا﴾ قال: أحطنا بما لديه علما.. اهـ[٣].

﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا (٩٣) قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا (٩٤)﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ﴾: فاعل «بلغ» ضمير مستتر جوازًا تقديره (هو) يعود على (ذى القرنين).

* ﴿بَيْنَ السَّدَّيْنِ﴾: قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما): هما جبلان من قبل أرْمينية وأذْرَبيجان.. اهـ[٤].

* ﴿وَجَدَ مِن دُونِهِمَا﴾، أى: من ورائهما.

* ﴿قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾، أى: لا يكادون يفهمون كلام غيرهم لجهلهم بلسان من يخاطبهم، وقلّة فطنتهم.

و«كاد» من أفعال المقاربة، والتعبير بـ ﴿لَّا يَكَادُونَ﴾ أبلغ من «لا يفهمون».

(١ : ٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٤٤٨).

* ﴿قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ﴾، أى: قالت له أمّة من الإنس صالحة.

* ﴿إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾: اختلف العلماء فى المراد من إفسادهم فى الأرض:

أولا: أخرج ابن المنذر، وابن أبى حاتم، عن حبيب الأرجانىّ قال: فسادهم أنهم يأكلون الناس.. اهـ[١].

ثانيًا: وقيل: إفسادهم: هو الظّلم، والقتل، وسائر وجوه الإفساد المعلوم من البشر ـ والله أعلم ـ[٢].

* وقال القرطبى فى تفسيره: روى أبو هريرة (ت ٥٩هـ ـ رضى الله عنه) عن النبىّ ﷺ قال: «وُلِد لنوح: سام، وحام، ويافث:

١ ـ فولد (سام) العرب، وفارس، والروم، والخير فيهم.

٢ ـ وولد (يافث) يأجوج ومأجوج، والترك، ولا خير فيهم.

٣ ـ وولد (حام) القبط، والبربر، والسودان». اهـ[٣].

* وأخرج ابن جرير، عن وهب بن جابر الحيوانى، قال: سألت عبد الله بن عمرو ابن العاص (ت ٦٥ هـ ـ رضى الله عنهما) عن «يأجوج ومأجوج» أمن آدم هم؟ قال: نَعَم، ومن بعدهم ثلاث أمم لا يعلم عددهم إلا الله:

١ ـ تأويل. ٢ ـ وتاريس. ٣ ـ ومنسك.. اهـ[٤].

* وأخرج عبد الرزّاق، وابن أبى حاتم، عن قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) قال: إنّ الله جزّأ الإنس عشرة أجزاء، تسعة منهم يأجوج ومأجوج، وجزء سائر الناس.. اهـ[٥].

* وعن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا﴾: قال: أجرًا عظيمًا.. اهـ[٦].

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٤٥١).
(٢ ، ٣) انظر: تفسير القرطبى (١١/ ٣٨).
(٤ ، ٥) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٤٤٩).
(٦) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٤٥١).

* ﴿ عَلَىٰ أَن تَجْعَل بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴾، أي: حاجزًا.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ ﴾ [رقم: ٩٣].

قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وحفص: ﴿ السَّدَّين ﴾ بفتح السين.

وقرأ الباقون من القراء العشرة بضم السين، وهما لهجتان فى المصدر، وهما بمعنى واحد وهو الحاجز(١).

* ﴿ لاَّ يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلاً ﴾ [رقم: ٩٣].

قرأ حمزة، والكسائى، وخلف البزّار: ﴿ يُفْقِهون ﴾ بضم الياء، وكسر القاف، مضارع «أفقه غيره» أى: لا يكادون يُفْهِمون السامع كلامهم.

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ يَفْقَهون ﴾ بفتح الياء والقاف، مضارع «فقه» أى: لا يكادون يفهمون كلام غيرهم لجهلهم بلسان من يخاطبهم، وقلّة فطنتهم(٢).

* ﴿ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا ﴾ [رقم: ٩٤].

قرأ حمزة، والكسائى، وخلف البزّار: ﴿ خَراجًا ﴾ بفتح الراء، وألف بعدها.

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ خَرْجا ﴾ بإسكان الراء، وحذف الألف، وهما لهجتان بمعنى واحد، وقيل «الخراج» ما ضرب على الأرض كل عام، والخرج: ما يجعل من المال من غير قصد التكرار(٣).

* ﴿ عَلَىٰ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴾ [رقم: ٩٤].

قرأ نافع، وابن عامر، وشعبة، وأبو جعفر، ويعقوب: ﴿ سُدًّا ﴾ بضم السين.

وقرأ الباقون من القراء العشرة بفتح السين، وهما لهجتان بمعنى واحد وهو: الحاجز(٤).

﴿ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا (٩٥) ﴾

(١ : ٣) انظر: المهذب فى القراءات العشر وتوجيهها (١/ ٤١٠).

(٤) انظر: المهذب فى القراءات العشر وتوجيهها (١/ ٤١١).

❀ معانى المفردات:

* عن السدّى إسماعيل بن عبد الرحمن (ت ١٢٧هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ﴾ قال: أى (ذو القرنين): الذى أعطانى ربِّى ـ أى: ما بسطه الله لى من القدرة والملك ـ هو خير من الذى تبذلونه لى من الخراج.. اهـ(١).

* ﴿فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ﴾ أى: بقوّة الأبدان أى: بالرجال، والآلة التى أبنى بها السدّ.

* وعن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾ قال: هو كأشدّ الحجاب(٢). أى: أشدّ وأقوى من السدّ الذى تريدونه.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي﴾ [رقم: ٩٥].

قرأ ابن كثير: ﴿ما مكننى﴾ بنونين خفيفتين: الأولى مفتوحة، والثانية مكسورة بدون إدغام على الأصل.

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ماكنّى﴾ بنون واحدة مشددة مكسورة، بإدغام النون التى هى لام الفعل فى نون الوقاية(٣).

﴿آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا (٩٦)﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ﴾:

* قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما): ﴿زُبَرَ الْحَدِيدِ﴾، أى: قطع الحديد.. اهـ(٤).

وحينئذ يكون المعنى: طلب (ذو القرنين) منهم أن يناولوه قطع الحديد أثناء قيامه ببناء السدّ.

(١، ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٤٥٢).

(٣) انظر: المهذب فى القراءات العشر وتوجيهها (١/ ٤١١).

(٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٤٥٢).

* ﴿ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ ﴾، أي: البناء، فحذف لدلالة الكلام عليه.

* ﴿ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ ﴾، قال أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢١٠هـ): ﴿ الصَّدَفَيْنِ ﴾ هما جانبا الجبل، وسميا بذلك لتصادفهما أي: تلاقيهما.. اهـ[١].

* وقال مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ): ﴿ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ ﴾، أي: رأس الجبلين.. اهـ[٢].

* ويقال للبناء المرتفع صَدَفٌ تشبيه بجانب الجبل، ولأنّ أحدهما يصادف الآخر.

* ﴿ قَالَ انفُخُوا ﴾، أي: طلب (ذو القرنين) منهم أن ينفخوا (بالأكيار) على قطع الحديد، وذلك أنه كان يأمر بوضع طبقة من قطع الحديد والحجارة، ثم يوقد عليها الحطب والفحم، وينفخ عليها بالأكيار: أي المنافخ حتى يصير كالنار كما قال ـ تعالى ـ:

* ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا ﴾ ثم يؤتى بالنحاس المذاب، أو بالرصاص، أو بالحديد المذاب، حسبما سيأتي في تفسير «القطر» فيفرغه على تلك الطاقة المنضّدة، فإذا التأم واشتدّ ولصق بعضه ببعض، استأنف وضع طاقة أخرى، وهكذا إلى أن استوى العمل فصار جبلا صَلْدا.

ومعنى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا ﴾، أي: كالنار.

* ﴿ قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴾، أي: أعطوني قطرًا أفرغه عليه.

وقد اختلف العلماء في المراد من (القطر):

١ ـ فقال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضي الله عنهما) ومجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) وعكرمة مولى ابن عباس (ت ١٠٥هـ): قالوا: القطر: النحاس ـ أي المذاب ـ.. اهـ[٣].

٢ ـ وقيل: القطر: الحديد المذاب[٤].

٣ ـ وقيل: هو الرصاص المذاب، وممن قال بذلك: أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري (ت ٣٢٨هـ).. اهـ[٥].

وقد سُمِّي بذلك، لأن كل واحد من هذه الثلاثة إذا أذيب قَطَر كما يقطر الماء، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ ﴾ [سبأ: ١٢].

---

(١) انظر: تفسير القرطبي (١١/ ٤١).

(٢ ، ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٤/ ٤٥٢).

(٤، ٥) انظر: تفسير القرطبي (١١/ ٤٢).

القراءات وتوجيهها:

* ﴿حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ﴾ [رقم: ٩٦].

قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، ويعقوب: ﴿الصُّدُفين﴾ بضم الصاد والدال، وهى لهجة قريش.

وقرأ شعبة: ﴿الصُّدْفين﴾ بضم الصاد، وإسكان الدال مخففة.

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿الصَّدَفين﴾ بفتح الصاد، والدال، لهجة أهل الحجاز[١].

﴿فما اسْطَاعُوا أن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا (٩٧)﴾

معانى المفردات:

* ﴿فَمَا اسْطَاعُوا أن يَظْهَرُوهُ﴾:

* قال قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) معنى ذلك: ما استطاعوا أن يرتقوه.. اهـ[٢].
أى: ما استطاع يأجوج ومأجوج أن يرتقوا السّدّ، لأنه أملس مستو مع الجبل، والجبل عال لا يرام.

* قال القرطبى (ت ٦٧١هـ) فى تفسيره: قال وهب بن منبه: ارتفاع السدّ مائتا ذراع ورخمسون ذراعًا، وروى: طوله ما بين طرفى الجبلين مائة فرسخ، وعرضه خمسون فرسخًا.. اهـ[٣].

* وعن ابن جريج عبد الملك بن عبد العزيز (ت ١٥٠هـ) فى قوله - تعالى -: ﴿وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا﴾ قال: من أسفله.. اهـ[٤].

وذلك لبعد عرضه لأنه خمسون فرسخًا، وقوّته.

---

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ٣٩٧).
(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٤٥٢).
(٣) انظر: تفسير القرطبى (١١/ ٤٢).
(٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٤٥٢).

القراءات وتوجيهها:

* ﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ﴾ [رقم: ٩٧].

قرأ حمزة: ﴿اسطاعوا﴾ بتشديد الطاء، على إدغام التاء في الطاء.

وقرأ الباقون بتخفيف الطاء: على حذف التاء، لأن الأصل استطاعوا[(١)].

﴿قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا (٩٨)﴾

معاني المفردات:

* ﴿قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي﴾: القائل (ذو القرنين) وأشار بـ ﴿هذا﴾ إلى الرّدم الذى صنعه والانتفاع به فى دفع ضرر (يأجوج ومأجوج) واعتبر ذلك رحمة من الله.

* ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي﴾: وهو وقت خروج (يأجوج ومأجوج).

* ﴿جَعَلَهُ دَكَّاءَ﴾، قال عكرمة مولى ابن عباس (ت ١٠٥هـ): جعله الله ـ تعالى ـ طريقًا كما كان.. اهـ[(٢)].

أى: جعل الله السدّ أرضًا دكاء أى مدكوكة مستوية بالأرض.

* ﴿وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾:

* أخرج أبو يعلى، والحاكم وصححه، وابن عساكر، عن أبى هريرة (ت ٥٩هـ ـ رضى الله عنه) عن النبىّ ﷺ فى السدّ قال: يحفرونه كل يوم حتى إذا كادوا يخرقونه قال الذى عليهم: ارجعوا فستخرقونه غدًا، قال: فيعيده الله كأشدّ ما كان، حتّى إذا بلغوا مدتهم، وأراد الله، قال الذى عليهم: ارجعوا فستخرقونه غدًا إن شاء الله ـ واستثنى ـ فيرجعون وهو كهيئته حين تركوه فيخرقونه ويخرجون على الناس، فيسقون المياه، وينفر الناسُ منهم، فيرمون سهامهم فى السماء فترجع مخضبّة بالدماء فيقولون: قهرنا أهل الأرض، وغلبنا من السماء قسوة وعلوّا، فيبعث الله عليهم (نغفا) فى أقفائهم فيهلكهم.. اهـ[(٣)].

---

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ٣٩٨).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٤٥٢).

(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٤٥٣ ـ ٤٥٤).

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ جَعَلَهُ دَكَّاءَ ﴾ [رقم: ٩٨].

قرأ عاصم، وحمزة، والكسائى، وخلف البزّار: ﴿ دكاء ﴾ بالهمزة المفتوحة بعد الألف، وحذف التنوين ممنوعًا من الصرف ووجه هذه القراءة أنها أخذت من قول العرب: (هذه ناقة دكاء) للتى لا سنام لها، فهى مستوية الظهر.

وحينئذ يكون المعنى: فإذا جاء وعد ربِّى جعل السدّ أرضًا مستوية لا ارتفاع فيها.

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ دكّا ﴾ بحذف الهمزة مع التنوين، علما أنه مصدر (دككتُ الأرضَ دكّا) أى: جعلتها مستوية لا ارتفاع فيها ولا انخفاض، فهو مصدر واقع موقع المفعول به، أى: مدكوكًا[١].

﴿ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا (٩٩) ﴾

معانى المفردات:

* عن السدّىّ إسماعيل بن عبد الرحمن (ت ١٢٧هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ ﴾ قال: ذلك حين يخرجون على الناس.. اهـ[٢].

وهذا عند فتح السّدّ ويخرج (يأجوج ومأجوج) فيدخل بعضهم فى بعض، ويموجون كموج الماء لكثرتهم.

* ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ﴾:

* عن عبد الله بن عمرو بن العاص (ت ٦٥هـ ـ رضى الله عنهما) عن النبىّ ﷺ: أنّ أعرابيًا سأله عن ﴿ الصُّورِ ﴾ فقال: قَرْن يُنفخ فيه.. اهـ[٣].

* وعن أبى سعيد الخدرىّ ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «كيف أنْعَمُ وصاحب القَرْن قد التقم ـ أى: القَرْن ـ وحنى الجبهة، وأصْغى بالأذن متى يؤمر»، فشقّ ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ فقال: « قولوا حسبنا الله وعلى الله توكلنا، ولو اجتمع أهل (مِنًى) ما أقالوا ذلك القَرْن»[٤].

---

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ٣٩٨ ـ ٣٩٩).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٤٥٤).

(٣، ٤) انظر: تفسير الطبرى (٨/ ٢٩٠).

* ﴿ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا ﴾: المعنى: يقول الله ـ تعالى ـ: فجمعنا جميع الخلق حينئذ لموقف الحساب جميعًا.

﴿ وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا (١٠٠) ﴾

* **المعنى:** يقول الله ـ تعالى ـ: وأبرزنا جهنم يوم ينفخ في الصور، فأظهرناها للكافرين، حتى يروها ويعاينوها كهيئة السراب.

﴿ الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكري وكانوا لا يستطيعون سمعا (١٠١) أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادي من دوني أولياء إنا أعتدنا جهنم للكافرين نزلا (١٠٢) ﴾

معاني المفردات:

* ﴿ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي ﴾ الآية: في محل جرٍّ صفة ﴿ لِلْكَافِرِينَ ﴾ المتقدم ذكرهم في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ عَرْضًا ﴾ [رقم: ١٠٠].

* وقال قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) في معنى الآية: كانوا عُمْيًا عن الحقّ فلا يبصرونه، صمّا عنه فلا يسمعونه[١].

* وعن مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَكَانُوا لا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴾، قال: كانوا لا يعقلون سمعًا.. اهـ[٢].

* ﴿ أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾: «حسب» هنا بمعنى «ظن».

* ﴿ أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِن دُونِي أَوْلِيَاءَ ﴾، أمثال: عيسى ابن مريم، وعزير، والملائكة، ومعى ﴿ أَوْلِيَاءَ ﴾، أى: نصراء لهم، يوم القيامة، المعنى: أنهم لا ينفعونهم كما قال ـ تعالى ـ: ﴿ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلاً ﴾، أى: منزلا لهم يوم القيامة.

* وقال قتادة بن دعامة في معنى الآية: ظنّ كفرة بنى آدم أن يتخذوا الملائكة من دون الله أولياء.. اهـ[٣].

(١ : ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٤/ ٤٥٥).

﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا (١٠٤) أُوْلَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا (١٠٥) ﴾

معانى المفردات:

* أخرج عبد الرزّاق، والبخارى، والنسائى، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبى حاتم، والحاكم، وابن مردويه من طريق مصعب بن سعد قال: سألتُ أُبىّ بن كعب (ت ٣٠هـ ـ رضى الله عنه) من قوله ـ تعالى ـ: ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً ﴾ أهم الحرورية؟ قال: لا، هم اليهود والنصارى، أمّا اليهود فكذّبوا نبينا «محمداً» ﷺ، وأمّا النصارى فكذّبوا بالجنة وقالوا: لا طعام فيها ولا شراب، والحرورية هم الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه، وكان سعد يسميهم الفاسقين.. اهـ[١].

* ﴿ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ الآية:

تضمنت هذه الآية صفات «الأخسرين أعمالا» وقد تقدّم بيان المراد منهم فى حديث أُبىّ بن كعب ـ رضى الله عنه ـ.

* ﴿ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ ﴾ الآية: هذه الآية أيضًا فى أوصاف «الأخسرين أعمالا».

* وأخرج البخارىّ، ومسلم، وابن المنذر، وابن أبى حاتم، عن أبى هريرة (ت ٥٩هـ ـ رضى الله عنه) عن رسول الله ﷺ قال: «إنه ليأتى الرجلُ العظيمُ السمينُ يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة» وقال: «اقرأوا إن شئتم: ﴿ فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴾» اهـ[٢].

﴿ ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا (١٠٦) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً (١٠٧) خَالِدِينَ فِيهَا لا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلاً (١٠٨) ﴾

(١، ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٤٥٦).

❀ معانى المفردات:

* ﴿ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ﴾: مبتدأ وخبر، واسم الإشارة عائد على الأخسرين أعمالا.

* ﴿بِمَا كَفَرُوا﴾، الباء للسببيّة، و«ما» مصدرية: أى: الأخسرون أعمالا جزاؤهم جهنم بسبب كفرهم.

* ﴿وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُواً﴾: معطوف على ما قبله: أى: جزاؤهم جهنم بسبب كفرهم، واتخاذهم آياتى ورسلى هزوا. والهزء: الاستخفاف والسخرية.

* ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً﴾:

* أخرج أحمد، وابن أبى شيبة، وعبد بن حميد، والترمذى، والحاكم والبيهقى فى البعث عن عبادة بن الصامت ـ رضى الله عنه ـ أنّ النبى ﷺ قال: «إنّ فى الجنة مائة درجة، بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، والفردوس أعلاها درجة، ومن فوقها يكون العرش، ومنها تفجّر أنهار الجنة الأربعة، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس.. اهـ[١].

* وأنهار الجنة الأربعة هى التى ذكرها الله فى قوله: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى﴾ [محمد: ١٥].

* ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾: الضمير عائد على ﴿جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ﴾، و ﴿خَالِدِينَ﴾ حال، وحينئذ يكون المعنى: إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا حالة كونهم خالدين فيها خلوداً أبديًا لا نهاية له.

* ﴿لا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلاً﴾، أى: لا يطلبون تحوّلا عن جنة الفردوس إلى غيرها، لما يرون فيها من النعيم الدائم المقيم.

وصدق الله إذ قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ (٣٠) نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٤٥٧).

الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ (٣١) نُزُلاً مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ (٣٢) ﴾ [فصلت: ٣٠ - ٣٢].

* وأقول: اللهم اجعلنى منهم يا ربّ العالمين آمين.

﴿ قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا (١٠٩) ﴾

سبب نزول هذه الآية:

* قال ابن عباس (ت ٦٨هـ - رضي الله عنهما): قالت اليهود لمّا قال لهم النبى ﷺ: «﴿ وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً (٨٥) ﴾ [الإسراء: ٨٥]». قالوا: وكيف وقد أوتينا التوراة، ومن أوتى التوراة فقد أوتى خيرًا كثيرًا؟ فنزلت: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي ﴾ الآية.. اهـ[1].

معنى الآية:

* عن قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) فى معنى الآية قال: ينفد ماء البحر قبل أن ينفد كلام الله وحكمته.. اهـ[2].

* ومعنى ﴿ وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴾: أى: ولو جئنا زيادة على البحر عددًا، أو وزنًا - والله أعلم -.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي ﴾ [رقم: ١٠٩].

قرأ حمزة، والكسائى، وخلف البزّار: ﴿ ينفد ﴾ بالياء التحتية على تذكير الفعل.

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ تنفد ﴾ بالتاء الفوقية، على تأنيث الفعل، وجاز تذكير الفعل وتأنيه، وأنّ تأنيث الفاعل وهو ﴿ كلمات ﴾ غير حقيقى[3].

---

(١) انظر: أسباب نزول القرآن للواحدى ص ٣٠٧، وأسباب النزول للشيخ القاضى ص١٤٣، وتفسير القرطبى (١١/ ٤٦).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٤٥٨).

(٣) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ٣٩٩).

﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا (١١٠) ﴾

سبب نزول هذه الآية:

ورد فى سبب نزول هذه الآية أكثر من سبب وقد اخترت السبب التالى حرصًا على عدم الإطناب:

* عن ابن عباس (ت ٦٨هـ - رضى الله عنهما) قال: قال رجل: يا رسول الله إنِّى أقف أريد وجه الله وأُحب أن يُرى موطنى، فلم يردّ عليه شيئًا حتى نزلت هذه الآية. [أخرجه الحاكم والبيهقى].. اهـ(١).

معانى المفردات:

* ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ﴾:

المعنى: يقول الله لنبيه «محمد» ﷺ: قل يا «محمد» لقومك: إنّى لا أعلم إلا ما يعلّمنى الله - تعالى -، وعلم الله لا نهاية له، وإنما أمرنى الله أن أبلغكم بأنه لا إله إلا الله.

* ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ ﴾، أى: من كان يرجو ثواب الله، ويخاف عقابه.

* وقال سعيد بن جبير (ت ٩٥هـ) فى تفسير ذلك: من كان يخشى البعث فى الآخرة.. اهـ(٢).

* ﴿ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾:

* قال النبى ﷺ: «إنّ ربكم يقول: أنا خير شريك، فمن أشرك معى فى عمله أحدًا من خلقى تركت العمل كله له ولم أقبل إلا ما كان لى خالصًا» اهـ(٣).

* وأخرج أحمد، وابن أبى الدنيا، وابن مردويه، والحاكم وصححه، والبيهقى عن شدّاد بن أوس - رضى الله عنه - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من صلّى يرائى فقد أشرك، ومن صام يرائى فقد أشرك، ومن تصدّق يرائى فقد أشرك، ثم قرأ: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ ﴾ الآية» اهـ(٤).

---

(١) انظر: أسباب نزول القرآن للواحدى ص٣٠٧، وأسباب النزول للشيخ القاضى ص١٤٣.

(٢، ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٤٥٩). (٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٤٦٠).

* وأخرج ابن الضّريس فى فضائل القرآن، عن إسماعيل بن أبى رافع قال: بلغنا أنّ رسول الله ﷺ قال: «ألا أخبركم بسورة ملء عظمتها ما بين السماء والأرض، شيَّعها سبعون ألف مَلَك؟ سورة الكهف، من قرأها يوم الجمعة غفر الله له بها إلى الجمعة الأخرى، وزيادة ثلاثة أيّام من بعدها، وأعطى نوراً يبلغ السماء، ووقى فتنة الدَّجّال» اهـ[1]. ـ والله أعلم ـ.

● ● ●

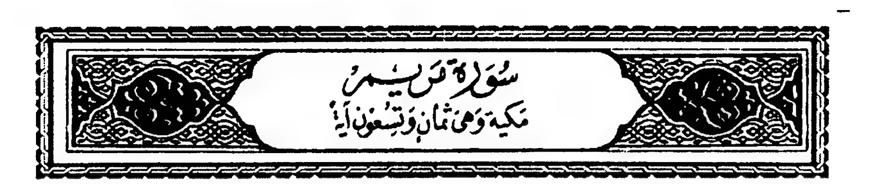
تمّ ولله الحمد والشكر تفسير سورة الكهف

ويليها بإذن الله ـ تعالى ـ

[تفسير سورة مريم ـ عليها السلام ـ]

● ● ●

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٤٦٣).



* أخرج ابن مردويه، عن «عائشة» أمّ المؤمنين (ت ٥٨هـ ـ رضى الله عنها) قالت: نزلت سورة مريم بمكة.. اهـ[١].

* وأخرج النحّاس، وابن مردويه، عن عبد الله بن الزبير (ت ٧٣هـ ـ رضى الله عنه) قال: نزلت سورة مريم بمكة.. اهـ[٢].

* وأخرج الطبرانى، وأبو نعيم، والدّيلمى من طريق أبى بكر بن عبد الله بن أبى مريم الغسانىّ عن أبيه، عن جدّه قال: أتيت رسول الله ﷺ فقلت: ولدتْ لى الليلة جارية، فقال ـ أى النبىّ ﷺ ـ: «والليلة أنزلت علىّ سورة مريم سمّاها مريم» اهـ[٣].

﴿ كٓهيعٓصٓ ﴿١﴾ ﴾

* قال الشعبى عامر بن شراحيل (ت ١٠٥هـ): ﴿ الٓمٓ ﴾ وسائر حروف الهجاء من أوائل السور: من المتشابه الذى استأثر الله بعلمه، وهى سرّ القرآن فنحن نؤمن بظاهرها ونكل العلم فيها إلى الله ـ تعالى ـ. وفائدة ذكرها: طلب الإيمان بها.. اهـ[٤].

* وقال أبو بكر الصِّدِّيق (ت ١٣هـ ـ رضى الله عنه): فى كل كتاب سرّ، وسرّ الله فى القرآن أوائل السور.. اهـ[٥].

﴿ ذكر رحمت ربّك عبده زكريّا ﴿٢﴾ ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ ﴾: رُفِعَ على أنه خبر لمبتدأ محذوف، والتقدير: هذا ذكر رحمة ربك.

* ﴿ عَبْدَهُ ﴾، قال الأخفش الأوسط سعيد بن مسعدة (ت ٢١٥هـ) هو منصوب بـ «رحمة».. اهـ[٦]. * ﴿ زَكَرِيَّا ﴾ بدل من «عبده».

(١ : ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٤٦٤).

(٤ ، ٥) انظر: تفسير البغوى (١/ ٤٤).

(٦) انظر: تفسير القرطبى (١١/ ٥٢).

* وأخرج أحمد، وأبو يعلى، والحاكم وصححه، عن أبي هريرة (ت ٥٩هـ ـ رضى الله عنه) عن النبى ﷺ قال: كان زكريّا نجّاراً[١].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ ﴾ [رقم: ٢].

﴿ رحمت ﴾ رسمت بالتاء المفتوحة: ووقف عليها بالهاء ابن كثير، وأبو عمرو، والكسائى ويعقوب، وهى لهجة (طيء).

ووقف عليها باقى القراء العشرة بالتاء، موافقة لرسم المصحف وهى لهجة (قريش)[٢].

* ﴿ زَكَرِيَّا ﴾ [رقم: ٢].

والحكم يشمل جميع ألفاظ ﴿ زكريا ﴾ فى القرآن.

قرأ حفص، وحمزة، والكسائى، وخلف البزّار: ﴿ زكريا ﴾ بحذف الهمزة والقصر.

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ زكرياء ﴾ بإثبات همزة مفتوحة والمدّ، وحينئذ يصير المدّ عندهم من قبيل المدّ المتصل فكل يمدّ حسب مذهبه. والقراءتان لهجتان عن أهل الحجاز[٣].

﴿ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا (٣) قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا (٤) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ﴾:

* قال قتادة بن دعامة (ت ١٨هـ): أى: دعا ربه بقلبه سرّاً، ثم أردف قتادة قائلا: إنّ الله يحبّ الصوت الخفىّ، والقلب النقىّ.. اهـ[٤].

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٤٦٦).

(٢، ٣) انظر: المهذب فى القراءات العشر وتوجيهها (٢/ ٣).

(٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٤٦٦).

* ولعلّ الحكمة من إخفاء «زكريا» ـ عليه السلام ـ الدعاء: لئلا يُلام من قومه على مسألة الولد وهو كبير السنّ، فإن أجيب نال بغيته وأمنيته، وإن لم يجب لم يعرف ذلك أحد سوى الله ـ تعالى ـ.

* وعن سعيد بن جبير (ت ٩٥هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي ﴾، قال: ضعف.. اهـ[١].

* وعن قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴾، قال: معنى ذلك: يقول يا ربِّ قد كنتَ تُعَودنى الإجابة فيما مضى.. اهـ[٢].

* وقال ابن عيينة معنى ذلك: سعدت يا ربِّ بدعائك وإن لم تعطنى[٣].

﴿ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا (٥) يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا (٦) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي ﴾: قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) المراد بقوله ـ تعالى ـ: ﴿ الْمَوَالِيَ ﴾: الورثة وهم عصبة الرجل.. اهـ[٤].

* ﴿ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا ﴾:

* قال القتبى: امرأة «زكريا» ـ عليه السلام ـ هى: «إيشاع بنت عمران».. اهـ[٥].

* وعلى هذا يكون «يحيى بن زكريا» ابن خالة «عيسى» ـ عليهما السلام ـ.

* والعاقر من النساء: هى التى لا تلد من غير كبر. وكذلك العاقر من الرجال. قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا ﴾ [الشورى: ٥٠].

* ﴿ فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴾: لم يُصرِّح بذكر الولد، لأنه يعلم أن الله ـ تعالى ـ يعلم السرَّ والنجوى.

(١ : ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٤٦٦).

(٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٤٦٧).

(٥) انظر: تفسير القرطبى (١١/ ٥٤).

* ﴿ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ ﴾:

* قال الضحاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ) المراد بذلك: يرث السنَّة والعلم.. اهـ(١).

* والمراد بـيعقـوب هنا: «يعقـوب بن إسحـاق بن إبراهيم» ـ عليهم وعلى نبـينا الصلاة والسلام ـ. وكانت النبوّة في سبط «يعقوب بن إسحاق».

* ﴿ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴾، أي: مرضيًا في أخلاقه وأفعاله.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ ﴾ [رقم: ٦].

قرأ أبو عمرو، والكسائي: ﴿ يرثْني ويرثْ ﴾ بجزم الفعلين، على أن الأول مجزوم في جواب الـدعاء وهو قوله ـ تـعالى ـ: ﴿ فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴾ لقصـد الجزاء، وجعل الكلام متصلا بعضه ببعض، والفعل الثاني وهو «يرث» معطوف على «يرثني».

وقرأ الباقون من القراء العشـرة بالرّفع في الفعلين، على أن الأوّل صفة لـ «وليّا»، والثاني معطوف عليه.

والمعنى: فهب لي من لدنك وليّا وارثًا لي، ووارثًا من آل يعقوب(٢).

﴿ يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيًّا (٧) ﴾

معاني المفردات:

* ﴿ يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ ﴾:

المعنى: عن مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) قال: لمّا دعا «زكريا» ربّه أن يهب له غلامًا هبط «جبريل» ـ عليه السلام ـ فبشّره «بيحيى».. اهـ(٣).

* قال القرطبي (ت ٦٧١هـ) في تفسيره: تضمنت هذه البشرى ثلاثة أشياء:

* أحدها: إجابة دعاء «زكريا» ـ عليه السلام ـ.

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٤/ ٤٦٧).
(٢) انظر: المغني في توجيه القراءات العشر (٣/ ٥).
(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٤/ ٤٦٧).

* الثانى: إعطاؤه الولد.

* الثالث: أن يفرد بتسميته.. اهـ[١].

* ﴿ لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴾، للعلماء فى تفسير ذلك أقوال:

الأول: قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) وعكرمة مولى ابن عباس (ت ١٠٥هـ) وقتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) قالوا: لم يُسَمَّ أحد يحيى قبله.. اهـ[٢].

* القول الثانى: قال سعيد بن جبير (ت ٩٥هـ) أى: شبيهًا[٣].

* القول الثالث: قال مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ): معناه: مِثْلا ونظيرا.. اهـ[٤].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ ﴾ [رقم: ٧].

قرأ حمزة: ﴿ نَبْشُرك ﴾ بفتح النون، وإسكان الباء، وضم الشين مخففة، من «البشر» وهو البشارة.

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ نُبَشِّرك ﴾ بضم النون، وفتح الباء، وكسر الشين مشدّدة، من «بشّر» المضعّف لهجة أهل الحجاز[٥].

﴿ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا (٨) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ ﴾ الآية: ليس هذا على معنى الإنكار لما أخبر الله به، وإنما هو على سبيل التعجّب من قدرة الله ـ تعالى ـ الخارقة للعادات: أن تلد المرأة العاقر، والشيخ العجوز.

* ﴿ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا ﴾: المراد بالعاقر هنا: التى لا تلد لكبر سنّها.

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (١١/ ٥٦).

(٢، ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٤٦٨).

(٤) انظر: تفسير القرطبى (١١/ ٥٦).

(٥) انظر: المهذب فى القراءات العشر وتوجيهها (٢/ ٤).

* ﴿ وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ﴾: للعلماء فى تفسير ذلك أقوال:

أولا: قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) معنى ﴿ عِتِيًّا ﴾: البؤس من الكبر.. اهـ[١].

ثانيًا: وقال مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ): معنى ﴿ عُتِيًّا ﴾: نحول العظم.. اهـ[٢].

ثالثًا: وقال قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ): معنى ﴿ عِتِيًّا ﴾: هرما.. اهـ[٣].

* وقال الثورى سفيان بن سعيد بن مسروق (ت ١٦١ هـ): بلغنى أن «زكريا» ـ عليه السلام ـ كان ابن سبعين سنة.. اهـ[٤].

* يقال: عتى الشيخ يعتو عتيًا: إذا كبر وولّى.

* وأصل ﴿ عِتِيًّا ﴾ «عتوّ» لأنه من ذوات الواو، فأبدلت الواو ياءً، ثم أدغمت الياء فى الياء للتماثل.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ﴾ [رقم: ٨].

قرأ حفص، وحمزة، والكسائى: ﴿ عِتيا ﴾ بكسر العين، على أنَّ مفرده «عات» فجمع على «عتوى» على وزن «فعول، فأصل الحرف الثانى الضمّ، ثم كسر لمناسبة الياء، ثم كسر الحرف الأوّل تبعًا له.

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ عُتيا ﴾ بضم العين، وحجة ذلك أن الحرف الثانى كسر لتصحّ الياء، وترك الحرف الأوّل مضمومًا على أصله[٥].

﴿ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا (٩) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ قَالَ كَذَلِكَ ﴾: فاعل «قال» الملَك، ﴿ كَذَلِكَ ﴾: خبر لمبتدأ محذوف، والتقدير: الأمر كذلك كما قيل لك:

(١ : ٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٤٦٨).

(٥) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٣/ ٥ ـ ٦).

* ﴿ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ ﴾: قال أبو زكريا الفرّاء (ت ٢٠٧هـ): خَلْقُ هذا المولود عليَّ هيِّن.. اهـ(١).

* ﴿ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ ﴾، أي: من قبل هذا المولود وهو «يحيى».

* ﴿ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ﴾، أي: قد كنتَ في العدم.

فكما خلقك الله يا زكريا بعد العدم، فهو القادر على خلق «يحيى».

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ ﴾ [رقم: ٩].

قرأ حمزة، والكسائي: ﴿ خلقناك ﴾ على إسناد الفعل إلى ضمير العظمة، لمناسبة قوله ـ تعالى ـ: قبلُ: ﴿ يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ ﴾.

وقرأ الباقون: ﴿ خلقتك ﴾ على إسناد الفعل إلى ضمير المتكلّم(٢).

﴿ قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا (١٠) ﴾

معاني المفردات:

* ﴿ قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً ﴾:

المعنى: طلب «زكريا» ـ عليه السلام ـ من الله ـ تعالى ـ أن يجعل له علامة على حمل امرأته، ليفرح بذلك على هذه النعمة العظيمة.

* ﴿ قَالَ آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴾:

١ ـ قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضي الله عنهما) وعكرمة مولى ابن عباس (ت ١٠٥هـ) والضحّاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ)، معنى ذلك: ألا تكلم الناس ثلاث ليال متتابعة من غير خرس ولا مرض.. اهـ(٣).

---

(١) انظر: تفسير القرطبي (١١/ ٥٧).

(٢) انظر: المغني في توجيه القراءات العشر (٣/ ٦).

(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٤/ ٤٦٩).

٢ ـ وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم (ت حوالى ١٧٠هـ): حُبس لسانُه فكان لا يستطيع أن يُكلِّم أحداً، وهو مع ذلك يسبح الله ويقرأ التوراة، فإذا أراد كلام الناس لم يستطع أن يكلمهم.. اهـ[١].

﴿ فخرج علىٰ قومه من المحراب فأوحىٰ إليهم أن سبحوا بكرة وعشيا (١١) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ ﴾:

* قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم (ت حوالى ١٧٠هـ): المراد بالمحراب: مصلاه.. اهـ[٢].

* والمحراب: أرفع المواضع، وأشرف المجالس. قال الله ـ تعالى ـ فى شأن «داود» ـ عليه السلام ـ: ﴿ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ ﴾ [سبأ: ١٣].

* وهو مشتقّ من «الحرب» كأنّ ملازمه يحارب الشيطان والشهوات.

* ﴿ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ ﴾: اختلف المفسرون فى معنى ذلك:

١ ـ فقال مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) وقتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) والكلبى محمد بن السائب (ت ١٤٦هـ) ووهب بن منبه: معنى ﴿ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ ﴾: أى: أشار إليهم.. اهـ[٣].

٢ ـ وقال سعيد بن جبير (ت ٩٥هـ): أومأ إليهم.. اهـ[٤].

٣ ـ وقال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما): كتب إليهم.. اهـ[٥].

* ﴿ أَن سَبِّحُوا ﴾، قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) معنى ذلك: أى: صلّوا.. اهـ[٦].

* ﴿ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾:

* قال قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ): البكرة: صلاة الفجر، والعشىّ: صلاة العصر.. اهـ[٧].

(١، ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٤٦٩).

(٣) انظر: تفسير القرطبى (١١/ ٥٨)، وتفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٤٦٩).

(٤ : ٦) انظر: تفسر الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٤٦٩).

(٧) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٤٧٠).

﴿ يا يحيىٰ خُذ الْكتاب بقُوَّةٍ وآتيْناهُ الْحُكْم صبيًّا (١٢) ﴾

معانى المفردات:

* عن مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ يا يحْيَىٰ خُذ الْكِتاب بِقُوَّةٍ ﴾ قال: بجدّ.. اهـ[١].

* وأخرج أبو نعيم، وابن مردويه، والدّيلمىّ عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) عن النبى ﷺ فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ﴾ قال: «أعطى الفهم، والعبادة، وهو ابن سبع سنين» اهـ[٢].

* وعن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الغلمان ليحيى بن زكريا: اذهب بنا نلعب، فقال «يحيى»: ما للعب خلقنا، اذهبوا نصلّى، فهو قول الله: ﴿ وآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ﴾»[٣].

﴿ وحنانًا مّن لَّدُنَّا وزكاةً وكانَ تقيًّا (١٣) وبرًّا بوالديْه ولَمْ يكُن جبَّارًا عصيًّا (١٤) وسلامٌ عليْه يوْم وُلد ويوْم يمُوتُ ويوْم يُبْعثُ حيًّا (١٥) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا ﴾:

١ ـ قال جمهور المفسرين: الحنان: الشفقة، والرحمة، والمحبّة، وهو فعل من أفعال النفس.. اهـ[٤].

٢ ـ وقال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) وقتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا ﴾، أى: رحمة من عندنا.. اهـ[٥].

٣ ـ وقال مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ): ﴿ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا ﴾، أى: تعطفًا من ربه عليه.. اهـ[٦].

* ﴿ وَزَكَاةً ﴾: «الزكاة»: التطهير، والبركة، والتنمية فى وجوه البرّ والخير، أى: جعله الله ـ تعالى ـ مباركًا للناس يهديهم.

(١ : ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٤٧٠).

(٤) انظر: تفسير القرطبى (١١/ ٥٩).

(٥ ، ٦) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٤٧١).

* وعن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَكَانَ تَقِيًّا﴾: قال: كان قد طَهُر فلم يعمل ذنبًا.. اهـ(١).

* وقال سفيان بن عيينة (ت ١٩٨هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَكَانَ تَقِيًّا﴾: قال: لم يعص الله ولم يهمّ بمعصية.. اهـ(٢).

* ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ﴾: «البرُّ» بمعنى البارّ، وهو كثير البرّ.

* وعن قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا﴾، قال: كان سعيد بن المسيب (ت ٩٤هـ) يقول: قال النبى ﷺ: «ما من أحد يلقى الله يوم القيامة إلا ذا ذنب، إلا «يحيى بن زكريا»».

وقال قتادة: قال الحسن البصرى (ت ١١٠هـ): قال النبى ﷺ: «ما أذنب «يحيى بن زكريا» قطّ، ولا همّ بامرأة» اهـ(٣).

* ﴿وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾:

* قال القرطبى (ت ٦٧١هـ) فى تفسيره: الأظهر عندى أنها التحيّة المتعارفة، إذ الشرف فى أن سلّم الله عليه، وحيّاه فى المواطن التى الإنسان فيها فى غاية الضّعف والحاجة، وقلّة الحيلة والفقر إلى الله ـ تعالى ـ.. اهـ(٤).

﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا (١٦) فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا (١٧)﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ﴾: الخطاب لنبينا «محمد» ﷺ.

✳ **المعنى:** قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) أى: قُصّ ذكرها على اليهود والنصارى ومشركى العرب.. اهـ(٥). * وذلك: ليعرفوا كمال قدرة الله ـ تعالى ـ.

(١ ، ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٤٧١).
(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٤٧١).
(٤) انظر: تفسير القرطبى (١١/ ٦٠).
(٥) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٤٧١).

* ﴿ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴾، أي: تنحَّت وتباعدت.

* ﴿ مِنْ أَهْلِهَا ﴾، أي: ممن كان معها.

* ﴿ مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴾، قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) كانت خرجت من بيت المقدس مما يلى المشرق.. اهـ[١].

* ﴿ فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا ﴾:

* قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما)، أى: سترا.. اهـ[٢].

* ﴿ فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا ﴾، قال ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ: هو «جبريل» ـ عليه السلام ـ.. اهـ[٣].

* ﴿ فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴾، أى: تمثل لها «جبريل» ـ عليه السلام ـ فى صورة الآدميين، مستوى الخلقة حسن الصورة، لأنها لم تكن تطيق أن تنظر إلى «جبريل» فى صورته الحقيقيّة.

﴿ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا (١٨) قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا (١٩) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴾:

* قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما): فلما نظرت «مريم» إلى «جبريل» قائمًا بين يديها قالت: ﴿ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنكَ ﴾ الآية، وذلك أنها شبهته بشابّ اسمه «يوسف» من بنى إسرائيل، وكان من خدم بيت المقدس، فخافت أن يكون الشيطان قد استزلّه، فمن ثَمَّ قالت: ﴿ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴾، أى: إن كنتَ تخاف الله ـ تعالى ـ.. اهـ[٤].

* قال «جبريل» ـ عليه السلام ـ: * ﴿ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴾:

* قال ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ أى: مطيعًا لله ـ تعالى ـ من غير البشر[٥].

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٤٧٨).　　(٢) انظر: تفسير البغوى (٣/ ١٩١).

(٣ : ٥) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٤٧٨).

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ لأَهَبَ لَكِ غُلامًا زَكِيًّا ﴾ [رقم: ١٩].

قرأ ورش، وأبو عـمرو، ويعقـوب، وقالون بخُلْف عنه: ﴿ ليهب ﴾ بالياء، على إسناد الفـعل إلى ضـمـيـر ﴿ ربك ﴾ فى قـولـه ـ تعـالى ـ: ﴿ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ ربك ﴾ والإسناد على هذا حقيقى، لأن الواهب فى الحقيقة هو «الربّ» ـ عزّ وجلّ ـ.

وقرأ الباقون من الـقراء العشرة: ﴿ لأهب ﴾ بالهمزة، وهو الوجـه الثانى لقالون، وذلك على إسناد الفعل إلى ضـمير المـتكلم وهو «الملَك» القائل: ﴿ إِنَّما أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ ﴾ والإسناد على هذا مـجازىّ من إسناد الفعـل إلى سببـه المبـاشر لأنه هو الذى باشر النّفخ.

والمعنى: إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلامًا بأمر ربك، فالهبة من الله ـ تعالى ـ على يد «جبريل» ـ عليه السلام ـ.

وقد حَسُنَ إسناد الهبة إلى الرسول، إذْ قد علم أن المرسل هو الواهب، فالهبة لما جرت على يد الرسول أضيفت إليه لالتباسها به[١].

﴿ قالتْ أَنَّىٰ يكُونُ لِي غُلامٌ ولمْ يمسسْنِي بشرٌ ولمْ أكُ بغيًّا (٢٠) قال كذلك قال ربك هو علي هينٌ ولِنجعله آيةً للنَّاسِ ورحْمةً منَّا وكان أمرا مقْضيًّا (٢١) فحملتْهُ فانتبذت به مكانا قصيًا (٢٢) ﴾

معانى المفردات:

* عن ابن عبـاس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) فى قـولـه ـ تعالى ـ: ﴿ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ ﴾: قال: أى: زوج.

* وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴾، قال: أى: مومسة.. اهـ[٢].

---

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٣/ ٧).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٤٧٨).

* وكلام «مريم» هذا ليس استبعاداً لقدرة الله ـ تعالى ـ، ولكنها أرادت أن تعرف كيف سيكون هذا الولد: هل سيكون من قبل زوج فى المستقبل، أو سيخلقه الله ـ تعالى ـ ابتداء من غير زوج؟.

* ﴿ قَالَ كَذَلِكِ ﴾: فاعل ﴿ قَالَ ﴾ «جبريل» ـ عليه السلام ـ. و﴿ كَذَلِكِ ﴾ خبر لمبتدأ محذوف، والتقدير: الأمر كذلك.

* ﴿ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ ﴾، أى: خلقه من غير زوج.

* ﴿ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِّلنَّاسِ ﴾، أى: عبرة للناس، والمراد بالناس هنا المؤمنون خاصة، لأنهم هم الذين سيعتبرون بذلك دون غيرهم. * ﴿ وَرَحْمَةً مِّنَّا ﴾، معطوف على ما قبله: أى: ونجعله رحمة لمن صدّق بأنه رسول الله.

* ﴿ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴾: قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما): معنى ذلك: أى: كائنًا أن يكون الغلام من غير بشر.. اهـ(١).

* قال ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ: فدنا «جبريل» فنفخ فى جيبها فدخلت النفخة جوفها، فحملت كما تحمل النساء فى الرحم والمشيمة، ووضعته كما تضع النساء.. اهـ(٢).

* ﴿ فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ﴾، أى: تنحّت بالحمل إلى مكان بعيد.

* قال ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ: تنحّت إلى أقصى الوادى، وهو وادى بيت لَحْم بينه وبين (إيلياء) أربعة أميال، وإنما بعدت فراراً من تعيير قومها إيّاها بالولادة من غير زوج.. اهـ(٣).

﴿ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا (٢٣) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ ﴾، أى: اضطرّها المخاض.

(١ ، ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٤٧٨).

(٣) انظر: تفسير القرطبى (١١/ ٦٣).

* ﴿ إِلَىٰ جِذْعِ النَّخْلَةِ ﴾: والجذع: ساق النخلة اليابسة، الذى لا سعف عليه ولا غصن.

* ﴿ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴾: تمنت «مريم» الموت لأنها خافت أن يُظنَّ بها الشرّ وتُعَيَّر بذلك، والنِّسْيُ: الشىء الحقير.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا ﴾ [رقم: ٢٣].

قرأ نافع، وحفص، وحمزة، والكسائى، وخلف البزَّار: ﴿ مِتُّ ﴾ بكسر الميم.

وقرأ الباقون من القراء العشرة بضم الميم، وهما لهجتان[١].

* ﴿ وَكُنتُ نَسْيًا ﴾ [رقم: ٢٣].

قرأ حفص، وحمزة: ﴿ نَسْيًا ﴾ بفتح النون.

وقرأ الباقون من القراء العشرة بكسر النون، وهما لهجتان، ومعنى «النسى»: الشىء الحقير الذى لا قيمة له، ولا يحتاج إليه[٢].

﴿ فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا (٢٤) ﴾

معانى المفردات:

* فاعل «ناداها» ضمير يعود على «عيسى» ـ عليه السلام ـ المعلوم من المقام، أو الملَك، والمراد به «جبريل» ـ عليه السلام ـ: وكون الضمير «لعيسى» ـ عليه السلام ـ أبين فى زوال وحشتها لتسكن نفسها، وكون الضمير «لجبريل» ـ عليه السلام ـ، أى: ناداها جبريل من مكان أسفل من مكانها، أى: دونها.

* ﴿ قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴾، أى: دونك نهرًا تستمتعين به.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا ﴾ [رقم: ٢٤].

---

(١) انظر: المهذب فى القراءات العشرة وتوجيهها (٢/ ٦).

(٢) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٣/ ٨).

قرأ نافع، وحفص، وحمزة، والكسائى، وأبو جعفر، وروح، وخلف البزّار: بكسر ميم «مِنْ» وجرّ تاء ﴿ تحتِها ﴾ على أنّ «مِنْ» حرف جرٍ، وما بعدها مجرور، وفاعل ﴿ ناداها ﴾ ضمير يعود على «عيسى» المعلوم من المقام، أو على الملَك، والمراد به «جبريل» ـ عليه السلام ـ، والجارّ والمجرور متعلق بـ ﴿ ناداها ﴾.

وقرأ الباقون من القراء العشرة بفتح ميم «مَنْ» ونصب تاء «تحتَها» على أنّ «مَنْ» اسم موصول فاعل «نادى» و«تحت» ظرف مكان متعلق بمحذوف صلة.

والمراد بـ «مَنْ»: «عيسى» ـ عليه السلام ـ أو «الملَك» وهو «جبريل» ـ عليه السلام ـ: فإذا كان «العيسى» كان معنى «تحتَها» تحت ثيابها، ومن موضع ولادتها. وإذا كان «الجبريل» كان معنى «تحتَها»: دونها وأسفل منها[١].

﴿ وهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُساقِطْ عليْكِ رُطَبًا جنِيًا (٢٥) ﴾

❀ معانى المفردات:

* عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم (ت حوالى ١٧٠هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ ﴾، قال: حرّكيها.. اهـ[٢].

* وعن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴾، قال: طريًا.. اهـ[٣].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴾ [رقم: ٢٥].

قرأ حفص: ﴿ تُسَاقِط ﴾ بضم التاء وتخفيف السين، وكسر القاف، على أنه مضارع «ساقط» والفاعل ضمير مستتر تقديره «هى» يعود على «النخلة» و «رطبا» مفعول به، و«جنيا» صفة.

وقرأ حمزة: ﴿ تَسَاقط ﴾ بفتح التاء وتخفيف السين، وفتح القاف، على أنه مضارع «تساقط» والأصل «تتساقط» فحذفت إحدى التاءين تخفيفًا.

---

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٣/ ٨ ـ ٩).

(٢ ، ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٤٨٤).

وقرأ يعقوب: ﴿ يسَّاقط ﴾ بالياء التحتية المفتوحة على تذكير الفعل وتشديد السين، وفتح القاف، مضارع «تساقط» والأصل «يتساقط» فأدغمت التاء في السين.

وشعبة له قراءتان:

الأولى: مثل قراءة يعقوب.

والثانية: ﴿ تَسَّاقَط ﴾ بفتح التاء، وتشديد السين، وفتح القاف، على أنه مضارع «تساقط»، والأصل: «تتساقط» فأدغمت التاء في السين، والفاعل ضمير يعود على «النخلة» و«رطبا» حال. وبهذه القراءة قرأ باقي القراء العشرة[١].

﴿ فكُلي واشْربي وقَرِّي عيْنًا فإمَّا ترينَّ من الْبشر أحدا فقُولي إنِّي نذرتُ للرحمن صوما فلن أُكلِّم الْيوْم إنسيًّا (٢٦) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ فكُلِي واشْربِي وقَرِّي عيْنًا ﴾:

✳ **المعنى:** فكلى من الرطب الجنىّ، واشربى من الماء السَّرىّ، وقرِّى عينًا برؤية الولد النبىّ.

* ﴿ فإمَّا ترينَّ من الْبشر أحدًا فقُولِي إنِّي نذرْتُ للرَّحْمنِ صوْمًا فلنْ أُكلِّم الْيوْم إنسِيًّا ﴾: ﴿ فقُولِي إنِّي نذرْتُ ﴾ إلخ. جواب الشرط، والمعنى: إن سألك أحد عن ولدك فقولى إنى نذرت للرحمن صوما.

ومعنى «صوما»: صَمْتًا، قاله أنس بن مالك (ت ٩٣هـ) وابن عباس (ت ٦٨هـ - رضى الله عنهما)[٢].

﴿ فأتتْ به قوْمها تحْمِلُهُ قالُوا يا مريمُ لقدْ جِئْتِ شيْئًا فرِيًّا (٢٧) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ فأتتْ بِهِ قوْمها تحْمِلُهُ ﴾:

---

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٣/ ٩ - ١٠).

(٢) انظر: تفسير القرطبى (١١/ ٦٦).

* قال القرطبي (ت ٦٧١هـ) في تفسيره: روى أنّ «مريم» لما اطمأنت بما رأت من الآيات، وعلمت أنّ الله ـ تعالى ـ سيبيِّن عذرها، أتت به تحمله من المكان القصيّ الذي كانت انتبذت فيه.. اهـ[١].

* وقال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضي الله عنهما): خرجت من عندهم حين أشرقت الشمس، فجاءتهم عند الظهر ومعها صبيّ تحمله، فكان الحمل والولادة: في ثلاث ساعات من النهار.. اهـ[٢].

* ﴿ قَالُوا ﴾، أي: منكرين. * ﴿ يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا ﴾:

* قال مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) وقتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ): معنى ﴿ فَرِيًّا ﴾: عظيمًا[٣].

* وقال أبو عبيدة معمر بن المثنّى (٢١٠هـ): الفريّ: العجيب النادر.. اهـ[٤].

﴿ يا أُخْت هارُون ما كان أَبُوك امْرأ سوءٍ وما كانتْ أُمُّك بغيًّا (٢٨) فأشارتْ إليْه قالُوا كيْف نُكلّمُ من كان في الْمهْد صبيًّا (٢٩) ﴾

❀ معاني المفردات:

* عن مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ يَا أُخْت هَارُونَ ﴾: قال: كانت «مريم» من أهل بيت يعرفون بالصلاح، ولا يعرفون بالفساد في الناس، وكان «هارون» مصلحًا محبًّا في عشيرته، وليس (بهارون) أخي «موسى» ولكن هارون آخر.. اهـ[٥].

وقال قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ): كان في ذلك الزمان في بني إسرائيل عابد منقطع إلى الله ـ عزّ وجلّ ـ يُسمَّى «هارون» فنسبوها إلى أُخُوَّته من حيث كانت على طريقته قبلُ، إذْ كانت موقوفة على خِدْمة بيت المقدس.

(١ ، ٢) انظر: تفسير القرطبي (١١/ ٦٧).
(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٤/ ٤٨٦).
(٤) انظر: تفسير القرطبي (١١/ ٦٧).
(٥) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٤/ ٤٨٦).

أى: يا هذه المرأة الصالحة ما كنتِ أهلا لذلك.. اهـ[١].

* ﴿مَا كَانَ أَبُوكِ﴾: عمران. * ﴿امْرَأَ سَوْءٍ﴾: قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) أى: زانيًا[٢].

* ﴿وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ﴾: حنّة. * ﴿بَغِيًّا﴾، أى: زانية فَمن أين لك هذا الولد.

* ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ﴾، أى: كلِّموه، قال بذلك: قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) وابن جريج (ت ١٥٠هـ)[٣].

* ﴿قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾:

* قال القرطبى (ت ٦٧١هـ) فى تفسيره: التزمت «مريم» ما أُمِرَتْ به من ترك الكلام.

ويروى أنها لمّا أشارت إلى الطفل ـ أنْ كلموه ـ قالوا: استخفافها بنا أشدّ علينا من زناها، ثم قالوا لها على جهة التقريع: ﴿كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾.. اهـ[٤].

و﴿كَانَ﴾ هنا ليس يراد بها الماضى، إنما هى فى معنى: الآن.

* وعن قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ﴾ قال: من كان فى الحِجْر.. اهـ[٥].

﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (٣٠)﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ﴾: كان أوّل ما نطق به «عيسى» ـ عليه السلام ـ: الاعتراف بعبوديّته لله ـ تعالى ـ، وهذا يدلّ على أنه ليس بإله ولا ابن إله، ولا ثالث ثلاثة، كما يقول الكفار.

* ﴿آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾: المراد بالكتاب: الإنجيل.

وقوله: ﴿وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾، أى: قضى الله فى الأزل أن يؤتينى الإنجيل وأن يجعلنى نبيا، وقد قال بهذا عكرمة مولى ابن عباس[٦].

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (١١/ ٦٨).
(٢) انظر: تفسير البغوى (٣/ ١٩٤).
(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٤٨٧).
(٤) انظر: تفسير القرطبى (١١/ ٦٩).
(٥، ٦) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٤٨٧).

﴿ وجعلني مباركًا أين ما كنتُ وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمتُ حيًا (٣١) وبرًا بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيًا (٣٢) والسلام علي يوم ولدتُ ويوم أموتُ ويوم أُبعثُ حيا (٣٣) ﴾

معانى المفردات:

* أخرج عبد بن حميد عن سعيد بن جبير (ت ٩٥هـ) قال: تكلّم فى المهد أربعة: عيسى ابن مريم، وصاحب يوسف، وصاحب جريج، وابن ماشطة ابنة فرعون.. اهـ[(١)].

* عن أبى هريرة (ت ٥٩هـ ـ رضى الله عنه) قال: قال النبى ﷺ: «قول «عيسى» ـ عليه السلام ـ: ﴿ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ ﴾: قال: جعلنى نفّاعا للناس أين اتجهت» اهـ[(٢)].

* وعن ابن مسعود (ت ٣٢هـ ـ رضى الله عنه) عن النبى ﷺ فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ ﴾: قال: معلّمًا ومؤدبًا.. اهـ[(٣)].

* ﴿ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴾، أى: مدّة حياتى.

* ﴿ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا ﴾: قيل: الجبّار: هو الذى لا يرى لأحد عليه حقّا قط[(٤)].

* ﴿ وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴾: معنى ﴿ شَقِيًّا ﴾: لم يجعلنى الله ـ تعالى ـ تاركًا لأمره فأشقى كما شقى بإبليس لمّا ترك أمر الله ـ تعالى ـ.

* ﴿ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ ﴾: من الله ـ تعالى ـ. * ﴿ يَوْمَ وُلِدتُّ ﴾، أى: فى الدنيا.

* ﴿ وَيَوْمَ أَمُوتُ ﴾، أى: فى القبر. * ﴿ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴾: فى الآخرة.

* فعيسى ـ عليه السلام ـ طلب من الله ـ تعالى ـ السلامة فى جميع أحواله الثلاثة: ١ ـ فى الدنيا حيّا. ٢ ـ وفى القبر ميتًا. ٣ ـ وفى الآخرة مبعوثًا.

﴿ ذلك عيسى ابنُ مريم قولَ الحقِّ الذي فيه يمترُون (٣٤) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ﴾:

(١ : ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٤٨٧). (٤) انظر: تفسير القرطبى (١١/ ٧٠).

* **المعنى:** يقول الله ـ تعالى ـ: ذلك الذي ذكرناه «عيسى ابن مريم».

* ﴿ قَوْلَ الْحَقِّ ﴾: ﴿ قولَ ﴾ بالنصب على أنه مصدر مؤكد لمضمون الجملة قبله، وعامله محذوف تقديره: أقول قولَ الحق.

* ﴿ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴾، أي: يشكون: في أنه إله، أو ابن إله، أو ثالث ثلاثة: الله إله، وعيسى إله، وأمّه إله، وهذه الأقوال كلها باطلة، لأ ن الصحيح: أنّ «عيسى» ـ عليه السلام ـ عبد الله ورسوله، قال الله ـ تعالى ـ حكاية عن «عيسى»: ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (٣٠) ﴾ [مريم: ٣٠].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ ﴾ [رقم: ٣٤].

قرأ ابن عامر، وعاصم، ويعقوب: ﴿ قولَ ﴾ بالنصب، على أنه مصدر مؤكد لمضمون الجملة قبله، وعامله محذوف تقديره: أقول قولَ الحق، هذا إن أريد بالحق معنى الصدق.

وإن أريد به اسم من أسماء الله ـ تعالى ـ فنصبه على أنه مفعول لفعل محذوف تقديره: أمدح قولَ الحق، أي قولَ الله وكلمته الذي هو «عيسى» ـ عليه السلام ـ.

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ قولُ ﴾ بالرفع، على أنه خبر بعد خبر. والحقّ: يحتمل أن يكون معناه: الصدق، أو اسم من أسمائه ـ تعالى ـ[1].

﴿ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ (٣٥) ﴾

معاني المفردات:

* ﴿ مَا كَانَ لِلَّهِ ﴾، أي: ما ينبغي لله ـ تعالى ـ ولا يجوز.

* ﴿ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ﴾: (مِنْ) صلة للكلام، و«أنْ» وما بعدها في موضع رفع اسم «كان» أي: ما كان من صفات الله ـ تعالى ـ اتخاذ الولد، لأنه لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد.

---

(١) انظر: المغني في توجيه القراءات العشر (٣/ ١٠ ـ ١١).

* ثم نزّه الله ـ تعالى ـ نفسه عن كذبهم وافترائهم فقال: ﴿ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ [رقم: ٣٥].

قرأ ابن عامر: ﴿ فيكونَ ﴾ بالنصب، على تقدير إضمار «أنْ» بعد الفاء.

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ فيكونُ ﴾ بالرفع، على الاستئناف(١).

﴿ وإنَّ اللَّه ربِّي وربُّكُم فاعْبُدُوهُ هذا صراطٌ مُّسْتَقِيمٌ (٣٦) ﴾

معاني المفردات:

* عن وهب بن منبّه قال: عَهِدَ «عيسى» إلى قومه حين أخبرهم عن نفسه، مولده، وموته، وبعثه: ﴿ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ ﴾، أي: قال لهم: إنِّي وإياكم عبيد لله ـ تعالى ـ فاعبدوه ولا تعبدوا غيره.. اهـ(٢).

* ﴿ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾: هذا من كلام «عيسى» ـ عليه السلام ـ لقومه، أي: هذا الذى أوصيتكم به هو الطريق المستقيم الذى من سلكه نجا، لأنه دين الله الذى أمر به جميع أنبيائه.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ ﴾ [رقم: ٣٦].

قرأ ابن عامر، وعاصم، وحمزة، والكسائى، ورَوْح، وخلف البزّار: ﴿ وإنَّ ﴾ بكسر الهمزة، على الاستئناف، ويدلّ على الاستئناف أنّ الذى قبل «إنّ» رأس آية وقد تم الكلام على ذلك، ثم جاء الاستئناف بعد تمام الكلام على رأس الآية. ويجوز أن يكون كسر الهمزة عطفًا على قوله ـ تعالى ـ قبلُ: ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ﴾، والمعنى: قال إنِّى عبد الله.. إلخ، وإن الله ربى وربكم فاعبدوه.

---

(١) انظر: المهذب فى القراءات العشر وتوجيهها (٢/ ٧).

(٢) انظر: تفسير الطبرى (٨/ ٣٤٢).

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ وأنَّ ﴾ بفتح الهمزة، على أنه مجرور بلام محذوفة، والجارّ والمجرور متعلق بالفعل بعده: ﴿ فاعبدوه ﴾ والمعنى: ولوحدانيته ـ تعالى ـ فى الربوبية اعبدوه وأطيعوه.

وقيل: إنه معطوف على ﴿ بالصلاة ﴾ والمعنى: وأوصانى بالصلاة، والزكاة، وبأنّ الله ربِّى وربكم، أى باعتقاد ذلك[1].

* ﴿ هذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾ [رقم: ٣٦].

قرأ رويس، وقنبل بخُلْف عنه: ﴿ سراط ﴾ بالسين.

وقرأ خلف عن حمزة بإشمام الصاد صوت الزاى، وهذه الكيفية لا تعرف إلا بالتلقى والمشافهة.

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ صراط ﴾ بالصاد الخالصة، وهو الوجه الثانى لقنبل[2].

﴿ فاخْتلف الأَحْزابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فويْلٌ لِّلَّذين كفرُوا من مَّشْهد يوْمٍ عظيمٍ (٣٧) أسمعْ بِهِم وأَبْصرْ يوْم يأْتُوننا لَكِنِ الظَّالمُون الْيَوْمَ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ (٣٨) ﴾

❀ معانى المفردات:

* عن مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ فَاخْتَلَفَ الأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ ﴾ قال: هم أهل الكتاب.. اهـ[3].

* ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾، أى: من شهود يوم القيامة.

* ﴿ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا ﴾:

* قال أبو العبّاس أحمد بن يحيى ثعلب (ت ٢٩١هـ): العرب تقول هذا فى موضع التعجّب، فتقول: أسمع بزيد، وأبصر بزيد، أى: ما أسمعه وأبصره.

وحينئذ يكون المعنى: الله ـ سبحانه وتعالى ـ عجَّب نبيّه منهم[4].

---

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٣/ ١١).

(٢) انظر: المهذب فى القراءات العشر وتوجيهها (٢/ ٨).

(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٤٨٩).

(٤) انظر: تفسير القرطبى (١١/ ٧٣).

* ﴿ لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ ﴾، أى: فى الدنيا.

* ﴿ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾: وأىّ ضلال أبين من أن يعتقد الإنسان فى شخص حملته أمّه، وأكل وشرب، وأحْدث، ثم مع ذلك يعتقد أنه إله؟.

﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٣٩) ﴾

المعنى: يُوضِّحُ معنى الآية الحديثان التاليان:

* الحديث الأول: أخرج سعيد بن منصور، وأحمد، وعبد بن حميد، والبخارى، ومسلم، والترمذىّ، والنسائىّ، وأبو يعلى، وابن المنذر، وابن أبى حاتم، وابن حبّان، وابن مردويه، عن أبى سعيد الخدرىّ ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا دخل أهل الجنّة الجنّةَ، وأهل النار النّارَ، يُجَاء بالموت كأنه كبْش أمْلح، فيوقف بين الجنّة والنار، فيقَال: يا أهل الجنّة هل تعرفون هذا، فيشرفون وينظرون ويقولون: نَعَم هذا الموت وكلهم قد رآه، ثم يقال يا أهل النار هل تعرفون هذا، فيشرفون وينظرون ويقولون نعم هذا الموت وكلهم قد رآه، فيؤمر به فيذبح، فيقال: يا أهل الجنّة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ ﴾ وأشار بيده وقال: أهل الدنيا فى غفلة» اهـ[1].

* الحديث الثانى: أخرج النسائى، وابن أبى حاتم، وابن مردويه، عن أبى هريرة (ت ٥٩ هـ ـ رضى الله عنه) عن النبى ﷺ فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ ﴾ قال: «يُنادَى أهل الجنّة، فيشرفون، ويُنادَى أهل النار، فيشرفون وينظرون، فيقال: ما تعرفون هذا؟ فيقولون نَعَم، فيجاء بالموت فى صورة كبْش أملح، فيقال: هذا الموت فيقرَّب ويذبح، ثم يقال: يا أهل الجنّة خلود ولا موت، ويا أهل النار خلود ولا موت، ثم قرأ: ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ ﴾» اهـ[2].

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ (٤٠) وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا (٤١) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا ﴾، أى: نميت سكّانها فنرثها.

---
(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٤٨٩). (٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٤٨٩ ـ ٤٩٠).

* ﴿ وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴾: يوم القيامة فنجازى كل إنسان بعمله: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ⑦ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ⑧ ﴾ [الزلزلة: ٧ـ٨].

* وأخرج ابن أبى حاتم، عن عمر بن عبد العزيز (ت ١٠١هـ ـ رحمه الله تعالى) إنّه كتب إلى عامله بالكوفة: أما بعد: فإنّ الله كتب على خلقه حين خلقهم الموت، فجعل مصيرهم إليه فقال: فيما أنزل فى كتابه الصادق الذى أنزله بعلمه، وأشهد ملائكته على خلقه أنه يرث الأرض ومن عليها وإليه يرجعون.. اهـ[1].

* ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴾:

✳ **المعنى:** اقرأ عليهم يا رسول الله ما ذكره الله فى القرآن من أمر نبىّ الله إبراهيم ـ عليه السلام ـ لأنهم قد عرفوه، فإنه كان ـ [حنيـ]ـفًا مسلمًا وما كان يتخذ من دون الله الأنداد، فهؤلاء لِمَ يتخذون الأنداد؟.

﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا ④② يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ④③ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ④④ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ④⑤ ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ ﴾: واسمه آزر.

* ﴿ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا ﴾: المراد: عبادة الأصنام.

* ﴿ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ ﴾: أى: جاء من اليقين، والمعرفة بالله، وما يكون بعد الموت من الحساب والجزاء، وأنّ من عبد غير الله خُلِّد فى النار.

* ﴿ فَاتَّبِعْنِي ﴾: إلى ما أدعوك إليه من عبادة الله وحده، ونبذ عبادة الأصنام.

* ﴿ أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴾، أى: أرشدك إلى دين مستقيم فيه النجاة.

* ﴿ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ ﴾، أى: لا تطعه فيما يأمرك به من الكفر.

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٤٩٠).

* ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ﴾: وترتب على عصيانه الكفر بالله.

* ﴿ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ ﴾: إنْ مِتَّ على ما أنت عليه من عبادة الأصنام.

* ﴿ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴾، أى: ناصرًا له، وحينئذ تكون قرينًا له فى النار وبئس القرار.

﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا (٤٦) قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا (٤٧) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ ﴾: أى: أترغب عن عبادة الأصنام إلى عبادة الإله الذى تذكره لنا.

* ﴿ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ﴾:

١ ـ قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما): معنى ﴿ لَأَرْجُمَنَّكَ ﴾: لأشتمنّك.. اهـ[١].

٢ ـ وقال الحسن البصرى (ت ١١٠هـ) معنى ﴿ لَأَرْجُمَنَّكَ ﴾: أى: بالحجارة.. اهـ[٢].

* ﴿ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴾: قال ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ معنى ذلك: اجتنبنى سالما قبل أن تصيبك منّى عقوبة.. اهـ[٣].

* ﴿ قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ ﴾: قال القرطبى (ت ٦٧١هـ) فى تفسيره: الجمهور على أن المراد بسلامه: المسالمة التى هى المتاركة لا التّحيّة[٤].

* ﴿ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴾: الحفىُّ: المبالغ فى البرِّ والإلطاف.

* وقال ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ: معنى ﴿ حَفِيًّا ﴾: لطيفًا.. اهـ[٥].

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٤٩١).
(٢) انظر: تفسير القرطبى (١١/ ٧٥).
(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٤٩١).
(٤) انظر: تفسير القرطبى (١١/ ٧٥).
(٥) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٤٩١).

﴿ وأعتزلكم وما تدعون من دون الله وأدعو ربي عسى ألا أكون بدعاء ربي شقيا (٤٨) فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له إسحاق ويعقوب وكلا جعلنا نبيا (٤٩) ووهبنا لهم من رحمتنا وجعلنا لهم لسان صدق عليا (٥٠) ﴾

❀ معاني المفردات:

* ﴿ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ﴾: العزلة: المفارقة. و«ما» موصولة: بمعنى الذي، والعائد محذوف، أي: والذين تدعونهم من دون الله وهي الأصنام.

* ﴿ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَىٰ أَلاَّ أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴾:

✳ **المعنى:** أراد بهذا الدعاء أن يهب الله ـ تعالى ـ له أهلا وولداً حتى لا يستوحش بالاعتزال عن قومه، يدلّ على هذا المعنى قوله ـ تعالى ـ بعدُ:

* ﴿ فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلاًّ جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴾:

* قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضي الله عنهما): وهب الله له «إسحاق» ولداً، و«يعقوب» ابن ابنه.. اهـ[1].

* وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴾، قال: الثناء الحسن.. اهـ[2].

﴿ واذكر في الكتاب موسى إنه كان مخلصا وكان رسولا نبيا (٥١) ﴾

❀ معاني المفردات:

* ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ ﴾:

✳ **المعنى:** اقرأ عليهم يا رسول الله قصة نبيّ الله موسى ـ عليه السلام ـ.

* ﴿ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا ﴾: بفتح اللام، أي: أخلصه الله ـ تعالى ـ واختاره.

* ﴿ وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيًّا ﴾:

* أخرج ابن أبي حاتم عن مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) قال: الأنبياء الذين ليسوا برسل يُوحَى إلى أحدهم ولا يُرْسَلُ إليه. والرسل والأنبياء الذين يُوحَى إليهم ويرسلون.. اهـ[3].

(١ : ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٤/ ٤٩١).

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا ﴾ [رقم: ٥١].

قرأ عاصم، وحمزة والكسائي: ﴿ مخلَصًا ﴾ بفتح اللام، على أنه اسم مفعول، أي: أخلصه الله ـ تعالى ـ لعبادته.

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ مخلِصًا ﴾ بكسر اللام، على أنه اسم فاعل، أي: أخلص عبادته لله ـ تعالى ـ وحده[1].

﴿ وناديناه من جانب الطُّور الأيمن وقرَّبناه نجيًا (٥٢) ووهبنا له من رَّحمتنا أخاه هارون نبيًا (٥٣) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الأَيْمَنِ ﴾:

* قال ابن جرير الطبرى (ت ٣١٠هـ) أى: يمين «موسى» وكانت الشجرة فى جانب الجبل عن يمين «موسى» حين أقبل من (مَدْين) إلى (مِصْر) فإنّ الجبال لا يمين لها ولا شمال.. اهـ[2].

* ﴿ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ﴾:

* قال أبو العالية الرياحىّ (ت ١٩٠هـ): قرّبه الله ـ تعالى ـ حتّى سمع صرير القلم.. اهـ[3].

* وقال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما): قرّبه الله ـ تعالى ـ حتى سمع صريف القلم يكتب فى اللّوحْ المحفوظ.. اهـ[4].

* ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ مِن رَّحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ﴾: وذلك حين سأل ربّه فقال: ﴿ وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي (٢٩) هَرُونَ أَخِي (٣٠) ﴾ [طه: ٢٩ ـ ٣٠].

* وقال ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ: كان «هارون» أكبر من «موسى» ـ عليهما السلام ـ[5].

---

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٣/ ١٢).
(٢) انظر: تفسير القرطبى (١١/ ٧٧).
(٣ : ٥) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٤٩٢).

﴿ واذْكُرْ في الْكتاب إسماعيل إنَّهُ كان صادق الْوعد وكان رسولا نبيًا (٥٤) وكان يأْمر أهلهُ بالصَّلاة والزَّكاة وكان عند ربِّه مرضيًا (٥٥) ﴾

معاني المفردات:

* ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ ﴾، أي: اقرأ عليـهم يا رسول الله قـصّة نبىّ الله «إسماعيل» ـ عليه السلام ـ.

* ﴿ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ ﴾: قال عبد الملك بن عبـد العزيز المعروف بابن جريج (ت ١٥٠ هـ): لم يعد نبى الله «إسماعيل» ـ عليه السلام ـ ربّه عدة قط إلا أنفذها(١).

* ﴿ وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيًّا ﴾: أرسله الله ـ تعالى ـ إلى (جُرْهم).

* أخرج ابن سعد، عن عقبة بن بشـير أنه سأل محمد بن علىّ: من أوّل من تكلّم بالعربيّـة؟ قال إسمـاعيل بن إبراهيم وهو ابن ثلاث عشـرة سنة. قلت: فما كـان كلام الناس قبل ذلك؟ قال: العبريّة.. اهـ(٢).

* وأخـرج أبو نعيـم فى الدلائل عن أبى هريرة (ت ٥٩هـ ـ رضى الله عنه) قـال: قال رسـول الله ﷺ: «أنا سيِّـد الخلائق يوم القيـامة فى اثنى عـشر نبيّـا منهم: إبراهيم، وإسماعيل، وإسحاق، ويعقوب».. اهـ(٣).

* ﴿ وَكَـانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلاةِ وَالزَّكَـاةِ ﴾: قال الحـسن البصـرى (ت ١١٠هـ): المراد بأهله: أمته.. اهـ(٤).

* ﴿ وَكَانَ عَندَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴾، أى: رَضيًا.

﴿ واذْكُرْ في الْكتاب إدْريس إنَّهُ كانَ صدّيقًا نَّبيًّا (٥٦) ورفعْناهُ مكانًا عليًّا (٥٧) أُولْئك الَّذين أنْعم اللَّهُ عليْهم مّن النَّبيّين من ذُرّيَّة آدم وممَّنْ حملْنا مع نُوحٍ ومن ذُرّيَّة إبراهيم وإسرائيل وممَّنْ هديْنا واجْتبيْنا إذا تُتْلىٰ عليْهم آيات الرَّحمن خرُّوا سُجَّدًا وبُكيًّا (٥٨) ﴾

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٤٩٢).

(٢ ، ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٣٩٣).

(٤) انظر: تفسير القرطبى (١١/ ٧٨).

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴾، أى: اقرأ عليهم يا رسول الله قصة نبى الله «إدريس» ـ عليه السلام ـ.

* قال عمرو بن العاص (ت ٤٣ هـ ـ رضى الله عنه): إنّ «إدريس» ـ عليه السلام ـ أقدم من «نوح» ـ عليه السلام ـ بعثه الله إلى قومه، فأمرهم أن يقولوا: لا إله إلا الله، وأن يعملوا بما شاء الله، فأبوا، فأهلكهم الله.. اهـ[١].

* وأخرج الترمذى، وصححه، وابن المنذر، وابن مردويه، عن قتادة بن دعامة (ت ١١٨ هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾، قال: حدّثنا أنس بن مالك (ت ٩٣ هـ ـ رضى الله عنه): أنّ نبىّ الله ﷺ قال: «لمّا عرج بى رأيت إدريس فى السماء الرابعة» اهـ[٢].

* وأخرج ابن أبى حاتم، عن السّدّى إسماعيل بن عبد الرحمن (ت ١٢٧ هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم ﴾ الآية قال: هذه تسمية الأنبياء الذين ذكرهم الله: أمّا من ذرِّية آدم: فإدريس ونوح، وأمّا من حُمِلَ مع «نوح»: فإبراهيم، وأمّا ذرِّية إبراهيم: فإسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، وأمّا من ذرِّية إسرائيل: فموسى، وهارون، وزكريا، ويحيى، وعيسى[٣].

* وعن مجاهد بن جبر (ت ١٠٤ هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَاجْتَبَيْنَا ﴾، قال: أى أخْلَصْنا[٤].

* ﴿ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴾:

✳ **المعنى:** وصفهم الله ـ تعالى ـ بالخشوع له، وكانوا إذا سمعوا آيات الله خرّوا سجّدًا لله ـ تعالى ـ وبكوا.

▣ القراءات وتوجيهها:

* ﴿ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴾ [رقم: ٥٨].

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٤٩٣).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٤٩٤).

(٣، ٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٤٩٨).

قرأ حمزة، والكسائى: ﴿ وبِكيا ﴾ بكسر الباء، على أن مفرده «باك» فجمع على «بكوى» على وزن «فعول» وأصل الحرف الثانى الضمّ، ثم كسر لمتاسبة الياء التى بعده، لأن الياء الساكنة يناسبها كسر ما قبلها، فلما انكسر الحرف الثانى كسر الحرف الأوّل تبعًا له ليعمل اللسان فيهما عملا واحدًا.

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ بُكيا ﴾ بضم الباء، وحجة ذلك: أن الحرف الثانى كسر لمناسبة الياء، وترك الحرف الأول مضمومًا على أصله[1].

﴿ فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا (٥٩) إلا من تاب وآمن وعمل صالحا فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئا (٦٠) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ ﴾: فى معنى ذلك قولان:

أولا: قال السدّى إسماعيل بن عبد الرحمن (ت ١٢٧ هـ): هم اليهود والنصارى.. اهـ[2].

ثانيًا: قال مجاهد بن جبر (ت ١٠٤ هـ): هم من هذه الأمّة: يتراكبون فى الطرق كما تتراكب الأنعام لا يستحيون من الناس، ولا يخافون من الله فى السماء.. اهـ[3].

* وعن ابن مسعود (ت ٣٢هـ ـ رضى الله عنه) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاةَ ﴾ قال: ليس إضاعتها تركها... ولكن إضاعتها إذا لم يصلها لوقتها.. اهـ[4].

* وعن عمر بن عبد العزيز (ت ١٠١ هـ ـ رحمه الله تعالى) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ أَضَاعُوا الصَّلاةَ ﴾ قال: لم يكن إضاعتها تركها، ولكن أضاعوا المواقيت.. اهـ[5].

* وأخرج أحمد، وابن المنذر، وابن أبى حاتم، وابن حبّان، والحاكم وصحّحه، وابن مردويه، والبيهقى فى شعب الإيمان، عن أبى سعيد الخدرىّ ـ رضى الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ تلا هذه الآية: ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ ﴾ فقال: يكون خلف من

---

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٣/ ١٢ ـ ١٣).

(٢ : ٥) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٤٩٩).

بعد ستّين سنة ﴿أَضَاعُوا الصَّلاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ ثم يكون خلف يقرءون القرآن لا يعدو تراقيهم، ويقرأ القرآن ثلاثة: مؤمن ومنافق وفاجر(١).

* وأخرج أحمد، والحاكم وصحّحه، عن عقبة بن عامر ـ رضى الله عنه ـ قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «سيهلك من أمّتى: أهل الكتاب، وأهل اللّين» قلتُ: يا رسول الله ما أهل اللّين؟ قال: «قوم يتبعون الشهوات، ويُضيِّعون الصلوات» اهـ(٢).

* وعن عبد الله بن مسعود (ت ٣٢هـ ـ رضى الله عنه) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ قال: الغىّ: نَهْر أو واد فى جهنّم من قَيْح بعيد القعر، خبيث الطعم، يُقذفُ فيه الذين يتبعون الشهوات(٣).

* وعن قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿إِلاَّ مَن تَابَ﴾ قال: من ذنبه. * ﴿وَآمَنَ﴾ قال: بربّه. * ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ قال: بينه وبين الله(٤).

* ﴿فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلا يُظْلَمُونَ شَيْئًا﴾، أى: لا يُنقص من ثواب أعمالهم الصالحة شىء.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ﴾ [رقم: ٦٠].

قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وشعبة، وأبو جعفر، ويعقوب: ﴿يُدْخَلون﴾ بضم الياء، وفتح الخاء، على البناء للمفعول، والواو نائب فاعل.

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿يَدْخُلون﴾ بفتح الياء، وضم الخاء، على البناء للفاعل(٥).

﴿جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا (٦١)﴾

معانى المفردات:

* ﴿جَنَّاتِ عَدْنٍ﴾: بدلا من «الجنّة» المتقدم ذكرها فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ﴾ ولذلك نُصبَتْ.

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٤٩٩ ـ ٥٠٠).

(٢ : ٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٥٠٠).

(٥) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٣/ ١٣).

* ﴿ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ ﴾: وهم الذين آمنوا بالجنة ولم يروها.

* ﴿ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا ﴾:

* قال أبو جعفر الطبرى (ت ٣١٠هـ) فى تفسيره: ﴿ وَعْدُهُ ﴾ هنا: موعوده وهو الجنة، ومعنى ﴿ مَأْتِيًّا ﴾، يأتيه أولياؤه وأهل طاعته.. اهـ[١].

و﴿ مَأْتِيًّا ﴾ مفعول من الإتيان، تقول: أتت علىّ ستّون سنة، وأتيتُ على ستين سنة.

﴿ لا يسمعون فيها لغوا إلاّ سلاما ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيًا (٦٢) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً ﴾: الضمير: ﴿ فِيهَا ﴾ يعود على «الجنّة»، و«اللغو» معناه الباطل من الكلام، والفحش منه، وما لا يُنتفع به.

* وعن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ لا يسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً ﴾ قال: باطلا.. اهـ[٢].

* ﴿ إِلاَّ سَلامًا ﴾: الاستثناء هنا منقطع، لأن المستثنى ليس من جنس المستثنى منه، والسلام: اسم جامع للخير، أى: يسلّم بعضهم على بعض، وحينئذ يكون المعنى: أنهم لا يسمعون فى الجنة إلا ما يحبّون.

* ﴿ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾، أى: لأهل الجنّة ما يشتهون من المطاعم والمشارب بكرة وعشيّا، أى: فى قدر هذين الوقتين، إذْ لا بكرة ثَمَّ ولا عشيّا.

* وأخرج الحكيم الترمذى فى نوادر الأصول من طريق أبان عن الحسن، وأبى قلابة قالا: قال رجل: يا رسول الله، هل فى الجنّة من ليل؟ قال: «وما هيّجك على هذا؟» قال: سمعتُ الله يذكر فى الكتاب: ﴿ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾، فقلتُ: الليل من البكرة، والعَشِىّ، فقال رسول الله ﷺ: «ليس هناك ليل، وإنّما هو ضوء، ونور، يرد الغُدوّ على الرواح، والرواح على الغدوّ، وتأتيهم طرف الهدايا من الله، لمواقيت الصلوات التى كانوا يصلّون فيها فى الدنيا، وتسلّم عليهم الملائكة» اهـ[٣].

---

(١) انظر: تفسير الطبرى (٨/ ٣٥٧).
(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٥٠٠).
(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٥٠١).

﴿ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا (٦٣) ﴾

معاني المفردات:

* ﴿ تِلْكَ الْجَنَّةُ ﴾، أي: هذه الجنة التى وصف الله أحوال أهلها فى الآيات أرقام: ٦٠، ٦١، ٦٢.

* ﴿ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴾:

* قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) أى: من اتقانى وعمل بطاعتى.. اهـ[١].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ الَّتِي نُورِثُ ﴾ [رقم: ٦٣].

قرأ رويس: ﴿ نُوَرِّث ﴾ بفتح الواو، وتشديد الراء، مضارع «ورّث» مضعّف العين.

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ نورث ﴾ بسكون الواو، وكسر الراء مخففة، مضارع «أورث»[٢].

﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا (٦٤) ﴾

سبب نزول هذه الآية:

ورد فى سبب نزول هذه الآية أكثر من رواية، وقد اخترت الرواية التالية طلبًا للاختصار:

* أخرج أحمد، والبخارى، ومسلم، وعبد بن حميد، والترمذى، والنسائى، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبى حاتم، وابن مردويه، والحاكم، والبيهقى فى الدلائل، عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) قال: قال رسول الله ﷺ «لجبريل» ـ عليه السلام ـ: «ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا» فنزلت: ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ﴾ الآية.. اهـ[٣].

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (١١/ ٨٥ ـ ٨٦).

(٢) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٣/ ١٣).

(٣) انظر: أسباب النزول للواحدى ص٣٠٨، وأسباب النزول للشيخ القاضى ص١٤٤، وتفسير القرطبى (١١/ ٨٦)، وتفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٥٠١).

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلاَّ بِأَمْرِ رَبِّكَ ﴾، المعنى: قال «جبريل» ـ عليه السلام ـ للنبىّ ﷺ: ﴿ وما نتنزَّلُ إلاَّ بِأَمْرِ ربِّكَ ﴾، أى: إذا أمرنا الله ـ تعالى ـ نزلنا عليك.

* ﴿ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ ﴾: ورد فى تفسير ذلك قولان:

الأول: قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) وابن جريج عبد الملك بن عبد العزيز (ت ١٥٠هـ): ﴿ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا ﴾، أى: ما مضى أمامنا من أمر الدنيا. ﴿ وَمَا خَلْفَنَا ﴾ أى: ما يكون بعدنا من أمر الآخرة. ﴿ وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ ﴾، أى: من أمر البرزخ.. اهـ(١).

والثانى: قال قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) ومقاتل بن حيّان (ت ١١٠هـ): ﴿ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا ﴾، أى: من أمر الآخرة. ﴿ مَا خَلْفَنَا ﴾، أى: ما مضى من الدنيا. ﴿ وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ ﴾، أى: ما بين النفختين، وبينهما أربعون سنة(٢).

* ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾:

١ ـ قال السدّى إسماعيل بن عبد الرحمن (ت ١٢٧هـ): معنى ذلك: وما كان ربّك لينساك يا «محمد» ﷺ(٣).

٢ ـ وقيل معنى ذلك: إنّ الله عالم بجميع الأشياء: متقدمها ومتأخرها، ولا ينسى شيئًا منها(٤).

﴿ رَبُّ السموات والأرضِ وما بينهُما فاعْبُدْهُ واصطبر لعبادته هلْ تعلَمُ له سميًا (٦٥) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ﴾، أى: الله ربهما وخالقهما، وخالق ما بينهما، ومالكهما، ومالك ما بينهما، فكما إلى الله تدبير الأزمان، كذلك إليه تدبير الأعيان.

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (١١/ ٨٦).

(٢) انظر: تفسير القرطبى (١١/ ٨٧).

(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٥٠٢).

(٤) انظر: تفسير القرطبى (١١/ ٨٧).

* ﴿فَاعْبُدْهُ﴾، أي: وحِّده، والأمر موجّه إلى نبينا «محمد» ﷺ والمراد هو وأمّته تبع له. * ﴿وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ﴾، أي: لطاعته.

* ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾:

١ ـ قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما): معنى ذلك: هل تعلم ـ يا رسول الله ـ له ولدًا، أي: نظيرًا، أو مثلاً، أو شبيهًا يستحقّ مثل اسمه الذى هو الرحمن.. اهـ[١].

٢ ـ وفى رواية عن ابن عباس قال: هل تعلم له أحدًا سمّى الرحمن. قال أبو جعفر النحاس (ت ٣٣٨هـ): وهو قول صحيح، ولا يقال الرحمن إلا لله ـ تعالى ـ.. اهـ[٢].

﴿ويقولُ الإنسَانُ أئذا ما متُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حيًّا (٦٦)﴾

معانى المفردات:

* ﴿وَيَقُولُ الإِنسَانُ﴾: الكافر الذى لا يؤمن بالبعث بعد الموت:

* ﴿أَئِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا﴾، أي: أأبعث بعد الممات وبعد الفناء حيّا؟ وقال هذا إنكاراً منه لذلك. وقد اختلف العلماء فى قائل ذلك:

١ ـ فقال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما): قائل ذلك هو الوليد بن المغيرة وأصحابه.. اهـ[٣].

٢ ـ وقال الكلبى محمد بن السائب بن بشر (ت ١٤٦هـ): قائل ذلك هو أُبَىّ بن خلف الجمحى، وجد عظامًا بالية ففتتها بيده وقال: زعم «محمد» أنّا نبعث بعد الموت.. اهـ[٤].

٣ ـ وقال ابن جريج عبد الملك بن عبد العزيز (ت ١٥٠هـ): قائل ذلك هو العاصى ابن وائل.. اهـ[٥].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿أَئِذَا مَا مِتُّ﴾ [رقم: ٦٦].

(١ ، ٢) انظر: تفسير القرطبى (١١/ ٨٧). (٣ ، ٤) انظر: تفسير القرطبى (١١/ ٨٨).

(٥) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٥٠٣).

قرأ ابن ذكوان بخُلْف عنه ﴿ إذا ﴾ بهمزة واحدة على الخبر.

وقرأ الباقون: ﴿ أءذا ﴾ بهمزتين على الاستفهام الإنكارى، وهو الوجه الثانى لابن ذكوان.

وقرأ نافع، وحفص، وحمزة، والكسائى، وخلف البزار: ﴿ مِتّ ﴾ بكسر الميم.

وقرأ الباقون بضمها، وهما لهجتان(١).

﴿ أولا يذْكُرُ الإنسانُ أنّا خلقْناهُ مِن قَبْلُ ولَمْ يكُ شَيْئًا (٦٧) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ أَوَلا يَذْكُرُ الإِنسانُ ﴾: قال أبو جعفر النحّاس (ت ٣٣٨هـ): أولا يتنبّه ويعلم.. اهـ(٢).

والمراد «بالإنسان»: الجاحد للبعث المتقدم ذكره فى الآية رقم: ٦٦.

* ﴿ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ ولَمْ يَكُ شَيْئًا ﴾: وحينئذ يكون المعنى: أولا يتنبّه ويعلم هذا الكافر أنّ الله خلقه من قَبْل سؤاله هذا وهو حينئذ كان نِسْيًا منسيًا.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ أَوَلا يَذْكُرُ الإِنسَانُ ﴾ [رقم: ٦٧].

قرأ ابن عامر، وعاصم: ﴿ يَذْكُرُ ﴾ بإسكان الذال، وضمّ الكاف، مضارع «ذَكَر» من «الذِّكر» الذى يكون عقب النسيان والغفلة.

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ يَذَّكَّر ﴾ بتشديد الذال والكاف، مضارع «تذكّر» وأصله «يتذكّر» فأبدلت التاء ذالا، وأدغمت فى الذال، والتذكّر معناه: التيقظ والمبالغة فى الانتباه من الغفلة(٣).

---

(١) انظر: المهذب فى القراءات العشر وتوجيهها (٢/ ١٠).

(٢) انظر: تفسير القرطبى (١١/ ٨٨).

(٣) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٣/ ١٤).

﴿ فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا (٦٨) ﴾

معاني المفردات:

* ﴿ فوربك لنحشرنهم ﴾: الخطاب لنبينا «محمد» ﷺ.

* **المعنى:** أقسم الله ـ عزّ وجلّ ـ بنفسه بعد إقامة الحجة بأنه يحشرهم من قبورهم إلى المعاد، كما يحشر المؤمنين الموحدين.

* ﴿ والشياطين ﴾: الواو يجوز أن تكون بمعنى «مع»، وحينئذ يكون المعنى: أنهم يحشرون مع قرنائهم من الشياطين الذين أغووهم، أي: يقرن كل كافر مع شيطان في سلسلة. قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون (٢٢) من دون الله فاهدوهم إلى صراط الجحيم (٢٣) وقفوهم إنهم مسئولون (٢٤) ﴾ [الصافات: ٢٢ ـ ٢٤].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿ وترى المجرمين يومئذ مقرنين في الأصفاد (٤٩) ﴾ [إبراهيم: ٤٩].

* ﴿ ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا ﴾:

* قال مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) وقتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ): أي: جثيّا على ركبهم، أي: أنهم لشدّة ما هم فيه لا يقدرون على القيام.. اهـ[1].

و﴿ جثيا ﴾ جمع «جاث» يقال: جثا على ركبتيه يجثو جثيا.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ جثيا ﴾ من قوله ـ تعالى ـ: ﴿ ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا (٦٨) ﴾ [مريم: ٦٨].

* ﴿ عتيا ﴾ من قوله ـ تعالى ـ: ﴿ أيهم أشد على الرحمن عتيا (٦٩) ﴾ [مريم: ٦٩].

* ﴿ صليا ﴾ من قوله ـ تعالى ـ: ﴿ ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا (٧٠) ﴾ [مريم: ٧٠].

قرأ حفص، وحمزة، والكسائي بكسر الجيم في ﴿ جثيا ﴾ والعين في ﴿ عتيا ﴾ والصاد في ﴿ صليا ﴾، وذلك أن هذه الأسماء جمع «جاث» و«عات» و«صال» جمع

---

(١) انظر: تفسير القرطبي (١١/ ٨٩).

على «فعول» فأصل الحرف الثانى منها الضمّ، لكن كسر لمناسبة الياء التى بعده والتى أصلها «واو» في «جثى، وعتى» لأن الياء الساكنة لا يكون قبلها ضمة. فلما كسر الحرف الثانى أتبع كسرته كسر الحرف الأول، فكسر للإتباع، وليعمل اللسان عملا واحدًا.

وقرأ الباقون من القراء العشرة بضم الحروف الثلاثة، وذلك على ترك الحرف الأوّل مضمومًا على أصله(١).

﴿ ثُمَّ لننزعَنَّ من كُلِّ شيعةٍ أَيُّهم أَشدُّ على الرَّحْمنِ عِتِيًا (٦٩) ثُمَّ لَنحْنُ أعْلمُ بِالَّذين هم أوْلَىٰ بِها صليًّا (٧٠) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ ثُمَّ لَننزِعَنَّ من كُلِّ شيعَةٍ ﴾، أى: لنستخرجنّ من كل أمّة وأهل دين.

* وعن ابن جريج عبد الملك بن عبد العزيز (ت ١٥٠هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ ثم لننزعن ﴾ قال: لنبدأنّ.. اهـ(٢).

* وعن قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ ثُمَّ لَننزِعَنَّ من كُلِّ شيعَةٍ ﴾ قال: من كل أهل دين قادتَهم ورءوسَهم فى الشرّ.. اهـ(٣).

* وعن أبى الأحوص فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ ثُمَّ لَننزِعَنَّ ﴾ الآية، قال: يبدأ بالأكابر فالأكابر جُرْمًا.. اهـ(٤).

* وعن مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا ﴾، قال: كفرًا.. اهـ(٥).

* وعن ابن جريج عبد الملك بن عبد العزيز (ت ١٥٠هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ ثُمَّ لَنحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِين هُمْ أَوْلَىٰ بهَا صِلِيًّا ﴾ قال: أيّهم أولى بالخلود فى جهنم.. اهـ(٦).

﴿ وإن مّنكُمْ إلاَّ وَارِدُهَا كانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضيًّا (٧١) ﴾

---

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٣/ ١٤ ـ ١٥).

(٢ : ٦) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٥٠٤).

* المعنى:

* قال أبو جعفر الطبرى (ت ٣١٠هـ) فى تفسيره: اختلف أهل العلم فى معنى الورود الذى ذكره الله فى هذا الموضع:

أولا: قال بعضهم: المراد بالورود: الدخول.

* فعن ابن مسعود (ت ٣٢هـ ـ رضى الله عنه) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَإِن مِّنكُم إِلاَّ وَارِدُهَا ﴾ قال: داخلها.. اهـ(١).

* وقال ابن جريج عبد الملك بن عبد العزيز (ت ١٥٠هـ): الورود الذى ذكره الله فى القرآن: الدخول، ليردنها كل برٍّ وفاجر.. اهـ(٢).

ثانيًا: وقال بعضهم: المراد بالورود: المرُّ عليها:

* فعن قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدها ﴾ قال: هو المرُّ عليها.. اهـ(٣).

ثالثًا: وقال بعضهم: المراد بالورود: الدخول، ولكنّ الله عنى الكافر دون المؤمن:

* وعن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا ﴾ قال: يعنى الكافر، ولا يردها مؤمن.. اهـ(٤).

* وعن عكرمة مولى ابن عباس (ت ١٠٥هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا ﴾ قال: المراد الكفّار.. اهـ(٥).

رابعًا: وقال بعضهم: الورود عامّ لكلّ مؤمن وكافر، غير أن ورود المؤمن المرور، وورود الكافر الدخول:

* فعن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم (ت حوالى ١٧٠هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا ﴾ قال: ورود المسلمين المرور على الجِسْر بين ظهريها، وورود المشركين أن يدخلوها.. اهـ(٦).

---

(١) انظر: تفسير الطبرى (٨/ ٣٦٥).
(٢) انظر: تفسير الطبرى (٨/ ٣٦٤).
(٣) انظر: تفسير الطبرى (٨/ ٣٦٥).
(٤ : ٦) انظر: تفسير الطبرى (٨/ ٣٦٦).

خامسًا: وقال بعضهم: ورود المؤمن: ما يصيبه فى الدنيا من حُمَّى ومرض:

* فعن أبى هريرة (ت ٥٩هـ ـ رضى الله عنه) قال: خرج رسول الله ﷺ يعود رَجُلا من أصحابه وبه وعَكٌ وأنا معه، ثم قال: «إن الله يقول: هى نارى أسلطها على عبدى المؤمن لتكون حَظّه من النار فى الآخرة» اهـ[١].

سادسًا: وقال بعضهم: يردها الجميع، ثم يصدر عنها المؤمنون بأعمالهم:

* فعن السّدّى إسماعيل بن عبد الرحمن (ت ١٢٧هـ) عن «مرّة» عن عبد الله بن مسعود (ت ٣٢هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا ﴾: قال: يردونها ثم يصدر عنها المؤمنون بأعمالهم.. اهـ[٢].

•• تعقيب وترجيح:

* بعد أن ذكر الطبرىّ فى تفسير الأقوال الستّ التى نقلتُها عنه قال: وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب قول من قال:

يردها الجميع ثم يصدر عنها المؤمنون، فينجيّهم الله، ويهوى فيها الكفار، وقد تظاهرت الأخبار عن رسول الله ﷺ من مرورهم على الصراط المنصوب على متن جهنم: فالمسلمون ناجون، ومكدّس فيها ـ الكفار ـ.. اهـ[٣].

* ثم ذكر الطبرى بعض الأخبار المروية عن رسول الله ﷺ فى ذلك منها:

١ ـ عن «حفصة» أم المؤمنين (ت ٤٥هـ ـ رضى الله عنها) قالت: قال رسول الله ﷺ: «لا يدخل النار أحَدٌ شَهِدَ بَدْرًا، والحديبية» فقالت «حفصة»: يا رسول الله، أليس الله يقول: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا ﴾؟ فقال رسول الله ﷺ: «فَمَهْ ثمَّ ينجِّى الله الذين اتقوا»[٤].

٢ ـ وعن أبى هريرة (ت ٥٩هـ ـ رضى الله عنه): أنّ النبى ﷺ قال: «مَنْ مات له ثلاثة لم تمسّه النار إلا تحلّة القسم» اهـ[٥]. يعنى: الورود.

(١ ، ٢) انظر: تفسير الطبرى (٨/ ٣٦٦).

(٣ ، ٤) انظر: تفسير الطبرى (٨/ ٣٦٧).

(٥) انظر: تفسير الطبرى (٨/ ٣٦٩).

* ﴿ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴾، أي: كان ذلك على ربك قضاء مقضيّا.

﴿ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا (٧٢) ﴾

❀ معاني المفردات:

* ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا ﴾:

✳ **المعنى:** يقول الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ثم ننجّي من النار بعد ورودهم إيّاها: الذين اتقوا فامتثلوا أوامره، واجتنبوا نواهيه.

* ﴿ وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾:

✳ **المعنى:** يقول الله ـ عزّ وجلّ ـ: وندع الذين ظلموا أنفسهم فعبدوا غير الله، وخالفوا أمره ونهيه ندعهم فى النار بُروكًا على ركبهم.

* وعن قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) فى معنى الآية قال: إنّ الناس وردوا جهنّم وهى سوداء مظلمة: فأمّا المؤمنون فأضاءت لهم حسناتهم فأُنجُوا منها، وأما الكفار فأوبقتهم أعمالهم، واحتبسوا بذنوبهم.. اهـ[١].

* وعن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم (ت حوالى ١٧٠هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾، قال: الجثىّ: شرّ الجلوس، لا يجلس الرجل جاثيا إلا عند كرب ينزل به.. اهـ[٢].

* وعن قتادة بن دعامة قال: معنى ﴿ جِثِيًّا ﴾ بروكًا على ركبهم[٣].

﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا (٧٣) ﴾

❀ معاني المفردات:

* عن مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ ﴾: قال: قريش تقولها لأصحاب نبينا «محمد» ﷺ.. اهـ[٤].

(١ : ٣) انظر: تفسير الطبرى (٨/ ٣٧٠).

(٤) انظر: تفسير الطبرى (٨/ ٣٧١).

* وعن ابن عباس (ت ٦٨هـ - رضى الله عنهما) فى قوله - تعالى -: ﴿خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ قال: المقام: المنزل، والنَّدَى: المجلس.. اهـ(١).

* وفى رواية أخرى عن ابن عباس - رضى الله عنهما - فى الآية قال: «المقام»: المسكن، و«النّدى»: المجلس، والنعمة، والبهجة التى كانوا فيها، وهو كما قال الله لقوم فرعون حين أهلكهم، وقصّ شأنهم فى القرآن فقال: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٢٥) وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ (٢٦) وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ (٢٧)﴾ [الدخان: ٢٥ - ٢٧]، فالمقام: المسكن والنعيم، والنَّدىّ: المجلس والمجمع الذى كانوا يجتمعون فيه.. اهـ(٢).

* وعن قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) فى معنى الآية قال: رأى المشركون أصحاب نبينا «محمد» ﷺ وفى عيشهم خشونة، وفيهم قشافة، فعرَّض أهل الشرك بما تسمعون.. اهـ(٣).

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا وَرِءْيًا (٧٤)﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ﴾:

✳ **المعنى:** يقول الله - تعالى - لنبيه «محمد» ﷺ تطييبًا لقلبه: وكم أهلكنا قبل هؤلاء الكفار القائلين للمؤمنين: ﴿أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ [رقم: ٧٣].

* ﴿هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا وَرِءْيًا﴾: للعلماء فى تفسير ذلك أقوال، وكلها متقاربة فى المعنى:

١ - فقال ابن عباس (ت ٦٨هـ - رضى الله عنهما) الرِّئى: المنظر، والأثاث: المتاع.. اهـ(٤).

٢ - وقال قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ): أكثر متاعًا، وأحسن منزلة ومستقرا، فأهلك الله أموالهم، وأفسد صورهم عليهم.. اهـ(٥).

٣ - وقال عطاء بن أبى مسلم الخراسانى (ت ١٣٥هـ): عن ابن عباس - رضى الله عنهما - ﴿وَرِءْيًا﴾ أى: منظرًا فى اللون والحسن(٦).

---

(١) انظر: تفسير الطبرى (٨/ ٣٧٠).

(٢ : ٤) انظر: تفسير الطبرى (٨/ ٣٧١).

(٥ . ٦) انظر: تفسير الطبرى (٨/ ٣٧٢).

﴿ قُلْ من كَانَ فِي الضَّلالَة فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مدًّا حَتَّىٰ إِذَا رأَوْا ما يُوعدُون إِمَّا الْعذاب وإِمَّا السَّاعة فسيعْلمُون منْ هُو شرٌّ مَّكَانًا وأَضْعفُ جُندًا ﴿٧٥﴾ ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ قُلْ من كَان فِي الضَّلالَة فلْيمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مدًّا ﴾:

✳ **المعنى:** قل يا رسول الله لهؤلاء المشركين القائلين للمؤمنين: ﴿ أَيُّ الْفريقَيْنِ خيْرٌ مَّقَامًا وأَحْسنُ نديًّا ﴾ [رقم: ٧٣]. قل لهم: ﴿ من كانَ فِي الضَّلالَة ﴾، أى: الكفر.

* ﴿ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مدًّا ﴾، أي: فليدعه الله فى طغيان جهله وكفره.

ولفظ الأمر فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ فَلْيَمْدُدْ ﴾ معناه: الخبر، أي: من كان فى الضلالة مدّ له الرحمن مدًا حتى يطول اغتراره، فيكون ذلك أشدّ لعقابه، وهذا غاية فى التهديد والوعيد.

* ﴿ حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَاب ﴾: وهو الأسر والقتل فى الدنيا.

* ﴿ وَإِمَّا السَّاعَةَ ﴾، أي: القيامة فيدخلون النار.

* ﴿ فَسَيَعْلَمُونَ ﴾: عند ذلك. * ﴿ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا ﴾، أي: منزلا.

* ﴿ وَأَضْعَفُ جُندًا ﴾، أي: أقلّ ناصرًا أَهُمْ أم المؤمنون؟ لأنهم فى النار، والمؤمنون فى الجنة.

وهذا ردّ على الكفار فى قولهم للمؤمنين: ﴿ أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَاما وأَحْسنُ نديا ﴾ [رقم: ٧٣].

* وعن مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمنُ مَدًّا ﴾ قال: فليدعه الله فى طغيانه.. اهـ[1].

﴿ ويزيدُ اللَّهُ الَّذين اهْتدوْا هُدًى والْباقِياتُ الصَّالحاتُ خيْرٌ عند ربِّك ثوابًا وخيْرٌ مَّردًّا ﴿٧٦﴾ ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ ويزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى ﴾:

(١) انظر: تفسير الطبرى (٨/ ٣٧٣).

✳ **المعنى:** ويزيد الله الذى اهتدوا إلى طاعة الله ـ تعالى ـ هدى إلى الجنة فـ «هُدًى» مفعول به لـ «يزيد».

* ﴿ وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا ﴾:

✳ **المعنى:** والأعمال التى أمر الله بها عباده ورضيها منهم، خير عند الله جزاء لأهلها.

* ﴿ وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴾: عليهم، من أندية هؤلاء المشركين التى يفتخرون بها على المؤمنين فى الدنيا.

* عن يحيى بن أبى كثير، عن أبى سلمة بن عبد الرحمن بن عوف قال: جلس النبى ﷺ ذات يوم، فأخذ عودًا يابسًا فحَطَّ ورقه، ثم قال: «إنّ قول لا إله إلا الله، والله أكبر، والحمد لله، وسبحان الله، تحُطّ الخطايا كما تحطّ ورقَ هذه الشجرةَ الريحُ، خذهنَّ يا أبا الدرداء قبلَ أن يُحالَ بينك وبينهنّ، هنَّ الباقيات الصالحات، وهنّ من كنوز الجنة» قال أبو سلمة: فكان أبو الدرداء إذا ذكر هذا الحديث قال: لأهلّلنّ الله، ولأكبرنّ الله، ولأسبحنّ الله، حتّى إذا رآنى الجاهل حسب أنّى مجنون.. اهـ(١).

﴿ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا (٧٧) أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَٰنِ عَهْدًا (٧٨) كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا (٧٩) وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا (٨٠) ﴾

سبب نزول هذه الآيات:

* عن الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزّاق قال: أخبرنا الثورى عن الأعمش، عن أبى الضّحى، عن مسروق بن الأجدع بن مالك (٦٣هـ) قال: قال خبَّاب بن الأرتّ: كنتُ قَينًا بمكة، فكنتُ أعمل للعاص بن وائل فاجتمعت لى عليه دراهم، فجئتُ لأتقاضاه، فقال لى: لا أقضيك حتّى تكفر بمحمّد، قال: قلت: لا أكفر بمحمّد حتى تموتَ ثم تبعث، قال: فإذا بعثتُ كان لى مال وولد.

قال: فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فأنزل الله ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴾ إلى قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴾.. اهـ(٢).

---

(١) انظر: تفسير الطبرى (٨/ ٣٧٤).

(١) انظر: تفسير الطبرى (٨/ ٣٧٥)، وتفسير البغوى (٣/ ٢٠٧)، وتفسير القرطبى (١١/ ٩٧)، وتفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٥٠٥)، وأسباب النزول للواحدى ص٣٠٩، وأسباب النزول للشيخ القاضى ص١٤٤.

❀ معانى المفردات:

* ﴿ أَفَرَءَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالاً وَوَلَدًا ﴾: والمراد به العاص بن وائل والخطاب موجه لنبينا «محمد» ﷺ.

* ﴿ أَطَّلَعَ الْغَيْبَ ﴾: فى تفسير ذلك قولان:

أولا: قال ابن عباس (ت ٦٨هـ - رضى الله عنهما) معنى ذلك: أنظر فى اللوح المحفوظ؟ .. اهـ[١].

ثانيًا: وقال مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) معنى ذلك: أعلم الغيب حتّى يعلم أفى الجنّة هو أم لا؟.. اهـ[٢].

* والهمزة فى قوله - تعالى -: ﴿ أَطَّلَعَ ﴾ للاستفهام الإنكارى. والمراد به: التوبيخ.

* ﴿ أَمِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴾: ﴿ أمْ ﴾ هذه هى المعادلة لهمزة الاستفهام.

* وقال الكلبى محمد بن السائب بن بشر (ت ١٤٦هـ) معنى ذلك: أمْ عاهد الله - تعالى - أن يدخله الجنة.. اهـ[٣].

وفاعل «اتخذ» ضمير مستتر تقديره «هو» والمراد به: العاص بن وائل.

* ﴿ كَلاَّ ﴾ هى هنا بمعنى «لا» النافية، وهى ردّ على العاص بن وائل، أى: لم يكن ذلك: لم يطلع الغيب، ولم يتخذ عند الرحمن عهداً.

* وعن قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) فى قوله - تعالى -: ﴿ أَطَّلَعَ الْغَيْبَ ﴾ قال: أأطلعه الله على الغيب؟ .. اهـ[٤].

* وعن ابن عباس (ت ٦٨هـ - رضى الله عنهما) فى قوله - تعالى -: ﴿ أَمِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴾ قال: أم قال العاص بن وائل: «لا إله إلا الله» يرجو بها - أى: الثواب -.. اهـ[٥].

* وعن ابن عباس (ت ٦٨هـ - رضى الله عنهما) ومجاهد بن جبر (ت ١٠٥هـ) فى قوله - تعالى -: ﴿ وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ ﴾ قالا: المراد بذلك: ماله وولده.. اهـ[٦].

(١ : ٣) انظر: تفسير القرطبى (١١/ ٩٧). (٤ : ٦) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٥٠٦).

* وعن قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴾، أي: لا مال له ولا ولد.. اهـ[١].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ وَلَدًا ﴾ [سورة مريم: ٧٧، ٨٨، ٩١، ٩٢].

قرأ حمزة، والكسائي: ﴿ وُلْدًا ﴾ في المواضع الأربعة: بضم الواو، وسكون اللام، جمع «ولد».

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ وَلَدًا ﴾ في المواضع الأربعة أيضًا بفتح الواو واللام، اسم مفرد قائم مقام الجمع. وقيل: هما لهجتان بمعنى واحد[٢].

﴿ وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِّيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا (٨١) كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا (٨٢) ﴾

معاني المفردات:

* ﴿ وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً ﴾: فاعل «اتخذ» مشركو قريش.

* ﴿ لِّيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا ﴾، أي: أعوانًا ومنعة، وظاهر الكلام أن «عزًا» راجع إلى الآلهة التي عبدوها من دون الله ووحَّدَ لأنه بمعنى المصدر يصدق على القليل والكثير. أي: لينالوا بها العزَّ، ويمتنعوا بها من عذاب الله، فقال الله ردًا عليهم:

* ﴿ كَلَّا ﴾، أي: ليس الأمر كما ظنّوا وتوهَّموا بَلْ ستجحد الآلهة عبادة المشركين لها كما قال ـ تعالى ـ: ﴿ تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ (٦٣) ﴾ [القصص: ٦٣].

* و﴿ كَلَّا ﴾ هنا بمعنى: حقًا، أي: حقًا سيكفرون بعبادتهم.

* ﴿ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴾:

* قال مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) معنى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴾ أي: أوثانهم يوم القيامة تخاصمهم، وتكذبهم، وتكون عليهم أعوانا.. اهـ[٣].

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٤/ ٥٠٦).

(٢) انظر: المغني في توجيه القراءات العشر (٣/ ١٦).

(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٤/ ٥٠٦).

* وعن الضحاك بن مزاحم (ت ١٠٥ هـ) في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ ويكونون عليهم ضدًا ﴾، قال: أعداء.. اهـ(١).

﴿ ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزًا (٨٣) فلا تعجل عليهم إنما نعد لهم عدًا (٨٤) ﴾

❀ معاني المفردات:

* ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾، أي: سلطناهم عليهم بالإغواء.

* ﴿ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴾: قال ابن عباس (ت ٦٨ هـ ـ رضي الله عنهما) معنى ذلك: تغويهم إغواء.. اهـ(٢).

* وفي رواية أخرى: قال معنى ذلك: تغريهم إغراء بالشّرّ، حتى توقعهم في النار.. اهـ(٣).

* ﴿ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ ﴾، أي: لا تطلب العذاب لهم، فإنما نؤخرهم ليزدادوا إثمًا، والخطاب لنبينا «محمد» ﷺ.

* ﴿ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴾:

* قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ معنى ذلك: أنفاسهم التي يتنفسون في الدنيا هي معدودة مثل سِنّهم وآجالهم.. اهـ(٤).

﴿ يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدًا (٨٥) ﴾

❀ معاني المفردات:

* ﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا ﴾: في الكلام حذف، والتقدير: إلى جنة الرحمن ودار كرامته. و«الوفد»: اسم للوافدين، وهو جمع «الوافد» مثل: «ركْب وراكب، وصحب وصاحب».

(١ ، ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٤/ ٥٠٧).

(٣) انظر: تفسير القرطبي (١١/ ١٠٠).

(٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٤/ ٥٠٧).

وهو مِنْ «وَفَد يَفِد وَفْدًا»: إذا خرج إلى ملك فى فَتْح أو أمر خطير.

* وأخرج ابن مردويه، عن على بن أبى طالب (ت ٤٠هـ ـ رضى الله عنه) عن النبى ﷺ فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ يوْمَ نحْشُرُ الْمُتَّقِين إلى الرَّحْمنِ وفْدًا ﴾ قال: أما والله ما يحشرون على أقدامهم، ولا يساقون سوقا، ولكنهم يؤتون بنوق من الجنة، لم تنظر الخلائق إلى مثلها: رحالها الذهب، وأزمتها الزبرجد، فيقعدون عليها حتى يقرعوا باب الجنة.. اهـ(١).

* وأخرج عبد بن حميد، عن أبى سعيد الخدرى ـ رضى الله عنه ـ فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا ﴾ قال: على نجائب رواحلها من زمرّد وياقوت، ومن أى لون شاء(٢).

* وعن قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِين إِلى الرَّحْمَنِ وفْدًا ﴾، قال: إلى الجنّة.. اهـ(٣).

﴿ ونسوقُ الْمُجْرمين إلىٰ جهنّم وِرْدًا (٨٦) لا يملْكُون الشّفاعة إلاّ من اتخذ عند الرّحمنِ عهْدًا (٨٧) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ ونَسُوقُ الْمُجْرِمينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴾: السَّوْقُ: الحثُّ على السير.

* وقال أبو هريرة (ت ٥٩هـ ـ رضى الله عنه) وابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) والحسن البصرى (ت ١١٠هـ): معنى ﴿ وِرْدًا ﴾: عطاشًا.. اهـ(٤).

* وعن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ إلاَّ مَنِ اتَّخَذَ عِند الرَّحْمنِ عَهْدًا ﴾، قال: شهادة أن لا إله إلا الله، وتبرأ من الحَوْل والقوّة، ولا يرجو إلا الله.. اهـ(٥).

* وأخرج ابن مردويه، عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «من أدخل على مؤمن سروراً فقد سرّنى، ومن سرّنى فقد اتخذ عند الرحمن عهداً، ومن اتخذ عند الرحمن عهداً فلا تمسُّه النار، إن الله لا يخلف الميعاد» اهـ(٦).

(١ : ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٥٠٨). (٤) انظر: تفسير القرطبى (١١/ ١٠٢).

(٥، ٦) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٥١٠).

* وعن أبي هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «من جاء بالصلوات الخمس يوم القيامة ـ قد حافظ على وضوئها ومواقيتها وركوعها وسجودها لم ينقص منها شيئًا ـ جاء وله عند الله عهدًا أن لا يعذبه ومن جاء قد انتقص منهنّ شيئًا، فليس له عهد عند الله، إن شاء رحمه، وإن شاء عذّبه» اهـ[1].

﴿ وقالُوا اتّخذ الرّحمن ولدا (٨٨) لقدْ جئْتُمْ شيْئًا إدًا (٨٩) تكادُ السموات يتفطّرن منه وتنشقُّ الأرْضُ وتخرُّ الْجبالُ هدًا (٩٠) أن دعوْا للرّحْمن ولدًا (٩١) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ﴾: القائلون هم اليهود والنصارى: قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ﴾ [التوبة: ٣٠].

* ﴿ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴾:

* قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) ومجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ): الإدُّ: الأمر الفظيع.. اهـ[2].

* وعن مجاهد بن جبر والضحاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ ﴾ قالا: يتشققن منه.. اهـ[3].

* وعن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ﴾: قال: هَدْمًا أى تسقط بصوت شديد.. اهـ[4].

* ﴿ أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ﴾، أى: لأن دعوا للرحمن ولدا.

▣ القراءات وتوجيهها:

* ﴿ تَكَادُ ﴾ من قوله ـ تعالى ـ: ﴿ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ ﴾ [مريم: ٩٠].

* ومن قوله ـ تعالى ـ: ﴿ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ ﴾ [الشورى: ٥].

قرأ نافع، والكسائى: ﴿ يكاد ﴾ فى الموضعين بالياء على التذكير.

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٥١٠).

(٢) انظر: تفسير القرطبى (١١/ ١٠٤).

(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٥١١).

(٤) انظر: تفسير القرطبى (١١/ ١٠٥).

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ تكاد ﴾ فى الموضعين بالتاء على التأنيث وجاز تذكير الفعل وتأنيثه لأن الفاعل مؤنث غير حقيقى[١].

* ﴿ يَتَفَطَّرْنَ ﴾ من قوله ـ تعالى ـ: ﴿ يَتفطَّرْنَ منْهُ ﴾ [مريم: ٩٠].

* ومن قوله ـ تعالى ـ: ﴿ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ ﴾ [الشورى: ٥].

قرأ نافع، وابن كثير، وحفص، والكسائى، وأبو جعفر: ﴿ يتفطرن ﴾ فى الموضعين بتاء فوقية مفتوحة بعد الياء مع فتح الطاء وتشديدها، مضارع «تفطّر» بمعنى تشقق.

وقرأ أبو عمرو، وشعبة، ويعقوب: ﴿ ينفطرن ﴾ فى الموضعين بنون ساكنة بعد الياء مع كسر الطاء مخففة، مضارع «انفطر» بمعنى: انشق.

وقرأ ابن عامر، وحمزة، وخلف البزّار موضع [مريم]: ﴿ ينفطرن ﴾ مثل قراءة أبى عمرو ومن معه. وموضع [الشورى]: ﴿ يتفطرن ﴾ مثل قراءة نافع ومن معه[٢].

﴿ وما ينبغي للرَّحْمن أن يتَّخذ ولدًا (٩٢) إن كُلُّ من في السموات والأرض إلاَّ آتي الرَّحْمنِ عبْدًا (٩٣) لقدْ أحْصاهُمْ وعدَّهُمْ عدًّا (٩٤) وكُلُّهُمْ آتيه يوم الْقيامة فردا (٩٥) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴾:

المعنى: نزّه الله ـ سبحانه وتعالى ـ نفسه عن الولد، لأنه لا يليق به ذلك ولا يجوز فى حقّه، تعالى الله عمّا يقول الجاحدون علوّا كبيرا.

* ﴿ إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴾:

المعنى: «إنْ» نافية بمعنى «ما»، أى: ما كلّ من فى السموات والأرض إلا وهو يأتى يوم القيامة مقرّا لله بالعبوديّة، خاضعًا لعظمته.

قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ (٨٧) ﴾ [النمل: ٨٧]، أى: صاغرين أذلاء.

---

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٣/ ١٦).

(٢) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٣/ ١٧).

* ﴿ لَقَدْ أَحْصَاهُمْ ﴾، أى: علم عددهم.

* ﴿ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴾: تأكيد: أى فلا يخفى عليه أحد منهم.

* ﴿ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴾:

✳ **المعنى:** أى: الجميع يأتيه يوم القيامة فَرْدًا لا ناصر له، ولا مال معه ينفعه، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٣) ﴾ [الممتحنة: ٣].

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا (٩٦) ﴾

✳ **المعنى:**

* أخرج الحكيم الترمذى، وابن مردويه، عن علىّ بن أبى طالب (ت ٤٠هـ ـ رضى الله عنه) قال: سألت رسول الله ﷺ عن قوله ـ تعالى ـ: ﴿ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴾ ما هو؟ قال: المحبّة، فى قلوب المؤمنين، والملائكة المقربين، يا علىّ إنّ الله أعطى المؤمن ثلاثا: المنّة والمحبّة والحلاوة والمهابة فى صدور الصالحين.. اهـ[١].

* وعن الضحاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴾، قال: محبّة فى صدور المؤمنين.. اهـ[٢].

* وأخرج عبد بن حميد، والبخارى، ومسلم، والترمذى، وابن أبى حاتم، وابن مردويه، والبيهقى فى الأسماء والصفات، عن أبى هريرة (ت ٥٩هـ ـ رضى الله عنه): أنّ رسول الله ﷺ قال: «إذا أحبّ الله عبدًا، نادى «جبريل»: إنِّى قد أحببتُ فلانًا فأحبَّه، فينادى فى السماء، ثم تنزل له المحبّة فى أهل الأرض، فذلك قول الله: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴾، وإذا أبغض الله عبدًا، نادى «جبريل»: إنّى قد أبغضت فلانا، فينادى فى أهل السماء، ثم تنزل له البغضاء فى أهل الأرض» اهـ[٣].

﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُّدًّا (٩٧) ﴾

(١ : ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٥١٢).

معانى المفردات:

* ﴿ فَإِنَّمَا يسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ ﴾: الضمير فى ﴿ يسَّرْنَاهُ ﴾ المراد به: القرآن، وهو مفهوم من المقام.

وحينئذ يكون المعنى: أنزل الله القرآن عليك يا رسول الله بلسانك العربى ليسهل على قومك فهمه.

* ﴿ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُّدًّا ﴾: «اللّدُّ» جمع «الألد»: وهو الشديد الخصومة.

ومنه قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ (٢٠٤) ﴾ [البقرة: ٢٠٤].

* وقال أبو عبيدة معمر بن المثنّى (ت ٢١٠هـ): الألدُّ: الذى لا يقبل الحقّ، ويدّعى الباطل.. اهـ(١).

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ تُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ ﴾ [رقم: ٩٧].

قرأ حمزة: ﴿ لتَبْشُر ﴾ بفتح التاء، وإسكان الباء الموحّدة، وختم الشين المخففة، من «البِشْر» وهو الباشرة.

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ لتُبَشِّر ﴾ بضم التاء، وفتح الباء، وكسر الشين مشدّدة، مضارع «بشّر» مضعف العين. والتخفيف لهجة (تهامة)، والتشديد لهجة (أهل الحجاز)(٢).

﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا (٩٨) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ ﴾: ﴿ كَمْ ﴾ خبريّة بمعنى كثير. والضمير فى ﴿ قَبْلَهُم ﴾ المراد به: أهل مكة.

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (١١/ ١٠٨).

(٢) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٣/ ١٨).

وحينئذ يكون المعنى: لقد أهلك الله قبل أهل مكة أممًا كثيرة. ولعلّ الحكمة من ذكر ذلك هو تخويف أهل مكة ليعتبروا فيؤمنوا.

* ﴿هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ﴾، قال سعيد بن جبير (ت ٩٥هـ) معنى ذلك: هل ترى منهم من أحد.. اهـ[١].

* ﴿أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾ قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضي الله عنهما) معنى ذلك: أو تسمع لهم صوتًا.. اهـ[٢].

●●●

تمّ ولله الحمد والشكر تفسير سورة مريم

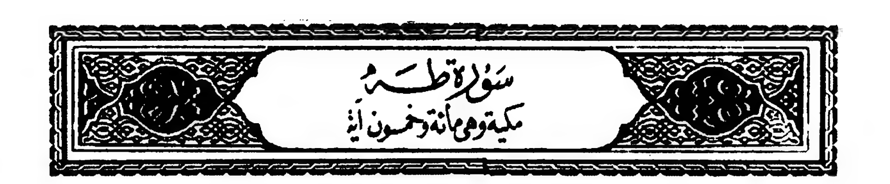
ويليها بإذن الله ـ تعالى ـ

[تفسير سورة طه ـ صلى الله عليه وسلم ـ]

●●●

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٤/ ٥١٣).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٤/ ٥١٤).



* أخرج النحاس، وابن مردويه، عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) قال: نزلت سورة طه بمكة.. اهـ[١].

* وأخرج ابن مردويه. عن عبد الله بن الزبير (ت ٧٣هـ ـ رضى الله عنهما) قال: نزلت سورة طه بمكة.. اهـ[٢].

* وقال القرطبى (ت ٦٧١هـ) فى تفسيره: ﴿ طه ﴾ اسم للنبىّ ﷺ سمّاه الله ـ تعالى ـ به كما سمّاه محمداً.

وروى عن النبى ﷺ أنه قال: «لى عند ربّى عشرة أسماء» فذكر أنّ فيها: طه، ويس.. اهـ[٣].

* وقال القرطبى فى تفسيره: سورة طه ـ عليه الصلاة والسلام ـ مكيّة فى قول الجميع. نزلت قبل إسلام عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ.

ثم استطرد قائلا: ذكر ابن إسحاق: أن عمر خرج متوشّحًا سيفه يريد رسول الله ﷺ وقَتْله، فلقيه «نعيم بن عبد الله» فقال: أين تريد يا عمر؟ فقال: أريد «محمداً» هذا الصابئ، الذى فرّق أمر قريش، وسفّه أحلامها، وعاب دينها، وسبّ آلهتها فأقتله. فقال له نعيم: والله لقد غرّتك نفسك يا عمر، أترى بنى عبد مناف تاركيك تمشى على الأرض وقد قتلت «محمداً»؟ أفلا ترجع إلى أهلك فتقيم أمرهم؟

فقال: وأىُّ أهل بيتى؟ فقال: خَتَنك وابن عمّك: سعيد بن زيد، وأختك: «فاطمة بنت الخطاب» فقد والله أسلما وتابعا «محمداً» على دينه، فعليك بهما، قال: فرجع عمر عامداً إلى أخته وخَتَنه، وعندهما خبَّاب بن الأرتّ معه صحيفة فيها ﴿ طه ﴾ يُقرئهما إياها، فلمّا سمعوا حسّ عمر تغيّب خبّاب فى مخدع لهم، أو فى بعض البيت.

(١ ، ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٥١٥).

(٣) انظر: تفسير القرطبى (١١/ ١١٢).

وأخذت فاطمة بنت الخطّاب الصحيفة فجعلتها تحت فخذها، وقد سمع عمر حين دنا إلى البيت قراءة خبّاب عليهما، فلمّا دخل قال: ما هذه الهينمة التى سمعتُ؟ قالا له: ما سمعتَ شيئًا، قال: بلى، والله أُخْبِرتُ أنكما تابعتما «محمدًا» إلى دينه، وبطش بختَنه سعيد بن زيد فقامت إليه أخته فاطمة بنت الخطّاب لتكفّه عن زوجها فضربها فشجَّها، فلما فعل ذلك قالت له أختُه وختَنه: نَعَم قد أسلمنا وآمنّا بالله ورسوله فاصنع ما بدا لك.

ولمّا رأى عمر ما بأخته من الدَّم نَدم على ما صنع فارعوى، وقال لأخته: أعطنى هذه الصحيفة التى سمعتكم تقرأونها آنفًا أنظر ما هذا الذي جاء به «محمد» وكان عمر كاتبًا، فلمّا قال ذلك قالت له أخته: إنّا نخشاك عليها، قال لها: لا تخافى وحَلَف لها بآلهته ليردّنها إذا قرأها، فلمّا قال ذلك طمعت فى إسلامه فقالت له: يا أخى إنك نجس على شركك، وأنه لا يمسها إلا الطاهر.

فقام عمر واغتسل، فأعطته الصحيفة وفيها ﴿ طه ﴾ فلمّا قرأ منها صدرًا قال: ما أحسن هذا الكلام وأكرمه؟ فلمّا سمع ذلك (خبّاب) خرج إليه فقال له: يا عمر والله إنّى لأرجو أن يكون الله قد خصّك بدعوة نبيّه، فإنّى سمعتُه أمس وهو يقول: «اللهمّ أيّد الإسلام بأبى الحكم بن هشام، أو بعمر بن الخطاب» فاللهَ اللهَ يا عمر.

فقال له عند ذلك: فدلّنى يا خَبَّابُ على «محمد» حتّى آتيه. فأسْلَم، وذكر الحديث.. اهـ[1].

●●●

(١) انظر: تفسير القرطبى (١١/ ١١٠ ـ ١١١).

﴿ طه ① ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ② ﴾

سبب نزول هاتين الآيتين:

* قال الضحاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ) ومقاتل بن حيّان (ت ١١٠هـ): لمّا نزل القرآن على النبي ﷺ قام هو وأصحابه فصلّوا، فقال كفّار قريش: ما أنزل الله هذا القرآن على «محمد» إلا ليشقى، فأنزل الله ﴿ طه ① مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ ② ﴾، أي: لتتعب.. اهـ[١].

معاني المفردات:

* قال القرطبي (ت ٦٧١هـ) في تفسيره: «طه» اسم للنبيّ ﷺ سمّاه الله ـ تعالى ـ به كما سمّاه «محمدًا»، وروى عن النبي ﷺ أنه قال: «لي عند ربّي عشرة أسماء» فذكر أنّ فيها: طه ويس.. اهـ[٢].

* وعن قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ ﴾: قال: والله ما جعله الله شقيًا، ولكن جعله الله رحمة، ونورًا، ودليلا إلى الجنة.. اهـ[٣].

﴿ إلاَّ تذكرة لِّمن يخشىٰ ③ تنزيلاً مِّمَّنْ خلق الأرض والسَّموات العُلى ④ الرَّحمن على العرش استوىٰ ⑤ ﴾

معاني المفردات:

* ﴿ إِلاَّ تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴾:

* قال أبو جعفر النحّاس (ت ٣٣٨هـ): ﴿ تَذْكِرَةً ﴾ منصوب على المصدر، أي أنزله الله لتذكّر به تذكرة. ومنصوب على المفعول من أجله، أي: ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى به، ما أنزلناه إلا للتذكرة.. اهـ[٤].

* ﴿ تَنزِيلاً ﴾: مصدر، أي: نزّلناه تنزيلا.

---

(١) انظر: تفسير القرطبي (١١/ ١١٣)، وأسباب النزول للواحدي ص٣١٢، وأسباب النزول للشيخ القاضي ص١٤٥.

(٢) انظر: تفسير القرطبي (١١/ ١١٢).

(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٤/ ٥١٨).

(٤) انظر: تفسير القرطبي (١١/ ١١٣ ـ ١١٤).

* ﴿ مَّمَّنْ خلقَ الأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى ﴾، أى: العالية الرفيعة. و﴿ الْعُلَى ﴾ جمع «العُلْيا».

* ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ﴾:

* قال أبو جعفر النحّاس (ت ٣٣٨هـ): ﴿ الرَّحْمَنُ ﴾ مرفوع بالابتداء، والخبر ﴿ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وما فِي الأَرْضِ ﴾ [الآية رقم: ٦].. اهـ[١].

* ﴿ اسْتَوَى ﴾ أقول: هذا من المتشابه الذى لا يعلم معناه إلا الله ـ تعالى ـ.

* وقال القرطبى فى تفسيره: والذى ذهب إليه الشيخ أبو الحسن وغيره: أنه مسْتَوٍ على عرشه بغير حَدٍّ ولا كَيْف كما يكون استواء المخلوقين[٢].

﴿ له ما في السموات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى (٦) ﴾

* المعنى:

* أخرج أبو يعلى عن جابر بن عبد الله (ت ٧٨هـ ـ رضى الله عنه): أنّ النبىّ ﷺ سئل: ما تحت هذه الأرض؟ قال: «الماء»، قيل: فما تحت الماء؟ قال: «ظلمة»، قيل: فما تحت الظلمة؟ قال: «الهواء»، قيل: فما تحت الهواء؟ قال: «الثَّرى» قيل: فما تحت الثَّرى؟ قال: «انقطع علم المخلوقين عند علم الخالق» اهـ[٣].

وعن محمد بن كعب بن مسلم (ت ١١٧ ـ أو ١٢٠هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَمَا تَحْتَ الثَّرَىٰ ﴾ قال: ما تحت سبع أرضين.. اهـ[٤].

﴿ وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى (٧) ﴾

* المعنى:

للعلماء فى تفسير قوله ـ تعالى ـ: ﴿ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴾ أكثر من قول أذكر منها ما يلى:

أولا: قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما): السرُّ: ما حدّث به الإنسانُ غيره فى خفاء، وأخفى منه ما أضمر فى نفسه مما لم يحدِّث به غيره[٥].

(١ ، ٢) انظر: تفسير القرطبى (١١/ ١١٤).
(٣ ، ٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٥١٨).
(٥) انظر: تفسير القرطبى (١١/ ١١٤).

ثانيًا: قال الضحّاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ): السرّ: ما أسررتَ في نفسك، وأخفى: ما لم تحدِّث به نفسك.. اهـ[١].

﴿ اللَّهُ لا إِلَٰهَ إِلاَّ هُوَ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ (٨) وهلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ (٩) إِذْ رَأَىٰ نَارًا فَقَالَ لأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى (١٠) ﴾

معاني المفردات:

* ﴿ اللَّهُ لا إِلَٰهَ إِلاَّ هُوَ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴾: ﴿ اللَّهُ ﴾ مبتدأ، وما بعده خبر.

المعنى: تضمنت هذه الآية إثبات الوحدانية لله ـ تعالى ـ، كما أثبتت أنّ أسماءه كثيرة وكلها حسنى.

قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴾ [الإسراء: ١١٠].

* ﴿ وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ ﴾ الآيتان: هذا الاستفهام المراد منه الإثبات والإيجاب، وحينئذ يكون المعنى: قد أتاك حديث موسى.

* ﴿ إِذْ رَأَىٰ نَارًا فَقَالَ لأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا ﴾ الآية:

* أخرج أحمد في الزهد، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن وهب بن منبه قال: استأذن «موسى» ـ عليه السلام ـ «شعيبًا» في الرجوع إلى والدته، فأذن له فخرج بأهله وغنمه، وقد حاد عن الطريق، وكانت ليلة باردة، فقدح «موسى» النار فلم تور المقدحة شيئًا، إذْ بصر بنار من بعيد: ﴿ فَقَالَ لأَهْلِهِ امْكُثُوا ﴾، أي: أقيموا بمكانكم. * ﴿ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا ﴾، أي: أبصرت نارًا[٢].

* وقال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضي الله عنهما): لمّا توجه «موسى» ـ عليه السلام ـ نحو النار فإذا النار في شجرة عنّاب، فوقف متعجبًا من حسن ذلك الضوء، وشدّة خضرة تلك الشجرة، فلا شدّة حرِّ النار تغيِّر حسن خضرة الشجرة، ولا كثرة ماء الشجرة، ولا نعمة الخضرة تغيران حسن ضوء النار.. اهـ[٣].

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٤/ ٥١٩).

(٢) انظر: تفسير القرطبي (١١/ ١١٥)، وتفسير الدر المنثور للسيوطي (٤/ ٥١٩).

(٣) انظر: تفسير القرطبي (١١/ ١١٥).

* ولعلّ الحكمة فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ امْكُثُوا ﴾ ولم يقل: «أقيموا» لأن الإقامة تقتضى الدوام، والمكث ليس كذلك.

* وقال ابن الأعرابى معنى ﴿ آنَسْتُ ﴾: أبصرتُ[١].

* ﴿ لَعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ ﴾، أى: بشعلة من نار.

* ﴿ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى ﴾:

* قال ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ معنى ذلك: من يهدينى إلى الطريق، وكانوا شاتين فضلّوا الطريق[٢].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ فَقَالَ لأَهْلِهِ امْكُثُوا ﴾ [رقم: ١٠].

قرأ حمزة: ﴿ لأهله امكثوا ﴾ بضم هاء الضمير وصلا، على الأصل فى هاء الضمير، إذ الأصل فيها البناء على الضم.

وقرأ الباقون من القراء العشرة بكسر هاء الضمير وصلا، وذلك على الأصل فى التخلّص من التقاء الساكنين[٣].

﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَىٰ (١١) إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى (١٢) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا ﴾، أى: النار.

* ﴿ نُودِيَ يَا مُوسَىٰ * إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ ﴾ الآية:

المعنى: كان النداء من جهة الشجرة وناحيتها، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِ الأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ ﴾ [القصص: ٣٠].

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (١١/ ١١٥).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٥١٩).

(٣) انظر: المهذب فى القراءات العشر وتوجيهها (٢/ ١٣).

* وعن عكرمة مولى ابن عباس (ت ١٠٥هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ ﴾ قال: كى تمسَّ راحة قدميك الأرض الطيبة(١).

* وعن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ، ومجاهد بن جبر فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴾ قالا: ﴿ الْمُقَدَّسِ ﴾: المبارك. و﴿ طُوًى ﴾: اسم الوادى.. اهـ(٢).

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴾ [رقم: ١٢].

قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وأبو جعفر بفتح همزة ﴿ أَنِّى ﴾ وذلك على إضمار حرف الجرّ، والتقدير: نودى بأنّى أنا ربك.

وقرأ الباقون من القراء العشرة بكسر الهمزة، على إضمار القول، أى: فقيل: إنِّى أنا ربك(٣).

وقرأ ابن عامر، وعاصم، وحمزة، والكسائى، وخلف البزّار: ﴿ طُوًى ﴾ بالتنوين مصروفًا لأنه قُصِدَ به المكان.

وقرأ الباقون من القراء العشرة بعدم التنوين ممنوعًا من الصرف للعلمية والتأنيث(٤).

﴿ وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ (١٣) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ وَأَنَا اخْتَرْتُكَ ﴾، أى: اصطفيتك للرسالة.

* ﴿ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ ﴾: إذْ بحسن الاستماع يُنال الفهم عن الله ـ تعالى ـ.

* قال وهب بن منبّه: من أدب الاستماع: سكون الجوارح، وغضّ البصر، والإصغاء بالسّمع، وحضور العقل، والعزم على العمل، وذلك هو الاستماع كما يحبّ الله ـ تعالى ـ.. اهـ(٥).

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٥٢٢). (٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٥٢٣).
(٣) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ١٩).
(٤) انظر: المهذب فى القراءات العشر وتوجيهها (٢/ ١٤).
(٥) انظر: تفسير القرطبى (١١/ ١١٨).

* وقال سفيان بن عيينة (ت ١٩٨هـ): أوّل العلم الاستماع، ثم الفهم، ثم الحفظ، ثم العمل، فإذا استمع العبد إلى كتاب الله ـ تعالى ـ وسنة نبيه ﷺ بنيّة صادقة على ما يحبّ الله، أفهمه الله كما يحبّ، وجعل له فى قلبه نوراً.. اهـ[١].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿وَأَنَا اخْتَرْتُكَ﴾ [رقم: ١٣].

قرأ حمزة: ﴿وأنَّا﴾ بفتح الهمزة، وتشديد النون، على أنها «أنَّ» المشدّدة وهى المؤكدة، و«نَا» اسمها.

وقرأ حمزة: ﴿اخترناك﴾ على إسناد الفعل إلى ضمير المعظم نفسه والجملة خبر «أنَّا».

وقرأ الباقون ﴿وأنَا﴾ بتخفيف النون، على أنها ضمير منفصل مبتدأ.

وقرءوا: ﴿اخترتك﴾ على أن الفعل مسند إلى ضمير المتكلم، والجملة خبر المبتدأ[٢].

﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي (١٤)﴾

معانى المفردات:

* أخرج أبو نعيم فى الحلية، عن على بن أبى طالب (ت ٤٠هـ ـ رضى الله عنه) قال: حدثنا رسول الله ﷺ عن «جبريل» ـ عليه السلام ـ قال: قال الله ـ عزّ وجلّ ـ: «إنّنى أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدنى، من جاءنى بشهادة أن لا إله إلا الله بالإخلاص دخل فى حصنى، ومن دخل حصنى أمن عذابى» اهـ[٣].

* وأخرج أحمد، وعبد بن حميد، والبخارى، ومسلم، وأبو داود، وابن مردويه، عن أنس بن مالك (ت ٩٣هـ ـ رضى الله عنه): أنّ رسول الله ﷺ قال: «إذا رقد أحدكم عن الصلاة، أو غفل عنها فليصلّها إذا ذكرها، فإنّ الله قال: ﴿وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي﴾» اهـ[٤].

* وأخرج الطبرانى، وابن مردويه، عن عبادة بن الصامت ـ رضى الله عنه ـ قال: سُئل رسول الله ﷺ عن رجل غفل عن الصلاة حتى طلعت الشمس، أو غربت ما كفّارتها؟ قال: «يتقرب إلى الله ويحسن وضوءه ويصلّى فيحسن الصلاة، ويستغفر الله فلا كفارة لها إلا ذلك، إن الله يقول: ﴿وأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي﴾».. اهـ[٥].

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (١١/ ١١٨).
(٢) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ١٩).
(٣ : ٥) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٥٢٤).

﴿ إنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾ ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا ﴾:

* قال ابن عباس (ت ٦٨هـ - رضى الله عنهما) معنى ذلك: أن الله - سبحانه وتعالى - يقول: إنّ الساعة آتية لا أظهر عليها أحدًا غيرى.. اهـ[1].

* وأقول: لعلّ الحكمة من إخفاء وقيام الساعة التخويف والاستعداد لها، لأن الإنسان إذا لم يعلم متى تقوم الساعة كان على حذر منها كل وقت، والله أعلم.

* وقيام الساعة من المغيَّبات الخمسة التى لا يعلمها أحد سواه، وهى المذكورة فى قوله - تعالى -: ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ [لقمان: ٣٤].

* وهذه المغيَّبات الخمسة هى التى ذكرها الله إجمالا فى قوله - تعالى -: ﴿ وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ﴾ [الأنعام: ٥٩].

* ﴿ لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ ﴾، أى: بما تعمل من خير أو شرّ.

* ﴿ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا ﴾، أى: فلا يصرفنّك عن الإيمان بالساعة.

* ﴿ مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ ﴾، أى: مراده وخالف أمر الله.

* ﴿ فَتَرْدَىٰ ﴾، أى: فتهلك إن لم تؤمن بالساعة.

﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَىٰ ﴾:

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٥٢٥).

* مما لا ريب فيه أن الله لا يخفى عليه أنّ التى فى يد «موسى» ـ عليه السلام ـ «عصا» إلا أن الحكمة من هذا السؤال ليبيّن الله «لموسى» بعد ذلك أن هذه «العصَا» إحْدى المعجزات التسع التى سيؤتيها الله «لموسى» لتكون معجزة له، ودالّة على صدق نبوّته.

* ﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا﴾، أى: أتحامل عليها فى المشى والوقوف، ومنه الاتّكاء.

* ﴿وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي﴾:

* قال عكرمة مولى ابن عباس (ت ١٠٥هـ) معنى ذلك: أضرب بها الشجر فيتساقط منه الورق على غنمى.. اهـ[١].

* ﴿وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ﴾:

* قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) معنى ذلك: ولى فيها حوائج أخرى[٢].

* و﴿مَآرِبُ﴾ مفردها «مأربة» بضم الراء، وفتحها، وكسرها.

﴿قال ألقها يا موسىٰ (١٩) فألقاها فإذا هي حيَّةٌ تسعىٰ (٢٠) قال خُذْها ولا تخف سنعيدها سيرتها الأُولىٰ (٢١) واضمُمْ يدك إلىٰ جناحك تخرُجْ بيضاء من غير سوء آية أُخرىٰ (٢٢) لنُريك من آياتنا الكُبرى (٢٣)﴾

معانى المفردات:

* ﴿قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَىٰ * فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ﴾: فلما رآها «موسى» ـ عليه السلام ـ ولّى مدبراً ولم يعقب، فقال الله له: ﴿خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَىٰ﴾:

* قال ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ معنى سنعيدها سيرتها الأولى: أى: إلى حالتها الأولى[٣].

* ﴿وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ﴾: قال مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) أى: أدخل كفّك تحت عضدك.. اهـ[٤].

(١، ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٥٢٦).

(٣، ٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٥٢٧).

* ﴿ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ﴾:

* قال ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ: من غير بَرَص.. اهـ[١].

* ﴿ آيَةً أُخْرَىٰ ﴾: سوى العصا. * ﴿ لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى ﴾، أي: العظمى.

﴿ اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ (٢٤) قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي (٢٥) وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي (٢٦) وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي (٢٧) يَفْقَهُوا قَوْلِي (٢٨) وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي (٢٩) هَارُونَ أَخِي (٣٠) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴾:

المعنى: لما آنس الله ـ عزّ وجلّ ـ «موسى» بالعصا، واليَـد، وأراه ما يدلّ على أنه رسول، أمره بالذهاب إلى «فرعون» وأن يدعوه إلى عبادة الله ـ تعالى ـ.

ومعنى ﴿ طَغَى ﴾: عصا وتكبّر وكفر وتجبّر وجاوز الحدّ.

* ﴿ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴾، أي: وسِّعه ونوِّره بالإيمان والنبوّة.

* ﴿ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴾، أي: سَهِّل علَيّ ما أمرتنى به من تبليغ الرسالة.

* ﴿ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴾، أي: العجمة التى كانت فى لسانه من جمرة النار التى أدخلها فى فيـه وهو طفل، قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهـما): كانت فى لسانـه (رُتَّة): وذلك أنه كان فى حـجْر فرعـون ذات يوم وهو طفل فلطمه لـطمة، وأخذ بلحيتـه فنتفها، فقال فرعـون لآسية زوجه: هذا عدوّى فهـات الذَّبّاحين، فقالت آسـية: على رِسْلك فـإنه صبىّ لا يفرّق بين الأشـياء. ثم أتت بـطسْتـين فجـعلت فى أحدهما جَمْرًا، وفى الآخر جَوْهرًا، فأخذ «جبريل» بيد «موسى» فوضعها على الجَمْر فرفع جَمْرة ووضعها فى فيه على لسانه فكانت تلك الرُّتَّة.. اهـ[٢].

* ﴿ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴾، أي: يعرفوا ما أقول لهم ويفهموه.

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٥٢٧).

(٢) انظر: تفسير القرطبى (١١/ ١٢٩).

* والفِقْه معناه: الفهم، ومنه فَقِه الرجل، أي: فَهِم.

* ﴿ وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴾: سأل «موسى» ربّه أن يجعل له وزيراً من أهله:

* ﴿ هَرُونَ أَخِي ﴾: ﴿ هَرُونَ ﴾ في محلّ نصب بـ «اجعل» و«وزيراً» بدل من «هارون» وحينئذ يكون المعنى: واجعل لي هارون أخي وزيراً.

* قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضي الله عنهما) كان هارون أكبر من موسى(١).

* وأفادت الأخبار أن «هارون» مات قبل «موسى» بثلاث سنين(٢).

﴿ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي (٣١) وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي (٣٢) ﴾

❀ معاني المفردات:

* ﴿ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ﴾، أي: ظهري لتقوى به نفسي. والأزر: الظهر من موضع الحِقْوَين.

* ﴿ وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ﴾، أي: في النبوّة وتبليغ الرسالة.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ اشْدُدْ، وَأَشْرِكْهُ ﴾ من قوله ـ تعالى ـ: ﴿ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ﴾ [رقم: ٣١ ـ ٣٢].

قرأ ابن عامر، وابن وردان بخُلْف عنه: ﴿ أَشدد ﴾ بهمزة قطع مفتوحة وصلا وبَدْءًا، على أنه مضارع «شدّ» الثلاثي.

وقرآ أيضًا: ﴿ وأُشركه ﴾ بضم الهمزة، على أنه مضارع من «أشرك» الرباعي، وهو مجزوم لأنه معطوف على «اشدد».

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ اشدد ﴾ بهمزة وصل تحذف في الدّرج وتثبت في الابتداء مضمومة، على أنه فعل أمر بمعنى الدعاء من «شدّ» الثلاثي، وهو الوجه الثاني لابن وردان.

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٤/ ٥٢٩).
(٢) انظر: تفسير القرطبي (١١/ ١٣٠).

وقرأ الباقون أيضًا: ﴿ وأَشركه ﴾ بفتح الهمزة، على أنه فعل أمر بمعنى الدعاء من «أشرك» الرباعي، والأمر من الرباعي يفتح أوّله، وهو معطوف على «اشدد» وهو الوجه الثاني لابن وردان(١).

﴿ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا (٣٣) وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا (٣٤) إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا (٣٥) قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَىٰ (٣٦) وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰ (٣٧) إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ (٣٨) ﴾

معاني المفردات:

* ﴿ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴾، أي: ننزّهك عمّا لا يليق بك. و﴿ كَثِيرًا ﴾ صفة لموصوف محذوف أي: تسبيحًا كثيرًا.

* ﴿ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴾، أي: ونذكرك ذكرًا كثيرًا.

قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (٤١) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (٤٢) ﴾ [الأحزاب: ٤١ ـ ٤٢].

* ﴿ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴾: «البصير»: العالم بخفيّات الأمور. و«بصير» على وزن «فعيل» بمعنى «مبصر» على وزن «مفعل».

* ﴿ قَالَ ﴾ فاعل «قال» ضمير مستتر والمراد به: الله ـ عزّ وجلّ ـ.

* ﴿ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَىٰ ﴾: لمّا سأل «موسى» ربّه شَرْحَ الصدر، وتيسير الأمر إلى ذكره... إلخ. أجاب الله سُؤْلَه، وآتاه طلبته ومرغوبه.

و«سُؤْل» على وزن «فُعْل» بمعنى مسئول، مثل: خُبْز بمعنى مخبوز.

* ﴿ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰ ﴾، أي: قبل هذه، وهي حفظه من شرِّ الأعداء، وذلك حين ذبح فرعون أبناء بني إسرائيل.

قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ ﴾ [القصص: ٤].

* ﴿ إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ ﴾: معنى ﴿ أَوْحَيْنَا ﴾: ألهمنا، أي: وحي إلهام.

* وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: أوحى إليها كما أوحى إلى الأنبياء(٢).

---

(١) انظر: المغني في توجيه القراءات العشر (٣/ ٢٠).
(٢) انظر: تفسير القرطبي (١١/ ١٣١).

﴿ أن اقذفيه في التابوت فاقذفيه في اليم فليلقه اليم بالساحل يأخذه عدو لي وعدو له وألقيت عليك محبة مني ولتصنع على عيني (٣٩) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ ﴾:

* قال مقاتل بن حيَّان البلخىّ (ت ١١٠هـ): مؤمن آل فرعون هو الذى صنع التابوت، ونَجَره، وكان اسمه «حِزْقيل»[١].

* ﴿ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ ﴾:

* قال السدّى إسماعيل بن عبد الرحمن (ت ١٢٧هـ): «اليمُّ» هو: النيل[٢].

* ﴿ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ ﴾: الساحلُ: هو شاطئ النهر. والجملة إنشائية لفظًا، ومعناها الخبر، أى: ليلقيه اليمُّ بالساحل.

* ﴿ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ ﴾: وهو فرعون ـ عليه لعنة الله ـ.

قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ﴾ [القصص: ٨].

* ﴿ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي ﴾:

١ ـ قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما): أحبّه الله وحبَّبه إلى خلقه[٣].

٢ ـ وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم (ت حوالى ١٧٠هـ): جعلتُ من رآك أحبَّك حتى أحبّك فرعون فسلمتَ من شرِّه، وأحبتك آسية بنت مزاحم فتبنّتك.. اهـ[٤].

* ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي ﴾: فى معنى ذلك قولان:

أولا: قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما): يريد الله ـ سبحانه وتعالى ـ أن ذلك بعينى حيث جُعلْتَ فى التَّابوت، وحيث ألقى التابوت فى البحر، وحيث التقطك جوارى امرأة فرعون فذهبْن بالتابوت إليها مغلقًا، فلمّا فتحته رأت صبيًا لم

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (١١/ ١٣١).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٥٢٨).

(٣، ٤) انظر: تفسير القرطبى (١١/ ١٣١).

يُرَ مثله قط، وألقى الله عليها محبته، فأخذته فدخلت به على فرعون فقالت له كما أخبر الله ـ تعالى ـ: ﴿ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [القصص: ٩].

فقال لها فرعون: أمّا لك فنعم، وأمّا لى فلا، فقالت: هَبْه لى ولا تقتله، فوهبه لها.. اهـ[١].

ثانيًا: قال قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) معنى ذلك: أى: تُربَّى وتُغذّى على مرأى منِّى.. اهـ[٢].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي ﴾ [رقم: ٣٩].

قرأ أبو جعفر: ﴿ ولْتصنعْ ﴾ بسكون اللام وجزم العين، على أن اللام للأمر والفعل مجزوم بها.

وقرأ الباقون: ﴿ ولِتصنعَ ﴾ بكسر اللام، ونصب العين، على أن اللام لام كى والفعل منصوب بأن مضمرة[٣].

﴿ إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَا مُوسَىٰ ﴿٤٠﴾ ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ ﴾: العامل فى ﴿ إِذْ تَمْشِي ﴾: «ألقيت» أو «تصنع».

* وجاء فى التفسير أن أخت موسى اسمها «مريم»[٤].

* ﴿ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ ﴾:

(١ ، ٢) انظر: تفسير القرطبى (١١/ ١٣٢).

(٣) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٣/ ٢١).

(٤) انظر: تفسير القرطبى (١١/ ١٣٢).

* قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رَضى الله عنهما): وذلك أنّ أخت موسى خرجت متعرِّفة خبره، وكان موسى لما وهبه فرعون امرأته طلبت له المراضع، وكان لا يأخذ من أحد حتى أقبلت أخته فقالت هل أدلكم على من يكفله، فقالوا لها: ومن هى؟ قالت: أمِّى، فقالوا: لها لبن؟ قالت: لبن أخى هارون، وكان هارون أكبر من موسى بسنة، وقيل: بثلاث سنين. وذلك أن فرعون رفع القتل عن بنى إسرائيل أربع سنين، فولد هارون فيها، فجاءت الأمّ فقبل ثديها(١).

فذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلا تَحْزَنَ ﴾، أى: حتى تبرد عينها ولا تسخن، إذْ للسرور دَمْعة باردة، وللحزن دَمْعة حارّة.

* ﴿ وَقَتَلْتَ نَفْسًا ﴾:

* أخرج ابن أبى حاتم، وابن مردويه، والخطيب، عن ابن عمر (ت ٧٣هـ ـ رضى الله عنهما) قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنما قتل «موسى» الذى قتل من آل فرعون خطأ» يقول الله: ﴿ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ ﴾.. اهـ(٢).

* ﴿ فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ ﴾، أى: آمناك من الخوف، والقتل، والحبس.

* وقال مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) أى: نجيناك من قتل النفس(٣).

* ﴿ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا ﴾:

* قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما)، أى: ابتليناك ابتلاء(٤).

* ﴿ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ﴾:

* قال قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ): لبث عشر سنين.. اهـ(٥).

* قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَىٰ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ ﴾ [القصص: ٢٧].

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (١١/ ١٣٢).

(٢ : ٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٥٢٩).

(٥) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٥٣٦).

* ﴿ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَا مُوسَىٰ ﴾:

* قال مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) وقتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ): جئتَ على موعد.. اهـ[١].

* وقال ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ: على موعد موافق للنبوّة والرسالة، لأن الأنبياء لا يبعثون إلا أبناء أربعين سنة.. اهـ[٢].

﴿ وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي (٤١) اذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلا تَنِيَا فِي ذِكْرِي (٤٢) اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ (٤٣) فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ (٤٤) ﴾

❀ معاني المفردات:

* ﴿ وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴾:

* قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) معنى ذلك: اصطفيتك لوحيى ورسالتى.. اهـ[٣].

* ﴿ اذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي ﴾:

* قال ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ: المراد: الآيات التسع.. اهـ[٤].

* قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَىٰ مَسْحُورًا (١٠١) ﴾ [الإسراء: ١٠١].

* ﴿ وَلا تَنِيَا فِي ذِكْرِي ﴾:

١ ـ قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) ومجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) وقتادة بن دعامة (ت ١٠٨هـ): أي: لا تضعفا فى تبليغ الرسالة.. اهـ[٥].

٢ ـ وقيل: معنى ذلك: ولا تفترا فى تبليغ الرسالة[٦].

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٥٣٦).

(٢) انظر: تفسير القرطبى (١١/ ١٣٣).

(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٥٣٦).

(٤) انظر: تفسير القرطبى (١١/ ١٣٣).

(٥) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٥٣٦).

(٦) انظر: تفسير القرطبى (١١/ ١٣٣).

الْوَنَى: الضّعفُ والفتور، والكلال والإعياء. يقال: ونَيْتُ فى الأمر أَنِى ونًى ووَنْيًا: أى ضعفتُ.

* ﴿ اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴾: الطغيان: زيادة الحدّ، وفرعون قد بالغ فى الكفر حتى وصل إلى أقصى درجة وهى أنه قال: ﴿ أنا ربكم الأعلى ﴾.

* ﴿ فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَّيِّنًا ﴾:

* قال الحسن البصرى (ت ١١٠هـ) معنى ذلك: قولا له: إنّ لك ربّا، ولك معادًا، وبين يديك جنة ونار(١).

* وأقول: القول اللَّين: هو الذى لا خشونة فيه، فإذا كان «موسى» ـ عليه السلام ـ أمره الله ـ عزّ وجلّ ـ بأن يقول لفرعون قولا لينا، فمن باب أولى الأحْرى بالخطباء والوعّاظ، ودعاة المسلمين أن يسيروا على المنهج الذى رسمه الله ـ تعالى ـ لأنبيائه ورسله، ومن ذلك قوله ـ تعالى ـ لنبيه وحبيبه نبينا «محمد» ﷺ: ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل: ١٢٥](٢).

* ﴿ لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾: «لعلّ» هنا بمعنى «كَيْ».

* قال يحيى بن معاذ: يا ربٍّ هذا رفقك بمن يقول أنا الإله، فكيف رفقك بمن يقول: أنتِ الإله؟(٣).

﴿ قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَىٰ (٤٥) قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ (٤٦) فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ (٤٧) ﴾

معانى المفردات:

* عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا ﴾، قال: يَعْجل.

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٥٣٦).

(٢) اقرأ فى ذلك كتابى: منهج الأنبياء فى الدعوة إلى الله. وهو مطبوع.

(٣) انظر: تفسير القرطبى (١١/ ١٣٤).

* ﴿ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴾، قال: يَعْتَدِي.. اهـ[١].

* ﴿ قَالَ لا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا ﴾: بالنصر والمعونة والقدرة على فرعون.

* وعن ابن جريج عبد الملك بن عبد العزيز (ت ١٠٥هـ) في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ قَالَ لا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾: قال: أسمع ما يقول، وأرى ما يجاوبكما به، فأوحي إليكما فتجاوبانه.. اهـ[٢].

* ﴿ فَأْتِيَاهُ فَقُولا إِنَّا رَسُولا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾: أي: خَلِّ عنهم.

* ﴿ وَلا تُعَذِّبْهُمْ ﴾، أي: بالسخرة، والتعب في العمل.

* ﴿ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ ﴾، قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: المراد: العصا واليد[٣].

* ﴿ وَالسَّلامُ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ ﴾:

* قال الزجّاج إبراهيم بن السَّرى (ت ٣١١هـ): أي: من اتّبع الهدى سلم من سخط الله ـ عزّ وجلّ ـ، ومن عذابه[٤].

﴿ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ (٤٨) قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَا مُوسَىٰ (٤٩) قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ (٥٠) ﴾

❀ معاني المفردات:

* عن قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴾، قال: من كذّب بكتاب الله، وتولّى عن طاعة الله.. اهـ[٥].

* ﴿ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَا مُوسَىٰ * قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾: للعلماء في تفسير ذلك أقوال منها ما يلي:

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٤/ ٥٣٦).
(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٤/ ٥٣٧).
(٣، ٤) انظر: تفسير القرطبي (١١/ ١٣٦).
(٥) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٤/ ٥٣٧).

أولا: قال سعيد بن جبير (ت ٩٥هـ) في قوله ـ تعالى ـ: ﴿أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ﴾ قال: أعطى كل ذى خَلْق ما يصلحه من خَلْقه، ولم يجعل الإنسان فى خَلْق الدابّة، ولا الدَّابة فى خَلْق الكلب، ولا الكلب فى خلق الشّاة، وأعطى كل شيء ما ينبغى له من النكاح، وهيأ كل شيء على ذلك، ليس منها شيء يملك شيئًا فى فعاله: فى الخلْق والرزق والنكاح ﴿ثُمَّ هَدَىٰ﴾ أى: هدى كل شيء إلى رزقه وإلى زوجته.. اهـ[١].

ثانيًا: قال مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ قال: سوّى خلْق كل دابة ثم هداها لما يصلحها، وعلّمها إيّاه: لم يجعل خلق الناس كخلْق البهائم، ولا خلق البهائم كخلْق الناس، ولكن ﴿خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا (٢)﴾ [الفرقان: ٢].. اهـ[٢].

ثالثًا: قال الحسن البصرى (ت ١١٠هـ): أعطى كل شيء ما يصلحه ثم هداه له.. اهـ[٣].

﴿قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ (٥١) قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى (٥٢)﴾

معانى المفردات:

* عن قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ﴾ قال معنى ذلك: فما حال القرون الأولى.. اهـ[٤].

* وعن قتادة فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ قال: لا يضلّ ربّى الكتاب، ولا ينسى ما فيه.. اهـ[٥].

* وعن أبى هريرة (ت ٥٩هـ ـ رضى الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «لمّا قضى الله الخلْق كتب فى كتابه على نفسه فهو موضوع عنده: إنّ رحمتى تغلب غضبى» [رواه مسلم].. اهـ[٦].

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ (٥٣)﴾

(١ : ٥) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٥٣٨).

(٦) انظر: تفسير القرطبى (١١/ ١٣٨).

معانى المفردات:

* ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ مَهْدًا ﴾: ﴿ مَهْدًا ﴾ مصدر، يقال: مهّدته مَهْدًا، والمهْد ما تُهيئ للصّبى. ومعنى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ مَهْدًا ﴾: أى: قرارًا تستقرون عليها، وتقومون وتنامون عليها، وتسافرون على ظهرها.

* ﴿ وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلاً ﴾، أى: طرقًا، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ بِسَاطًا ⦗١٩⦘ لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلاً فِجَاجًا ⦗٢٠⦘ ﴾ [نوح: ١٩ ـ ٢٠].

* ﴿ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴾:

* قال مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) معنى ذلك: أصنافًا فكل صنف من نبات الأرض زوج: النخل زوج صنف، والأعناب زوج صنف، وكل شيء تنبته الأرض أزواج.. اهـ[١].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ مَهْدًا ﴾ [طه: ٥٣، الزخرف: ١٠].

قرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وأبو جعفر، ويعقوب: ﴿ مهادًا ﴾ فى السورتين بكسر الميم، وفتح الهاء، وألف بعدها.

وقرأ الباقون: ﴿ مَهْدًا ﴾ وهما مصدران، يقال: مهّدته مَهْدًا ومهادًا. والمهْد والمهاد: اسم لما يمهّد كالفرش والفراش اسم لما يفرش[٢].

﴿ كُلُوا وارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لأُوْلِي النُّهَىٰ ⦗٥٤⦘ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ⦗٥٥⦘ ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لأُوْلِي النُّهَىٰ ﴾، أى: لأصحاب العقول السليمة، لأنهم ينهون النفس عن القبائح.

* ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ ﴾، أى: من الأرض، لأنّ كلّ نطفة مخلوقة من التراب.

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٥٣٩).

(٢) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٣/ ٢١).

* ﴿ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ ﴾، أي: بعد الموت.

* ﴿ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ ﴾: للبعث والحساب. * ﴿ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴾، أي: من الأرض أخرجناكم، ونخرجكم بعد الموت من الأرض تارة أخرى.

* عن البراء بن عازب (ت ٦٢هـ ـ رضي الله عنه) عن النبي ﷺ: «إنّ العبد المؤمن إذا خرجت روحه صعدت به الملائكة فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا ما هذه الروح الطيبة، فيقولون: فلان ابن فلان بأحسن أسمائه التي كانوا يسمّونه بها في الدنيا، فيستفتحون لها فيُفتح فيُشيِّعه من كل سماء مقرّبوها إلى السماء التي تليها حتّى يُنتهَى بها إلى السماء السابعة فيقول الله ـ عزّ وجلّ ـ: «اكتبوا لعبدي كتابًا في عليِّين وأعيدوه إلى الأرض فإني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى» فتعاد روحه في جسده».. اهـ(١).

﴿ ولقدْ أريْناهُ آياتنا كُلَّها فكذَّب وأَبَىٰ (٥٦) قال أجئْتنا لتُخْرِجنا منْ أرْضنا بسحرك يا موسىٰ (٥٧) فلنأْتينَّك بسحْرٍ مِّثْله فاجْعلْ بيْننا وبيْنك موْعدًا لاَّ نُخْلفُهُ نحْنُ ولا أنت مكانا سوى (٥٨) ﴾

❀ معاني المفردات:

* ﴿ وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا ﴾، في معنى ذلك قولان:

أحدهما: المعجزات الدالة على نبوّة «موسى» ـ عليه السلام ـ.

والآخر: حجج الله الدالّة على توحيده(٢).

* ﴿ فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴾، أي: لم يؤمن، وهذا يدلّ على أن فرعون كان كفره عنادًا وتكبرًا، لأنه رأى الآيات عيانًا.

قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ (١٣) وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ (١٤) ﴾ [النمل: ١٣ ـ ١٤].

* ﴿ قَالَ ﴾، أي: فرعون: * ﴿ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَىٰ ﴾:

(١، ٢) انظر: تفسير القرطبي (١١/ ١٤١).

✳ **المعنى:** لما رأى فرعون هذه الآيات التى جاء بها «موسى» ـ عليه السلام ـ قال إنها سحر، وقال «لموسى» إنك جئت بما تدَّعيه حتى تغلب على أرضنا وعلينا.

* ﴿ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِ ﴾، أى: لنعارضنك بمثل ما جئتَ به ليتبيّن للناس أنّ ما أتيت به سحر.

* ﴿ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا ﴾: «موعدًا» يجوز أن يكون اسم مكان أو اسم زمان، وحينئذ يكون المعنى: اجعل لنا يومًا معلومًا، أو مكانًا معروفًا.

* ﴿ لَّا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنتَ مَكَانًا سُوًى ﴾، أى: وسطًا تستوى إليه مسافة الجائى من الطرفين.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ لَّا نُخْلِفُهُ ﴾ [رقم: ٥٨].

قرأ أبو جعفر: ﴿ لا نخلفْه ﴾ بإسكان الفاء، وهو مضارع مجزوم فى جواب الأمر قبله وهو قوله ـ تعالى ـ: ﴿ فاجعل بيننا وبينك موعدا ﴾.

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ لا نخلفُه ﴾ برفع الفاء، وهو مضارع مرفوع لتجرده من الناصب والجازم، والجملة فى محلّ نصب صفة لـ «موعدًا»(١).

* ﴿ مَكَانًا سُوًى ﴾ [رقم: ٥٨].

قرأ ابن عامر، وعاصم، وحمزة، ويعقوب، وخلف البزّار: ﴿ سُوًى ﴾ بضم السين.

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ سِوًى ﴾ بكسر السين.

والضمّ والكسر لهجتان، أى: مكانًا وسطًا تستوى إليه مسافة الجائى من الطرفين(٢).

✳ **المعنى:** لمّا أفحم نبىّ الله «موسى» ـ عليه السلام ـ فرعون بالحجة والبرهان، خشى فرعون أن يتّبع الناس نبىّ الله «موسى» ويؤمنوا به، فقال له فرعون: أجئتنا يا موسى لتخرجنا من أرضنا، وتستولى عليها بسحرك، فلنأتينك بسحر مثله، وحينئذ

---

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٣/ ٢٢).

(٢) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٣/ ٢٢ ـ ٢٣).

سيظهـر كذبك، وأنك لست برسول كـما تدّعى، فاجـعل بيننا وبينك موعدًا يحـضره القوم ليشهدوا المباراة التى ستقوم بينك وبين السحرة وإنّا لواثقون من قوّة سحرتنا.

﴿ قال موعدُكُم يومُ الزّينة وأن يُحْشَر النَّاسُ ضُحى (٥٩) فتولّىٰ فرْعونُ فجمع كيده ثم أتىٰ (٦٠) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ قَالَ مَوْعِدُكُم يَوْمُ الزِّينَةِ ﴾، ورد فى معنى ذلك أقوال منها:

١ - قال مجاهد بـن جبر (ت ١٠٤هـ) وقتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) وعـبد الرحمن ابن زيد بن أسلم (ت ١٧٠هـ): قالوا: يوم الزينة: هو يوم عيد كان لهم.. اهـ[١].

٢ - وقال سعيد بن جبير (ت ٩٥هـ): يوم الزينة هو يوم السوق.. اهـ[٢].

* ﴿ وَأَن يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى ﴾:

* قال قتادة بن قدامة، أى: يجتمعون لذلك الميعاد الذى واعدوه.. اهـ[٣].

* ﴿ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ﴾، أى: حِيَله، والمراد: جَمْع السحرة.

* قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما): كـانوا اثنين وسبعين ساحرًا، مع كل ساحر حبال وعِصِىّ.. اهـ[٤].

* ﴿ ثُمَّ أَتَىٰ ﴾، أى: أتى فى المكان والزمان المتفق عليه بين الطرفين.

﴿ قال لهم موسىٰ ويْلكُمْ لا تفْترُوا على اللّه كذبا فيُسْحتكُم بعذابٍ وقدْ خاب من افترىٰ (٦١) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ ﴾، أى: قال لفرعون والسحرة.

* ﴿ وَيْلَكُمْ ﴾: دعاء عليهم بالويل.

* قال الأصمعىّ عبد الملك بن قريب أبو سعيد البصرى (ت ٢١٥هـ): «وَيْلٌ»: قُبح[٥].

(١ : ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٥٤٠).

(٤) انظر: تفسير القرطبى (١١/ ١٤٣).

(٥) انظر: المفردات للراغب الأصفهانى فى كتاب الواو ص ٥٣٥.

* ﴿ وَيْلَكُمْ ﴾: منصوب بفعل محذوف، بمعنى ألزمهم الله الويلَ.

* ﴿ لا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾، أى: لا تختلقوا على الله الكذب، ولا تشركوا به، ولا تقولوا للمعجزات إنها سحر.

* ﴿ فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ﴾، أى: يستأصلكم الله بعذاب فيهلككم.

* ﴿ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَىٰ ﴾، أى: خسر وهلك من ادّعى على الله ما لم يأذن به.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ﴾ [رقم: ٦١].

قرأ حفص، وحمزة، والكسائى، ورويس، وخلف البزّار: ﴿ فيُسحِتكم ﴾ بضم الياء وكسر الحاء، لهجة (تميم ونجد).

وقرأ الباقون: ﴿ فيَسحَتكم ﴾ بفتح الياء والحاء، لهجة (الحجازيين).

والقراءة الأولى مضارع «أسحته» الثلاثى المزيد بالهمزة.

والقراءة الثانية مضارع «سحته» الثلاثى المجرّد[١].

﴿ فتنازعوا أمرهم بينهم وأسروا النجوى (٦٢) قالوا إن هذان لساحران يريدان أن يخرجاكم من أرضكم بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى (٦٣) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ ﴾، أى: تشاور السحرة فيما بينهم فى أمرهم.

* ﴿ وَأَسَرُّوا النَّجْوَىٰ ﴾، اختلف العلماء فى الذى أسرَّه السّحرة:

أولا: قال قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ): قالوا ـ أى السحرة ـ: إن كان ما جاء به سحرًا فسنغلبه، وإن كان من عند الله فسيكون له أمر.. اهـ[٢].

ثانيًا: قال الكلبى محمد بن السائب بن بشر (ت ١٤٦هـ): الذى أسّره السحرة قولهم: إن غلبنا اتّبعناه.. اهـ[٣].

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٣/ ٢٣ ـ ٢٤).

(٢، ٣) انظر: تفسير القرطبى (١١/ ١٤٤).

* ﴿ النَّجْوَى ﴾، أي: المناجاة.

* ﴿ قَالُوا إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ ﴾، المراد: موسى وهارون ـ عليهما السلام ـ.

* ﴿ يُرِيدانِ أن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم ﴾: مصر. * ﴿ بِسِحْرِهِمَا ﴾.

* ﴿ وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَىٰ ﴾:

* قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم (ت حوالى ١٧٠هـ): أي: يذهب ـ موسى وهارون ـ بالذى أنتم عليه.. اهـ(١).

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ ﴾ [رقم: ٦٣].

قرأ حفص: ﴿ إِنْ ﴾ بتخفيف النون، و﴿ هاذان ﴾ بالألف بعدها نون خفيفه، على أنّ «إِنْ» مخففة من الثقيلة مهملة، و﴿ هاذان ﴾ مبتدأ و﴿ لساحران ﴾ الخبر، واللام هى الفارقة بين «إِنْ» المخفّفة والنافية.

وقرأ ابن كثير مثل قراءة حفص إلا أنه شدّد النون من ﴿ هاذانّ ﴾ وذلك للتعويض عن ألف المفرد التى حذفت فى التثنية.

وقرأ أبو عمرو: ﴿ إِنَّ ﴾ بتشديد النون، و﴿ هذين ﴾ بالياء، على أنّ «إنّ» هى المؤكدة العاملة، و«هذين» اسمها، واللام للتأكيد، و﴿ ساحران ﴾ خبرها.

وقرأ الباقون وهم: نافع، وابن عامر، وشعبة، وحمزة، والكسائى، وأبو جعفر، ويعقوب، وخلف البزّار: ﴿ إنّ ﴾ بتشديد النون، و﴿ هذان ﴾ بالألف، على أنّ «إنّ» هى الناصبة، و﴿ هذان ﴾ اسمها، جاء على لغة من يلزم المثنّى الألف فى كل حال، وهم: بنو الحارث بن كعب قال الشاعر (هوير الحارثى):

تزوّد منّا بين أذناه طعنة   دعته إلى هابى التراب عقيم

فأتى بالألف فى موضع الخفض.

وحكى الكسائى عن بعض العرب: من يشترى منِّى خُفَّان(٢).

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٥٤١). (٢) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٣/ ٢٤).

﴿ فأجمعوا كيدكم ثم ائتوا صفًا وقد أفلح اليوم من استعلى (٦٤) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ﴾: الإجماع: الإحكام والعزم على الشىء. تقول: أجمعتُ الخروج، وعلى الخروج: أى عزمتُ.

* ﴿ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا ﴾، أى: صفوفًا ليكون أشدّ لهيبتكم.

* ﴿ وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَىٰ ﴾، أى: مَنْ غلب.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ﴾ [رقم: ٦٤].

قرأ أبو عمرو: ﴿ فاجْمَعوا ﴾ بهمزة وصل، وفتح الميم، على أنه فعل أمر من «جمع» الثلاثى ضدّ «فرق» بمعنى الضمّ، ويلزمه الإحكام.

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ فأَجْمِعوا ﴾ بهمزة قطع مفتوحة وكسر الميم، على أنه فعل أمر من «أجمع» الرباعى[1].

﴿ قالوا يا موسى إمّا أن تلقي وإمّا أن نكون أول من ألقى (٦٥) قال بل ألقوا فإذا حبالهم وعصيهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى (٦٦) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴾: فاعل «قال» الواو، والمراد بها السَّحرة.

* ﴿ قَالَ بَلْ أَلْقُوا ﴾: فاعل «قال» ضمير مستتر تقديره «هو» والمراد به «موسى» ـ عليه السلام ـ.

* ﴿ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ ﴾ فى الكلام حذف دلّ عليه المقام والتقدير: فألقوا فإذا حبالهم وعصيهم، و«إذا» هذه يُسَمِّيها العلماء «إذا الفجائية».

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٣/ ٢٥).

* ﴿ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴾: يُقال: إنهم لطّخوا العصىّ بالزئبق، فلمّا أصابها حرُّ الشمس اهتزّت وارتعشت، حتى خُيِّل إلى «موسى» ـ عليه السلام ـ أنها حيات تسعى على بطنها.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴾ [رقم: ٦٦].

قرأ ابن ذكوان، ورَوْح: ﴿ تخيل ﴾ بتاء التأنيث مبنىّ للمجهول مسند إلى ضمير يعود على «العصىّ والحبال» وهى مؤنثة.

وقرأ الباقون: ﴿ يخيل ﴾ بياء التذكير، لأن تأنيث العصىّ والحبال غير حقيقى[١].

﴿ فأوجس في نفسه خيفةً مُّوسىٰ (٦٧) قُلْنا لا تخفْ إنَّك أنت الأعْلىٰ (٦٨) وألْق ما في يمينك تلْقفْ ما صنعُوا إنَّما صنعُوا كيْدُ ساحرٍ ولا يُفْلحُ السَّاحرُ حيْثُ أتىٰ (٦٩) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴾، أى: وجد فى نفسه «موسى» خيفة.

* ﴿ قُلْنَا لا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الأَعْلَىٰ ﴾، أى: الغالب لهم.

* ﴿ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا ﴾، أى: لا تبال بكثرة حبالهم وعصيهم، وألق «العصا» التى فى يمينك فإنها بقدرة الله ـ تعالى ـ تلقف أى: تبتلع ما صنعوا.

* ﴿ إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ ﴾، أى: إنّ الذى صنعوه كيد ساحر.

* ﴿ وَلا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴾: أى: لا يفوز الساحر حيث احتال بسحره.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا ﴾ [رقم: ٦٩].

قرأ ابن ذكروان: ﴿ تلَقّفُ ﴾ بفتح اللام، وتشديد القاف، ورفع الفاء، مضارع «تلقّف يتلَقّف» والرفع على الاستئناف. أى: فإنها تلقّفُ أى: تبتلع.

---

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٣/ ٢٦).

وقـرأ حفص: ﴿ تلْقَفْ ﴾ بإسكان اللام، وجزم الفاء في جواب الأمر، وهو قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وألق ما في يمينك ﴾.

وقرأ البـاقون من القراء العـشرة: ﴿ تلَقَّفْ ﴾ بفتح اللام، وتشـديد القاف، وجزم الفاء، على أنه مضارع، وجُزِم في جواب الأمر[١].

* ﴿ إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ ﴾ [رقم: ٦٩].

قرأ حمـزة، والكسائي، وخلف البزّار: ﴿ سِحْرٍ ﴾ بكسر السين، وإسكان الحاء، وحذف الألف، على أنه مصدر بمعنى اسم الفاعل.

وقرأ البـاقون من القراء العـشرة: ﴿ ساحر ﴾ بفتح السـين وألف بعدها وكـسر الحاء، على أنه اسم فاعل، أضيف إليه «كيد» وهو من إضافة المصدر لفاعله[٢].

﴿ فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَرُونَ وَمُوسَىٰ (٧٠) ﴾

معاني المفردات:

* ﴿ فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا ﴾: لما رأوا من عظيم الأمر وخـرق العادة في العصا، فإنها ابتلعت جميع ما احتالوا به من الحبال والعصيّ، ثم عادت عَصًا لا يعلم أحد أين ذهبت الحبال والعصـيّ إلا الله ـ تعالى ـ حينئذ * ﴿ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَرُونَ وَمُوسَىٰ ﴾، وقال ـ تعـالى ـ في سورة الشـعراء: ﴿ فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ (٤٦) قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٧) رَبِّ مُوسَىٰ وَهَرُونَ (٤٨) ﴾ [الشعراء: ٤٦ ـ ٤٨].

﴿ قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ (٧١) قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٧٢) ﴾

معاني المفردات:

* ﴿ قَالَ ﴾، أي: فرعون للسحرة: * ﴿ آمَنتُمْ لَهُ ﴾، أي: بموسى.

(١ ، ٢) انظر: المغني في توجيه القراءات العشر (٣/ ٢٦).

* ﴿ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ ﴾، أى: قبل أن آمركم، وهذا إنكار منه عليهم.

* ﴿ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ ﴾، أى: رئيسكم فى التعليم، وإنما غلبكم لأنه أحذق بالسحر منكم. وإنما أراد فرعون بقوله هذا ليشبّه على الناس حتى لا يتبعوهم فيؤمنوا كإيمانهم، وإلا فإن فرعون قد علم أن السحرة لم يتعلّموا من «موسى» ـ عليه السلام ـ، وإنّما عُلِّموا السِّحْرَ قبل ولادة «موسى».

* ﴿ فَلأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلافٍ وَلأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ ﴾، أى: على جذوع النخل، فقطّع وصلّب حتى ماتوا ـ رحمهم الله تعالى ـ وهم صابرون محتسبون.

* ﴿ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴾: هل أنا أمْ ربُّ موسى؟.

* ﴿ قَالُوا ﴾، أى: السحرة: * ﴿ لَن نُّؤْثِرَكَ ﴾، أى: لن نختارك يا فرعون.

* ﴿ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ ﴾:

* قال ابن عباس (ت ٦٨ هـ ـ رضى الله عنهما) المراد: من اليقين والعلم(١).

* ﴿ وَالَّذِي فَطَرَنَا ﴾: معطوف على ﴿ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ ﴾: أى: لن نختارك يا فرعون على ما جاءنا من البينات، ولا على الذى فطرنا أى: خلقنا وأوجدنا من العدم.

* ﴿ فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ ﴾، أى: ما أنت قاضيه يا فرعون. وهذا منتهى التسليم لأمر الله، والرضا بقضائه وقدره، وهذا هو الإيمان الحقيقىّ الذى لا ريب فيه.

* ﴿ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾، أى: إنما تقضى أمور هذه الحياة الدنيا المتمثلة فى الحركة وهى بلا شكٍ نهايتها الموت والفناء.

﴿ إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ (٧٣) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا ﴾، أى: صدَّقنا بالله وحده لا شريك له.

* ﴿ لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا ﴾، أى: الشرك الذى كانوا عليه.

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (١١/ ١٥٠).

* ﴿ وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ ﴾: «ما» اسم موصول بمعنى الذى فى موضع نصب عطفًا على «خطايانا».

* ﴿ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾، أى: الله خير لنا إن أطعناه، وأبقى عذابًا منك إن عصيناه.

* وقال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) معنى ذلك: الله ثوابه خير وأبقى.. اهـ(١).

﴿ إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ (٧٤) وَمَن يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ (٧٥) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا ﴾، أى: مشركًا ويموت على شركه.

* ﴿ فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴾، أى: يخلّد خلودًا أبديًا.

* أخرج مسلم، وأحمد، وابن أبى حاتم، وابن مردويه، عن أبى سعيد الخدرىّ ـ رضى الله عنه ـ: أن رسول الله ﷺ خطب فأتى على هذه الآية: ﴿ إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴾، فقال رسول الله ﷺ: «أمّا أهلها الذين هم أهلها فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون، وأمّا الذين ليسوا بأهلها فإن النار تميتهم إماتة، ثم يقوم الشفعاء فيشفعون، فيؤتى بهم صبائر على نهر يقال له الحياة أو الحيوان فينبتون كما تنبت القثّاء فى حميل السيل» والله أعلم.. اهـ(٢).

* ﴿ وَمَن يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ ﴾، أى: الطاعات وما أمر الله به، وترك ما نهى الله عنه.

* ﴿ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ ﴾، أى: الدرجات الرفيعة التى قصرت دونها الصفات.

* عن أبى سعيد الخدرىّ ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ أهل الدرجات العُلى ليراهم من تحتهم كما ترون الكوكب الدرِّىّ فى أفق السماء، وإن أبا بكر وعمر منهم» اهـ(٣).

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (١١/ ١٥١).

(٢، ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٥٤٢).

* وعن أبي الدرداء ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «ثلاث من كن فيه لم ينل الدرجات العُلى: من تكهّن، أو استقسم، أو ردّه من سفره طِيَرة» اهـ[1].

﴿ جنَّاتُ عدْنٍ تجري من تحْتِها الأنْهارُ خالدين فيها وذلك جزاءُ من تزكَّىٰ (٧٦) ولقد أوْحينا إلىٰ موسىٰ أنْ أسْرِ بعِبادي فاضْرِبْ لهُمْ طريقًا في الْبحرِ يبسا لاَّ تخافُ دركا ولا تخْشىٰ (٧٧) ﴾

معاني المفردات:

* ﴿ جنَّاتُ عدْنٍ ﴾: بيان للدّرجات العُلى، وبدل منها، والعَدْن: الإقامة.

* ﴿ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ﴾، أي: تجرى من تحت قصورها وغرفها الأنهار: من الماء، واللبن، والخمر، والعسل، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ ﴾ [محمد: ١٥].

* ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا ﴾، أي: ماكثين فيها دائمين.

* ﴿ وَذَلِكَ جَزَاءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴾، أي: من تطهّر من الكفر والمعاصى.

* ﴿ وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي ﴾، أي: أسر بهم ليلا من أرض مصر، قال الله ـ تعالى ـ في آية أخرى: ﴿ فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلاً إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ (٢٣) ﴾ [الدخان: ٢٣].

* ﴿ فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا ﴾:

* قال محمد بن كعب بن مسلم (ت ١١٧ ـ أو ١٢٠هـ) معنى ذلك: يابسًا ليس فيه ماء ولا طين.. اهـ[2].

* ﴿ لاَّ تَخَافُ دَرَكًا وَلا تَخْشَىٰ ﴾:

* قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ لاَّ تَخَافُ دَرَكًا ﴾: من آل فرعون. * ﴿ وَلا تَخْشَىٰ ﴾ من البحر غرقًا[3].

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٥٤٢).

(٢، ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٥٤٣).

القراءات وتوجيهها:

* ﴿لَّا تَخَافُ دَرَكًا﴾ [رقم: ٧٧].

قرأ حمزة: ﴿لا تَخَفْ﴾ بحذف الألف، وجزم الفاء، وهو مجزوم فى جواب الأمر وهو قوله - تعالى - قبلُ: ﴿فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا﴾ ويجوز أن تكون «لا» ناهية والفعل مجزوم بها، والجملة حينئذ مستأنفة.

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿لا تخافُ﴾ بإثبات الألف، ورفع الفاء، على أن الجملة مستأنفة(١).

﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُم مِّنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنجَيْنَاكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ ﴿٨٠﴾﴾

معانى المفردات:

* ﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ﴾، أي: أتبعهم ومعه جنوده.

* ﴿فَغَشِيَهُم مِّنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾، أي: أصابهم من البَحْر ما غرّقهم.

* ولعلّ الحكمة من التكرير: التهويل من عظم ما أصابهم.

* ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَىٰ﴾، أي: أضلّهم عن الرشد وما هداهم إلى خير ولا نجاة، لأنه قدّر أن «موسى» - عليه السلام - ومن معه لا يفوتونه، لأنّ بين أيديهم البحر، وهو من خلفهم، فلمّا ضرب «موسى» البحر بعصاه بأمر الله - تعالى - انفلق منه اثنا عشر طريقًا بعدد الأسباط منهم، فكان كل فرق كالطود العظيم أى: الجبل الكبير، فأخذ كل سبط طريقًا.

فلمّا أقبل فرعون وجنوده ورأى الطرق فى البحر والماءَ قائمًا، دخل هو وجنوده فانطبق البحر عليهم فغرقوا جميعًا.

---

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٣/ ٢٧).

قال الله ـ تعالى ـ فى سورة الشعراء: ﴿ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ أَجْمَعِينَ (٦٥) ثُمَّ أَغْرَقْنَا الآخَرِينَ (٦٦) ﴾ [الشعراء: ٦٥ ـ ٦٦].

* ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنجَيْنَاكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ ﴾: لما أنجاهم الله من فرعون قال لهم هذا ليشكروه.

* ﴿ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الأَيْمَنَ ﴾: ﴿ جانب ﴾ نصب لأنه المفعول الثانى لـ«واعدنا».

و﴿ الأيمنَ ﴾ نصب لأنه نعت لـ «جانبَ» إذْ ليس للجبل يمين ولا شمال، وإنما كان الجبل على يمين «موسى» وقت أنْ أتاه. ومعنى الآية: وواعدناكم إتيان جانب الطور الأيمن، والوعد كان لنبىِّ الله «موسى» ـ عليه السلام ـ، ولكن خوطبوا تكريمًا لهم ولأنّ الوعد كان من أجلهم.

* ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ ﴾، فى التِّيه، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ ﴾ [البقرة: ٥٧].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ أَنجَيْنَاكُم ـ وَوَاعَدْنَاكُمْ ـ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾ من قوله ـ تعالى ـ: ﴿ قَدْ أَنجَيْنَاكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الأَيْمَنَ ﴾ [رقم: ٨٠]، ومن قوله ـ تعالى ـ: ﴿ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾ [رقم: ٨١].

قرأ حمزة، والكسائى، وخلف البزّار: ﴿ أنجيتكم ـ وواعدتكم ـ ما رزقتكم ﴾ بتاء المتكلم من غير ألف فى الأفعال الثلاثة، وذلك على لفظ الواحد المخبر عن نفسه.

وقرأ الباقون: ﴿ أنجيناكم ـ وواعدناكم ـ ما رزقناكم ﴾ بنون العظمة.

وقرأ أبو عمرو، وأبو جعفر، ويعقوب: ﴿ ووعدناكم ﴾ بحذف الألف التى بعد الواو، وقرأ الباقون بإثباتها[١].

---

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٣/ ٢٧ ـ ٢٨).

﴿ كُلُوا من طَيِّبات ما رزَقْناكُمْ ولا تطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عليْكُمْ غضبِي ومن يحْلِلْ عليه غضبِي فقد هوىٰ (٨١) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾: فى معنى ذلك قولان:

الأول: المراد من لذيذ الرزق. والثانى: المراد: من حلاله.

* ﴿ وَلا تَطْغَوْا فِيهِ ﴾:

* عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) قال: الطغيان فيه أن يأخذه بغير حلّه.. اهـ(١).

* ﴿ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي ﴾:

* أخرج عبد الرزّاق، وعبد بن حميد، وابن أبى حاتم فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ فيحل عليكم غضبى ﴾ قال: فينزل عليكم غضبى.. اهـ(٢).

* ﴿ ومن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ ﴾:

* قال ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ فَقَدْ هوىٰ ﴾ قال: فقد شقى.. اهـ(٣).

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَن يحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي ﴾ [رقم: ٨١].

قرأ الكسائى بضم الحاء من ﴿ فيحل ﴾ واللام من ﴿ يحلل ﴾ على أنهما مضارعان من «حلّ يحلّ» بالضم: إذا نزل بالمكان. والمعنى: فينزل عليكم غضبى ومن ينزل عليه غضبى فقد هوى، وهو خطاب لبنى إسرائيل.

وقرأ الباقون من القراء العشرة بكسر الحاء من ﴿ فيحلّ ﴾ واللام من ﴿ يحلل ﴾ على أنهما مضارعان من حلّ عليه الدَّين يَحِلّ بكسر الحاء، أى: وجب قضاؤه.

والمعنى: فيجب عليكم غضبى ومن يجب عليه غضبى فقد هوى(٤).

(١ : ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٥٤٤).

(٤) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٣/ ٢٨).

﴿ وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدىٰ (٨٢) وما أعجلك عن قومك يا موسىٰ (٨٣) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ ﴾، أى: من الشرك.

* ﴿ وآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ ﴾:

* قال قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) وسفيان الثورى (ت ١٦١هـ): معنى ذلك: أقام على إيمانه حتّى مات عليه.. اهـ[١].

* ﴿ وَمَا أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَا مُوسَىٰ ﴾، أى: ما حملك على أن تسبقهم.

﴿ قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَىٰ أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ (٨٤) قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِن بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ (٨٥) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَىٰ أَثَرِي ﴾:

المعنى: لما قال الله ـ تعالى ـ لنبيه «موسى» ـ عليه السلام ـ: ﴿ وَمَا أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَا مُوسَىٰ ﴾ قال «موسى» مجيبًا لربِّه: ﴿ هُمْ أُولَاءِ عَلَىٰ أَثَرِي ﴾: يقال: جاء على أثره بمعنى جاء بعده ولم يتخلّف عنه طويلا.

* ﴿ وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴾:

المعنى: عجلت إلى المجىء إلى الموضع الذى أمرتنى بالمسير إليه لترضى عنّى يا ربَّ العالمين، والعَجَلة خلاف البطْء. يقال: رجلٌ عَجِلٌ وعَجُول بيِّن العَجَلة.

* ﴿ قَالَ ﴾، أى: الله ـ تعالى ـ: * ﴿ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِن بَعْدِكَ ﴾، أى: اختبرناهم وامتحنّاهم.

* وقيل: فتنّاهم ألقيناهم فى الفتنة، أى: زينّا لهم عبادة العجل. ولهذا قال «موسى» كما أخبر الله عنه فى آية أخرى: ﴿ إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ ﴾ [الأعراف: ١٥٥].

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (١١/ ١٥٤).

* ﴿ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ ﴾: أي: دعاهم إلى الضلالة وهي عبادة العجل، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاً جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ (٨٨) ﴾ [طه: ٨٨].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَىٰ أَثَرِي ﴾ [رقم: ٨٤].

قرأ رويس: ﴿ إِثْرى ﴾ بكسر الهمزة، وسكون الثاء.

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ أَثَرى ﴾ بفتح الهمزة والثاء. وهما لهجتان بمعنى: بعدي. يقال: جاء على أَثَره بمعنى جاء بعده ولم يتخلّف عنه طويلا(١).

﴿ فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي (٨٦) ﴾

معاني المفردات:

* ﴿ فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا ﴾، أي: حزينًا.

* ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا ﴾: في الوعد الحسن قولان:

القول الأول: وعدهم الله ـ عزّ وجلّ ـ المغفرة والجنة إذا هم أقاموا على طاعته ودليل ذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ (٨٢) ﴾ [طه: ٨٢].

القول الثاني: وعدهم الله ـ تعالى ـ النصر والظفر على الأعداء.

* ﴿ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ ﴾:

المعنى: أفنسيتم عهد الله، لأن الشيء قد يُنْسى لطول العهد.

* ﴿ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي ﴾: لأنهم وعدوه أن يقيموا على طاعة الله إلى أن يرجع إليهم من الطور.

﴿ قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ (٨٧) ﴾

(١) انظر: المغني في توجيه القراءات العشر (٣/ ٢٩).

معانى المفردات:

* ﴿ قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا ﴾:

* قال مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) والسدّى إسماعيل بن عبد الرحمن (ت ١٢٧هـ): معنى ﴿ بِمَلْكِنَا ﴾ بفتح الميم: بطاقتنا.. اهـ[١].

* ﴿ وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا ﴾، أى: أثقالا.

* ﴿ مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ ﴾، أى: من حُلِيِّهم، وكانوا استعاروه حين أرادوا الخروج مع «موسى» ـ عليه السلام ـ، وأوهموهم أنهم يجتمعون فى عِيدٍ لهم أوْ وليمة. وسمِّيت أوزارًا بسبب أنها كانت آثامًا، لأنها لم تحلَّ لهم. والأوزار فى اللغة: الأثقال.

* ﴿ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ ﴾:

* قال قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ): إنَّ السامرىَّ قال لهم حين استبطأ القومُ «موسى» ـ عليه السلام ـ: إنما احتبس عليكم من أجل ما عندكم من الحلىّ، فجمعوه ودفعوه إلى السامرىِّ فرمى به فى النار، وصاغ لهم منه عِجْلا، ثم ألقى عليه قبضة من أثر فرس الرسول: «جبريل» ـ عليه السلام ـ.. اهـ[٢].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا ﴾ [رقم: ٨٧].

قرأ حمزة، والكسائى، وخلف البزار: ﴿ بمُلكنا ﴾ بضم الميم.

وقرأ نافع، وعاصم، وأبو جعفر بفتح الميم.

وقرأ الباقون من القراء العشرة بكسر الميم.

وكلها لهجات من مصدر «ملك يملك» والمعنى: ما أخلفنا العهد الذى بيننا بطاقتنا، وإرادتنا، واختيارنا، بل كنا مكرهين[٣].

* ﴿ وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ ﴾ [رقم: ٨٧].

(١ ، ٢) انظر: تفسير القرطبى (١١/ ١٥٦).

(٣) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٣/ ٢٩).

قرأ نافع، وابن كثير، وابن عامر، وحفص، وأبو جعفر، ورويْس: ﴿ حُمِّلنا ﴾ بضم الحاء، وكسر الميم مشدّدة، على أنه فعل ماض مبنىّ للمجهول من «حمّل» مضعّف العين متعدّ لاثنين: الأوّل: «نَا» وهى نائب الفاعل، والثانى «أوزارًا».

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ حَمَلنا ﴾ بفتح الحاء والميم مخففة، على أنه فعل ماض ثلاثى مبنىّ للمعلوم متعدّ لمفعول واحد وهو: «أوزارًا» و «نَا» فاعل[١].

﴿ فأخرج لهم عجلا جسدا له خوار فقالوا هذا إلهكم وإله موسى فنسي (٨٨) أفلا يرون ألا يرجع إليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا (٨٩) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاً جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ ﴾:

* عن قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) قال: كان الله وقّت لموسى ـ عليه السلام ـ ثلاثين ليلة ثم أتمّها بعشر، فلمّا مضت الثلاثون قال عدوّ الله السامرىّ: إنما أصابكم الذى أصابكم عقوبة بالحلىّ الذى معكم فهلمّوا وكانت حليّا استعاروها من آل فرعون، فساروا وهى معهم، فأعطوها السامرىّ فصاغ منها عِجْلا، ثم أخذ القبضة التى قبضها من أثر فرس «جبريل» ـ عليه السلام ـ فقذفها فى جوف العجل، فإذا هو عجل جسد له خوار، فجعل يخور خوار البقر.. اهـ[٢].

* وعن السدّى إسماعيل بن عبد الرحمن (ت ١٢٧هـ) قال: فلما رأوه أى: العجل، قال لهم السامرى: ﴿ هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ ﴾ فعكفوا عليه يعبدونه.. اهـ[٣].

* وعن قتادة فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ ﴾ قال: قال لهم السامرىّ: موسى نسى ربّه عندكم[٤].

* وعن مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) وقتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ أَفَلا يَرَوْنَ أَلاَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلاً ﴾ الآية: المراد: ذلك العجل الذى اتخذوه إلها.. اهـ[٥].

---

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٣/ ٣٠).
(٢) انظر: تفسير الطبرى (٨/ ٤٤٦).
(٣، ٤) انظر: تفسير الطبرى (٨/ ٤٤٧).
(٥) انظر: تفسير الطبرى (٨/ ٤٤٨).

﴿ ولقدْ قَال لهُمْ هارُونُ مِن قَبْلُ يا قوْمِ إِنَّما فُتنتُم به وإِنَّ ربَّكُمُ الرَّحْمنُ فاتَّبعُوني وأطيعُوا أمْري (٩٠) قَالُوا لَن نَّبْرح عليْه عاكفين حتَّىٰ يرْجع إِلَيْنا مُوسىٰ (٩١) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِن قَبْلُ ﴾، أى: من قبل أن يرجع موسى من مناجاة ربِّه.

* ﴿ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِ ﴾:

* عن السدّى إسماعيل بن عبد الرحمن (ت ١٢٧هـ) قال معنى ذلك: قال لهم «هارون» يا قوم إنما ابتليتم به، أى: بالعجل.. اهـ(١).

* ﴿ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ ﴾ لا العجل، وهذا كله من كلام «هارون».

* ﴿ فَاتَّبِعُونِي ﴾، أى: فى عبادة الرحمن الواحد القهار.

* ﴿ وَأَطِيعُوا أَمْرِي ﴾: لا أمر السّامرىّ فعصوه وقالوا:

* ﴿ قَالُوا لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ ﴾، أى: لن نزال مقيمين على عبادة العجل.

* ﴿ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴾: من المناجاة، وننظر هل سيعبده كما عبدناه أو لا، لأنهم توهموا أن «موسى» سيعبده.

﴿ قَال يا هارُونُ ما منعك إِذْ رأَيْتهُمْ ضلُّوا (٩٢) ألاَّ تتَّبعن أفعصيت أمْري (٩٣) قَال يا بنؤُمَّ لا تأْخُذْ بلحْيتي ولا برأْسي إِنِّي خشيتُ أن تقُول فرَّقْت بين بني إِسرائيل ولم ترْقُب قوْلي (٩٤) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ﴾، أى: كفروا بعبادتهم العجل.

* ﴿ أَلاَّ تَتَّبِعَنِ ﴾: فى معنى ذلك قولان:

١ ـ أى: ما منعك من اتباعى فى الإنكار عليهم.

٢ ـ وقيل: ما منعكَ من اللّحوق بى.

---

(١) انظر: تفسير الطبرى (٨/ ٤٤٩).

* ﴿ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ﴾:

* قيل: إن أمره هو ما حكاه الله عنه فى سورة الأعراف رقم ١٤٢: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ (١٤٢) ﴾، فلمّا أقام معهم ولم يبال فى منعهم، والإنكار عليهم، نسبه «موسى» إلى عصيانه ومخالفة أمره.

* ﴿ قَالَ يَا ابْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي ﴾:

* قال ابن عباس (ت ٦٨هـ - رضى الله عنهما): أخذ شعره بيمينه ولحيته بيساره.. اهـ[١].

* ﴿ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾:

* قال عبد الرحمن بن زيد (ت حوالى ١٧٠هـ) معنى ذلك: إنّى خشيتُ أن يتبعنى بعضهم ويتخلف بعضهم.. اهـ[٢].

* ﴿ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴾:

* عن ابن جريج عبد الملك بن عبد العزيز (ت ١٥٠هـ) قال معنى ذلك: لم تنتظر قولى وما أنا صانع وقائل.. اهـ[٣].

﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ (٩٥) قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي (٩٦) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ قَالَ ﴾، أى: «موسى» - عليه السلام -: * ﴿ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ ﴾، أى: ما أمرك وشأنك، وما الذى حملك على ما صنعت؟.

* ﴿ قَالَ ﴾، أى: السامرىّ مجيبًا «موسى» - عليه السلام -:

* ﴿ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ ﴾، أى: رأيتُ ما لم يروا: رأيت «جبريل» - عليه السلام - على فرس الحياة فأُلقى فى نفسى أن أقبض من أثره قبضة، فما ألقيته على شيء إلا صار له روح، فلما سألوك أن تجعل لهم إلها زيّنت لى نفسى ذلك.

---

(١) انظرك تفسير القرطبى (١١/ ١٥٩).
(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٥٠٨).
(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٥٤٨).

* ﴿ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ ﴾:

* قال مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) معنى ذلك: فقبضت قبضة من تحت حافر فرس «جبريل» ـ عليه السلام ـ.. اهـ(١).

* ﴿ فَنَبَذْتُهَا ﴾، أى: طرحتها فى العجل. * ﴿ وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ﴾: أى: زيّنت وحسّنت.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ ﴾ [رقم: ٩٦].

قرأ حمزة، والكسائى، وخلف البزّار: ﴿ بما لم تبصروا به ﴾ بتاء الخطاب، والمخاطب نبى الله «موسى» ـ عليه السلام ـ وقومه.

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ بما لم يبصروا به ﴾ بياء الغيب، على أنّ الفعل مسند إلى ضمير الغائبين وهم بنو إسرائيل(٢).

﴿ قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُ وَانظُرْ إِلَىٰ إِلَٰهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا (٩٧) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ قَالَ فَاذْهَبْ ﴾، أى: قال «موسى» ـ عليه السلام ـ إلى السامرىّ: اذهب من بيننا ولا تبق معنا.

* ﴿ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ﴾: هذا دعاء من «موسى» ـ عليه السلام ـ على (السامرى) عقوبة له على ما صنع، ومعنى ﴿ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ﴾، أى: لا أَمسّ ولا أُمسّ طول الحياة، وقد استجاب الله ـ تعالى ـ دعوة «موسى» ـ عليه السلام ـ: قال الحسن البصرى (ت ١١٠هـ): جعل الله عقوبة السّامرىّ: ألا يماسّ الناس ولا يماسّوه عقوبة له ولما كان منه إلى يوم القيامة، وجعل ذلك عقوبة له فى الدنيا.. اهـ(٣).

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٥٤٨).
(٢) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٣/ ٣٠).
(٣) انظر: تفسير القرطبى (١١/ ١٦٠).

* ﴿ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُ ﴾: وهو يوم القيامة. و﴿ مَوْعِدًا ﴾ مصدر ميمى بمعنى «الوعد».

* ﴿ وَانظُرْ إِلَىٰ إِلَٰهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ﴾:

* قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) معنى ذلك: أى: أقمت عليه عاكفًا.. اهـ[١].

* وعن ابن عباس فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ لَّنُحَرِّقَنَّهُ ﴾ أى: بالنار.

* ﴿ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ﴾، قال معنى ذلك: لنذرِّينّه فى البحر.. اهـ[٢].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُ ﴾ [رقم: ٩٧].

قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب: ﴿ لن تخلِفه ﴾ بكسر اللام، على أنه مضارع مبنىّ للمعلوم، وهو يتعدّى إلى مفعولين: الأول: الهاء، والثانى: محذوف تقديره: لن تُخلف الوعدَ اللهَ.

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ لن تخلَفه ﴾ بفتح اللام، مضارع مبنى للمجهول، وهو يتعدّى إلى مفعولين أيضًا:

الأول: نائب الفاعل وهو ضمير المخاطب المستتر.

والثانى: الهاء العائدة على «موعدا». والمعنى: لن يخلفك الله موعدًا[٣].

* ﴿ لَّنُحَرِّقَنَّهُ ﴾ [رقم: ٩٧].

قرأ ابن وردان: ﴿ لَنَحْرُقَنّه ﴾ بفتح النون، وإسكان الحاء، وضمّ الراء مخفّفة، وهو مضارع «حَرَق» الثلاثىّ.

يقال: حرَق الحديد بفتح الراء يحرُقه بضمها: إذا برده بالمبرد.

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٥٤٨).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٥٤٩).

(٣) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٣/ ٣١).

وقرأ ابن جمّاز: ﴿ لنُحْرِقنّه ﴾ بضم النون، وإسكان الحاء، وكسر الراء مخففة، وهو مضارع «أحرق» المزيد بالهمزة، يقال: أحرقه بالنار إحراقًا، وأحرقه تحريقًا.

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ لنُحَرِّقنه ﴾ بضم النون، وفتح الحاء، وكسر الراء مشدّدة، وهو مضارع «حرّق» مضعف الراء للمبالغة في الحرق[1].

﴿ إِنَّمَا إِلَٰهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لا إِله إِلاَّ هُو وسع كُلَّ شيْءٍ علْمًا (٩٨) كذلك نقُص عليك من أنْباء ما قدْ سبق وقدْ آتيْناك من لَّدُنَّا ذكْرًا (٩٩) ﴾

معاني المفردات:

* ﴿ إِنَّمَا إِلَٰهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَسِعَ كُلَّ شيْءٍ عِلْمًا ﴾، أي: وسع علمه كل شيء.

* ﴿ كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ ﴾: الخطاب لنبينا «محمد» ﷺ أي: كما قصصنا عليك يا رسول الله خبر «موسى» نقصّ عليك أنباء من قد سبق من الأمم ليكون تسلية لك وليدلّ على نبوّتك.

* ﴿ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴾: وهو القرآن، وسُمِّي القرآن ذِكرًا لما فيه من الذِّكر.

﴿ مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا (١٠٠) خالدين فيه وساءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامة حِمْلاً (١٠١) يوْمَ ينفخُ فِي الصُّورِ ونَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا (١٠٢) ﴾

معاني المفردات:

* ﴿ مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ ﴾، أي: عن القرآن فلم يؤمن به، ولم يعمل بما فيه.

* ﴿ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا ﴾:

* قال مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) معنى ذلك: أي: يحمل يوم القيامة إثما[2].

* ﴿ خَالِدِينَ فِيهِ ﴾، أي: مقيمين في جزائه، وجزاؤه جهنم وبئس القرار.

---

(١) انظر: المغني في توجيه القراءات العشر (٣/ ٣١ ـ ٣٢).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٤/ ٥٤٩).

* ﴿ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلاً ﴾:

* قال ابن عباس (ت ٦٨ هـ ـ رضى الله عنهما) معنى ذلك: بئس ما حملوا[١].

* ﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴾:

* قال سعيد بن جبير (ت ٩٥هـ): قيل لابن عباس (ت ٦٨ هـ ـ رضى الله عنهما) أرأيت قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴾ وقال فى موضع آخر: ﴿ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ﴾ [الإسراء: ٩٧]. فقال: إنّ ليوم القيامة حالات: فحالة يكونون زرقا، وحالة عميا[٢].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ ﴾ [رقم: ١٠٢].

قرأ أبو عمرو: ﴿ ننفخ ﴾ بفتح النون الأولى، وضمّ الفاء، مضارع مبنىّ للمعلوم مسند إلى ضمير العظمة.

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ يُنفَخ ﴾ بضم الياء، وفتح الفاء، مضارع مبنى للمجهول، نائب فاعله الجار والمجرور: ﴿ فى الصور ﴾[٣].

﴿ يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلاَّ عَشْرًا (١٠٣) نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلاَّ يَوْمًا (١٠٤) ﴾

معانى المفردات:

* عن ابن عباس (ت ٦٨ هـ ـ رضى الله عنهما) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ ﴾: قال: يتسارّون.. اهـ[٤].

وأصل الخفت فى اللغة: السكون، ثم قيل لمن خفض صوته خفته.

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٥٤٩).

(٢) انظر: تفسير القرطبى (١١/ ١٦٢).

(٣) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٣/ ٣٢).

(٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٥٥٠).

* ﴿ إن لَّبِثْتُمْ ﴾: «إنْ» نافية بمعنى «ما» أى: ما لبثتم فى الدنيا.
* ﴿ إلاَّ عَشْرًا ﴾، أى: عشر ليال.
* ﴿ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً ﴾ الآية:

قال قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) معنى ﴿ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً ﴾: أى: أعدلهم من الكفار. * ﴿ إن لَّبِثْتُمْ ﴾، أى: ما لبثتم فى الدنيا. * ﴿ إلاَّ يوْمًا ﴾ لما تقاصرت فى أنفسهم.. اهـ[1].

﴿ ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا (١٠٥) ﴾

سبب نزول هذه الآية:

* أخرج ابن المنذر، عن ابن جريج عبد الملك بن عبد العزيز (ت ١٥٠هـ) قال: قالت قريش: يا «محمد» كيف يفعل ربك بهذه الجبال يوم القيامة؟: فنزلت: ﴿ ويسْأَلُونَكَ عنِ الْجِبَالِ ﴾ الآية.. اهـ[2].

معانى المفردات:

* ﴿ ويسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ ﴾، أى: عن حال الجبال يوم القيامة.
* ﴿ فَقُلْ ﴾: قال القرطبى (ت ٦٧١هـ) فى تفسيره: كل سؤال فى القرآن «قُلْ» جاء بغير فاء إلا هذا، لأنّ المعنى: إنْ سألوك عن الجبال فقل، فتضمن الكلام معنى الشرط، وقد علم الله أنهم يسألونه عنها، فأجابهم قبل السؤال.

وتلك أسئلة تقدّمت سألوا عنها النبىّ ﷺ فجاء الجواب عقب السؤال، فلذلك كان بغير فاء.. اهـ[3].

* ﴿ ينسفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴾:

* قال ابن الأعرابى وغيره: معنى ذلك: يقلعها قلعًا من أصولها، ثم يصيرها رملا يسيل سيلا، ثم يصيرها كالصوف المنفوش تطيرها الرياح هكذا وهكذا.. اهـ[4].

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٥٥٠).

(٢) انظر: تفسير البغوى (٣/ ٢٣١)، وتفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٥٥٠)، وأسباب النزول للشيخ القاضى ص١٤٥.

(٣، ٤) انظر: تفسير القرطبى (١١/ ١٦٣).

﴿ فيذرُها قاعا صفْصفا (١٠٦) لا ترىٰ فيها عوجًا ولا أمْتًا (١٠٧) يومئذ يتبعون الداعي لا عوج لهُ وخشعت الأصواتُ للرَّحْمن فلا تسمعُ إلاَّ همسا (١٠٨) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ فَيَذَرُهَا ﴾: الضمير عائد على ﴿ الْجِبَالِ ﴾ فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ ويسْأَلُونك عَنِ الْجِبَالِ ﴾، أى: يذر مواضع الجبال.

* ﴿ قَاعًا صَفْصَفًا ﴾:

* قال قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) «القاع»: الأرض ـ أى: الملساء بلا نبات ولا بناء. و«الصفصف»: المستوية.. اهـ(١).

* ﴿ لا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلا أَمْتًا ﴾:

* قال الضحّاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ): ﴿ عِوَجًا ﴾ أى: ارتفاعًا.

* و«الأمت»: المبسوط.. اهـ(٢).

* وقال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما): «الأمت»: الشىء الشاخص من الأرض.. اهـ(٣).

* ﴿ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ ﴾: المراد به «إسرافيل» ـ عليه السلام ـ إذا نفخ فى الصور.

* ﴿ لا عِوَجَ لَهُ ﴾:

* قال قتادة بن دعامة، أى: لا يميلون عنه: أى عن دعائه(٤).

* ﴿ وَخَشَعَتِ الأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ ﴾، أى: ذلّت الأصوات وسكنت من أجل الرحمن.

* ﴿ فَلا تَسْمَعُ إِلاَّ هَمْسًا ﴾ فى معنى ذلك أكثر من قول وكلها متقاربة:

١ ـ قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) «الهمس»: الصوت الخفىّ.. اهـ(٥).

٢ ـ وقال مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ): «الهمس»: خفض الصوت بالكلام، يحرِّك لسانه وشفتيه ولا يسمع(٦).

(١ : ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٥٥٠).

(٤ : ٦) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٥٥١).

٣ ـ وقال سعيد بن جبير (ت ٩٥هـ): «الهمس»: سرُّ الحديث، وصوت الأقدام.. اهـ[١].

٤ ـ وقال ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ فى رواية ثانية وعكرمة مولى ابن عباس (ت ١٠٥هـ) والضحّاك بنَ مزاحم (ت ١٠٥هـ) قالوا: «الهمس»: صوت وطء الأقدام.. اهـ[٢]. والمراد: وقع الأقدام إلى المحشر.

﴿ يَوْمَئِذٍ لاَّ تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلاً (١٠٩) يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا (١١٠) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ يَوْمَئِذٍ ﴾، أى: يوم القيامة.

* ﴿ لاَّ تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ ﴾: «مَنْ» فى موضع نصب على الاستثناء، أى: لا تنفع الشفاعة أحدًا إلا شفاعة من أذن له الرحمن.

* ﴿ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلاً ﴾، أى: رضى قوله فى الشفاعة.

قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

* ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾:

١ ـ قال قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ): ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ﴾: من أمر الساعة.
* ﴿ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾ من أمر الدنيا.. اهـ[٣].

٢ ـ وقيل: ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ﴾، أى: ما يصيرون إليه من ثواب، أو عقاب.
* ﴿ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾، أى: ما خلّفوه وراءهم فى الدنيا[٤].

* ﴿ وَلاَ يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ﴾: الضمير فى «به» يعود على «العلم» أى: لا أحد يحيط بعلم الله ـ تعالى ـ.

﴿ وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا (١١١) ﴾

(١ ، ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٥٥١).

(٣ ، ٤) انظر: تفسير القرطبى (١١/ ١٦٤).

❀ معانى المفردات:

* ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ﴾، فى معنى ذلك أكثر من قول وكلها متقاربة:

١ - قال ابن عباس (ت ٦٨هـ - رضى الله عنهما) معنى ذلك: استسلمت وخضعت لله يوم القيامة.. اهـ[١].

٢ - وقال مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) معنى ذلك: خشعت[٢].

٣ - وقال قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) معنى ذلك: ذلّت[٣].

٤ - وقال أبو العالية الرياحىّ (ت ١٩٠هـ) معنى ذلك: خضعت[٤].

* ﴿لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ﴾ فى معنى القيوم قولان:

١ - معنى القيوم: القائم بتدبير الخلْق.

٢ - معنى القيوم: القائم على كل نفس بما كسبت[٥].

* ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾:

* قال قتادة بن دعامة معنى ذلك: من حمل شركا[٦].

﴿ومن يعملْ من الصَّالحَات وَهُو مُؤْمنٌ فلا يخافُ ظُلْما ولا هضْمًا (١١٢)﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ومن يَعْمَلْ منَ الصَّالحَات﴾: يجوز أن تكون «منْ» للتبعيض أى: شيئًا من الصالحات. ويجوز أن تكون «منْ» للجنس.

* ﴿وَهُوَ مُؤْمنٌ﴾: لأن الله لا يقبل أىَّ عمل بدون إيمان. قال الله - تعالى -: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا (٢٣)﴾ [الفرقان: ٢٣].

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٥٥٢).

(٢، ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٥٥١).

(٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٥٥٢).

(٥) انظر: تفسير القرطبى (١١/ ١٦٥).

(٦) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٥٥٢).

* ﴿ فَلا يخَافُ ظُلْمًا وَلا هَضْمًا ﴾:

* قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضي الله عنهما) ومجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) وقتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) قالوا: ﴿ فَلا يخَافُ ظُلْمًا ﴾، أي: يزاد عليه أكثر من ذنوبه ومعنى ﴿ ولا هضْمًا ﴾ : أي: يُنقص من حسناته شيء.. اهـ(١).

قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا ﴾ [النساء: ٤٠].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ فَلا يخَافُ ظُلْمًا وَلا هَضْمًا ﴾ [رقم: ١١٢].

قرأ ابن كثير: ﴿ فلا يَخَفْ ﴾ بجزم الفاء، على أنّ «لا» ناهية.

وقرأ الباقون: ﴿ فلا يخافُ ﴾ برفع الفاء، على أنّ «لا» نافية(٢).

﴿ وكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا (١١٣) ﴾

معاني المفردات:

* ﴿ وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ﴾، أي: كما بيَّنا لك في هذه السورة من البيان الذي تضمنته أنزلنا عليك يا رسول الله القرآن بلغة العرب فيه ذكرهم. قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلا تَعْقِلُونَ (١٠) ﴾ [الأنبياء: ١٠].

* ﴿ وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ ﴾، أي: بينا في القرآن من التخويف والتهديد، والثواب والعقاب.

* ﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾، أي: يخافون الله فيجتنبون معاصيه، ويخافون عقابه.

* ﴿ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴾، في معنى ذلك أكثر من قول:

١ ـ فعن قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) معنى ذلك: أي: يحدث لهم حذرًا وورعًا.. اهـ(٣).

٢ ـ وقيل معنى ذلك: ليتذكروا العذاب الذي وعدهم الله به(٤).

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٤/ ٥٥٢).

(٢) انظر: المغني في توجيه القراءات العشر (٣/ ٣٢).

(٣، ٤) انظر: تفسير القرطبي (١١/ ١٦٦).

﴿ فتعالى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا (١١٤) ﴾

سبب نزول هذه الآية:

* أخرج ابن أبى حاتم، عن السدّى إسماعيل بن عبد الرحمن (ت ١٢٧هـ) قال: كان النبى ﷺ إذا نزل عليه «جبريل» ـ رضى الله عنه ـ بالقرآن أتعب نفسه فى حفظه حتّى يشقّ على نفسه، يتخوَّف أن يصعد «جبريل» ولم يحفظه، فأنزل الله عليه: ﴿ وَلا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ ﴾.. اهـ[١].

معانى المفردات:

* ﴿ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ ﴾:

المعنى: لما عرّف الله عباده عظيم نعمه عليهم نزّه نفسه عن: الأولاد والأنداد، فقال: ﴿ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ ﴾، أى: جلّ الله الملك الحقّ.

* ﴿ وَلا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ ﴾:

١ ـ قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) معنى ذلك: لا تعجل بالقرآن حتى نبينه لك.. اهـ[٢].

٢ ـ وقال قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) معنى ذلك: أى تبيانه[٣].

* ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾:

* أخرج الترمذى، وابن ماجه، عن أبى هريرة (ت ٥٩هـ ـ رضى الله عنه) قال: كان رسول الله ﷺ يقول: «اللهمَّ انفعنى بما علّمتنى، وعلِّمنى ما ينفعنى، وزدنى علمًا، والحمد لله على كل حال» اهـ[٤].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ ﴾ [رقم: ١١٤].

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٥٥٢)، وأسباب النزول للشيخ القاضى ص١٤٥.

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٥٥٢).

(٣ ، ٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٥٥٣).

قرأ يعقوب: ﴿من قبل أن نَقْضِيَ﴾ بنون مفتوحة، وضاد مكسورة، وياء مفتوحة. و﴿ وحْيَه﴾ بالنصب. على أنّ «نقضي» مضارع مبني للمعلوم مسند لضمير العظمة، وهو منصوب بـ «أنْ» وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة، و«وحْيَه» مفعول به.

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ يُقْضَى﴾ بياء مضمومة، وضاد مفتوحة، و«وحيهُ» بالرفع نائب فاعل(١).

﴿ ولقدْ عهدْنَا إِلَىٰ آدَمَ من قَبْلُ فَنَسِيَ ولَمْ نَجدْ لَهُ عَزْمًا (١١٥) وإِذْ قُلْنَا للْمَلائكَة اسجدوا لآدم فَسَجَدُوا إلاَّ إبْلِيس أبىٰ (١١٦) فَقُلْنَا يا آدمُ إنَّ هذا عَدُوٌّ لَّك ولزوجك فلا يخرِجنَّكما من الْجنّة فتشقىٰ (١١٧) ﴾

❀ معاني المفردات:

* ﴿ ولَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ﴾:

* قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضي الله عنهما) معنى ذلك: أن لا يقرب الشجرة(٢). قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ وقُلْنَا يا آدَمُ اسكُنْ أَنتَ وزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وكُلا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُما ولا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (٣٥) ﴾ [البقرة: ٣٥].

* ﴿ فَنَسِيَ ولَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾:

* قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ معنى ذلك: لم نجد له حفظا(٣).

* ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَىٰ﴾: أن يسجد، وقال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين.

* ﴿ فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ﴾: حوَّاء.

* ﴿ فَلا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ﴾، أي: تتعب وتنصب، ويكون عيشك من كدِّ يمينك بعرق جبينك.

---

(١) انظر: المغني في توجيه القراءات العشر (٣/ ٣٣).

(٢، ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٤/ ٥٥٣).

﴿ إنّ لك ألاّ تجوع فيها ولا تعرىٰ (١١٨) وأنّك لا تظمأ فيها ولا تضحىٰ (١١٩) فوسوس إليه الشّيطان قال يا آدم هل أدلّك علىٰ شجرة الخلد وملك لاّ يبلىٰ (١٢٠) ﴾

❀ معاني المفردات:

* ﴿ إنّ لك ألاّ تجوع فيها ﴾، أي: في الجنّة. * ﴿ ولا تعرىٰ ﴾.

* ﴿ وأنّك لا تظمأ فيها ولا تضحىٰ ﴾:

* قال ابن عباس (ت ٦٨هـ - رضي الله عنهما) معنى ذلك: لا يصيبك في الجنة عطش، ولا حرّ.. اهـ[1].

* ﴿ فوسوس إليه ﴾، أي: إلى «آدم» - عليه السلام -.

* ﴿ الشّيطان ﴾: فاعل «وسوس».

* ﴿ قال ﴾، أي: الشيطان: * ﴿ يا آدم هل أدلّك علىٰ شجرة الخلد ﴾، أي: شجرة إن أكلت منها بقيت مخلّدًا.

* ﴿ وملك لاّ يبلىٰ ﴾، أي: لا يبيد ولا يفنى.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ وأنّك لا تظمأ فيها ولا تضحىٰ ﴾ [رقم: ١١٩].

قرأ نافع، وشعبة: ﴿ وإنك ﴾ بكسر الهمزة عطفًا على ما قبله.

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ وأنك ﴾ بفتح الهمزة، عطفًا على المصدر المنسبك من «أنْ» وما بعدها في قوله - تعالى -: ﴿ ألاّ تجوع فيها ولا تعرىٰ ﴾ وهو من عطف المفردات[2].

﴿ فأكلا منها فبدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنّة وعصى آدم ربه فغوىٰ (١٢١) ثمّ اجتباه ربّه فتاب عليه وهدىٰ (١٢٢) ﴾

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٤/ ٥٥٥).

(٢) انظر: المغني في توجيه القراءات العشر (٣/ ٣٤).

❀ معانى المفردات:

* ﴿ فَأَكَلا مِنْهَا ﴾، أي: «آدم وحوّاء» ـ عليهما السلام ـ: أكلا من الشجرة التى نهاهما الله عن الأكل منها.

* ﴿ فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا ﴾، أي: انكشفت لهما عوراتهما بعد أن كانت مستورة.

* ﴿ وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ ﴾، أي: أقبل آدم وحواء يشدّان عليهما من ورق الجنة ليسترا عورتهما.

* ﴿ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ ﴾، أي: خالف أمر ربّه، فأكل هو وحوّاء من الشجرة التى نهاهما الله عن الأكل منها.

* ﴿ فَغَوَىٰ ﴾: قال القرطبى (ت ٦٧١هـ) فى تفسيره: سمعتُ شيخنا أبا جعفر القرطبيّ يقول: ﴿ فغوى ﴾: أي: ففسد عيشه بنزوله إلى الدنيا.. اهـ.

ثم عقّب القرطبى على هذا بقوله: وهو تأويل حسن.. اهـ[1].

* ﴿ ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ ﴾، أي: اختاره واصطفاه.

* ﴿ فَتَابَ عَلَيْهِ ﴾، بالعفو. * ﴿ وَهَدَىٰ ﴾ أي: هداه إلى التوبة حتى قالا: ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٢٣) ﴾ [الأعراف: ٢٣].

﴿ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ (١٢٣) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا ﴾: الأمر موجّه لكل من «آدم» ـ عليه السلام ـ، و«إبليس» ـ لعنه الله ـ.

* ﴿ مِنْهَا ﴾، أي: من الجنّة. * ﴿ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾، أي: «آدم» عدوّ «لإبليس»، و«إبليس» عدوّ «لآدم وذريته».

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (١١/ ١٧٠).

* ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى ﴾، أى: الكتب والرسل.

* ﴿ فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴾:

* أخرج ابن أبى شيبة، والطبرانى، وأبو نعيم فى الحلية، وابن مردويه، عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) قال: قال رسول الله ﷺ: «من اتّبع كتاب الله، هداه الله من الضلالة فى الدنيا، ووقاه سوء الحساب يوم القيامة». وذلك أنّ الله يقول: ﴿ فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴾.. اهـ[١].

* وعن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال: أجار الله تابع القرآن من أن يضلّ فى الدنيا، أو يشقى فى الآخرة، ثم قرأ: ﴿ فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴾، قال: لا يضلّ فى الدنيا، ولا يشقى فى الآخرة.. اهـ[٢].

﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي ﴾، أى: عن دينى، وتلاوة كتابى، والعمل بما فيه، واتّباع رسلى.

* ﴿ فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾:

* أخرج البزّار، وابن أبى حاتم، عن أبى هريرة (ت ٥٩هـ ـ رضى الله عنه) عن النبى ﷺ فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾ قال: المعيشة الضّنك التى قال الله: إنّه يسلّط عليه تسعة وتسعون حيّة تنهش لحمه حتى تقوم الساعة.. اهـ[٣].

* وأخرج ابن أبى الدنيا فى ذكر الموت، والحكيم الترمذى، وأبو يعلى، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبى حاتم، وابن حبّان، وابن مردويه، عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ﷺ قال: «المؤمن فى قبره فى روضة خضراء، ويرحب له قبره سبعين ذراعًا، ويضىء حتى يكون كالقمر ليلة البدر، هل تدرون فيما أنزلت:

(١ ، ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/٥٥٦).
(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/٥٥٧).

﴿ فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «فى عذاب الكافر فى قبره، يُسلط عليه تسعة وتسعون تنِّينا، هل تدرون ما التنِّين؟: تسعة وتسعون حيَّة، لكل حيَّة سبعة رءوس يخدشونه وينفخون فى جسمه إلى يوم يبعثون» اهـ[١].

* وعن عكرمة مولى ابن عباس فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴾: قال: عمى عليه كل شىء إلا جهنم، وفى لفظ: لا يبصر إلا النار.. اهـ[٢].

﴿ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا (١٢٥) قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ (١٢٦) وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِن بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰ (١٢٧) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴾، أى: فى الدنيا.

* ﴿ قَالَ ﴾، أى: الله ـ عزّ وجلّ ـ ردّا عليه: * ﴿ كَذَٰلِكَ ﴾ الأمر كذلك.

* ﴿ أَتَتْكَ آيَاتُنَا ﴾، أى: دلالاتنا على وحدانيتنا وقدرتنا.

* ﴿ فَنَسِيتَهَا ﴾: قال السدّى إسماعيل بن عبد الرحمن (ت ١٢٧هـ): معنى ذلك: أنك تركت العمل بها.. اهـ[٣].

* ﴿ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ ﴾، أى: وكما جزينا من ترك العمل بالقرآن، ﴿ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ ﴾، أى: أشرك فى عبادته.

قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ (٢٨) ﴾ [غافر: ٢٨].

وقال: ﴿ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ (٣٤) ﴾ [غافر: ٣٤].

* ﴿ وَلَمْ يُؤْمِن بِآيَاتِ رَبِّهِ ﴾، أى: لم يصدِّق بها.

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٥٥٧).

(٢، ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٥٥٨).

* ﴿ وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَشَدُّ ﴾، أى: أفظع من المعيشة الضنك، ومما يعذبهم به فى الدنيا، وعذاب القبر.

* ﴿ وَأَبْقَىٰ ﴾، أى: أدوم، لأنه لا ينقطع ولا ينقضى.

﴿ أفلم يهد لهم كم أهلكنا قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم إن في ذلك لآيات لأولي النهى (١٢٨) ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما وأجل مسمى (١٢٩) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ ﴾، المراد: أهل مكة:

* قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) وقتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ): معنى ﴿ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ ﴾: أفلم نبين لهم.. اهـ[١].

وحينئذ يكون المعنى: أفلم يتبين لأهل مكة خبر من أهلكنا قبلهم من القرون الماضية كما قال ـ تعالى ـ:

* ﴿ كم أهلكنا قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم ﴾:

* قال قتادة بن دعامة: وذلك نحو عاد، وثمود، ومن أهلك من الأمم السابقة[٢].

أى: أفلا يخافون أن يحل بهم مثل ما حل بالكفار قبلهم.

* ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لأُوْلِي النُّهَىٰ ﴾: لذوى العقول السليمة.

* ﴿ وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا ﴾:

* قال قتادة بن دعامة والسدى إسماعيل بن عبد الرحمن (ت ١٢٧هـ): فيه تقديم وتأخير: أى ولولا كلمة سبقت من ربك وأجل مسمى لكان لزامًا ـ أى: موتًا ـ.. اهـ[٣].

* ﴿ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴾: معطوف على «كلمةٌ» أى: ولولا كلمة سبقت من ربك وأجلٌ مسمّى لكان لزامًا أى: موتًا. والأجلُ المسمَّى: المراد به يوم القيامة.

(١ : ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٥٥٩).

﴿ فاصبر علىٰ ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضىٰ (١٣٠) ﴾

معاني المفردات:

* ﴿ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ ﴾:

المعنى: هذا أمر من الله ـ تعالى ـ لنبيه وحبيبه وصفوته من خلقه نبينا «محمد» ﷺ بالصبر على ما يقوله كفار مكة: إنّه ﷺ ساحر، وإنه كاهن، وإنه كذاب، إلى غير ذلك مما قالوه كذبًا، وقد سجّل القرآن كل ذلك.

وحينئذ يكون المعنى: لا تحفل بكلامهم هذا، فإن لعذابهم وقتًا معلومًا عند الله ـ تعالى ـ لا يتقدّم ولا يتأخر.

* ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ﴾:

* أخرج الطبراني، وابن مردويه، وابن عساكر، عن جرير عن النبي ﷺ في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ﴾، قال: ﴿ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ ﴾: صلاة الصبح، ﴿ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ﴾: صلاة العصر» اهـ[١].

* وأخرج أحمد، والبخاري، ومسلم، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، وابن خزيمة، وابن حبان، وابن مردويه، عن جرير قال: قال رسول الله ﷺ: «إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا» ثم قرأ: ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ﴾.. اهـ[٢].

* وعن قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ ﴾ قال: صلاة المغرب والعشاء. * ﴿ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ ﴾ قال: صلاة الظهر.. اهـ[٣].

* ﴿ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴾، أي: لعلك تثاب على هذه الأعمال بما ترضى به.

(١ : ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٤/ ٥٥٩).

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴾ [رقم: ١٣٠].

قرأ شعبة، والكسائى: ﴿ تُرْضَى ﴾ بضم التاء، مضارع مبنى للمجهول، ونائب الفاعل ضمير المخاطب وهو النبى ﷺ.

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ تَرْضَى ﴾ بفتح التاء، مضارع مبنى للمعلوم، والفاعل ضمير المخاطب أيضًا وهو النبى ﷺ(١).

﴿ ولا تمُدَّنَّ عَيْنَيْك إلىٰ ما مَتَّعْنَا به أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زهْرة الْحَيَاة الدُّنْيا لنفْتنهُم فيه ورزْق ربّك خيْرٌ وأبْقَىٰ (١٣١) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ وَلا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾:

المعنى: لا تنظر يا رسول الله إلى ما أعطاه الله ـ تعالى ـ من نعيم الدنيا إلى بعض كفّار مكة، وفى هذا تسلية للنبى ﷺ لأن الثواب الجزيل الذى أعدّه الله له خير وأبقى من هذا النعيم.

* ﴿ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾: منصوب على الحال.

* وعن قتادة بن دعامة (ت ١١٨ هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾، قال: أى زينة الحياة الدنيا.. اهـ(٢).

* وأخرج ابن أبى حاتم، عن أبى سعيد الخدرىّ ـ رضى الله عنه ـ: أنّ رسول الله ﷺ قال: «إنّ أخوف ما أخاف عليكم ما يفتح الله لكم من زهرة الدنيا» قالوا: وما زهرة الدنيا يا رسول الله؟ قال: «بركات الأرض» اهـ(٣).

* وعن قتادة بن دعامة فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ﴾: قال معنى ذلك: لنبتليهم فيه.. اهـ(٤).

---

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٣/ ٣٤).
(٢ : ٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٥٦٠).

* وعن قتادة بن دعامة في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ورِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾: قال: مما متِّع به هؤلاء من زهرة الحياة الدنيا.. اهـ[1].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [رقم: ١٣١].

قرأ يعقوب: ﴿زهَرة﴾ بفتح الهاء، وباقي القراء بإسكانها، والفتح والإسكان لهجتان بمعنى «زينة الحياة الدنيا»[2].

﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ (١٣٢)﴾

معاني المفردات:

* ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾:

المعنى: أمر الله ـ تعالى ـ نبيّه «محمدًا» ﷺ بأداء الصلاة في أوقاتها وبشروطها، وأركانها، وآدابها. وأن يصطبر على أدائها وملازمتها، لأن الصلاة أحد أركان الإسلام. والخطاب وإن كان موجهًا إلى النبي ﷺ إلا أن أمته تبع له. وكان ـ عليه الصلاة والسلام ـ بعد نزول هذه الآية يذهب كل صباح إلى بيت عليٍّ بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ زوج ابنته «فاطمة» ـ رضي الله عنها ـ ويقول: الصلاة، يدلّ على ذلك الحديث التالي:

* فقد أخرج ابن مردويه، وابن عساكر، وابن النجار، عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ قال: لما نزلت: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ﴾ كان النبي ﷺ يجيء إلى باب «عليٍّ» صلاة الغداة ثمانية أشهر يقول: «الصلاة رحمكم الله، ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا﴾»[3].

* وأخرج أبو عبيد، وسعيد بن منصور، وابن المنذر، والطبراني في الأوسط، وأبو نعيم في الحلية، والبيهقي في شعب الإيمان بسند صحيح، عن عبد الله بن سلام

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٤/ ٥٦٠).

(٢) انظر: المغني في توجيه القراءات العشر (٣/ ٣٥).

(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٤/ ٥٦٠).

- رضي الله عنه - قال: كان النبي ﷺ إذا نزلت شدّة أو ضيق، أمرهم بالصلاة وتلا: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ ﴾ الآية.. اهـ[١].

* ﴿ لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا ﴾، أي: لا نسألك أن ترزق نفسك وإيّاهم، وتشتغل عن الصلاة بسبب السعي على الرزق.

* ﴿ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ﴾:

✳ **المعنى:** تكفل الله - سبحانه وتعالى - برزق النبي ﷺ. كما أنّ رزق جميع المخلوقات تكفل بها الله - سبحانه وتعالى -، ومن الأدلّة على ذلك قوله - تعالى -: ﴿ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا ﴾ [هود: ٦].

* ﴿ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾:

* قال السدّي إسماعيل بن عبد الرحمن (ت ١٢٧هـ) في قوله - تعالى -: ﴿ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾، قال: هي الجنة.. اهـ[٢].

﴿ وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِّن رَّبِّهِ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ (١٣٣) ﴾

❀ معاني المفردات:

* ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِّن رَّبِّهِ ﴾:

✳ **المعنى:** قال كفّار مكّة: لولا يأتينا «محمد» - عليه الصلاة والسلام - بآية ظاهرة تدلّ على صدق نبوّته مثل «العصا» التي جاء بها «موسى» إلى بني إسرائيل، وغيرها من المعجزات الحسيّة. أو يأتينا بالآيات التي نقترحها نحن، مثل ذكره الله - تعالى - في سورة الإسراء إذْ قال: ﴿ وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا (٩٠) أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا (٩١) أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا (٩٢) ﴾ [الإسراء: ٩٠ - ٩٢].

* ﴿ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ﴾:

* قال مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) المراد بذلك: التوراة والإنجيل[٣].

(١ : ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٤/ ٥٦١).

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ الأُولَىٰ ﴾ [رقم: ١٣٣].

قرأ ابن كثير، وابن عامر، وشعبة، وحمزة، والكسائى، وخلف البزّار، وابن وردان بخُلْف عنه: ﴿ يأتهم ﴾ بياء التذكير.

وقرأ الباقون: ﴿ تأتهم ﴾ بتاء التأنيث، وهو الوجه الثانى لابن وردان وجاز تذكير الفعل وتأنيثه لأن الفاعل مؤنث غير حقيقى[1].

﴿ ولو أنَّا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزىٰ (١٣٤) قل كل متربص فتربصوا فستعلمون من أصحاب الصراط السوي ومن اهتدىٰ (١٣٥) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ ﴾، أى: من قبل بعثة النبى «محمد» ﷺ ونزول القرآن.

* ﴿ لَقَالُوا ﴾، أى: يوم القيامة: * ﴿ رَبَّنَا لَوْلا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً ﴾، أى: هلا أرسلت إلينا رسولا.

* ﴿ فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ ﴾ فى الدنيا. * ﴿ وَنَخْزَىٰ ﴾ فى جهنم. ﴿ قُلْ ﴾، أى: قل لهم يا رسول الله: * ﴿ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ ﴾: يوم القيامة. * ﴿ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَىٰ ﴾ إلى الجنة.

• • •

تم ولله الحمد والشكر تفسير سورة طه - صلى الله عليه وسلم -

ويليها بإذن الله - تعالى -

[تفسير سورة الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام -]

• • •

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٣/ ٣٥).

سورة الأنبياء
مكية وهي مائة واثنتا عشرة آية

* أخرج النحّاس فى ناسخه، وابن مردويه، عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) قال: نزلت سورة الأنبياء بمكة[١].

﴿ اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ (١) مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ (٢) ﴾

معانى المفردات:

* أخرج ابن مردويه عن أبى هريرة (ت ٥٩ هـ ـ رضى الله عنه) عن النبى ﷺ قال: «من أمر الدنيا»[٢].

* ﴿ اقْتَرَبَ ﴾، أى: قرب الوقت الذى يحاسبون فيه على أعمالهم.

* ﴿ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴾: مبتدأ وخبر، والواو للحال.

* وعن قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم ﴾ قال: ما ينزل عليهم من القرآن[٣].

* ﴿ مُّحْدَثٍ ﴾، أى: فى النزول على النبى ﷺ لأن القرآن كان ينزل آية بعد آية، وسورة بعد سورة خلال مدّة بعثته ـ عليه الصلاة والسلام ـ وهى ثلاث وعشرون سنة.

* ﴿ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴾، أى: يلهون، والواو فى «وهم» للحال، يدلّ عليه قوله ـ تعالى ـ بعدُ: ﴿ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ﴾.

﴿ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ (٣) ﴾

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٥٦٢).

(٢، ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٥٦٣).

❀ معانى المفردات:

* ﴿ لاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ﴾، أى: غافلة قلوبهم ومعرضة عن ذكر الله ـ تعالى ـ، ومتشاغلة عن التأمل فى القرآن الكريم.

* ﴿ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾:

* قال قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) والسدِّى إسماعيل بن عبد الرحمن (ت ١٢٧هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ قالا معنى ذلك: وأسرّ الذين ظلموا نجواهم بينهم.. اهـ[(١)].

و﴿ الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ بدل من الواو فى ﴿ وَأَسَرُّوا ﴾ والمراد بهم: المشركون.

* ﴿ هَلْ هَذَا إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾:

* قال السدى: يعنون الرسول «محمدًا» ﷺ[(٢)].

* ﴿ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ ﴾: الذى جاءكم به «محمد» والمراد به القرآن والاستفهام هنا إنكارى، أى: ينكرون الإيمان بالقرآن.

* ﴿ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴾، الواو للحال، وحينئذ يكون المعنى: أفتقبلون القرآن والحال أنكم تعلمون أنه سحر؟

﴿ قال ربّي يعْلمُ الْقوْل في السّماء والأرْض وهُو السّميعُ الْعليم (٤) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ ﴾ الآية: فاعل ﴿ قَالَ ﴾: النبى ﷺ، وحينئذ يكون المعنى: قال الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ ردًا على هؤلاء المشركين المتقدم ذكرهم فى الآيات السابقة: ربِّى يعلم القول فى السماء والأرض، أى: هو عالم بما تناجيتم به وهو السميع لأقوالكم، العليم بأحوالكم ومعتقداتكم.

(١، ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٥٦٣).

القراءات وتوجيهها:

* ﴿قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ﴾ [رقم: ٤].

قرأ حفص، وحمزة، والكسائى، وخلف البزّار: ﴿قال﴾ بفتح القاف وألف بعدها، وفتح اللام، على أنه فعل ماض مسند إلى ضمير نبينا «محمد» ﷺ.

وهو إخبار من الله ـ تعالى ـ حكاية عمّا أجاب به النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ الطاعنين فى رسالته، وفيما جاء به.

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿قُلْ﴾ بضم القاف، وحذف الألف، وإسكان اللام، على أنه فعل أمر من الله ـ تعالى ـ لنبيه ﷺ ليجيب به الطاعنين فى رسالته[١].

﴿بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ (٥) مَا آمَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ (٦)﴾

معانى المفردات:

* ﴿بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ﴾: اختلف العلماء فى تفسير ذلك:

١ ـ فقال الزجاج إبراهيم بن السَّرى (ت ٣١١هـ): أى: قال كفار مكة: الذى يأتيكم به «محمد» ﷺ أضغاث أحلام، ـ والأضغاث ما لم يكن له تأويل ـ[٢].

٢ ـ وقال السّدِّى إسماعيل بن عبد الرحمن (ت ١٢٧هـ): معنى ذلك: أباطيل أحلام[٣].

٣ ـ وقيل: هى أخلاط كالأحلام المختلطة، أى: أهاويل رآها فى المنام[٤].

وكلها متقاربة المعانى.

* فلما رأوا ـ أى أعداء الإسلام ـ أن ما جاء به الرسول ﷺ ليس كما قالوا، انتقلوا إلى فِرْية أخرى فقالوا:

---

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٣/ ٣٧).

(٢) انظر: تفسير القرطبى (١١/ ١٧٩).

(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٥٦٣).

(٤) انظر: تفسير القرطبى (١١/ ١٧٩).

* ﴿ بَلِ افْتَرَاهُ ﴾، أي: أكاذيب اقترفها، واختلقها.

* فلما رأوا أنّ الرسول ﷺ لم يكذب قط قالوا:

* ﴿ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ ﴾، فلما رأوا أن القرآن ليس بشعر قالوا:

* ﴿ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الأَوَّلُونَ ﴾:

* قال قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) معنى ذلك: كما جاء موسى وعيسى والرسل بالبينات.. اهـ(١).

* ﴿ مَا آمَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ ﴾، قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) معنى ذلك: مثل: قوم صالح، وقوم فرعون(٢).

* ﴿ أَهْلَكْنَاهَا ﴾، أي: كان فى علم الله إهلاكها.

* وقال قتادة بن دعامة فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ مَا آمَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا ﴾، أى: أن الرسل كانوا إذا جاءوا قومهم بالآيات فلم يؤمنوا لم ينظروا.. اهـ(٣).

* ﴿ أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴾، أي: يصدّقون بما حدث للأمم التى قبلهم لما كذبت رسلها.

والاستفهام هنا إنكارى، أي: ينكر الله عليهم عدم إيمانهم.

﴿ وما أرسلنا قبلك إلا رجالا نوحي إليهم فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون (٧) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِمْ ﴾:

المعنى: هذا ردّ على الكفار فى قولهم: ﴿ هَلْ هَذَا إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾ [الأنبياء: ٣]، أى: لم يرسل الله ـ تعالى ـ قبلك يا رسول الله إلا رجالا، وليسوا ملائكة.

* ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴾:

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٥٦٣).

(٢) انظر: تفسير القرطبى (١١/ ١٨٠).

(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٥٦٣).

* المعنى:

اسألوا يا كفار قريش عن ذلك أهل التوراة والإنجيل الذين آمنوا بالنبى ﷺ فإنهم سيقولون لكم إن جميع الأنبياء السابقين كانوا رجالا من بنى آدم.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿نُوحِي إِلَيْهِمْ﴾ [رقم: ٧].

قرأ حفص: ﴿نُوحِى﴾ بنون العظمة وكسر الحاء مبنيًا للفاعل، والفاعل ضمير مستتر تقديره «نحن»، و﴿إليهم﴾ متعلق بـ ﴿نوحى﴾.

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿يُوحَى﴾ بالياء التحتية، وفتح الحاء مبنيًا للمفعول، و﴿إليهم﴾ نائب فاعل(١).

* ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾ [رقم: ٧].

قرأ ابن كثير، والكسائى، وخلف البزّار: ﴿فسئلوا﴾ بالنقل وصلا ووقفًا، وكذا حمزة عند الوقف فقط(٢).

﴿وما جعلناهم جسدًا لا يأكلون الطعام وما كانوا خالدين (٨) ثم صدقناهم الوعد فأنجيناهم ومن نشاء وأهلكنا المسرفين (٩)﴾

معانى المفردات:

* عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿وما جعلناهم جسدًا لا يأكلون الطعام﴾، قال: معنى ذلك: لم يجعلهم الله جسدًا لا يأكلون الطعام، إنما جعلهم جسدًا يأكلون الطعام.. اهـ(٣).

* والضمير فى ﴿جعلناهم﴾ عائد على الرسل، أى لم نجعل الرسل قبلك يا رسول الله خارجين عن طباع البشر لا يحتاجون إلى طعام وشراب.

* وعن قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿وما كانوا خالدين﴾، قال: معنى ذلك: لا بدّ لهم من الموت.. اهـ(٤).

(١، ٢) انظر: المهذب فى القراءات العشر وتوجيهها (٢/ ٣٣).

(٣، ٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٥٦٣).

* ﴿ ثُمَّ صدقْنَاهُمُ الْوَعْدَ ﴾، أي: الأنبياء، وذلك بإنجائهم ونصرهم وإهلاك مكذِّبيهم.

* ﴿ فَأَنجَيْنَاهُمْ وَمَن نَّشَاءُ ﴾: الذين صدّقوا الأنبياء وآمنوا بهم.

* ﴿ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ ﴾، أي: المشركين.

﴿ لقدْ أَنزَلْنا إِلَيْكُمْ كتابًا فيه ذكْرُكُمْ أَفلا تعْقلُون (١٠) وكَمْ قصمْنا من قرْية كانت ظالمة وأنشأْنا بعْدها قوْمًا آخرين (١١) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا ﴾: هو القرآن الكريم.

* ﴿ فِيهِ ذِكْرُكُمْ ﴾: للعلماء فى تفسير ذلك أكثر من قول:

١ ـ فقال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما): فيه شرفكم(١).

٢ ـ وقال الحسن البصرى (ت ١١٠هـ): فيه دينكم(٢).

٣ ـ وقال السدِّى إسماعيل بن عبد الرحمن (ت ١٢٧هـ): فيه ذكر ما تعنون من أمر آخرتكم ودنياكم(٣).

* ﴿ أَفَلا تَعْقِلُونَ ﴾: الاستفهام هنا بمعنى الأمر، أي: اعقلوا هذه الأشياء التى ذكرها الله لكم وآمنوا.

* ﴿ وَكَمْ قَصَمْنَا ﴾، أي: أهلكنا، و﴿ كَمْ ﴾ هنا خبرية بمعنى كثير.

* ﴿ مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً ﴾، أي: كافرة، والمراد: أهلها.

وحينئذ يكون المعنى: وكم أهلكنا من أهل قرية كانت كافرة.

* ﴿ وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا ﴾، أي: أوجدنا وأحدثنا بعد إهلاك أهلها: * ﴿ قَوْمًا آخَرِينَ ﴾.

﴿ فلما أَحسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُم مِّنْهَا يرْكُضُونَ (١٢) لا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَىٰ ما أُتْرِفْتُم فيه ومساكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ (١٣) ﴾

(١ : ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٥٦٤).

❀ معانى المفردات:

* ﴿فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا﴾، أى: رأوا عذابنا.

* وقال الأخفش الأوسط سعيد بن مسعدة (ت ٢١٥هـ): ﴿أَحَسُّوا بَأْسَنَا﴾ أى: خافوا وتوقّعوا عذابنا.. اهـ[١].

* ﴿إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ﴾، أى: يفرّون.. اهـ[٢].

* ﴿لَا تَرْكُضُوا﴾، أى: لا تفرّوا. قال بذلك مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ)[٣].

* ﴿وَارْجِعُوا إِلَىٰ مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ﴾، أى: لعلكم تسئلون عن دنياكم، استهزاء بهم.. اهـ[٤].

﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ (١٤) فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ (١٥) وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ (١٦)﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا﴾، أى: يا هلاكنا.

* ﴿إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾: لقد اعترفوا بأنهم ظلموا حين لا ينفع الاعتراف.

* ﴿فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَاهُمْ﴾، أى: لم يزالوا يقولون: ﴿يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾، و «ما» للنفى، و«زال» للنفى، ونفى النفى إثبات، أى: قولهم: يا ويلنا إنا كنا ظالمين مستمرّ.

* ﴿حَتَّىٰ جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا﴾:

* قال مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ)، أى: جلعناهم حصيداً بالسيوف كما يحصد الزرع بالمِنْجل.. اهـ[٥].

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (١١/ ١٨٢).

(٢ : ٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٥٦٤).

(٥) انظر: تفسير القرطبى (١١/ ١٨٢).

* ﴿ خَامِدِينَ ﴾، قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رى الله عنهما) معنى ذلك: أى: ميتين كخمود النار إذا أطفئت.. اهـ[١].

* وعن قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وما خَلَقْنَا السَّماء وَالأَرْضَ وَمَا بيْنَهُما لاعِبِينَ ﴾، قال: ما خلقناهما عبثًا ولا باطلا.. اهـ[٢].

﴿ لو أردنا أن نَّتخذ لهْوا لاَّتخذْناهُ من لَّدُنَّا إن كُنَّا فاعلين (١٧) بلْ نَقْذفُ بالْحق على الْباطل فيدمغُهُ فإذا هُو زاهقٌ ولكُمُ الْويْلُ ممَّا تصفُون (١٨) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ لوْ أردْنا أنَ نَّتَّخِذ لهْواً ﴾: للعلماء فى تفسير الَّلهو أقوال منها:

١ ـ فقال عكرمة مولى ابن عباس (ت ١٠٥هـ)، والسدِّى إسماعيل بن عبد الرحمن (ت ١٢٧هـ): قالا: المراد باللهو: الولد.. اهـ[٣].

٢ ـ وقال الحسن البصرى (ت ١١٠هـ)، وقتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ): قالا: اللهو بلغة أهل اليمن: المرأة.. اهـ[٤].

* ﴿ لاَّتَّخَذْنَاهُ مِن لَّدُنَّا ﴾، قال مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) معنى ذلك: لاتخذناه من عندنا.. اهـ[٥].

* ﴿ إِن كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾:

* قال الحسن البصرى، وقتادة بن دعامة، وابن جريج: معنى ذلك: ما كنا فاعلين، لأنَّ «إنْ» نافية بمعنى «ما»[٦].

* ﴿ بَلْ نَقْذفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ ﴾:

* قال مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ): «الحق» هنا: القرآن، و«الباطل»: الشيطان.. اهـ[٧].

* والقذف: الرمى، أى: نرمى بالحق على الباطل.

(١ : ٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٥٦٥).

(٥) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٥٦٦).

(٦، ٧) انظر: تفسير القرطبى (١١/ ١٨٣).

* ﴿ فَيَدْمَغُهُ ﴾، أي: يقهره ويهلكه.

* ﴿ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾، قال قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) معنى ذلك: فإذا هو هالك وتالف.. اهـ[١].

* ﴿ وَلَكُمُ الْوَيْلُ ﴾، أي: العذاب في الآخرة بسبب وصفكم الله بما لا يجوز وصفه به.

* وقال ابنُ عباس ـ رضي الله عنهما ـ: ﴿ الويل ﴾: وادٍ في جهنم[٢].

* ﴿ مِمَّا تَصِفُونَ ﴾، أي: مما تكذبون، وقد قال بذلك:

١ ـ مجاهد بن جبر (١٠٤هـ).   ٢ ـ وقتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ)[٣].

﴿ وَلَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ عِندَهُ لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلا يَسْتَحْسِرُونَ (١٩) يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لا يَفْتُرُونَ (٢٠) ﴾

❀ معاني المفردات:

* ﴿ وَلَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾: ملكًا وخلقا فكيف يجوز أن يكون شريكًا له من هو عبده وخلْقه؟

* ﴿ وَمَنْ عِندَهُ ﴾: قال قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ): المراد بذلك: الملائكة[٤]. * ﴿ لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ ﴾، أي: لا يأنفون عن عبادة الله ـ تعالى ـ.

* ﴿ وَلا يَسْتَحْسِرُونَ ﴾:

١ ـ قال قتادة بن دعامة: معنى ذلك: لا يَعْيُون[٥]. مأخوذ من «الحسير» وهو البعير المنقطع بالإعياء والتعب. يقال: حَسِر البعير يَحْسِر حُسُورًا: إذا أعْيا وكَلّ.

٢ ـ وقال السدِّي إسماعيل بن عبد الرحمن (ت ١٢٧هـ): معنى ﴿ ولا يَسْتَحْسِرُونَ ﴾، أي: لا ينقطعون عن العبادة[٦].

(١ : ٣) انظر: تفسير القرطبي (١١/ ١٨٤).

(٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٤/ ٥٦٦).

(٥) انظر: تفسير القرطبي (١١/ ١٨٤).

(٦) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٤/ ٥٦٦).

* ﴿ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لا يَفْتُرُونَ ﴾:

* قال الحسن البصرى (ت ١١٠هـ) معنى ذلك: جعلت أنفاسهم تسبيحًا[١].

﴿ أم اتَّخذُوا آلهةً مِّن الأرْضِ هُمْ يُنشرُون (٢١) لوْ كان فِيهِما آلِهةٌ إلاَّ اللَّهُ لفسدتا فسُبْحان اللَّه ربِّ الْعرْشِ عمَّا يصِفُون (٢٢) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ أَمِ اتَّخذُوا آلِهَةً مِّنَ الأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴾:

١ ـ قال المفضّل الضّبِّى (ت ١٦٨هـ): الاستفهام هنا معناه النفى، أى: لم يتخذوا آلهة تقدر على الإحياء.. اهـ[٢].

٢ ـ وقيل ﴿ أمْ ﴾ هنا بمعنى «هَلْ»، أى: هل اتخذ هؤلاء المشركون آلهة من الأرض يحيون الموتى.. اهـ[٣].

* ﴿ هُمْ يُنشِرُونَ ﴾:

* قال مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ)، والسدِّى إسماعيل بن عبد الرحمن (ت ١٢٧هـ): معنى: ﴿ يُنشِرُونَ ﴾، أى: يحيون الموتى من قبورهم.. اهـ[٤].

* ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾، أى: لو كان فى السموات والأرضين آلهة غير الله لفسدتا.

* قال الكسائى، وسيبويه: ﴿ إلاَّ ﴾ هنا بمعنى «غير» لذلك جاء ما بعدها مرفوعًا، حكى سيبويه: لو كان معنا رجل إلا زيدٌ لهلكنا، فرفع «زيد» لأن «إلا» بمعنى «غير».. اهـ[٥].

* ﴿ فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾:

✳ **المعنى:** نزّه الله نفسه وأمر عباده أن ينزّهوه عن الشريك والولد.

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٥٦٦).

(٢، ٣) انظر: تفسير القرطبى (١١/ ١٨٤).

(٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٥٦٦).

(٥) انظر: تفسير القرطبى (١١/ ١٨٥).

﴿ لا يُسْأَلُ عمَّا يفْعلُ وهُمْ يسْأَلُونَ (٢٣) أم اتَّخذُوا من دُونه آلهةً قُلْ هاتُوا بُرهانكُم هذا ذكْرُ من معي وذكْرُ من قبْلِي بلْ أكْثرُهم لا يعلمُون الْحقَّ فهُم مُّعرضُون (٢٤) ﴾

❀ معاني المفردات:

* عن قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ لا يُسْأَلُ عمَّا يفْعلُ ﴾ قال: بعباده. * ﴿ وهُمْ يسْأَلُونَ ﴾: قال: عن أعمالهم.. اهـ[1].

* وأخرج ابن مردويه، عن جابر بن عبد الله (ت ٧٨هـ ـ رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ في بعض ما أنزل الله في الكتب: إنّي أنا الله لا إله إلا أنا، قدّرتُ الخير والشرَّ، فطوبى لمن قدرت على يده الخير ويسَّرْته له، وويل لمن قدرت على يده الشرّ ويسَّرْته له، إنِّي أنا الله لا إله إلا أنا لا أسْأل عمَّا أفعل وهم يسئلون، فويل لمن قال: كيف» اهـ[2].

* وعن قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً ﴾، قال: هاتوا بينتكم على ما تقولون.

* ﴿ هَذَا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ ﴾، قال: هذا القرآن فيه ذكر الحلال والحرام.

* ﴿ وَذِكْرُ مَن قَبْلِي ﴾، قال: فيه ذكر أعمال الأمم السالفة وما صنع الله بهم وما صاروا إليه.

* ﴿ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴾، قال: عن كتاب الله.. اهـ[3].

﴿ وما أَرْسَلْنا مِن قَبْلِك مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْه أَنَّهُ لا إلهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُون (٢٥) ﴾

✷ **المعنى:** يقول الله ـ سبحانه وتعالى ـ لنبيه «محمد» ﷺ: وما أرسلنا قبلك من رسول إلا بعقيدة التوحيد.

* قال قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ): لم يُرسل نبيّ إلا بالتوحيد.. اهـ[4].

(١، ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٤/ ٥٦٧).

(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٤/ ٥٦٨).

(٤) انظر: تفسير القرطبي (١١/ ١٨٦).

القراءات وتوجيهها:

* ﴿إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ﴾ [رقم: ٢٥].

قرأ حفص، وحمزة، والكسائى، وخلف البزّار: ﴿نُوحِى﴾ بنون العظمة وكسر الحاء مبنيّا للفاعل، لمناسبة قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ﴾، والفاعل ضمير تقديره «نحن» و﴿إليه﴾ متعلق بـ ﴿نوحِى﴾ والمصدر المنسبك من ﴿أَنَّهُ لا إله إِلاَّ أَنَا﴾ فى محلّ نصب مفعول، أى: إلا نوحِى إليه كونه لا إله إلا أنا.

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿يُوحَى﴾ بالياء التحتية وفتح الحاء مبنيًا للمفعول، و ﴿إليه﴾ متعلق بـ «يُوحَى» والمصدر المنسبك من ﴿أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا﴾ نائب فاعل، والتقدير: إلا يُوحَى إليه كونه لا إله إلا أنا(١).

﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ (٢٦) لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ (٢٧) يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَى وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ (٢٨)﴾

معانى المفردات:

* ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾:

* قال البغوى أبو محمد الحسين بن مسعود (ت ٥١٦هـ) والقرطبى أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبى بكر (ت ٦٧١هـ): قالا: نزلت هذه الآية فى خزاعة حيث قالوا: الملائكة بنات الله، وكانوا يعبدونهم طمعًا فى شفاعتهم(٢).

* ﴿سُبْحَانَهُ﴾، أى: تنزيه لله ـ تعالى ـ عن اتخاذ الصاحبة والولد.

* ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾: فعباد خبر لمبتدأ محذوف، و﴿مُّكْرَمُونَ﴾ صفة لـ ﴿عِبَادٌ﴾ وحينئذ يكون المعنى: بل هم ـ أى الملائكة ـ عباد مكرمون، وليس كما زعم هؤلاء الكفار.

---

(١) انظر: المهذب فى القراءات العشر وتوجيهها (٢/ ٣٣).

(٢) انظر: تفسير البغوى (٣/ ٢٤٢)، وتفسير القرطبى (١١/ ١٨٦).

* ﴿ لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ ﴾، أي: لا يقولون حتى يقول الله ـ تعالى ـ، ولا يتكلمون إلا بما أمرهم الله به.

* ﴿ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴾، أي: يعملون بطاعة الله وأوامـره. قال الله ـ تعالى ـ في وصفهـم: ﴿ لاَّ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [التحريم: ٦].

* ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾:

* قال ابن عـباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهمـا) معنى ذلك: يعلم الله مـا عملوا وما هم عاملون.. اهـ[١].

* ﴿ وَلا يَشْفَعُونَ ﴾، أي: لا تشفع الملائكة يوم القيامة:

* ﴿ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَىٰ ﴾:

١ ـ قال ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ معنى ذلك: هم أهل شهادة أن لا إله إلا الله.. اهـ[٢].

٢ ـ وقال قتادة بن دعامة: لأهل التوحيد.. اهـ[٣].

٣ ـ وقال مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ): هم كل من رضى الله عنه[٤].

* ﴿ وَهُم ﴾، أي: الملائكة. * ﴿ مِّنْ خَشْيَتِهِ ﴾، أي: من خوف الله ـ تعالى ـ.

* ﴿ مُشْفِقُونَ ﴾، أي: خائفون.

* أخرج الحاكم وصححه، والبيـهقى فى البعث، عن جابر بن عبد الله (ت ٧٨هـ ـ رضى الله عنه): أن رسـول الله ﷺ تلا قـول الله ـ تعـالى ـ: ﴿ وَلا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَىٰ ﴾ فقال: «إنّ شفاعتى لأهل الكبائر من أمّتى» اهـ[٥].

﴿ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ (٢٩) ﴾

(١، ٢) انظر: تفسير القرطبى (١١/ ١٨٦).
(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٥٦٨).
(٤) انظر: تفسير القرطبى (١١/ ١٨٧).
(٥) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٥٦٩).

❀ معانى المفردات:

* ﴿ومن يَقُلْ منْهُمْ﴾، أي: من الملائكة.

* ﴿إنِّي إلَهٌ مِّن دُونِهِ﴾:

١ ـ قال الضحاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ): لم يقل ذلك أحد من الملائكة إلا إبليس.. اهـ(١).

٢ ـ وقال قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ): إنما كانت هذه خاصة بإبليس.. اهـ(٢).

* ﴿فَذَلِكَ نَجزِيهِ جَهَنَّمَ﴾، أي: ذلك القائل نجزيه جهنم.

* قال القرطبى فى تفسيره: هذا دليل على أن الملائكة وإن أكرمهم الله بالعصمة فهم متعبَّدون، وليسوا مضطرين إلى العبادة كما ظنّه بعض الجهّال.. اهـ(٣).

* ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾، أي: كما جزينا «إبليس» بالنار، كذلك نجزى الظالمين الواضعين الألوهيّة والعبادة فى غير موضعهما.

﴿أو لمْ ير الَّذين كفرُوا أنَّ السَّموات والأرْض كانتا رتْقًا ففتقْناهُما وجعلْنا من الْماء كُلَّ شيْءٍ حيٍّ أفلا يُؤْمنُون (٣٠)﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿أَوَ لَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، أي: أو لم يعلم الذين كفروا.

* وعن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا﴾، قال: ملتصقتين لا يخرج منهما شىء.

* ﴿فَفَتَقْنَاهُمَا﴾، قال: فتقت السماء بالمطر، وفتقت الأرض بالنبات.. اهـ(٤).

* وعن مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿أَنَّ السَّموات والأَرْض كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾ قال: فتق الله من الأرض ستَّ أرضين معها، فتلك سبع أرضين

(١، ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٥٦٩).

(٣) انظر: تفسير القرطبى (١١/ ١٨٧).

(٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٥٦٩).

بعضهن تحت بعض، وفتق من السماء سبع سموات منها معها فتلك سبع سموات بعضهنّ فوق بعض، ولم تكن الأرض والسماء مماسّتين.. اهـ(١).

* وقال أبو صالح مولى أمِّ هانئ (ت ٢٢١هـ) مثل قول مجاهد(٢).

* وعن الحسن البصرى (ت ١١٠هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ قال: خلق الله كل شىء من الماء، وهو حياة كل شىء.. اهـ(٣).

القراءات وتوجيهها:

* ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [رقم: ٣٠].

* قرأ ابن كثير: ﴿ألم﴾ بحذف الواو التى بعد الهمزة، على أنه كلام مستأنف، والهمزة للاستفهام التوبيخى على تقصيرهم فى عدم عبادة الله وحده بعد قيام الأدلّة الواضحة على وحدانيته ـ تعالى ـ.

ورسم المصحف المكى موافق لهذه القراءة.

* وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿أولم﴾ بإثبات الواو، على أنها عاطفة، والمعطوف عليه مقدر، يدلّ عليه الكلام السابق وهو قوله ـ تعالى ـ: ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً﴾ [رقم: ٢١]. ومعنى الكلام: أأشركوا بالله ولم يتدبّروا فى خلق السموات والأرض ليستدلّوا بهما على وحدانيته ـ تعالى ـ(٤).

وهذه القراءة موافقة لرسم بقية المصاحف بعد المصحف المكى.

وأخرج أحمد، وابن المنذر، وابن أبى حاتم، وابن مردويه والحاكم وصححه، والبيهقى فى الأسماء والصفات، عن أبى هريرة (ت ٥٩هـ ـ رضى الله عنه) قال: قلت: يا رسول الله إنِّى إذا رأيتك طابت نفسى، وقرّت عينى، فأنبئنى عن كل شىء، قال: «كل شىء خلق من الماء» اهـ(٥).

(١ : ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٥٧٠).

(٤) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٣/ ٣٧ ـ ٣٨).

(٥) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ١٧٠).

﴿ وجعلنا في الأرض رواسي أن تميد بهم وجعلنا فيها فجاجا سبلا لعلهم يهتدون (٣١) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ وَجَعَلْنَا فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ ﴾، أى: جبالا ثوابت.

* ﴿ أَن تَمِيدَ بِهِمْ ﴾، أى: لئلا تميد بهم، ولا تتحرك، ليتم القرار عليها. قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً ﴾ [غافر: ٦٤].

* والمَيْدُ: التحرك والدوران، يقال: مَادَ رأسُه، أى: دار.

* ﴿ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا ﴾، أى: وجعلنا فى الأرض فجاجا، أى: مسالك.

وقد قال بذلك ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما)[١].

* ﴿ سُبُلاً ﴾، أى: طرقا، وقد قال بذلك قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ)[٢].

* ﴿ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴾: إلى السير فى الأرض.

﴿ وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون (٣٢) وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون (٣٣) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ﴾: فى معنى ذلك قولان:

* الأول: أى: محفوظًا من أن يقع ويسقط على الأرض. دليله قول الله ـ تعالى ـ: ﴿ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَن تَقَعَ عَلَى الأَرْضِ إِلاَّ بِإِذْنِهِ ﴾ [الحج: ٦٥].

* والثانى: محفوظ بالنجوم من الشياطين. قاله أبو زكريا الفراء (ت ٢٠٧هـ)[٣].

دليله قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَحَفِظْنَاهَا مِن كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ ﴾ [الحجر: ١٧].

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (١١/ ١٨٩).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٥٧٠).

(٣) انظر: تفسير القرطبى (١١/ ١٨٩).

* ﴿ وَهُمْ ﴾، أى: الكفار. * ﴿ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ ﴾: الضمير فى ﴿ آياتها ﴾ عائد على ﴿ السَّمَاء ﴾ وهذه الآيات مثل: الشمس والقمر والنجوم. وقد قال بذلك مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ)(١).

وقد أضاف الله هذه الآيات إلى السماء لوجودها فيها.

* ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴾: وجعل لهم الليل ليسكنوا فيه، والنهار ليتصرّفوا فيه لمعايشهم، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [القصص: ٧٣].

* ﴿ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ﴾:

المعنى: وجعل الله ـ تعالى ـ: «الشمس والقمر» آيتين ليعلم الناس عدد الشهور والسنين والحساب، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلاَّ بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٥) ﴾ [يونس: ٥].

* ﴿ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾: التنوين فى ﴿ كُلٌّ ﴾ عوض عن المضاف إليه أى: كل من: الشمس والقمر، والنجوم، والكواكب، والليل، والنهار.

* ﴿ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾، أى: يجرون ويسيرون بسرعة مثل السابح فى الماء. قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ وَآيَةٌ لَّهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ (٣٧) وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (٣٨) وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ (٣٩) لا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ (٤٠) ﴾ [يس: ٣٧ ـ ٤٠].

﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ (٣٤) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ ﴾، أى: دوام البقاء فى الدنيا.

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٥٧٠).

* ﴿أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ﴾، أي: أفهم الخالدون. إنْ متَّ أنت يا رسول الله؟ فالاستفهام هنا إنكاري.

كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ (٣٥) وَإِذَا رَآكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ هُمْ كَافِرُونَ (٣٦)﴾

سبب نزول الآية رقم ٣٦:

* أخرج ابن أبي حاتم، عن السدِّي إسماعيل بن عبد الرحمن (ت ١٢٧هـ) قال: مرّ النبيّ ﷺ على أبي سفيان، وأبي جهل، وهما يتحدّثان، فلما رآه أبو جهل ضحك وقال لأبي سفيان: هذا نبيّ بني عبد مناف. فغضب أبو سفيان فقال: ما تنكرون أن يكون لبني عبد مناف نبيّ. فسمعهما النبيّ ﷺ فرجع إلى أبي جهل فوقع به وخوَّفه، وقال: «ما أراك منتهيًا حتى يصيبك ما أصاب عمّك»، وقال لأبي سفيان: أما إنك لم تقل ما قلتَ إلا حميَّة» فنزلت هذه الآية: ﴿وَإِذَا رَآكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ﴾ الآية.. اهـ[١].

معاني المفردات:

* عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضي الله عنهما) في قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾، قال: نبتليكم بالشدّة والرخاء، والصحة والسقم، والغنى والفقر، والحلال والحرام، والطاعة والمعصية، والهدى والضلال.. اهـ[٢].

* ﴿وَإِذَا رَآكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا﴾: «إنْ» نافية بمعنى «ما». أي: ما يتخذونك إلا هزوا.

* ﴿أَهَٰذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ﴾، أي: يقولون أهذا الذي يذكر آلهتكم بالسوء والعيب.

* ﴿وَهُم بِذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ هُمْ كَافِرُونَ﴾: الواو للحال، أي: والحال أنهم بذكر الرحمن وهو القرآن هم كافرون، و ﴿هُمْ﴾ الثانية توكيد.

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٤/ ٥٧٣)، والناسخ والمنسوخ للشيخ القاضي ص١٤٦.

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٤/ ٥٧٢).

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلاَّ هُزُوًا ﴾ [رقم: ٣٦].

* قرأ حفص: ﴿ هزوا ﴾ بإبدال الهمزة واوًا للتخفيف، مع ضم الزاى وصلا ووقفًا.

* وقرأ حمزة: ﴿ هزْءا ﴾ بالهمز مع إسكان الزاى وصلا فقط. ويوقف عليها لحمزة بنقل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها، وبإبدال الهمزة واوًا على الرسم.

* وقرأ خلف البزّار: ﴿ هزْءا ﴾ بالهمزة مع إسكان الزاى وصلا ووقفًا.

* وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ هُزءا ﴾ بالهمز مع ضمّ الزاى وصلا ووقفًا[١].

﴿ خُلِقَ الإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلا تَسْتَعْجِلُونِ (٣٧) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ خُلِقَ الإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ ﴾: المراد بالإنسان: «آدم» ـ عليه السلام ـ، وأورث أولاده العجلة. والعرب تقول للذى يكثر من الشيء: خلقت منه.

* وللعلماء فى تفسير قوله ـ تعالى ـ: ﴿ خُلِقَ الإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ ﴾ أقوال وكلها متقاربة فى المعنى:

أولا: قال عكرمة مولى ابن عباس (ت ١٠٥هـ) معنى ذلك: لما نفخ الله فى آدم الروح مَادَ رأسه فعطس فقال: الحمد لله، فقالت الملائكة: يرحمك الله، فذهب لينهض قبل أن تمور ـ أى: الروح ـ فى رجليه فوقع، فقال الله: ﴿ خُلِقَ الإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ ﴾.. اهـ[٢].

* وقد قال سعيد بن جبير (ت ٩٥هـ) بكلام قريب من قول عكرمة[٣].

ثانيًا: قال ابن جريج عبد الملك بن عبد العزيز (ت ١٥٠هـ): نفخ الربّ ـ تبارك وتعالى ـ الروح فى نافوخ آدم فأبصر ولم يعقل حتى إذا بلغ الروح قلبه ونظر فرأى الجنّة، فعرف أنه إن قام دخلها ولم تبلغ الروح أسفله فتحرك، فذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿ خُلِقَ الإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ ﴾.. اهـ[٤].

---

(١) انظر: المهذب فى القراءات العشر وتوجيهها (٢/ ٣٥).

(٢ : ٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٥٧٣).

ثالثًا: وقال قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) في قوله ـ تعالى ـ: ﴿خُلِقَ الإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾، قال: خلق عجولا.. اهـ[١].

* ﴿سَأُرِيكُمْ آيَاتِي﴾: المراد من الآيات: ما طلبه الكفار من استعجال إنزال العذاب بهم وقالوا كما أخبر الله عنهم بقوله: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٣٨)﴾ [رقم: ٣٨].

* ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾، أي: لا تستعجلوا إنزال العذاب بكم فكل شيء عند الله بمقدار.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٣٨) لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ (٣٩)﴾

❀ معاني المفردات:

* ﴿وَيَقُولُونَ﴾، أي: الكفار: * ﴿مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ﴾، أي: الوعيد والمراد به العذاب الذي سينزل بنا إن لم نؤمن. و﴿مَتَىٰ﴾ هنا للاستفهام، والمراد به السخرية والاستهزاء.

* ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾: يا معشر المؤمنين فيما تخبرونا به عن نبيكم.

* ﴿لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ النَّارَ﴾ الآية: العلم هنا بمعنى: المعرفة، ولذا لم ينصب الفعل إلا مفعولا واحدًا. وجواب «لو» محذوف، والتقدير: لو علموه لما أقاموا على الكفر ولآمنوا.

﴿بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ (٤٠) وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٤١)﴾

❀ معاني المفردات:

* ﴿بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً﴾: الضمير في ﴿تَأْتِيهِم﴾ يعود على «الآيات» المتقدم ذكرها في قوله ـ تعالى ـ: ﴿سَأُرِيكُمْ آيَاتِي﴾ والمراد بها: العقوبة وإنزال العذاب بهم، ومعنى ﴿بَغْتَةً﴾: فجأة.

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٤/ ٥٧٣).

* ﴿ فَتَبْهَتُهُمْ ﴾، اختلف العلماء في معنى ﴿ فَتَبْهَتُهُمْ ﴾:

١ ـ فقال أبو زكريا الفرّاء (ت ٢٠٧ هـ) معنى ﴿ فَتَبْهَتُهُمْ ﴾، أي: تحيِّرهم، يقال: بهته يبهته إذا واجهه شيء يحيِّره.. اهـ(١).

٢ ـ وقال الجوهري إسماعيل بن حماد الفارابي (ت ٣٩٣هـ): معنى ﴿ فَتَبْهَتُهُمْ ﴾: تأخذهم بغتة.. اهـ(٢).

* ﴿ فَلا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا ﴾، أي: صرفها عنهم.

* ﴿ وَلا هُمْ يُنظَرُونَ ﴾، أي: لا يمهلون.

* ﴿ وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ ﴾: الخطاب لنبينا «محمد» ﷺ، وفي هذا تسلية له، وحينئذ يكون المعنى: لقد استهزئ من قبلك فصبروا، فاصبر أنت كصبرهم.

* ﴿ فَحَاقَ ﴾، أي: أحاط ونزل. * ﴿ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾.

﴿ قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ (٤٢) ﴾

❀ معاني المفردات:

* ﴿ قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم ﴾: الكاف في ﴿ يَكْلَؤُكُم ﴾ عائدة على الكفار المتقدم ذكرهم في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَإِذَا رَآكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا ﴾ [رقم: ٣٦]، وحينئذ يكون المعنى: قل يا رسول الله لهؤلاء الكفار: ﴿ مَن يَكْلَؤُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ ﴾.

* وقد ورد في معنى ﴿ يَكْلَؤُكُم ﴾ قولان وهما متقاربان:

١ ـ فقال ابن عباس (ت ٦٨ هـ ـ رضي الله عنهما): معنى ﴿ يَكْلَؤُكُم ﴾: يحرسكم.. اهـ(٣).

٢ ـ وقال مجاهد بن جبر (ت ١٠٤ هـ): معنى ﴿ يَكْلَؤُكُم ﴾: يحفظكم.. اهـ(٤).

* ﴿ بِاللَّيْلِ ﴾: إذا نمتم. * ﴿ وَالنَّهَارِ ﴾: إذا قمتم واشتغلتم بأموركم.

* ﴿ مِنَ الرَّحْمَنِ ﴾، أي: من عذابه وبأسه، كقوله ـ تعالى ـ: ﴿ فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ ﴾ [هود: ٦٣]. أي: من عذاب الله.

(١ : ٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٤/ ٥٧٤).

* ﴿ بَلْ هُمْ ﴾، أي: الكفار. * ﴿ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم ﴾، أي: عن القرآن ومواعظه.

* ﴿ مُّعْرِضُونَ ﴾، أي: لاهون وغافلون.

﴿ أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا لا يستطيعون نصر أنفسهم ولا هم منا يصحبون (٤٣) بل متعنا هؤلاء وآباءهم حتى طال عليهم العمر أفلا يرون أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها أفهم الغالبون (٤٤) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ ﴾، المعنى: ألهم آلهة، والميم صلة، والاستفهام حينئذ معناه النفى، أى: ليست لهم آلهة تمنعهم من عذابنا.

* ﴿ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا ﴾، أى: من عذابنا إذا نزال بهم.

* ﴿ لا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ ﴾، أى: الآلهة التى تعبدونها من دون الله لا تستطيع دفع الضرّ عن نفسها، فكيف تدفع الضرّ عنكم؟ هذا مستحيل.

* ﴿ وَلا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ﴾:

* قال ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ: معنى ذلك: لا يمنعون.. اهـ[١].

* ﴿ بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلاءِ وَآبَاءَهُمْ ﴾:

* قال ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ: المراد: أهل مكة.. اهـ[٢].

* ومعنى ﴿ مَتَّعْنَا ﴾: بسطنا لهم فى الرزق وفى نعيم الدنيا.

* ﴿ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ ﴾: فاغتروا وظنّوا أن هذه النعم لا تزول عنهم فاستمروا فى كفرهم.

* ﴿ أَفَلا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ﴾:

* قال الحسن البصرى (ت ١١٠هـ) معنى ذلك: بظهور النبى ﷺ على من قاتله من الكفار أرضًا أرضًا، وقومًا قومًا ـ بدخولهم فى الإسلام ـ[٣].

(١، ٢) انظر: تفسير القرطبى (١١/ ١٩٣).

(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٥٧٤).

* ﴿ أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾: الاستفهام هنا إنكارى ومعناه النفى، أى: ليسوا بغالبين، ولكن الرسول ﷺ هو الغالب.

﴿ قُلْ إِنَّما أُنذِرُكُم بِالْوَحْيِ وَلا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ (٤٥) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ قُلْ ﴾، الخطاب موجّه لنبينا «محمد» ﷺ:

* ﴿ إِنَّمَا أُنذِرُكُم ﴾، أى: أخوفكم. * ﴿ بِالْوَحْيِ ﴾، أى: بالقرآن.

* ﴿ وَلا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴾، أى: من أصمّه الله عن سماع الدعوة إلى الله، وهم الكفار، لا ينتفعون بسماع الدعوة إلى الله كما ينتفع بها المؤمنون.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ وَلا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ ﴾ [رقم: ٤٥].

* قرأ ابن عامر: ﴿ ولا تُسمِع ﴾ بتاء فوقية مضمومة، وكسر الميم.

وقرأ: ﴿ الصمَّ ﴾ بفتح الميم مفعول أول، و﴿ الدعاء ﴾ مفعول ثان.

* وقرأ الباقون: ﴿ ولا يَسمَع ﴾ بياء تحتية مفتوحة، وفتح الميم و﴿ الصمُّ ﴾ بالرفع فاعل، و﴿ الدعاء ﴾ مفعول به[1].

﴿ وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ (٤٦) وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ (٤٧) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ ﴾:

* قال قتادة بن دعامة (ت ١١٨ هـ) معنى ﴿ نفحة ﴾: عقوبة.. اهـ[2].

---

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٣/ ٣٩).

(٢) انظر: تفسير القرطبى (١١/ ١٩٤).

* ﴿ لَيَقُولُنَّ يَا وَيْلَنَا ﴾، أي: يا هلاكنا.

* ﴿ إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴾، أي: معتدين مخالفين لتعاليم الإسلام.

* ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾، أي: لأهل يوم القيامة، أو في يوم القيامة.

* ﴿ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا ﴾، أي: لا يُنقص من إحسان محسن، ولا يُزاد في إساءة مسيء.

* ﴿ وإن كان مثقال حبّةٍ من خردلٍ ﴾، أي: وإن كان ذلك الشيء وزن مثقال حبّة من خردل.

* ﴿ أتينا بها ﴾، أي: أحضرناها وجئنا بها للمجازاة عليها.

* ﴿ وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ ﴾: إذْ لا أحد أسرع حسابًا من الله - تعالى -.

* أخرج أحمد، والترمذي، والبيهقي في شعب الإيمان وغيرهم عن «عائشة» أم المؤمنين (ت ٥٨هـ - رضي الله عنها): أن رجلا قال: يا رسول الله إنّ لي مملوكين يكذبونني، ويَخُونُونني، ويعصونني، وأضربهم، وأشتمهم، فكيف أنا منهم؟ فقال له رسول الله ﷺ: «يُحْسَبُ ما خانوك، وعصوك، وكذّبوك، وعقابك إيّاهم: فإن كان عقابك إيّاهم دون ذنوبهم كان فضلا لك.

وإن كان عقابك إيّاهم بقدر ذنوبهم كان كفافًا لا لك ولا عليك.

وإن كان عقابك إيّاهم فوق ذنوبهم اقتُصَّ لهم منك الفضل».

فجعل الرجل يبكي ويهتف، فقال رسول الله ﷺ: «أمّا تقرأ كتاب الله: ﴿ ونضعُ الموازين القسْطَ ليومِ القيامةِ فلا تُظْلَمُ نفسٌ شيْئًا وإن كان مثْقال حبّة من خرْدلٍ أَتيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ ﴾» فقال الرجل: يا رسول الله ما أجد لي ولهم شيئًا خيرًا من مفارقتهم، أشهدك أنهم أحرار.. اهـ(١).

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ ﴾ [رقم: ٤٧].

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٤/ ٥٧٥).

* قرأ نافع، وأبو جعفر: ﴿ مثقالُ ﴾ برفع اللام، على أنّ ﴿ كان ﴾ تامّة بمعنى وقع وحدث لا تحتاج إلى خبر، و﴿ مثقالُ ﴾ فاعل كان.

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ مثقالَ ﴾ بالنصب، خبر ﴿ كان ﴾ واسمها ضمير العمل المفهوم من السياق، والتقدير: وإن كان العملُ مثقالَ حبّة من خردل... إلخ[1].

﴿ ولقدْ آتيْنا موسىٰ وهارون الفُرقان وضياء وذكْرًا لّلْمُتّقين (٤٨) الّذين يخْشون ربّهم بالْغيْب وهُم مّن السّاعة مُشْفقُون (٤٩) وهذا ذكْرٌ مُّبارك أنزلْناهُ أفأنتُمْ لهُ مُنكرُون (٥٠) ﴾

❀ معانى المفردات:

* عن قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ ولقدْ آتيْنا موسىٰ وهارُون الْفُرْقان ﴾: قال ﴿ الفرقان ﴾: التوراة حلالها وحرامها ممّا فرق الله به بين الحق والباطل.. اهـ[2].

* ﴿ وضياءً ﴾: حال من التوراة، أى: آتيناه التوراة حالة كونها ضياءً، وبناء عليه تكون «الواو» فى «وضياء» زائدة.

* ﴿ وذكْرًا لّلْمُتّقين ﴾، أى: وتذكيرًا للمتقين.

* ﴿ الّذين يخْشوْن ربّهُم بالْغيْب ﴾ الآية: صفة للمتقين.

وحينئذ يكون المعنى: وذكرًا للمتقين الذين يخافون ربهم بالغيب لأنهم لم يروا ربّهم بَلْ عرفوه بالنظر فى دلائل قدرته وهى كثيرة ومشاهدة.

* ﴿ وهُم مّن السّاعة ﴾، أى: من قيامها. * ﴿ مُشْفقُون ﴾، أى: خائفون.

* ﴿ وهذا ذكْرٌ مُّباركٌ أنزلْناهُ ﴾: قال قتادة بن دعامة: المراد به القرآن الكريم.. اهـ[3].

* ﴿ أفأنتُمْ لهُ مُنكرُون ﴾، أى: جاحدون، والاستفهام هنا استفهام إنكارى.

﴿ ولقدْ آتيْنا إبْراهيم رُشْدهُ من قبْلُ وكُنّا به عالمين (٥١) إذْ قال لأبيه وقومه ما هذه التّماثيلُ الّتي أنتُمْ لها عاكفُون (٥٢) قالُوا وجدْنا آباءنا لها عابدين (٥٣) ﴾

---

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٣/ ٣٩).

(٢، ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٥٧٦).

❀ معانى المفردات:

* عن مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ﴾: قال: هداه الله صغيراً.. اهـ[١].

* وقال قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ): آتيناه هداه.. اهـ[٢].

* ﴿مِن قَبْلُ﴾، أى: من قبل النبوّة، فقد وفّقه الله للنظر والاستدلال لمّا جنّ عليه الليل فرأى النجم، والقمر، والشمس.

* ﴿وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ﴾: آزر. * ﴿وَقَوْمِهِ﴾: نمرود ومن اتبعه.

* ﴿مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ﴾، أى: الأصنام.

* ﴿الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ﴾: * قال قتادة بن دعامة معنى ﴿عَاكِفُونَ﴾: عابدون.. اهـ[٣]. أى: عاكفون على عبادتها.

* ﴿قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ﴾: وهم يعبدونها تقليداً لأسلافهم.

﴿قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٥٤) قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ (٥٥) قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ (٥٦)﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾، أى: فى خسران بيّن بعبادتها، لأنها جمادات لا تنفع ولا تضر.

* ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ﴾، أى: الصدق.

* ﴿أَمْ أَنتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ﴾، أى: المازحين.

* ﴿قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ﴾، أى: خلقهن، وأوجدهن، وأبدعهنّ من غير مثال سبق.

(١ : ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٥٧٦).

* ﴿ وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴾، أي: المقرّين بأنّ الإله الذى يجب أن يعبد هو الذى خلق السموات والأرض وما فيهنّ، لا هذه الأصنام التى لا تسمع ولا تبصر، ولا تنفع، ولا تضرّ، ولا تغنى عن نفسها فضلا عن غيرها شيئًا.

﴿ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ (٥٧) ﴾

معانى المفردات:

* قال ابن مسعود (ت ٣٢هـ ـ رضى الله عنه): لما أراد قوم إبراهيم الخروج إلى عيدهم مروا على «إبراهيم» فقالوا: يا إبراهيم ألا تخرج معنا؟ فقال: إنِّى سقيم، أى: مريض، وقد كان قال: ﴿ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ ﴾ فسمعه ناس منهم، فلما خرجوا ـ إلى عيدهم ـ انطلق «إبراهيم» إلى أهله فأخذ طعامًا، ثم انطلق إلى آلهتهم فقربّه إليهم فقال: ألا تأكلون؟ فكسّرها إلا كبيرهم، ثم ربط فى يده «الفأس» التى كسّر بها آلهتهم.

فلمّا رجع قوم «إبراهيم» من عيدهم دخلوا فإذَا هم بآلهتهم قد كسِّرت، وإذا كبيرهم فى يده «الفأس» التى كسّر بها «إبراهيم» الأصنام.

فقالوا: من فعل هذا بآلهتنا؟ فقال الذين سمعوا «إبراهيم» قال: ﴿ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ ﴾، قالوا: سمعنا فتًى يذكرهم يقال له «إبراهيم» فجادلهم عند ذلك «إبراهيم».. اهـ[1].

﴿ فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ (٥٨) ﴾

معانى المفردات:

* عن قتادة دن دعامة (ت ١١٨هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا ﴾ قال: قطعا، وفي قوله ـ تعالى ـ: ﴿ إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ ﴾ قال: إلا كبير آلهتهم. وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴾ قال: كايدهم بذلك لعلهم يتذكرون أو يبصرون.. اهـ[2].

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٥٧٧).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٥٧٨).

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا ﴾ [رقم: ٥٨].

* قرأ الكسائي: ﴿ جذاذًا ﴾ بكسر الجيم، والباقون بضمها، وهما لهجتان في مصدر «جذً» بمعنى: قطع(١).

﴿ قالُوا من فعل هذا بآلهتنا إنَّهُ لمن الظَّالمين (٥٩) قالُوا سمعْنا فتًى يذْكُرُهُم يُقالُ لهُ إبراهيمُ (٦٠) قالُوا فأْتُوا به علىٰ أعْيُنِ النَّاسِ لعلَّهُمْ يشْهدُون (٦١) ﴾

معاني المفردات:

* ﴿ قَالُوا من فَعَلَ هَذَا بآلهتنا إنَّهُ لَمنَ الظَّالمينَ ﴾:

المعنى: لما رجعوا من عيدهم، ورأوا ما أحدث بآلهتهم قالوا على جهة البحث والإنكار: ﴿ من فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴾، و﴿ من ﴾ حينئذ للاستفهام الإنكاري.

* ويجوز أن تكون ﴿ مَنْ ﴾ مبتدأ وليست للاستفهام، وخبر المبتدأ ﴿ إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴾، أي: فاعل هذا ظالم.

* ﴿ قَالُوا سمعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴾: هذا جواب ﴿ مَن ﴾ في قوله - تعالى -: ﴿ قَالُوا مَن فَعَلَ هَذَا ﴾ إلخ.

و﴿ إِبْرَاهِيمُ ﴾ خبر مبتدأ محذوف، والتقدير: هو إبراهيم. وجملة المبتدأ والخبر في محلّ نصب مقول القول.

* وعن قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) في قوله - تعالى -: ﴿ قَالُوا فَأْتُوا به علىٰ أعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴾، قال معنى ذلك: كرهوا أن يأخذوه بغير بينة.. اهـ(٢).
أي: لعلهم يشهدون طعنه على آلهتهم ليعلموا أنه يستحق العقاب.

---

(١) انظر: المغني في توجيه القراءات العشر (٣/ ٤٠).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٤/ ٥٧٨).

﴿ قالُوا أأنت فعلْت هذا بآلِهتنا يا إبْراهيمُ (٦٢) قال بلْ فعلهُ كبيرهُمْ هذا فاسألُوهم إن كانُوا ينطقُون (٦٣) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ قَالُوا أأَنتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ﴾:

✳ **المعنى:** فجاءوا بإبراهيم، فلما حضر قالوا له: ﴿ أأنت فعلْت هذا بآلِهتنا ﴾؟ فقال لهم «إبراهيم» على جهة التوبيخ والاحتجاج عليهم فى عبادتهم هذه الأصنام:

* ﴿ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا ﴾، أى: إنه غضب مِنْ أن تُعبد الأصنام الصغيرة معه ففعل بهم هذا.

* ﴿ فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ ﴾:

* قال العلماء: كلام «إبراهيم» هذا من المعاريض، وفى المعاريض مندوحة عن الكذب، وحينئذ يكون المعنى: سلوهم إن نطقوا فإنهم صادقون، وإن لم ينطقوا فليسوا هم الفاعلين، وحينئذ لا تستحقّ أن تُعْبد من دون الله.

* أخرج أبو داود، والترمذىّ، وابن أبى حاتم، وابن مردويه، عن أبى هريرة (ت ٥٩هـ ـ رضى الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «لم يكذب «إبراهيم» فى شىء قط إلا فى ثلاث كلهنّ فى الله: قوله: ﴿ إِنِّي سَقِيمٌ (٨٩) ﴾ [الصافات: ٨٩]. ولم يكن سقيمًا، وقوله «لسارة» أختى. وقوله: ﴿ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا ﴾.. اهـ[1].

﴿ فرجعُوا إلىٰ أنفُسهمْ فَقَالُوا إنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالمُونَ (٦٤) ثُمَّ نُكسُوا علىٰ رءُوسهم لقد علمت ما هؤُلاء ينطقُونَ (٦٥) قَال أفتعبُدُونَ من دُون اللَّه ما لا ينفعُكُمْ شيْئًا ولايضُرُّكُم (٦٦) أُفٍّ لَّكُمْ ولما تعبُدُونَ من دُون اللَّه أفلا تعْقلُون (٦٧) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ فرجعُوا إلىٰ أنفُسهمْ ﴾، أى: رجع بعضهم إلى بعض رجوع المنقطع عن حجته، المصْغى لحجة خصمه.

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٥٧٨).

* ﴿ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ ﴾، أي: بعبادة من لا ينطق، ولا يسمع ولا يبصر، ولا يعقل.

* ﴿ ثُمَّ نُكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ ﴾، أي: رُدُّوا على ما كانوا عليه في أول الأمر، وعادوا إلى كفرهم. وقالوا لإبراهيم ـ عليه السلام ـ: * ﴿ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰؤُلَاءِ يَنطِقُونَ ﴾، فردّ عليهم «إبراهيم» ـ عليه السلام ـ قائلا: ﴿ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ (٦٦) أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾: والاستفهام هنا إنكاري.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ أُفٍّ لَّكُمْ ﴾ [رقم: ٦٧].

* قرأ نافع، وحفص، وأبو جعفر: ﴿ أفٍ ﴾ بكسر الفاء منوّنة، فالكسر لهجة أهل الحجاز، واليمن والتنوين للتنكير.

* وقرأ ابن كثير، وابن عامر، ويعقوب: ﴿ أفَّ ﴾ بفتح الفاء بلا تنوين، فالفتح لهجة قيس وترك التنوين لقصد عدم التنكير.

* وقرأ الباقون من القراء العشرة: «أفِّ» بكسر الفاء بلا تنوين[1].

﴿ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ (٦٨) ﴾

معاني المفردات:

* ﴿ قَالُوا حَرِّقُوهُ ﴾:

المعنى: لما انقطعت حجتهم أخذتهم العزة بالإثم فقالوا حرّقوه، والصحيح أنّ قائل ذلك هو: ملكهم نمرود.

* ﴿ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ ﴾: بتحريق «إبراهيم» لأنه كان يسبّها.

* قال القرطبي في تفسيره: جاء في الخبر: أن «نمرود» بنى صَرْحًا طوله ثمانون ذراعًا وعرضه أربعون ذراعًا، وجمعوا الحطب شهْرًا، ثم أوقدوها فاشتعلت

---

(١) انظر: المهذب في القراءات العشر وتوجيهها (٢/ ٣٨).

واشتدّت. ثم قيدوا «إبراهيم» ـ عليه السلام ـ ووضعوه في «المنجنيق» مغلولا. فضجت السموات والأرض ومن فيهن من الملائكة ضجّة واحدة: ربنا «إبراهيم» ليس في الأرض أحد يعبدك غيره يُحْرَق فيك فأذن لنا في نصرته.

فقال الله ـ تعالى ـ: «إن استغاث بأحد منكم أو دعاه فلينصره فقد أذنت له في ذلك، وإن لم يدع غيرى فأنا أعلم به وأنا وليُّه».

فلمّا أرادوا إلقاءه في النّار أتاه خُزّان الماء ـ وهو في الهواء ـ فقالوا: يا إبرهيم إن أردتَ أخْمدنا النارَ بالماء. فقال: لا حاجة لي إليكم.

وآتاه مَلَكُ الريح فقال: لو شئتَ طيَّرتُ النارَ. فقال لا. ثم رفع رأسه إلى السماء فقال: «اللهمّ أنت الواحد في السماء ليس أحد يعبدك غيرى حسبى الله ونعم الوكيل» اهـ[١].

﴿ قُلْنا يا نارُ كُوني بردا وسلامًا علىٰ إبْرَاهِيم (٦٩) ﴾

❀ معاني المفردات:

* ﴿ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلامًا عَلَىٰ إبْرَاهِيمَ ﴾:

* قال أبو العالية الرياحيّ (ت ١٩٠هـ): لو لم يقل الله: ﴿ يَا نارُ كُونِي بَرْدًا وسلامًا ﴾ لكان بردها أشدّ عليه من حرِّها، ولو لم يقل: ﴿ علىٰ إبْراهِيم ﴾ لكان بردها باقيًا إلى الأبد.. اهـ[٢].

* وعن عليٍّ بن أبى طالب (ت ٤٠هـ)، وابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضي الله عنهما)، قالا: لو لم يقل الله ﴿ وَسَلامًا ﴾ لقتله البرد[٣].

* أخرج ابن أبى شيبة، وابن جرير، وابن المنذر، عن كعبٍ ـ رضي الله عنه ـ قال: ما أحرقت النار من «إبراهيم إلا وثاقه.. اهـ[٤].

(١) انظر: تفسير القرطبي (١١/ ٢٠٠).
(٢) انظر: تفسير القرطبي (١١/ ٢٠١).
(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٤/ ٥٨٠ ـ ٥٨١).
(٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٤/ ٥٧٩).

* وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، عن المنهال بن عمرو قال: أُخْبِرتُ أن «إبراهيم» ألقى فى النار فكان فيها إمّا خمسين وإمّا أربعين ـ يومًا ـ قال: ما كنتُ أيامًا وليالى قط أطيب عيشًا إذْ كنتُ فيها[١].

﴿ وأرادوا به كيدًا فجعلناهم الأخسرين (٧٠) ونجّيناه ولوطًا إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين (٧١) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وأرادوا به كيدًا ﴾: الضمير «به» يعود على «إبراهيم» ـ عليه السلام ـ.

* ﴿ فجعلناهم الأخسرين ﴾: فى أعمالهم، ورددنا مكرهم عليهم. فقد نجّاه الله ـ تعالى ـ من النار.

* ﴿ ونجّيناه ولوطًا إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين ﴾:

* عن أُبَيّ بن كعب (ت ٣٠هـ ـ رضى الله عنه) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ إلى الأرض التي باركنا فيها ﴾ قال: هى الشام.. اهـ[٢].

* وعن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) قال: «لوط» ـ عليه السلام ـ كان ابن أخى «إبراهيم» ـ عليه السلام ـ.. اهـ[٣].

﴿ ووهبنا له إسحاق ويعقوب نافلة وكلاً جعلنا صالحين (٧٢) وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين (٧٣) ﴾

❀ معانى المفردات:

* عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ ووهبنا له إسحاق ﴾ قال: ولدًا.

* ﴿ ويعقوب نافلة ﴾، قال: ابن ابن.. اهـ[٤].

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٥٧٩).

(٢، ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٥٨١).

(٤) انظر: تفسير الدر المنتور للسيوطى (٤/ ٥٨٢).

* ومعنى ﴿ نَافِلَةً ﴾، أي: زيادة على ما سأل. ويقال لولد الولد نافلة، لأنه زيادة على الولد.

* ﴿ وَكُلاًّ جَعَلْنَا صَالِحِينَ ﴾، أي: وكلا من إبراهيم، وإسحاق، ويعقوب جعلناه صالحا عاملا بطاعة الله.

* ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا ﴾، أي: جعلناهم رؤساء يقتدى بهم في الخيرات وأعمال الطاعات.

* ومعنى ﴿ بِأَمْرِنَا ﴾، أي: بما أنزلنا عليهم من الوحي والأمر والنهي.

* وعن قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا ﴾، قال: جعلهم الله أئمة يقتدى بهم في أمر الله.. اهـ[١]

* ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ ﴾: أن يفعلوا الطاعات.

* ﴿ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ ﴾، أي: مطيعين.

﴿ وَلُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَت تَّعْمَلُ الْخَبَائِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ (٧٤) وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ (٧٥) ﴾

❀ معاني المفردات:

* ﴿ وَلُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾: ﴿ وَلُوطًا ﴾ منصوب على الاشتغال، أي: منصوب بفعل مضمر دلّ عليه الفعل الثاني، والتقدير: وآتينا لوطًا آتيناه.

* ﴿ حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾: الحكم: النبوّة، والعلم: المعرفة بأمور الدين وما يصحّ به الحكم الصحيح بين الخصوم.

* ﴿ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَت تَّعْمَلُ الْخَبَائِثَ ﴾: المراد بالقرية: سدوم.

قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما): كانت سبع قرى، قلب «جبريل» ـ عليه السلام ـ ستة منها، وأبقي واحدة «للوط» وعياله، وهي «زَغَر» التي فيها الثمر، من كُورة فلسطين إلى حدّ «السَّراة».. اهـ[٢].

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٤/ ٥٨٢).

(٢) انظر: تفسير القرطبي (١١/ ٢٠٢).

* والخبائث التي كانوا يعملونها: اللواط.

* ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ﴾، أي: خارجين عن طاعة الله.

* ﴿وَأَدْخَلْنَاهُ﴾، أي: «لوط» ـ عليه السلام ـ. * ﴿فِي رَحْمَتِنَا﴾، قال عبد الرحمن ابن زيد (ت حوالى ١٧٠هـ): المراد: الإسلام(١).

* ﴿إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾، أي: العاملين بطاعة الله ـ تعالى ـ.

﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ (٧٦) وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ (٧٧)﴾

❀ معاني المفردات:

* ﴿وَنُوحًا﴾: مفعول بفعل محذوف، والتقدير: واذكر نوحًا.

* ﴿إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ﴾، أي: دعا ربه من قبل «إبراهيم، ولوط» ـ عليهما السلام ـ، فقال: ﴿لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا (٢٦)﴾ [نوح: ٢٦]. ودعا ربّه لما كذبه قومه فقال: ﴿أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ (١٠)﴾ [القمر: ١٠].

* ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾، أي: من الغرق. قال الله ـ تعالى ـ: ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ (١١٧) فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (١١٨) فَأَنجَيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ (١١٩) ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ (١٢٠)﴾ [الشعراء: ١١٧ ـ ١٢٠].

* ﴿وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾: قال أبو عبيدة معمر بن المثنّى (ت ٢١٠هـ) في قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ﴾، أي: على القوم.. اهـ(٢).

* ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ﴾، أي: يسيئون الأعمال، فيعصون الله ويخالفون أمره.

* ﴿فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾، أي: الكبير منهم والصغير.

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٤/ ٥٨٣).

(٢) انظر: تفسير القرطبي (١١/ ٢٠٣).

﴿ وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين (٧٨) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث ﴾:

المعنى: اذكر يا نبىّ الله كلا من «داود وسليمان» ـ عليهما السلام ـ و«داود» هو والد «سليمان».

* ﴿ إذ يحكمان في الحرث ﴾: اختلف العلماء فى المراد من الحرث:

١ - فقال ابن مسعود (ت ٣٢هـ ـ رضى الله عنه) وشريح بن يزيد الحمصى (ت ٢٠٣هـ): قالا: الحرث: هو الكرم الذى نبتت عناقيده.. اهـ[1].

٢ - وقال قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) ﴿ الحرث ﴾: الزرع.. اهـ[2].

* ﴿ إذ نفشت فيه غنم القوم ﴾:

* قال قتادة بن دعامة: النفش: الرعى بالليل، والهَمَل: الرعى بالنهار.. اهـ[3].

* وأخرج ابن جرير، وابن مردويه، والحاكم، والبيهقى فى سننه، عن ابن مسعود (ت ٣٢هـ ـ رضى الله عنه) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم ﴾: قال: كرْمٌ قد أنبتت عناقيده فأفسدته الغنم: فقضى «داود» بالغنم لصاحب الكرم.

فقال «سليمان»: أغير هذا يا نبىّ الله؟ قال: وما ذاك؟ قال: تدفع الكرم إلى صاحب الغنم فيقوم عليه حتى يعود كما كان. وتدفع الغنم إلى صاحب الكرم فيصيب منها، حتى إذا عاد الكرم كما كان دفعت الكرم لصاحبه، ودفعت الغنم إلى صاحبها. فذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿ ففهمناها سليمان ﴾.. اهـ[4].

(١، ٢) انظر: تفسير القرطبى (١١/ ٢٠٣).

(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٥٨٤).

(٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٥٨٣).

* وأخرج أحمد، والبخارى، ومسلم، والنسائى، عن أبى هريرة (ت ٥٩هـ ـ رضى الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: بينما امرأتان معهما ابنان لهما، فجاء الذئب فأخذ أحد الابنين، فتحاكما إلى «داود» فقضى به للكبرى فخرجتا.

فدعاهما «سليمان» فقال: هاتوا السكين أشقّه بينهما. فقالت الصغرى: يرحمك الله هو ابنها لا تشقّه. فقضى به للصغرى.. اهـ[1].

﴿ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلاًّ آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ (٧٩) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ ﴾، أى: فهمنا سليمان الحكم فى قضية الغنم التى نفشت فى الكرم.

* ﴿ وَكُلاًّ آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾: التنوين فى ﴿ وَكُلاًّ ﴾ عوض عن المضاف إليه، أى: وكلا من داود، وسليمان آتيناه حكمًا وعلمًا.

* ﴿ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ ﴾:

* قال وهب بن منبّه: كان «داود» ـ عليه السلام ـ يمرّ بالجبال مسبّحًا والجبال تجاوبه بالتسبيح، وكذلك الطير.. اهـ[2].

* ﴿ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴾، أى: ما ذكر من التفهيم، وإيتاء الحكم، والتّسخير.

﴿ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ (٨٠) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ ﴾: قال السّدّى إسماعيل بن عبد الرحمن (ت ١٢٧هـ): قال: هى دروع الحديد. وعنه فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ لِتُحْصِنَكُم مِّنْ بَأْسِكُمْ ﴾ قال: من رتع السلاح فيكم.. اهـ[3].

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٥٨٥).
(٢) انظر: تفسير القرطبى (١١/ ٢١٢).
(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٥٨٧).

* ﴿ فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ ﴾، أي: على تيسير صنعة الدروع لكم.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ لِتُحْصِنَكُم مِّنْ بَأْسِكُمْ ﴾ [رقم: ٨٠].

* قرأ ابن عامر، وحفص، وأبو جعفر: ﴿ لتحصنكم ﴾ بتاء التأنيث. وهو مضارع مسند إلى ضمير الصنعة المفهوم من قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ ﴾ والصنعة مؤنثة لفظًا.

* وقرأ شعبة، ورويس: ﴿ لنحصنكم ﴾ بنون العظمة، مناسبة لقوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ ﴾، وهو إسناد حقيقى، لأن الفاعل الحقيقى هو الله ـ تعالى ـ.

* وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ ليحصنكم ﴾ بالياء التحتية، على إسناد الفعل إلى ضمير اللبوس، وهو إسناد مجازىّ، من إسناد الفعل إلى سببه(١).

﴿ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ (٨١) ﴾

معانى المفردات:

* عن ابن عمر (٧٣هـ ـ رضى الله عنهما) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ ﴾ قال: وسخرنا لسليمان الريح(٢).

* وعن السدِّى إسماعيل بن عبد الرحمن (ت ١٢٧هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً ﴾ قال: الريح الشديدة(٣).

* و﴿ عَاصِفَةً ﴾ حال من الريح، أى: اشتدّت، فهى عاصف وعصوف.

* ﴿ تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا ﴾: وهى أرض الشام، يروى أنها كانت تجرى بأصحابه إلى حيث أراد، ثم تردّه إلى الشام.

* ﴿ وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ ﴾، أى: لا يخفى على الله أىّ شىء.

---

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٣/ ٤٠).

(٢، ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٥٨٨).

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ ﴾ [رقم: ٨١].

* قرأ أبو جعفر: ﴿ الرياح ﴾ بالجمع، لاختلاف أنواع الرياح فى هبوبها وأوصافها.

* وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ الريح ﴾ بالإفراد، لإرادة الجنس[١].

﴿ ومن الشَّيَاطين من يغُوصُون لهُ ويعْمَلُون عملاً دُون ذلك وكُنَّا لهُم حافظين (٨٢) ﴾

معانى المفردات:

* عن السدّى إسماعيل بن عبد الرحمن (ت ١٢٧هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ ومِن الشَّيَاطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُ ﴾ قال: يغوصون فى الماء[٢]. أى: يستخرجون له الجواهر من البحر. وأصل الغوص: النزول تحت الماء.

* ﴿ ويَعْمَلُونَ عَمَلاً دُونَ ذَلكَ ﴾، أى: سوى الغوص، وهى التى ذكرها الله فى قوله: ﴿ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيب وتَمَاثِيلَ وجِفَانٍ كالْجواب وقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ ﴾ [سبأ: ١٣].

* ﴿ وكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ ﴾: حتى لا يخرجوا عن أمره.

* وقال الزجاج إبراهيم بن السَّرى (ت ٣١١هـ): معناه: حفظهم الله من أن يفسدوا ما عملوا.. اهـ[٣].

﴿ وأَيُّوب إذْ نَادىٰ رَبَّهُ أَنِّي مسَّنِي الضُّرُّ وأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحمين (٨٣) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ وأَيُّوبَ إذْ نَادَىٰ رَبَّهُ ﴾ الآية:

المعنى: واذكر يا نبى الله «أيوب» إذ نادى ربه... إلخ:

---

(١) انظر: المهذب فى القراءات وتوجيهها (٢/ ٣٩).

(٢) انظر: تفسير الدرّ المنثور للسيوطى (٤/ ٥٨٨).

(٣) انظر: تفسير البغوى (٣/ ٢٥٦).

* أخرج ابن سعد عن الكلبى محمد بن السائب (ت ١٤٦هـ) قال: أوّل نبىّ بعث إدريس، ثم نوح، ثم إبراهيم، ثم إسماعيل وإسحاق، ثم يعقوب، ثم يوسف، ثم لوط، ثم هود، ثم صالح، ثم شَعيب، ثم موسى وهارون، ثم إلياس، ثم اليسع، ثم يونس، ثم أيوب.. اهـ(١).

* وأخرج ابن عساكر، عن وهب بن منبّه قال: كان أيّوب أعبد أهل زمانه، وأكثرهم مالا، فكان لا يشبع حتّى يشبع الجائع، وكان لا يكتسى حتّى يكتسى العارى، وكان عبدًا معصومًا.. اهـ(٢).

* ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾:

* قال القرطبى فى تفسيره: اختُلف فى قول «أيوب»: ﴿مَسَّنِيَ الضُّرُّ﴾ على خمسة عشر قولا:

•• **وأقول:** قد اخترت من هذه الأقوال القولين التاليين:

* القول الأول: أنه وثب ليصلّى فلم يقدر على النهوض فقال: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ﴾ إخبارًا عن حاله، لا شكوى لبلائه(٣).

* القول الثانى: أنه إقرار بالعجز ولم يكن منافيًا للصبر(٤).

* وعن زيد بن ميسرة قال: لمّا ابتلى الله أيّوب بذهاب المال، والأهل، والولد، فلم يبق له شىء، أحسن الذّكر والحمد لله ربِّ العالمين. ثم قال: أحمدك ربِّ الذى أحسنت إلىّ، فقد أعطيتنى المال، والولد، فلم يبق من قلبى شعبة إلا قد دخلها ذلك، فأخذتَ ذلك كلّه منّى، وفرّغتُ قلبى، فليس يحول بينى وبينك شىء.. اهـ(٥).

﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ (٨٤)﴾

(١، ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٥٨٨).

(٣، ٤) انظر: تفسير القرطبى (١١/ ٢١٤).

(٥) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٥٨٩).

❀ معانى المفردات:

* عن الحسن البصرى (ت ١١٠هـ) وقتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) وابن جريج عبد الملك بن عبد العزيز (ت ١٥٠هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا ﴾: قالوا: أحيا الله له أهله بأعيانهم، وزاده الله مثلهم.. اهـ[١].

* وعن الحسن البصرى قال: ما كان بقى من «أيوب» إلا عيناه، وقلبه، ولسانه، وقد مكث فى الكناسة سبع سنين وأياما[٢].

﴿ وإسماعيل وإدريس وذا الكفل كل من الصابرين (٨٥) وأدخلناهم في رحمتنا إنهم من الصالحين (٨٦) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ ﴾، أى: اذكرهم.

* وأخرج ابن أبى شيبة، وأحمد، والترمذى وحسَّنه، وابن المنذر، وابن حبّان، والطبرانى، والحاكم، وابن مردويه، والبيهقى فى شعب الإيمان عن ابن عمر (ت ٧٣هـ ـ رضى الله عنهما).

* وخرَّجه أبو عيسى الترمذى، عن ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ، ولفظه قال: سمعت النبىّ ﷺ يحدِّث حديثًا لو لم أسمعه إلا مرّة أو مرّتين ـ حتّى عدّ سبع مرات ـ لم أحدِّث به، ولكنّى سمعته أكثر من ذلك.

سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كان «ذو الكفل» من بنى إسرائيل لا يتورّع من ذنب عمله، فأتته امرأة فأعطاها ستين دينارًا على أن يطأها، فلمّا قعد منها مقعد الرجل من امرأته ارتعدت وبكت، فقال: ما يبكيك أأكرهتك؟ قالت: لا، ولكنه عمل ما عملته قط، وما حملنى عليه إلا الحاجة، فقال: تفعلين أنت هذا وما فعلتُه، اذهبى فهى لك وقال: والله لا أعصى الله بعدها أبدًا، فمات من ليلته، فأصبح مكتوبًا على بابه: إن الله قدْ غفر لذى الكفل» اهـ[٣].

(١، ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٥٩٠).

(٣) قال الترمذى حديث حسن، انظر: تفسير القرطبى (١١/ ٢١٧).

* ﴿ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ ﴾: على أمر الله، والقيام بطاعته، واجتناب معاصيه. والتنوين فى «كل» عوض عن المضاف إليه والتقدير: كل من «إسماعيل، وإدريس، وذى الكفل».

●● **تنبيه:** يفهم من أقوال العلماء أنّ «ذا الكفل» ما كان من الأنبياء، والله أعلم.

* ﴿ وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا ﴾، أى: فى جنتنا، والضمير فى ﴿ وَأَدْخَلْنَاهُمْ ﴾ عائد على «إسماعيل، وإدريس، وذى الكفل». * ﴿ إِنَّهُم مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾.

﴿ وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ (٨٧) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ وَذَا النُّونِ ﴾، أى: واذكر «ذا النون» وهو لقب ليونس بن متّى ـ رضى الله عنه ـ لابتلاع «النّون» إيّاه، والنّون: هو الحوت.

* ﴿ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا ﴾:

* قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) معنى ذلك: غضب على قومه.. اهـ[١].

* عن مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ)، والحسن البصرى (ت ١١٠هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ ﴾ قالا: ظن «يونس» ـ عليه السلام ـ أن لن يعاقبه الله ـ تعالى ـ.. اهـ[٢].

* وعن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما)، وسعيد بن جبير (ت ٩٥هـ)، وابن مسعود (ت ٣٢هـ ـ رضى الله عنه)، والحسن البصرى (ت ١١٠هـ)، وقتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ ﴾، قالوا: هى ظلمة الليل، وظلمة البحر، وظلمة بطن الحوت.. اهـ[٣].

* ﴿ أَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾:

(١، ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٥٩٧).

(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٥٩٧ ـ ٥٩٨).

* أخرج ابن أبى حاتم، وابن أبى الدنيا فى الفرج، وابن مردويه، عن أنس بن مالك (ت ٩٣هـ - رضى الله عنه) رفَعه: إلى النبى ﷺ أنّ «يونس» حين بدا له أن يدعو الله حين ناداه فى بطن الحوت قال: اللهم ﴿ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ فأقبلت الدعوة تحفّ بالعرش فقالت الملائكة: هذا صوت ضعيف معروف من بلاد غريبة، فقال: أما تعرفون ذلك؟ قالوا: يا ربّ ومن هو؟ قال: ذاك عبدى «يونس». قالوا: عبدك يونس الذى لم يزل يرفع له عمل متقبل ودعوة مجابة؟ قال: نعم. قالوا: يا ربّ أفلا ترحم ما كان يصنع فى الرخاء فتنجّيه من البلاء؟ قال: بلى. فأمر الحوت فطرحه بالعراء، فأنبت عليه اليقطينة.. اهـ(١).

* قال الله - تعالى -: ﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (١٣٩) إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ (١٤٠) فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ (١٤١) فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ (١٤٢) فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ (١٤٣) لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ (١٤٤) فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ (١٤٥) وَأَنبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ (١٤٦) ﴾ [الصافات: ١٣٩ - ١٤٦].

* وأخرج أحمد، والترمذى، والنسائى، والحكيم فى نوادر الأصول، والحاكم وصححه وغيرهم عن سعد بن أبى وقّاص (ت ٥١هـ - رضى الله عنه) عن النبى ﷺ قال: «دعوة ذى النون إذ هو فى بطن الحوت ﴿ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ لم يدع بها مسلم ربّه فى شىء قط إلا استجاب له» اهـ(٢).

* وأخرج ابن جرير، عن سعد بن أبى وقّاص (ت ٥١هـ - رضى الله عنه) قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اسم الله الذى إذا دعى به أجاب، وإذا سئل به أعطى، دعوة «يونس بن متّى» قلتُ: يا رسول الله هى ليونس خاصّة أم لجماعة المسلمين؟ قال: «هى ليونس خاصّة وللمؤمنين إذا دعوا بها، ألم تسمع قول الله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾ فهو شرط من الله لمن دعاه» اهـ(٣).

* وأخرج الحاكم، عن سعد بن أبى وقّاص (ت ٥١هـ - رضى الله عنه): أنّ النبى ﷺ قال: «هل أدلّكم على اسم الله الأعظم؟ دعاء «يونس» ﴿ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ

(١ : ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٥٩٩).

سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ فأيّما مسلم دعا به فى مرضه أربعين مرّة فمات فى مرضه ذلك، أعطى أجر شهيد، وإن برأ برأ مغفورًا له» اهـ[١].

* وأخرج البخارىّ، ومسلم، وابن مردويه، عن أبى هريرة (ت ٥٩هـ ـ رضى الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «لا ينبغى لأحد أن يقول أنا خير من يونس بن متَّى» اهـ[٢].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ [رقم: ٨٧].

* قرأ يعقوب: ﴿يُقدَر﴾ بياء تحتية مضمومة، ودال مفتوحة، على أنه فعل مضارع مبنى للمجهول، والجارّ والمجرور: ﴿عليه﴾ نائب فاعل.

* وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿نَقدِر﴾ بنون مفتوحة، ودال مكسورة، على أنّ الفعل مبنىّ للمعلوم مسند إلى ضمير العظمة، مناسبة لقوله ـ تعالى ـ قبلُ: ﴿وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا﴾ [رقم: ٨٦][٣].

﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ (٨٨)﴾

المعنى:

* تضمنت هذه الآية والتى قبلها الإشارة إلى قصّة نبىِّ الله «يونس بن متّى» صاحب الحوت:

وذلك أن الله أرسله إلى قوم (نينوى) من بلاد الموصل بالعراق فلم يستجيبوا لدعوته، وناصبوه العداء، فلمّا أعيته الحيل معهم، وأصروا على تكذيبه فارقهم غاضبًا لكثرة ما قاسى منهم، وظلّ سائرًا حتّى أتى إلى ساحل البحر الأبيض المتوسط، فركب سفينة اكتظّت بركابها، وناءت بهم، وكادت تهوى بهم إلى قرار اليمّ، وأحسّ ركابها بتهددهم من الأخطار، فرأوا أن يخففوا عنها بإلقاء بعض الركاب فى البحر رغبة فى نجاة سائرهم، فاقترعوا فكان «نبىّ الله يونس» ـ عليه السلام ـ ممن أصابتهم القرعة، فألقوه فى البحر فالتقمه «حوت» كبير، ومكث فى جوفه بعض الوقت،

(١، ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٦٠٠).

(٣) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٣/ ٤١).

وأوحى الله إليه أنه لن يلحقه أيّ أذى، وإنما سيكون جوف «الحوت» سجنًا له وعقابًا على ترك قومه، وحينئذ أحسّ «نبيّ الله يونس» ـ عليه السلام ـ بخطئه، فدعا ربّه وهو مستقرّ في جوف «الحوت» وقد اجتمعت عليه ظلمة جوف الحوت، وظلمة البحر، وظلمة الليل، قائلاً: ﴿ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ فاستجاب الله له ونجاه من كربته، وذلك بأن أمر الله الحوت فقذفه من جوفه على الساحل، وكذلك ينجي الله المؤمنين من كربتهم إذا استغاثوا به[1].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [رقم: ٨٨].

* قرأ ابن عامر، وشعبة: ﴿ نجّي ﴾ بحذف النون الثانية، وتشديد الجيم، على أنه مضارع ﴿ نجّى ﴾، وأصله: «ننجي» حذفت نونه الثانية لإخفائها عند الجيم، والفعل مسند إلى ضمير العظمة لمناسبة قوله ـ تعالى ـ قبلُ: ﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ ﴾.

واعلم أن جميع علماء الرسم اتفقوا على حذف النون الثانية. فإذا ضبطّت ﴿ ننجي ﴾ ألْحَقْتَ النون الساكنة بالحمراء، وأعْريتها من علامة السكون، وأعْريتَ الجيم من علامة التشديد.

* وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ ننجي ﴾ بضم النون الأولى، وسكون الثانية، وتخفيف الجيم، على أنه مضارع «أنجى» مسند إلى ضمير العظمة لمناسبة قوله ـ تعالى ـ: ﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ ﴾ وحذفت منه النون الثانية رسمًا لكونها مخفاه[2].

﴿ وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ (٨٩) فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ (٩٠) ﴾

معاني المفردات:

* ﴿ وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ ﴾، أي: واذكر «زكريا» إذ نادى ربّه.

---

(١) انظر: المغني في توجيه القراءات العشر (٣/ ٤١ ـ ٤٢).

(٢) انظر: المغني في توجيه القراءات العشر (٣/ ٤٢ ـ ٤٣).

* ﴿رَبِّ لا تَذَرْنِي فَرْدًا﴾، أي: منفردًا لا ولد لي.

* ﴿وَأَنت خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾، أي: خير من يبقى بعد كل من يموت.

* ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ﴾، أي: أجاب الله دعاء زكريا.

* ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ﴾: ولدًا.

* ﴿وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ﴾:

* قال سعيد بن جبير (ت ٩٥هـ)، وقتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) معنى قوله ـ تعالى ـ: ﴿وأصلحنا له زوجه﴾: إنها كانت عاقرًا فجعلت ولودًا.. اهـ[١].

* ﴿إِنَّهُمْ﴾، أي: جميع الأنبياء الذين سمّاهم الله في هذه السورة.

* ﴿كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾، أي: يسابقون في فعل الخيرات.

* وعن ابن جريج عبد الملك بن عبد العزيز (ت ١٥٠هـ) في قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾، قال: طمعًا، وخوفًا.. اهـ[٢].

* ﴿وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾، أي: متواضعين خاضعين.

﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ (٩١) إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ (٩٢)﴾

❀ معاني المفردات:

* ﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾، أي: واذكر مريم التي أحصنت فرجها.

* ومعنى ﴿أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾، أي: عفّت وامتنعت من الفاحشة.

* ﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا﴾:

✳ **المعنى:** أمر الله «جبريل» ـ عليه السلام ـ فنفخ في درعها، فحملت بإذن الله ـ تعالى ـ في «عيسى» ـ عليه السلام ـ.

---

(١) انظر: تفسير القرطبي (١١/ ٢٢٢).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٤/ ٦٠١).

* ﴿ وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾، أي: علامة ودلالة على نفوذ قدرة الله ـ تعالى ـ: إذْ حملت مريم من غير زوج كما هى عادة النساء. وخلق «عيسى» من غير «أب» كما هى عادة الأبناء.

* ﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾: لما ذكر الله ـ تعالى ـ فى هذه السورة عددًا من الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ بيّن الله أنّ جميع الأنبياء دينهم واحد وهو الإسلام، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ ﴾ [آل عمران: ١٩].

* وقال قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾، أى: دينكم دين واحد، وربكم واحد، والشريعة مختلفة.. اهـ[١].

* ﴿ وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴾، أى: أفردوا الله بالعبادة.

﴿ وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ (٩٣) فَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ (٩٤) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ ﴾:

* قال عبد الرحمن بن زيد (ت حوالى ١٧٠هـ) معنى ذلك: اختلفوا فى الدين[٢]، أى: جعلوا أمرهم فى أديانهم قطعًا: فمن موحِّد، ومن يهودى، ومن نصرانى، ومن مشرك عابد صنم.. إلخ.

* ﴿ كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ ﴾: التنوين فى ﴿ كُلٌّ ﴾ عوض عن المضاف إليه، أى: كل صنف من هذه الأصناف مردّه إلى الله ـ تعالى ـ يوم القيامة فيجازى كل صنف بعمله، فالمؤمنون هم الناجون، وقد دلّ على ذلك قوله ـ تعالى ـ فى الآية التالية:

* ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ﴾: و«مِنْ» للتبعيض، إذْ لا قدرة للمكلّف أن يأتى بجميع الطاعات بعد الفرائض، وحينئذ يكون المعنى: فمن يعمل شيئًا من الطاعات بعد أداء الفرائض وهو مؤمن.

(١، ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٦٠٢).

* ﴿فَلا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ﴾، أي: لا جحود لعمله بل سيثيبه الله ـ تعالى ـ كما قال: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا (١٢٤)﴾ [النساء: ١٢٤].

﴿وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لا يَرْجِعُونَ (٩٥)﴾

معانى المفردات:

* عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا﴾، قال: معنى ذلك: دمَّرناها. وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿أَنَّهُمْ لا يَرْجِعُونَ﴾ قال: إلى الدنيا.. اهـ(١).

القراءات وتوجيهها:

* ﴿وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ﴾ [رقم: ٩٥].

* قرأ شعبة، وحمزة، والكسائى: ﴿وحِرْم﴾ بكسر الحاء، وسكون الراء، وحذف الألف.

* وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿وحَرَام﴾ بفتح الحاء، والراء، وإثبات الألف. وهما لهجتان فى وصف الفعل الذى وجب تركه، يقال: هذا حِرْم وحَرَم، كما يقال: فيما أبيح فعله هذا حِلّ وحلال.

المعنى: سبق قضاء الله ـ تعالى ـ الذى لا رادّ لحكمه بأنه ممتنع على كل قرية أهلك الله أهلها بالعذاب فى الدنيا أنهم يعودون إلى الدنيا مرّة أخرى. وبناء عليه تكون «لا» فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿أَنَّهُمْ لا يَرْجِعُونَ﴾ زائدة(٢).

﴿حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ (٩٦)﴾

معانى المفردات:

* ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ﴾:

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٦٠٢).

(٢) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٣/ ٤٣).

✳ **المعنى:** حتى إذا فتح سدّ يأجوج ومأجوج.

* وعن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَهُم مِّن كُلِّ حدبٍ يَنسِلُونَ﴾ قال: أى من كل شرف يقبلون، أى: لكثرتهم ينسلون من كل ناحية.. اهـ[١].

والحدَب: ما ارتفع من الأرض، والجمع «الحِدَاب». مأخوذ من حدبة الظهر.

* وأخرج أحمد، وأبو يعلى، وابن ماجه، وابن جرير، وابن المنذر، وابن حبّان، والحاكم وصححه، عن أبى سعيد الخدرى ـ رضى الله عنه ـ قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «يُفتَح يأجوج ومأجوج فيخرجون غلى الناس كما قال الله: ﴿مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ﴾ فيغشون الناس، وينحاز المسلمون عنهم إلى مدائنهم وحصونهم، ويضمّون إليهم مواشيهم، ويشربون مياه الأرض حتى يتركوه يَبَسًا، حتى إنّ بعضهم ليمرّ بذلك النَّهْر فيقول: قد كان هاهنا مرّة ماء. حتى إذا لم يبق من الناس أحد إلا أخذ فى حِصْن أو مدينة، قال قائلهم: هؤلاء أهل الأرض قد فرغنا منهم وبقى أهل السماء، قال: يهزّ أحدهم حربته ثم يرمى بها إلى السماء فترجع إليه مخضّبة دمًا للبلاء والفتنة، فبينما هم على ذلك إذْ بعث الله دودًا فى أعناقهم كنغف الجراد يخرج فى أعناقهم، فيصبحون موتى لا يُسْمع لهم حسٌّ.

فيقول المسلمون: ألا رجل يشترى لنا نَفْسه فينظر ما فعل هؤلاء العدوّ؟ فيتجرّد رجل منهم محتسبًا قد أوطنها على أنه مقتول، فينزل فيجدهم موتى بعضهم على بعض، فينادى معشر المسلمين أبشروا إن الله قد كفاكم عدوّكم. فيخرجون من مدائنهم وحصونهم، ويسرّحون مواشيهم فما يكون لها مرعى إلا لحومهم، فتشكر عنه أحسن ما شكرت عن شيء من النبات أصابته قط» اهـ[٢].

* وأخرج ابن جرير، عن حذيفة بن اليمان ـ رضى الله عنه ـ قال: لو أن رجلا اقتنى «فلوّا» بعد خروج يأجوج ومأجوج لم يركبه حتى تقوم الساعة.. اهـ[٣].

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (١١/ ٢٢٦).
(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٦٠٤).
(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٦٠٧).

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ ﴾ [رقم: ٩٦].

* قرأ ابن عامر، وأبو جعفر، ويعقوب: ﴿ فتّحت ﴾ بتشديد التاء للتكثير، وقرأ الباقون بتخفيفها، على الأصل.

* وقرأ عاصم: ﴿ يأجوج ومأجوج ﴾ بهمزة ساكنة فيهما.

* وقرأ الباقون بإبدالها ألفا(١).

﴿ وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ (٩٧) إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ (٩٨) ﴾

معانى المفردات:

* عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم (ت حوالى ١٧٠هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ ﴾، قال: اقترب يوم القيامة.. اهـ(٢).

* ﴿ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾:

المعنى: إن الذين كفروا فى هذا اليوم تكون أبصارهم شاخصة، أي: لا تكاد تطرف من هول هذا اليوم.

* ﴿ يَا وَيْلَنَا ﴾: يقولون: يا ويلنا، أي: يا هلاكنا.

* ﴿ قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا ﴾: اليوم.

* ﴿ بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ ﴾: بوضعنا العبادة فى غير موضعها.

* عن الضحّاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ﴾ قال المراد: الآلهة ومن يعبدها.. اهـ(٣).

* عن مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ)، وعكرمة مولى ابن عباس (ت ١٠٥هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ حَصَبُ جَهَنَّمَ ﴾، قالا: حطب جهنم.. اهـ(٤).

---

(١) انظر: المهذب فى القراءات العشر وتوجيهها (٢/ ٤١).

(٢ : ٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٦٠٧).

* ﴿ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ﴾: الخطاب للمشركين عبدة الأصنام، وحينئذ يكون المعنى: أنتم واردوها مع الأصنام.

* وأخرج أبو داود في ناسخه، وابن المنذر، وابن مردويه، عن ابن عباس (ت ٦٨ هـ - رضي الله عنهما) قال: لما نزلت: ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ﴾ شقّ ذلك على أهل مكة وقالوا: شتم آلهتنا، فقال: ابن الزِّبَعْرى: أنا أخصم لكم «محمدًا» ادعوه لي، فَدُعي، فقال: يا «محمد»، هذا شيء لآلهتنا خاصّة؟ أم لكل من عُبِدَ من دون الله؟ قال: «بل لكل مَنْ عُبِد من دون الله» فقال ابن الزّبعرى: خصمتَ وربِّ هذه البنية، يعني: الكعبة. ألست تزعم يا «محمد»، أن «عيسى» عبد صالح، وأنّ «عزيرًا» عبد صالح، وأن الملائكة صالحون؟ قال: «بلى»، قال: فهذه النصارى تَعْبُد «عيسى». وهذه اليهود تعبد «عزيرًا»، فضجّ أهل مكة وفرحوا. فنزلت: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ ﴾، أي: عزير، وعيسى، والملائكة. * ﴿ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴾.. اهـ[1].

* وأقول حينئذ تكون هذه الآية: ﴿ إِنَّكُمْ وما تَعْبُدُون من دُون اللَّه حصبُ جهنَّم أنتم لها وارِدُون ﴾ قد خصّصتها الآية: ﴿ إِنَّ الَّذين سبقت لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئك عنها مُبْعَدُونَ (١٠١) ﴾ [الأنبياء: ١٠١].

﴿ لَوْ كَانَ هَٰؤُلَاءِ آلِهَةً مَّا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ (٩٩) لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ (١٠٠) ﴾

❀ معاني المفردات:

* ﴿ لَوْ كَانَ هَٰؤُلَاءِ آلِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ﴾: في تفسير ذلك قولان:

* الأول: لو كانت الأصنام آلهة لما ورد عابدوها النار.

* والثاني: لو كانت الأصنام آلهة لما وردها العابدون والمعبودون.

* ﴿ وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾: التنوين في ﴿ وَكُلٌّ ﴾ عوض عن المضاف إليه، ويقدر حسب التفسيرين المتقدمين:

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٤/ ٦٠٧ - ٦٠٨).

* الأول: وكل العابدين في النار.

* والثاني: وكل العابدين والمعبودين في النار.

* ﴿ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ ﴾، أي: لهؤلاء الذين وردوا النار من الكفار والمعبودين.

* ﴿ وَهُمْ فِيهَا لا يَسْمَعُونَ ﴾:

المعنى:

وهم في النار لا يسمعون شيئًا، لأنهم يحشرون صمًّا، كما قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَّأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا (٩٧) ﴾ [الإسراء: ٩٧].

* وعن ابن مسعود (ت ٣٢هـ ـ رضي الله عنه) قال: إذا بقي في النار من يخلّد فيها جعلوا في توابيت من حديد نار، فيها مسامير من حديد نار، ثم جعلت تلك التوابيت في توابيت من حديد، ثم قذفوا في أسفل الجحيم فما يَرى أحدهم أنه يُعذّب في النار غيره، ثم قرأ ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: ﴿ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لا يَسْمَعُونَ ﴾.. اهـ[1].

﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ (١٠١) ﴾

سبب نزول هذه الآية:

* قال أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي (ت ٤٦٨هـ):

* أخبرنا أبو عمر بن أحمد بن عمرو الماوردي، قال: حدثنا عبد الله بن محمد ابن نصر الرازي، قال: أخبرنا محمد بن أيوب، قال: أخبرنا علي بن المديني، قال: حدثنا يحيى بن نوح، قال: حدثنا أبو بكر بن عيّاش، عن عاصم، قال: أخبرني أبو رُزَين، عن أبي يحيى، عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضي الله عنهما) قال: آية لا يسألني الناس عنها، لا أدري أعرفوها فلم يسألوا عنها، أو جهلوها فلا يسألون عنها؟ قيل: وما هي؟ قال: لما نزلت: ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ (٩٨) ﴾ [الأنبياء: ٩٨]. شقّ على قريش، فقالوا: يشتم آلهتنا، فجاء ابن

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٤/ ٦٠٨).

الزِّبَعْرى فقال: ما لكم؟ قالوا: يشتم آلهتنا، قال: فما قال؟ قالوا: قال: ﴿إِنَّكُمْ وما تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ (٩٨)﴾، قال: ادعوه لى، فلما دُعى رسول الله ﷺ قال: يا «محمد»، هذا شىء لآلهتنا خاصّة، أو لكلّ مَنْ عُبد من دون الله؟ قال: «لا بل لكل من عُبِدَ من دون الله». فقال ابن الزِّبَعْرَى: خُصِمْتَ وربِّ هذه البنية ـ يعنى الكعبة ـ ألست تزعم أنّ الملائكة عباد صالحون؟ وأنّ «عيسى» عبد صالح؟، وأن «عزيرًا» عبد صالح؟ قال: «بلى» قال: فهذه «بنو مليح يعبدون الملائكة، وهذه النصارى يعبدون «عيسى» وهذه اليهود يعبدون «عزيرًا» قال: فصاح أهل مكة، فأنزل الله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ﴾، أى: الملائكة، وعيسى، وعزير ـ عليهم السلام ـ * ﴿أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾.. اهـ[1].

معانى المفردات:

* ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ﴾، أى: الجنّة.

* ﴿أُولَٰئِكَ عَنْهَا﴾، أى: عن النار. * ﴿مُبْعَدُونَ﴾.

* قال محمد بن حاطب: سمعتُ علىّ بن أبى طالب (ت ٤٠هـ ـ رضى الله عنه) يقرأ هذه الآية على المنبر: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾، فقال: سمعت النبى ﷺ يقول: «إنّ عثمان منهم» اهـ[2].

﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ (١٠٢) لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ (١٠٣)﴾

معانى المفردات:

* ﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا﴾:

* أخرج ابن مردويه، عن أبى هريرة (ت ٥٩هـ ـ رضى الله عنه) عن النبى ﷺ فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا﴾، قال: «حيّات على الصراط تقول: حس حس» اهـ[3].

---

(١) انظر: أسباب النزول للواحدى ص٥٧٣، وأسباب النزول للشيخ القاضى ص١٤٦.

(٢) انظر: تفسير القرطبى (١١/ ٢٢٩). (٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٦٠٩).

* ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ﴾: للعلماء فى بيان المراد من الفزع الأكبر أقوال ثلاثة:

أولا: قال ابن عباس (ت ٦٨هـ - رضى الله عنهما): المراد من الفزع الأكبر: أهوال يوم القيامة، والبعث.. اهـ[١].

ثانيًا: قال الحسن البصرى (ت ١١٠هـ): هو وقت يؤمر بالعباد إلى النار.. اهـ[٢].

ثالثًا: قال سعيد بن جبير (ت ٩٥هـ)، والضحّاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ)، وابن جريج عبد الملك بن عبد العزيز (ت ١٥٠هـ): هو إذا أطبقت النار على أهلها، وذُبِح الموتُ بين الجنة والنار.. اهـ[٣].

* أخرج أحمد، والترمذّى وحسَّنه، عن ابن عمر (ت ٧٣هـ - رضى الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة على كثبان المسك لا يهولهم الفزع الأكبر يوم القيامة:

١ - رجل أمّ قومًا وهم به راضون.

٢ - ورجل كان يؤذِّن فى كل يوم وليلة.

٣ - وعبد أدّى حقّ الله، وحقّ مواليه.. اهـ[٤].

* وأخرج الطبرانى فى الأوسط، عن أبى الدرداء - رضى الله عنه - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «المتحابون فى الله فى ظلّ الله يوم لا ظلّ إلا ظلّه، على منابر من نور، يفزع الناس ولا يفزعون» اهـ[٥].

* وأخرج الطبرانى عن أبى أمامة - رضى الله عنه -: أن رسول الله ﷺ قال: «بشّر المدلجين فى الظلم بمنابر من نور يوم القيامة، يفزع الناس ولا يفزعون» اهـ[٦].

* وعن مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) فى قوله - تعالى -: ﴿وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾، قال: تتلقاهم الملائكة الذين كانوا قرناءهم فى الدنيا يوم القيامة فيقولون: «نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة، لا نفارقكم حتى تدخلوا الجنة».. اهـ[٧].

* وعن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم (ت حوالى ١٧٠هـ) فى قوله - تعالى -: ﴿هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ قال: هذا قبل أن يدخلوا الجنّة.. اهـ[٨].

(١ : ٣) انظر: تفسير القرطبى (١١/ ٢٢٩).

(٤ : ٨) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٦١٠).

القراءات وتوجيهها:

* ﴿لا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الأَكْبَرُ﴾ [رقم: ١٠٣].

* قرأ أبو جعفر: ﴿لا يُحْزِنهم﴾ بضم الياء، وكسر الزاى، على أنه مضارع «أحزن» الرباعى.

* وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿لا يَحْزُنهم﴾ بفتح الياء، وضم الزاى، على أنه مضارع «حزن» الثلاثى(١).

﴿ يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا إنا كنا فاعلين (١٠٤) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿يوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾، ورد فى تفسير ذلك قولان:

الأول: قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما)، ومجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) معنى ذلك: كطىِّ الصحيفة على ما فيها، فاللام بمعنى «على».. اهـ(٢).

والثانى: قال ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ، وابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ (ت ٧٣هـ)، والسدِّى إسماعيل بن عبد الرحمن (ت ١٢٧هـ) قالوا: ﴿السِّجلّ﴾: مَلَك، وهو الذى يطوى كتب بنى آدم إذا رفعت إليه.. اهـ(٣).

* وقال القرطبى فى تفسيره:

يقال: إنّ السجلّ فى السماء الثالثة، ترفع إليه أعمال العباد، يرفعها إليه الحفظة الموكلون بالخلق فى كل خميس واثنين(٤).

* والسجلّ: الصّك، وهو اسم مشتقّ من السّجالة وهى الكتابة. وأصلها من: السَّجْل وهو الدَّلْو، تقول: ساجلتُ الرجل: إذا نزعت دلْوًا، ونزع هو دلْوًا، ثم استعير فسمِّيت المكاتبة والمراجعة مساجلة.

---

(١) انظر: المهذب فى القراءات العشر وتوجيهها (٢/ ٤١).

(٢ : ٤) انظر: تفسير القرطبى (١١/ ٢٣٠).

* وعن مجاهد بن جبر (ت ١٠٤ هـ) في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ كما بدأنا أوّل خلقٍ نُّعيدهُ ﴾ قال: عراة حفاة غرلا.. اهـ[1].

* روى النسائي عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ، عن النبي ﷺ أنه قال: «يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرْلا، أول الخلق يكسى يوم القيامة «إبراهيم» ـ عليه السلام ـ».. اهـ[2].

* ﴿ وعْدًا علَيْنا إنَّا كُنَّا فاعِلين ﴾، أي: ما وعد الله به.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ﴾ [رقم: ١٠٤].

* قرأ أبو جعفر: ﴿ تُطوَى ﴾ بضم التاء، وفتح الواو، على أنه فعل ماض مبني للمجهول، و﴿ السماءُ ﴾ بالرفع نائب فاعل وأنث الفعل لأن السماء مؤنثة.

* وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ نَطوِى ﴾ بنون العظمة مفتوحة وكسر الواو. و﴿ السماءَ ﴾ بالنصب، مفعول به.

* وقرأ حفص، وحمزة، والكسائي، وخلف البزّار: ﴿ للكتب ﴾ بضم الكاف والتاء، وحذف الألف، على أنه جمع «كتاب» بمعنى الصحف.

* وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ للكتاب ﴾ على الإفراد[3].

﴿ ولقدْ كتبنا في الزَّبُورِ من بعْد الذكْرِ أنَّ الأرْض يرِثُها عبادي الصَّالحُون (١٠٥) ﴾

معاني المفردات:

* ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ ﴾: للعلماء في المراد من «الزبور» أقوال أذكر أرجحها فيما يلي:

أولا: قال ابن عباس (ت ٦٨ هـ ـ رضي الله عنهما) «الزبور»: الكتب التي أنزلها الله من بعد «موسى» ـ عليه السلام ـ على أنبيائه.. اهـ[4].

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٤/ ٦١١).
(٢) انظر: تفسير القرطبي (١١/ ٢٣٠).
(٣) انظر: المغني في توجيه القراءات (٣/ ٤٤ ـ ٤٥).
(٤) انظر: تفسير القرطبي (١١/ ٢٣١).

ثانيًا: قال سعيد بن جبير (ت ٩٥هـ): «الزبور»: التوراة، والإنجيل، والقرآن.. اهـ[١].

ثالثًا: قال مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ)، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم (ت حوالى ١٧٠هـ): «الزبور»: كتب الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ.. اهـ[٢].

رابعًا: قال الشعبى عامر بن شراحيل (١٠٥هـ): «الزبور»: زبور «داود» ـ عليه السلام ـ.. اهـ[٣].

* وقال القرطبى فى تفسيره: الزبور، والكتاب: بمعنى واحد، ولذا جاز أن يقال «للتوراة» و«الإنجيل» زبور.. اهـ[٤].

* ﴿مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ﴾، فى ذلك قولان:

الأول: قال ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ وعامر بن شراحيل: المراد بالذكر: التوراة المنزلة على «موسى» ـ عليه السلام ـ.. اهـ[٥].

والثانى: قال مجاهد بن جبر، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم: الذكر: أم الكتاب الذى عند الله فى السماء.. اهـ[٦].

* ﴿أَنَّ الأَرْضَ يرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾:

* قال ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ وسعيد بن جبير، ومجاهد بن جبر: المراد بالأرض: أرض الجنة، ودليل ذلك قول الله ـ تعالى ـ: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ﴾ [الزمر: ٧٤].. اهـ[٧].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ﴾ [رقم: ١٠٥].

* قرأ حمزة، وخلف البزّار: ﴿الزُّبور﴾ بضم الزاى.

* وقرأ الباقون من القراء العشرة بفتح الزاى، وهما لهجتان[٨].

(١ : ٧) انظر: تفسير القرطبى (١١/ ٢٣١).

(٨) انظر: المهذب في القراءات العشر وتوجيهها (٢/ ٤٢).

﴿ إنَ في هذا لبلاغًا لِّقومٍ عَابدِين (١٠٦) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ إِنَّ فِي هَذَا ﴾، أي: فى القرآن الكريم.

* ﴿ لَبَلاغًا ﴾، أي: وصولا إلى البغية والمقصد، لكل من اتبع القرآن وعمل بما جاء فيه.

* ﴿ لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ ﴾: وهم المؤمنون الذين يعبدون الله ـ تعالى ـ.

* وقال أبو هريرة (ت ٥٩هـ ـ رضى الله عنه)، وسفيان الثورى (ت ١٦١هـ): هم أهل الصلوات الخمس(١).

﴿ وما أرْسَلْنَاك إلاَّ رحمةً لِّلْعالمين (١٠٧) قُلْ إنَّما يُوحىٰ إليَّ أنَّما إلهُكُم إلهٌ واحدٌ فهل أنتم مُّسْلمُون (١٠٨) فإن تولَّوْا فقُلْ آذَنتُكُمْ علَىٰ سَواءٍ وإنْ أدْرِي أقريبٌ أم بعيدٌ مَّا تُوعدون (١٠٩) ﴾

معانى المفردات:

* عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وما أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ قال: من آمن تمت له الرحمة فى الدنيا والآخرة، ومن لم يؤمن عوفى مما كان يصيب الأمم فى عاجل الدنيا من العذاب: من المسخ والخسف والقذف.. اهـ(٢).

* وعن عكرمة مولى ابن عباس (ت ١٠٥هـ) قال: قيل: يا رسول الله ألا تلعن قريشًا بما أتوا إليك؟ فقال: «لم أبعث لعَّانًا إنما بعثت رحمة»، يقول الله: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾.. اهـ(٣).

* وعن أبى هريرة (ت ٥٩هـ ـ رضى الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «إنما أنا رحمة مهداة» اهـ(٤).

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (١١/ ٢٣٢).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٦١٣).

(٣، ٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٦١٤).

* وعن أبى أمامة - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله بعثنى رحمة للعالمين، وهدى للمتقين» اهـ[١].

* ﴿ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ﴾، أى: لا شريك له.

* ﴿ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾: الاستفهام هنا معناه الأمر، أى: أسلموا. ونظير ذلك قوله - تعالى -: ﴿ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ (٩١) ﴾ [المائدة: ٩١]، أى: انتهوا.

* ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا ﴾، أى: أعرضوا عن الإسلام ولم يؤمنوا.

* ﴿ فَقُلْ آذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ ﴾، فى معنى ذلك قولان:

الأول: فقل لهم: أعلمتكم بالحرب على وجه نستوى نحن وأنتم فى العلم به.

ونظير ذلك قوله - تعالى -: ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ (٥٨) ﴾ [الأنفال: ٥٨][٢].

والثانى: قال الزجّاج إبراهيم بن السَّرى (ت ٣١١هـ): معنى ذلك: قل لهم: أعلمتكم بما يوحى إلىّ على استواء فى العلم به أنتم وغيركم، ولم أظهر لأحد شيئًا كتمته عن غيره.. اهـ[٣].

* ﴿ وَإِنْ أَدْرِي ﴾: ﴿ إِنْ ﴾ نافية بمعنى «ما»، أى: وما أدرى.

* ﴿ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴾:

* قال ابن عباس (ت ٦٨هـ - رضى الله عنهما) المراد: أجل يوم القيامة لا يدريه أحد، لا نبىّ مرسل، ولا مَلَك مقرّب.. اهـ[٤].

﴿ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ (١١٠) وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ (١١١) قَالَ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَٰنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ (١١٢) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴾، أى: لا تخفى عليه خافية فى الأرض ولا فى السماء، قال الله - تعالى -: ﴿ قُلْ إِن تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ ﴾ [آل عمران: ٢٩].

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٦١٤). (٢ : ٤) انظر: تفسير القرطبى (١١/ ٢٣٢).

* ﴿ وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ ﴾، أي: لعل إمهال الله ـ تعالى ـ لكم بتأخير عذابه عنكم أيها المشركون اختبار لكم ليرى كيف صنيعكم.

* ﴿ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾، أي: تتمتعون إلى انقضاء آجالكم.

* ﴿ قَالَ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ ﴾:

✳ **المعنى:** طلب الرسول ﷺ من الله ـ تعالى ـ أن يحكم بينه وبين هؤلاء المكذبين وأن ينصره عليهم.

* وعن قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) قال: كانت الأنبياء تقول: ﴿ رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ (٨٩) ﴾ [الأعراف: ٨٩]، فأمر الله النبي ﷺ أن يقول: ﴿ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ ﴾ فكان إذا لقي العدوّ يقول وهو يعلم أنه على الحق، وعدوّه على الباطل: ﴿ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ ﴾، أي: اقضِ به.. اهـ[1].

* ﴿ وَرَبُّنَا الرَّحْمَٰنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾: من الكذب والباطل.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ قَالَ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَٰنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾ [رقم: ١١٢].

* قرأ حفص: ﴿ قال ﴾ على أنه فعل ماض مسند إلى ضمير الرسول ﷺ المتقدم ذكره في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾ [رقم: ١٠٧]، وهو إخبار عما قاله الرسول ﷺ للمعرضين عن دعوته.

* وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ قُلْ ﴾ فعل أمر من الله ـ تعالى ـ لنبيه ﷺ ليجيب به المعرضين عن دعوته.

* وقرأ أبو جعفر: ﴿ ربُّ ﴾ بضم الباء، وهي ضمة بناء.

* وقرأ الباقون: ﴿ ربِّ ﴾ بالكسرة، على أنه منادى مضاف الياء المتكلم المحذوفة للتخفيف، والكسرة لمناسبة الياء المحذوفة.

---

(١) انظر: تفسير القرطبي (١١/ ٢٣٣).

* وقرأ ابن ذكوان بخلف عنه: ﴿ يصفون ﴾ بياء الغيبة، على الالتفات من الخطاب إلى الغيبة.

* وقرأ الباقون: ﴿ تصفون ﴾ بتاء الخطاب، وهو الوجه الثاني لابن ذكوان، لمناسبة الخطاب في قوله ـ تعالى ـ قبلُ: ﴿ وإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُم ومَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ [رقم: ١١١][1].

• • •

تم ولله الحمد والشكر تفسير سورة الأنبياء

ويليها بإذن الله ـ تعالى ـ

[تفسير سورة الحج]

• • •

(١) انظر: المغني في توجيه القراءات العشر (٣/ ٤٥ ـ ٤٦).

سورة الحج
مدنية وهي ثمان وسبعون آية

* عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما)، وعبد الله بن الزبير (ت ٧٣هـ ـ رضى الله عنهما) قالا: نزلت سورة الحج بالمدينة.. اهـ[١].

* وعن قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) قال: نزل بالمدينة من القرآن سورة الحج غير أربع آيات مكيّات: رقم ٥٢ ـ ٥٣ ـ ٥٤ ـ ٥٥.. اهـ[٢].

* وعن عقبة بن عامر ـ رضى الله عنه ـ قال: قلت: يا رسول الله، أفضلت سورة الحج على سائر القرآن بسجدتين؟ قال: «نعم، فمن لم يسجدهما فلا يقرأهما» اهـ[٣].

* وعن عمر بن الخطاب (ت ٢٣هـ ـ رضى الله عنه): أنه كان يسجد سجدتين فى سورة الحج، وقال: إن هذه السورة فضلت على سائر السور بسجدتين.. اهـ[٤].

﴿ يا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ① يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ② ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ ﴾، أى: اخشوه فى أوامره أن تتركوها، ونواهيه أن تُقْدِموا عليها.

* ﴿ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴾: الزلزلة: شدّة الحركة، ومنه قوله ـ تعالى ـ: ﴿ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ⑪ ﴾ [الأحزاب: ١١].

* وعن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم (ت حوالى ١٧٠هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴾ قال: هذا بدء يوم القيامة.. اهـ[٥].

(١ : ٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٦١٦).

(٥) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٦١٩).

* ﴿ يَوْمَ تَرَوْنَهَا ﴾، الهاء فى ﴿ تَرَوْنَهَا ﴾ عائد على «زلزلة الساعة».

* وعن عبد الرحمن بن زيد فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ ﴾، قال: تترك ولدها للكرب الذى نزل بها[١].

* وعن الحسن البصرى (ت ١١٠هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا ﴾، قال: ألقت الحوامل ما فى بطونها لغير فطام.. اهـ[٢].

* وعن الحسن البصرى فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ ﴾: قال: من الخوف، وفى قوله: ﴿ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ ﴾، قال: من الشرب[٣].

* وأخرج سعيد بن منصور، وأحمد، وعبد بن حميد، والترمذىّ وصححه، والنسائى، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبى حاتم، والحاكم وصححه، وابن مردويه من طرق، عن الحسن البصرى (ت ١١٠هـ) وغيره، عن عمران بن حصين ـ رضى الله عنه ـ قال: لما نزلت: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴾ إلى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴾، أنزلت عليه هذه وهو فى سفر فقال: «أتدرون أىّ يوم ذلك؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «يوم يقول الله لآدم ابعث بعث النار. قال: يا ربّ وما بعث النار؟ قال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين إلى النار، وواحدًا إلى الجنّة».

فأنشأ المسلمون يبكون، فقال رسول الله ﷺ: «قاربوا وسددوا فإنها لم تكن نبوّة قط، إلا كان بين يديها جاهلية، فتؤخذ العدّة من الجاهلية، فإن تمّت، وإلا أكملت من المنافقين، وما مثلُكم: إلا كمثل الرقعة فى ذراع الدّابة، أو كالشّامة فى جنب البعير».

ثم قال: «إنى لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة» فكبّروا. ثم قال: «إنى لأرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة» فكبّروا. ثم قال: «إنى لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة» فكبّروا.

قال ـ أى عمران بن حصين ـ: فلا أدرى قال الثلثين أم لا.. اهـ[٤].

(١ : ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٦١٩).

(٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٦١٧).

﴿ ومن النَّاس من يُجادلُ فِي اللَّهِ بغيرِ علْمٍ ويتَّبعُ كُلَّ شيْطَانٍ مَّرِيدٍ (٣) كُتب عليه أنَّه من تولاَّه فأنَّهُ يُضلُّه ويهديه إلىٰ عذابِ السعير (٤) ﴾

معانى المفردات:

* عن ابن جريج عبد الملك بن عبد العزيز (ت ١٥٠هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ ومنَ النَّاسِ من يُجادلُ فِي اللَّهِ بغَيْرِ علْمٍ ﴾: قال: نزلت فى النضر بن الحارث[١]، وذلك أنه قال: إنّ الله ـ عزّ وجلّ ـ غير قادر على إحياء من قد بلى وعاد ترابًا.

* ﴿ ويَتَّبِعُ كُلَّ شيْطَانٍ مَّرِيدٍ ﴾، أى: متمرّد.

* وعن مجاهد بن جبر (ت ١١٠هـ)، وقتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ كُتب عَلَيْه ﴾، قالا: كتب على الشيطان.. اهـ[٢].

* وعن مجاهد بن جبر فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ أنَّهُ من تولاَّهُ ﴾، قال: من اتبعه.. اهـ[٣].

* ﴿ فأَنَّهُ يُضلُّهُ ويَهْدِيهِ إلَىٰ عذَابِ السَّعِيرِ ﴾.

﴿ يا أَيُّها النَّاسُ إن كُنتُمْ فِي ريْبٍ مِّن الْبعْث فإنَّا خلَقْناكُم مِّن تُرابٍ ثُمَّ من نُّطْفةٍ ثم من علقةٍ ثُم من مُّضْغةٍ مُّخلَّقةٍ وغيْرِ مُخلَّقةٍ لِّنُبيِّن لكُمْ ونُقرُّ فِي الأَرْحامِ ما نشاءُ إلىٰ أجلٍ مُّسمًى ثُمَّ نُخرِجُكُمْ طفلاً ثُمَّ لِتبلُغُوا أشُدَّكُم ومنكُم مَّن يتوفَّىٰ ومنكُم مَّن يُردُّ إلىٰ أرذلِ العُمُرِ لِكيْلا يعلم من بعد علْمٍ شيْئًا وترى الأرض هامدةً فإذا أنزلْنا عليها الماء اهتزتْ وربتْ وأنبتتْ من كُلِّ زوجٍ بهيجٍ (٥) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إن كُنتُمْ فِي ريْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ ﴾:

المعنى: يا أيها الناس إن كنتم فى شك من الإحياء بعد الموت وهو البعث من القبور.

* ﴿ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ﴾، أى: خلقنا أباكم «آدم» ـ عليه السلام ـ الذى هو أصل البشر من تراب.

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٦١٩).

(٢، ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٦٢٠).

* ﴿ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾، أى: خلقنا ذريته من نطفة وهى المنىّ. وسمّى نطفة لقلته، والنّطف: القطر. يقال: نَطَف يَنْطِف، ينطُف: بكسر الطاء وضمها فى المضارع.

* ﴿ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ﴾: وهى الدَّم الجامد.

* ﴿ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ﴾: وهى لحمة قليلة قدر ما يمضغ. وهذه الأطوار أربعة أشهر.

* قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما): وفى العشر بعد الأشهر الأربعة يُنفخ فيه الروح، فذلك عدّة المتوفّى عنها زوجها، أربعة أشهر وعشرًا.. اهـ[١].

* ﴿مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾: للعلماء فى تفسير ذلك أقوال:

١ ـ فقال ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ: المخلّقة: ما كان حيّا، ﴿وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾: ما كان من سقط[٢].

٢ ـ وقال أبو زكريا الفراء (ت ٢٠٧هـ): المخلّقة: تامّة الخلْق، ﴿وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾: السقط[٣].

٣ ـ وقال ابن الأعرابى: ﴿مُّخَلَّقَةٍ﴾: قد بدأ خلقها، ﴿وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾: لم تصوّر بعد.. اهـ[٤].

* ﴿لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ﴾: كمال قدرتنا بتصريفنا أطوار الخلق.

* وعن السدّى إسماعيل بن عبد الرحمن (ت ١٢٧هـ)، وعبد الرحمن بن زيد ابن أسلم (ت حوالى ١٧٠هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: قالا: هذا ما كان من ولد يولد يقرّه الله ـ تعالى ـ فى الرحم حتّى يخرج تامّا وليس بسقط.. اهـ[٥].

* ﴿ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾: ﴿طِفْلًا﴾: اسم جنس يصدق على القليل والكثير.

* ﴿ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ﴾، أى: نهاية قوتكم، وكمال عقولكم.

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (١٢/ ٦).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٦٢١).

(٣، ٤) انظر: تفسير القرطبى (١٢/ ٨).

(٥) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٦٢١).

* ﴿ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ ﴾، أى: يموت.

* ﴿ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ ﴾، أى: أخسّه وأدْوَنه، وهو الهَرَم والخرف حتى لا يعقل، ولهذا قال: ﴿ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا ﴾، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿ وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ (٦٨) ﴾ [يس: ٦٨].

* وعن ابن جريج عبد الملك بن عبد العزيز (ت ١٥٠هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً ﴾ قال: لا نبات فيها.. اهـ[١].

* وقال قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) معنى ذلك: غبراء متهشّمة.. اهـ[٢].

* ﴿ فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ ﴾، أى: تحركت. والاهتزاز: شدّة الحركة.

* ﴿ وَرَبَتْ ﴾، أى: زادت، يقال: ربا الشىء يربو، أى: زاد. ومنه: الربا، والرَّبْوة.

* وعن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما)، وقتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾، قالا: حسن.. اهـ[٣].

* وأخرج أحمد، والبخارى، ومسلم، وأبو داود، والترمذى، والنسائىّ، وابن ماجه، وابن المنذر، وابن أبى حاتم، والبيهقى فى شعب الإيمان عن عبد الله بن مسعود (ت ٣٢هـ ـ رضى الله عنه) قال: حدّثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق: «إنّ أحدكم يُجْمع خلقه فى بطن أمه أربعين يومًا نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يُرْسل إليه الملك فينفخ فيه الروح، ويؤمر بأربع كلمات: بكتْب رزقه، وأجله، وعمله، وشقىّ أو سعيد، فوالذى لا إله غيره إنّ أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنّة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإنّ أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها» اهـ[٤].

(١ : ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٦٢٢).

(٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٦٢٠).

﴿ ذلك بأنَّ اللَّه هو الْحقُّ وأنَّهُ يُحْيِي الْموْتىٰ وأنَّهُ علىٰ كُلِّ شيْءٍ قديرٌ ۝٦ وأنَّ السَّاعة آتيةٌ لَّا ريْب فيها وأنَّ اللَّه يبْعثُ من في الْقُبُورِ ۝٧ ومن النَّاسِ من يُجادِلُ في اللَّه بغيْرِ علْمٍ ولا هُدًى ولا كتابٍ مُّنيرٍ ۝٨ ثاني عطْفه ليُضلَّ عن سبيلِ اللَّه لهُ في الدُّنْيا خزْيٌ ونُذيقُهُ يوم الْقيامة عذاب الْحريقِ ۝٩ ﴾

❀ معاني المفردات:

* ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ ﴾ إلى قوله: ﴿ يَبْعَثُ من فِي الْقُبُورِ ﴾:

* عن أنس بن مالك (٩٣هـ ـ رضي الله عنه) رفعه إلى النبيّ ﷺ قال: «من قال في كل يوم أربع مرات: أشهد أن الله هو الحق المبين، وأنه يحيي الموتى، وأنه على كل شيء قدير، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور، صرف الله عنه السّوء» اهـ(١).

* ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ الآيتان:

* قال مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ): نزلت هاتان الآيتان في النضر بن الحارث، وحينئذ يكون المعنى: إن النضر بن الحارث يجادل في الله بغير علم، ومن غير هدى وكتاب منير، ليضلّ عن سبيل الله.. اهـ(٢).

* وعن قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ)، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم (ت حوالي ١٧٠هـ) في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ ثَانِي عِطْفِهِ ﴾، قالا: لاوى عنقه معرضًا تكبرًا، لا يريد أن يسمع ما قيل له من القرآن وهَدْي السماء(٣).

* ﴿ لِيُضِلَّ عن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾، أي: عن طاعة الله ـ تعالى ـ.

* ﴿ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ ﴾: هوان وذلّ بما يجري له من الذكر القبيح على ألسنة المؤمنين إلى يوم القيامة.

وقيل: الخزي: هو قتله يوم «بدر» فقد ثبت أن النبي ﷺ قال: قُتِل النضر بن الحارث يوم بَدْر صَبْرًا.. اهـ(٤).

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٤/ ٦٢٢).

(٢، ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٤/ ٦٢٣).

(٤) انظر: تفسير القرطبي (١٢/ ١٣).

* ﴿ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾، أي: نار جهنم.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ [رقم: ٩].

* قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ورويس: ﴿ لَيَضلّ ﴾ بفتح الياء، على أنه مضارع «ضَلّ» الثلاثى، وهو لازم، أى: لَيَضلّ هو فى نفسه.

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ لِيُضلّ ﴾ بضم الياء، على أنه مضارع من «أضلّ» وهو متعدّ، والمفعول محذوف، أى: لِيُضلّ غيره[١].

﴿ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٠﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١١﴾ ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ ﴾ الآية:

المعنى: يقال يوم القيامة للنضر بن الحارث إذا دخل النار: ذلك العذاب بما قدمت يداك من المعاصى، والكفر.

ولعلّ الحكمة فى التعبير باليد عن الإنسان، لأن اليد هى التى تبطش فى الجملة.

سبب نزول الآية رقم ١١:

* أخرج ابن أبى حاتم، وابن مردويه بسند صحيح، عن ابن عباس (ت ٦٨هـ - رضى الله عنهما) قال: كان ناس من الأعراب يأتون النبى ﷺ فيُسْلمون، فإذا رجعوا إلى بلادهم: فإن وجدوا عام غيث وعام خصب، قالوا: إنّ ديننا هذا صالح فتمسكوا به.

وإن وجدوا عام جدب وعام قحط، قالوا: ما فى ديننا هذا خير، فأنزل الله: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ﴾ الآية.. اهـ[٢].

---

(١) انظر: المهذب فى القراءات العشر وتوجيهها (٢/ ٤٥).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٦٢٣).

❀ معانى المفردات:

* عن الحسن البصرى (ت ١١٠هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ﴾، قال: هو المنافق يعبد الله بلسانه دون قلبه.. اهـ[١].

* وعن مجاهد بن جبر قال: رخاء وعافية.

* وفى قوله: ﴿ اطْمَأَنَّ بِهِ ﴾، قال: استقرّ.

* وفى قوله: ﴿ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ﴾، قال: عذاب ومصيبة.

* وفى قوله: ﴿ انقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ ﴾، قال: ارتدّ على وجهه كافرًا.. اهـ[٢].

* ﴿ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴾: وخسرانه الدنيا: بأن لا حظّ له فى غنيمة ولا ثناء. وخسرانه الآخرة: بأن لا ثواب له فيها.

﴿ يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَضُرُّهُ وَمَا لا يَنفَعُهُ ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلالُ الْبَعِيدُ (١٢) يَدْعُو لَمَن ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِ لَبِئْسَ الْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ (١٣) إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ (١٤) ﴾

❀ معانى المفردات:

* عن السدّى إسماعيل بن عبد الرحمن (ت ١٢٧هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَضُرُّهُ ﴾، قال: إن عصاه فى الدنيا.

وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَمَا لا يَنفَعُهُ ﴾ قال: إن أطاعه وهو الصّنم[٣].

* ﴿ ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلالُ الْبَعِيدُ ﴾: عن الحق والرشد والصواب.

* وعن السدّى فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ يَدْعُو لَمَن ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِ ﴾: قال معنى ذلك: ضرّه فى الآخرة من أجل عبادته إيّاه فى الدنيا. وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ لَبِئْسَ الْمَوْلَىٰ ﴾، قال: أى الصنم.. اهـ[٤].

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (١٢/ ١٣).

(٢ : ٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٦٢٤).

* وعن مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ ﴾ قال: الصاحب.. اهـ[١].

* ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ ﴾ الآية:

✳ **المعنى:** فللمؤمنين الجنّة بحكم وعده الصدق، وقضائه العدل.

* ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾، أى: يثيب من يشاء، ويعذب من يشاء.

﴿ من كان يظنُّ أن لَّن ينصرهُ اللَّهُ في الدُّنْيا والآخرة فلْيمْدُدْ بسببٍ إلى السَّماء ثُمَّ لْيقْطع فلينظُرْ هلْ يُذْهبنَّ كيْدُهُ ما يغيظُ (١٥) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ اللَّهُ ﴾: للعلماء فى تفسير ذلك أقوال:

أولا: قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما)، والضحّاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ) معنى ذلك: من كان يظن أن لن ينصر الله نبيّه «محمدًا» ﷺ[٢].

وقال أبو جعفر النحّاس (ت ٣٣٨هـ): من أحسن ما قيل: أن المعنى: من كان يظنّ أن لن ينصر الله نبيّه «محمدًا» ﷺ، وأنه يتهيأ له أن يقطع النصر الذى أوتيه.. اهـ[٣].

ثانيًا: قال ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ فى رواية ثانية، ومجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) معنى ذلك: من كان يظن أن لن يرزقه الله ـ تعالى ـ.. اهـ[٤].

* وعن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ﴾، قال: فليربط حبْلا إلى سماء بيته: السقف. * ﴿ ثُمَّ لْيَقْطَعْ ﴾، قال: ثم يختنق به حتى يموت[٥].

* وعن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ ﴾، قال معنى ذلك: فلينظر هل ينفعه ذلك[٦].

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٦٢٤).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٦٢٥).

(٣) انظر: تفسير القرطبى (١٢/ ١٦).

(٤ : ٦) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٦٢٥).

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ ثُمَّ لْيَقْطَعْ ﴾ [رقم: ١٥].

* قرأ ورش، وأبو عمرو، وابن عامر، ورويْس: ﴿ ثمّ لِيقطع ﴾ بكسر اللام وصلا وبدءًا، لأنّ لام الأمر الأصل فيها الكسر.

وقرأ الباقون من القراء العشرة بإسكان اللام وصلا للتخفيف، وكسرها بدءًا على الأصل[(١)].

﴿ وكذلك أنزلْناهُ آيات بيّنات وأنّ الله يهْدي من يريدُ (١٦) إنّ الّذين آمنوا والّذين هادُوا والصّابئين والنّصارىٰ والْمجُوس والّذين أشْركُوا إنّ الله يفْصلُ بينهم يوْم القيامة إنّ الله علىٰ كُلّ شيْءٍ شهيدٌ (١٧) ﴾

معاني المفردات:

* ﴿ وكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ﴾، المراد: القرآن الكريم.

* ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي من يُرِيدُ ﴾: فالله هو الهادى لا هادى سواه.

* وعن قتادة بن دعامة (ت ١١٨ هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ الآية: قال: الصابئون قوم يعبدون الملائكة، ويقرأون الزبور. والمجوس: عبدة الشمس، والقمر، والنيران. وأمّا ﴿ الَّذِينَ أَشْرَكُوا ﴾: فهم عبدة الأوثان.. اهـ[(٢)].

* وعن عكرمة مولى ابن عباس (ت ١٠٥ هـ) قال: قالت اليهود: عزير ابن الله، وقالت النصارى: المسيح ابن الله. وقالت الصابئة: نحن نعبد الملائكة من دون الله. وقالت المجوس: نحن نعبد الشمس، والقمر من دون الله. وقال المشركون: نحن نعبد الأوثان من دون الله. فأوحى الله إلى نبيّه ﷺ ليُكذّب قولهم بقوله ـ تعالى ـ: ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) ﴾ [الإخلاص] السورة[(٣)].

---

(١) انظر: المهذب فى القراءات العشر وتوجيهها (٢/ ٤٥).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٦٢٥).

(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٦٢٦).

* ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾، أي: يقضي ويحكم: فللمؤمنين الجنّة، وللكافرين النار.

* ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾، أي: على أعمال خلقه: أقوالهم، وأفعالهم، فلا يعزب عنه شيء منها.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ (١٨)﴾

❀ معاني المفردات:

* عن مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) في قوله ـ تعالى ـ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ﴾ إلى قوله: ﴿وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ﴾: قال: سجود كل شيء فيئه، وسجود الجبال فيئها.. اهـ(١).

* وعن أبي العالية الرياحيّ (ت ١٩٠هـ) قال: ما في السماء: من شمس، ولا قمر، ولا نجم، إلا يقع ساجداً لله حتى يغيب، ثم لا ينصرف حتّى يؤذن له، فيأخذ ذات اليمين حتّى يرجع إلى مَطْلعه.. اهـ(٢).

* وعن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضي الله عنهما) في قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ﴾، قال معنى ذلك: وكثير من الناس في الجنّة، وكثير حقّ عليه العذاب.. اهـ(٣).

* ﴿وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ﴾:

✳ **المعنى:** من أهانه الله بالشقاء والكفر، فلا يقدر أحد على دفع الهوان عنه.

* ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾، أي: أنّ من أهانهم الله ـ تعالى ـ بالكفر والشقاء فإنّ مصيرهم إلى النّار، والله فعّال لما يريد لا يُسْأل عمّا يفعل.

(١، ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٤/ ٦٢٦).

(٣) انظر: تفسير القرطبي (١٢/ ١٧).

﴿ هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ (١٩) ﴾

سبب نزول هذه الآية:

* أخرج ابن أبى حاتم، عن أبى العالية الرياحىّ (ت ١٩٠هـ) قال: لما التقوا يوم بدر قال لهم عتبة بن ربيعة: لا تقتلوا هذا الرجل، فإنه إن يكن صادقًا فأنتم أسعد الناس بصِدْقه، وإن يكن كاذبًا فأنتم أحقّ من حقن دمه.

فقال أبو جهل بن هشام: لقد امتلأتَ رعبًا. فقال عتبة: ستعلمُ أينا الجبان المفسد لقومه. قال أبو العالية: فبرز عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة فنادوا النبىّ ﷺ وأصحابه فقالوا: ابعث إلينا أكفاء نقاتلهم، فوثب غلمة من الأنصار من بنى الخزرج. فقال لهم رسول الله ﷺ: «اجلسوا، قوموا يا بنى هاشم»، فقام حمزة بن عبد المطلب، وعلىّ بن أبى طالب، وعبيدة بن الحارث، فبرزوا لهم، فقال عتبة بن ربيعة: تكلموا إن تكونوا أكفاءنا قاتلناكم: فقال حمزة بن عبد المطلب: أنا أسد الله وأسد رسوله. فقال عتبة: كفء كريم. فقال علىّ بن أبى طالب: أنا علىّ بن أبى طالب، فقال عتبة: كفء كريم، فقال عبيدة: أنا عبيدة بن الحارث، فقال عتبة: كفء كريم.

فأخذ «حمزة»، شيبة بن ربيعة، وأخذ «علىّ»، عتبة بن ربيعة، وأخذ «عبيدة»، الوليد بن عتبة: فأمّا حمزة فأجهز على شيبة، وأمّا «علىّ» فاختلفا ضربتين فقام فأجهز على «عتبة»، وأمّا عبيدة فأصيبت رجله[(١)].

قال أبو العالية: فرجع هؤلاء، وقُتِلَ هؤلاء. فنادى أبو جهل وأصحابه: لنا العُزّى ولا عُزّى لكم، فنادى منادى النبى ﷺ: قتلانا فى الجنة، وقتلاكم فى النار، فأنزل الله: ﴿ هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ ﴾ الآية.. اهـ[(٢)].

---

(١) فى رواية: فجاء علىّ بن أبى طالب فقتله.

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٦٢٧ ـ ٦٢٨).

معانى المفردات:

* عن مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ)، والحسن البصرى (ت ١١٠هـ)، وعطاء بن أبى رباح (ت ١١٥هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾، قالوا معنى ذلك: هم الكافرون، والمؤمنون، اختصموا فى ربهم.. اهـ[١].

* وعن مجاهد بن جبر فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ﴾: قال: الكافر قطعت له ثياب من نار، والمؤمن يدخله الله جنات تجرى من تحتها الأنهار.. اهـ[٢].

* وعن سعيد بن جبير (ت ٩٥هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿فالَّذِين كفرُوا قُطِّعت لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ﴾: قال: من نحاس وليس شىء من الآنية إذا اشتدّ بأحرّ منه.

وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿يُصبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾: قال: النحاس يُذَاب على رءوسهم.. اهـ[٣].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿هَٰذَانِ﴾ [رقم: ١٩].

* قرأ ابن كثير بتشديد النون، والباقون بتخفيفها[٤].

﴿يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ (٢٠) وَلَهُم مَّقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ (٢١)﴾

معانى المفردات:

* عن ابن عباس (٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ﴾ قال معنى ذلك: يسقون ما إذا دخل بطونهم أذاب الجلود مع البطون.. اهـ[٥].

(١، ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٦٢٨).

(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٦٢٩).

(٤) انظر: المهذب فى القراءات العشر وتوجيهها (٢/ ٤٦).

(٥) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٦٢٩).

* وعن سعيد بن جبير (ت ٩٥هـ) في قوله - تعالى -: ﴿يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ﴾ قال: إذا جاء أهل النار في النار استغاثوا بشجرة الزقوم فأكلوا منها فاختنبست جلود وجوههم[١] فلو أنّ مارًا يمرّ بهم يعرفهم لعرف جلود وجوههم بها، ثم يصبّ عليهم العطش فيستغيثون فيغاثون بما كالمهل، وهو الذي قد سقطت عنه الجلود، ويصهر به ما في بطونهم فيمشون وأمعاؤهم تتساقط وجلودهم، ثم يضربون بمقامع من حديد فيسقط كل عضو على حياله يدعون بالويل والثبور.. اهـ[٢].

* وعن السدّي إسماعيل بن عبد الرحمن (ت ١٢٧هـ) في قوله - تعالى -: ﴿يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ﴾ قال: يأتيه الملك يحمل الإناء فإذا أدناه من وجهه يكرهه فيرفع مقمعة معه فيضرب بها رأسه فيفدغ دماغه ثم يفرغ الإناء من دماغه فيصل إلى جوفه من دماغه.. اهـ[٣].

* وعن ابن عباس (ت ٦٨هـ - رضي الله عنهما) في قوله - تعالى -: ﴿وَلَهُم مَّقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ﴾ قال معنى ذلك: يضربون بها فيقع كل عضو على حياله.. اهـ[٤].

* وعن الضحّاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ) في قوله - تعالى -: ﴿وَلَهُم مَّقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ﴾ قال: مطارق من حديد.. اهـ[٥].

* وعن الحسن البصري (ت ١١٠هـ) قال: كان عمر (ت ٢٣هـ - رضي الله عنه) يقول: أكثروا ذكر النار، فإنّ حرّها شديد، وإنّ قعرها بعيد، وإنّ مقامعها حديد[٦].

﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ (٢٢) إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ (٢٣)﴾

❀ معاني المفردات:

* ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا﴾، أي: من النار.

---

(١) اختنبست: أي تغيرت.

(٢ : ٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٤/ ٦٢٩).

(٥، ٦) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٤/ ٦٣٠).

* ﴿ أُعِيدُوا فِيهَا ﴾: بالضرب بالمقامع.

* ﴿ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾، أي: ويقال لهم: ذوقوا عذاب الحريق، أي: المحرق، مثل الأليم أي: المؤلم.

* وعن سلمان الفارسيّ - رضي الله عنه - قال: النار سوداء مظلمة، لا يضيء لهبها ولا جمرها، ثمّ قرأ: ﴿ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا ﴾.. اهـ(١).

* ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ ﴾ الآية: لما ذكر الله حال أحد الخصمين وهم الكفار.

ذكر في هذه الآية والتي بعدها حال الخصم الآخر وهم المؤمنون.

* ومعنى قوله - تعالى -: ﴿ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ﴾: أن أهل الجنة يحلّون بثلاثة أساور: سوار من ذهب، وسوار من لؤلؤ، وسوار من فضّة، وقد ذكر هنا نوعين وهما الذهب، واللؤلؤ، وذكر النوع الثالث في سورة الإنسان رقم: ٢١ فقال: ﴿ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ ﴾.

* ﴿ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴾: وهو أعلى مما في الدنيا بكثير.

* عن أبي هريرة (ت ٥٩هـ - رضي الله عنه) أن النبيّ ﷺ قال: «من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة، ومن شرب الخمر في الدنيا لم يشربه في الآخرة، ومن شرب في آنية الذهب والفضّة لم يشرب في الآخرة» اهـ(٢).

* وعن أبي سعيد الخدريّ - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة، وإن دخل الجنّة لبسه أهل الجنّة ولم يلبسه» اهـ(٣).

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ﴾ [رقم: ٢٣].

* قرأ نافع، وعاصم، وأبو جعفر، ويعقوب: ﴿ ولؤلؤًا ﴾ بالنصب على أنه معطوف على محلّ ﴿ من أساور ﴾، أي: يحلّون أساور من ذهب ولؤلؤا.

(١ : ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٤/ ٦٣٠).

* وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ ولؤلؤ ﴾ بالخفض، على أنه معطوف على ﴿ من ذهب ﴾ ، أي: يحلون أساور من ذهب، وأساور من لؤلؤ[١].

﴿ وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَىٰ صِرَاطِ الْحَمِيدِ ﴿٢٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾ ﴾

سبب نزول الآية رقم ٢٥:

* أخرج ابن أبي حاتم، عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) قال: نزلت هذه الآية فى عبد الله بن أنيس: أن رسول الله ﷺ بعثه مع رجلين: أحدهما مهاجرى، والآخر من الأنصار، فافتخروا فى الأنساب فغضب عبد الله بن أنيس فقتل الأنصارىّ ثمّ ارتدّ عن الإسلام، وهرب إلى مكة، فنزلت فيه: ﴿ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾.. اهـ[٢].

معانى المفردات:

* عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ ﴾، قال: ألهموا.. اهـ[٣].

* وعن الضحّاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَهُدُوا إِلَىٰ صِرَاطِ الْحَمِيدِ ﴾، قال: الإسلام.. اهـ[٤].

* ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ الآية:

المعنى: أعاد الله الكلام إلى مشركى مكة حين صدّوا رسول الله ﷺ والمسلمين عن المسجد الحرام عام الحديبية، والصدّ: المنع.

* ﴿ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾: فى بيان المراد من ذلك قولان:

الأول: المراد من «المسجد الحرام»: المسجد نفسه، وهو ظاهر «القرآن» ولأ نه لم يذكر غيره.

---

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٣/ ٤٩).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٦٣٣)، وأسباب النزول للشيخ القاضى ص١٤٩.

(٣، ٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٦٣١).

والثاني: قيل: المراد: الحرم كله، لأن المشركين صدّوا رسول الله ﷺ وأصحابه عنه عام الحديبية فنزلوا خارجًا عنه.

قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ [الفتح: ٢٥].

* ﴿ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ ﴾، أي: للصلاة، والطواف، والعبادة. والعاكف فيه: المقيم الملازم، والباد: أي أهل البادية ومن يقدم عليهم، أي: هم جميعًا سواء فى تعظيم حرمته، وقضاء النّسك، فليس أهل مكة أحق من النازح إليه.

* وعن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما)، وسعيد بن جبير (ت ٩٥هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ ﴾، قالا: خَلْق الله فيه سواء.. اهـ(١).

* أخرج ابن مردويه، عن ابن عمر (ت ٧٣هـ ـ رضى الله عنهما) أنّ النبى ﷺ قال: «مكة مباحة لا تؤجّر بيوتها، ولا تباع رباعها» اهـ(٢).

* وأخرج الدارقطنىّ، عن ابن عمرو (ت ٦٥هـ ـ رضى الله عنهما) أنّ رسول الله ﷺ قال: «من أكل كراء بيوت مكة أكل نارًا» اهـ(٣).

* وأخرج ابن أبى شيبة، عن ابن جريج عبد الملك بن عبد العزيز (ت ١٥٠هـ) قال: أنا قرأتُ كتاب عمر بن عبد العزيز (ت ١٠١هـ ـ رضى الله عنه) على الناس بمكة، فنهاهم عن كراء بيوت مكة ودورها.. اهـ(٤).

* وأخرج عبد الرزّاق، وعبد بن حميد، عن عمر بن الخطاب (ت ٢٣هـ ـ رضى الله عنه) أنّه قال: يا أهل مكّة، لا تتخذوا لدوركم أبوابًا لينزل البادى حيث شاء.. اهـ(٥).

* وعن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ ﴾ قال: بشرك.. اهـ(٦).

* وعن قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) قال: من لجأ إلى الحرم ليشرك فيه عذّبه الله.. اهـ(٧).

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٦٣١).

(٢، ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٦٣٣).

(٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٦٣٢).

(٥ : ٧) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٦٣٣).

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ سواء العاكف فيه والباد ﴾ [رقم: ٢٥].

* قرأ حفص: ﴿ سواءً ﴾ بالنصب، على أنه مصدر، عمل فيه معنى «جعلنا» المتقدم ذكره في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ الذي جعلناه للناس سواءً ﴾.

* وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ سواءٌ ﴾ بالرفع، على أنه خبر مقدّم. و﴿ العاكف ﴾ مبتدأ مؤخر، والجملة في محلّ نصب مفعول ثان لـ «جعل»(١).

﴿ وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت أن لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود (٢٦) ﴾

معاني المفردات:

* ﴿ وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت ﴾، أي: واذكر يا رسول الله لقومك إذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت.

* يُقال بوأته منزلا، وبوّأت له، كما يقال: مكنتك ومكنت لك. ومعنى ذلك: أرى الله «إبراهيم» ـ عليه السلام ـ مكان البيت ليبنيه، وكان قد درس بالطوفان وغيره.

ولمّا أمر الله نبيه «إبراهيم» ـ عليه السلام ـ ببناء البيت الحرام جاء إلى موضعه وجعل يطلب أثرًا فبعث الله ريحًا فكشفت عن أساس «آدم» ـ عليه السلام ـ فرتّب قواعده عليه.

* وأخرج ابن جرير، والحاكم وصححه، عن عليّ بن أبي طالب (ت ٤٠هـ ـ رضي الله عنه) قال: لما أمر الله «إبراهيم» ـ عليه السلام ـ ببناء البيت خرج ومعه «إسماعيل، وهاجر» فلما قدم مكة رأى على رأسه في موضع البيت مثل الغمامة فيه مثل الرأس، فكلّمه فقال: يا إبراهيم، ابنِ على ظلّي، أو على قدْري ولا تزد ولا تنقص، فلما بنى خرج وخلّف «إسماعيل، وهاجر» وذلك قول الله ـ تعالى ـ: ﴿ وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت ﴾.. اهـ(٢).

(١) انظر: المغني في توجيه القراءات العشر (٣/ ٤٩ ـ ٥٠).
(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٤/ ٦٣٥).

* وأخرج عبد الرزاق في المصنّف، وعبد بن حميد، وابن المنذر، عن عطاء بن أبي رباح (ت ١١٥هـ) قال:

لمّا أهبط الله آدم إلى الأرض استوحش حتّى شكا إلى الله في دعائه وفي صلاته، فوجّهه الله إلى مكّة حتى انتهى إلى مكة فأنزل الله ياقوتة من ياقوت الجنة فكانت على موضع البيت الآن، فلم يزل يطاف به حتى أنزل الله الطوفان، فرفعت تلك الياقوتة، حتى بعث الله «إبراهيم» ـ عليه السلام ـ فبناه، فذلك قول الله: ﴿ وإذْ بوّأْنا لإبْراهيم مكان الْبيْت ﴾.. اهـ[١].

* ﴿ أن لاّ تُشْرِكْ بِي شيْئًا ﴾: قال جمهور المفسرين: الخطاب لنبي الله «إبراهيم» ـ عليه السلام ـ[٢]. و«أنْ» هي المفسِّرة، لأنها مسبوقة بجملة فيها معنى القول دون حروفه.

* وأخرج الحاكم وصححه، عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضي الله عنه) قال: قال الله لنبيه «محمد» ﷺ: ﴿ وطهِّرْ بيْتِي للطّائفين والْقائمين والرُّكّع السُّجُود ﴾: وقال: طواف قبل الصلاة، وقد قال رسول الله ﷺ: «الطواف بالبيت بمنزلة الصلاة، إلا أنّ الله قد أحلّ فيه المنطق، فمن نطق فلا ينطق إلا بخير» اهـ[٣].

﴿ وأذِّن فِي النّاسِ بِالْحجِّ يأْتُوك رِجالاً وعلىٰ كُلِّ ضامِرٍ يأْتِين مِن كُلِّ فجٍّ عمِيقٍ (٢٧) ﴾

معاني المفردات:

* ﴿ وأذِّن فِي النّاسِ بِالْحجِّ ﴾:

* عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضي الله عنهما) قال: لما فرغ «إبراهيم» ـ عليه السلام ـ من بناء البيت قال: ربِّ قد فرغتُ، فقال ـ أي الله تعالى ـ: ﴿ وأذِّن فِي النّاس بِالْحجِّ ﴾، قال: ربِّ وما يبلغ صوتي؟ قال: أذِّن وعليّ البلاغ، قال: ربِّ كيف أقول؟ قال: قل: يا أيها الناس كُتِبَ عليكم الحج إلى البيت العتيق. فسمعه منْ بين السماء والأرض، ترى أنهم يجيئون من أقصى الأرض يلبّون.. اهـ[٤].

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٤/ ٦٣٥).
(٢) انظر: تفسير القرطبي (١٢/ ٢٥).
(٣، ٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٤/ ٦٣٧).

* وعن ابن عباس فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وأذن في النّاس بالحجّ ﴾ قال: قام «إبراهيم» ـ عليه السلام ـ على الحَجَر فنادى: يا أيها الناس كُتِبَ عليكم الحج، فأسمع مَنْ فى أصلاب الرجال، وأرحام النساء، فأجاب مَنْ آمن ممّن سبق فى علم الله أن يحج إلى يوم القيامة: لبّيك اللهم لبّيك.. اهـ(١).

* وعن مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) قال: لمّا فرغ «إبراهيم، وإسماعيل» ـ عليهما السلام ـ من بناء البيت أمر الله «إبراهيم» أن يؤذّن بالحج، فقام على «الصفا» فنادى بصوت سمعه ما بين المشرق والمغرب: يا أيها الناس أجيبوا إلى ربكم، فأجابوه وهم فى أصلاب آبائهم فقالوا: لبيك.

قال ـ أي مجاهد بن جبر ـ: فإنما يحج اليوم من أجاب «إبراهيم» يومئذ.. اهـ(٢).

* وعن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ يأْتوك رِجالاً ﴾: قال: مشاة، وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ ﴾ قال: الإبل، وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ يأْتين من كُلِّ فَجٍّ عميقٍ ﴾ قال: بعيد.. اهـ(٣).

﴿ ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير (٢٨) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ لِيَشْهَدُوا منافِع لهُمْ ﴾:

* **المعنى:** وأذّن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وركبانًا ليشهدوا منافع لهم. والشهود: الحضور.

* وعن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ لِيَشهدوا منافِع لهُمْ ﴾ قال: منافع فى الدنيا، ومنافع فى الآخرة: فأمّا منافع الدنيا: فيما يصيبون من لحوم البدن فى ذلك اليوم، والذبائح، والتجارات. وأمّا منافع الآخرة: فرضوان الله ـ عزّ وجلّ ـ.. اهـ(٤).

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٦٣٧). (٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٦٣٨).
(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٦٣٩). (٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٦٤٠).

* ﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ﴾ : ذكر التسمية عند الذبح والنحر، كأن يقول: بسم الله والله أكبر، اللهمّ منك وإليك.

* وعن قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ويذكروا اسم الله﴾. قال: كأن يقال: إذا ذبحت نسيّتك فقل: بسم الله والله أكبر، اللهم هذا منك ولك عن فلان، ثم كل وأطعم: الجار والأقرب فالأقرب.. اهـ[١].

* وعن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضي الله عنهما)، والضحّاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ) في قوله ـ تعالى ـ: ﴿فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ﴾ قالا: المراد أيام التشريق الثلاثة.. اهـ[٢]

* ﴿عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم﴾، أي: ويذكروا اسم الله على ذبح ما رزقهم الله.

* ﴿مِّنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾: والأنعام هنا: الإبل والبقر والغنم.

* ﴿فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ﴾:

* عن ابن مسعود (ت ٣٢هـ ـ رضي الله عنه) كان يقول للذي يبعث بهديه معه: كل ثلثًا، وتصدّق بالثلث، وأهد لآل عتبة ثلثًا.. اهـ[٣].

* وعن عكرمة مولى ابن عباس (ت ١٠٥هـ) قال: ﴿الْبَائِسَ﴾: المضطر الذي ظهر عليه البؤس. و﴿الْفَقِيرَ﴾: الضعيف.. اهـ[٤].

* وعن مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) في قوله ـ تعالى ـ: ﴿الْبَائِسَ الْفَقِيرَ﴾ قال: هما سواء.. اهـ[٥].

﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ (٢٩)﴾

معاني المفردات:

* ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ﴾:

المعنى: ثم ليقضوا بعد نحر الضحايا والهدايا ما بقي عليهم من أمر الحج: كالحلق، ورمي الجمار، وإزالة الشعث ونحوه.

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٤/ ٦٤١).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٤/ ٦٤٠).

(٣ : ٥) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٤/ ٦٤٢).

* وعن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) قال المراد بالتفث: وضع إحرامهم من حلق الرأس، ولبث الثياب، وقصّ الأظفار، ونتف الإبط، وقصّ الشارب، والذبح، وغير ذلك[١].

* وقال ابن عمر (ت ٧٣هـ ـ رضى الله عنهما): التفث: المناسك كلها.. اهـ[٢].

* وقال عكرمة مولى ابن عباس (ت ١٠٥هـ): التفث: كلِ شيء أحرموا منه.. اهـ[٣].

* وعن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ ﴾ قال المراد: نحر ما نذروا من البدن[٤].

* ﴿ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾: المراد بالطواف هنا: طواف الإفاضة الذى هو من واجبات الحج.

* وعن مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ)، والضحاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾ قالا: هو الطواف الواجب يوم النحر.. اهـ[٥].

* وأخرج البخارى فى تاريخه، والترمذى وحسّنه، وابن جرير، والحاكم وصحّحه، وابن مردويه، والبيهقى فى الدلائل، عن عبد الله بن الزبير (ت ٧٣هـ ـ رضى الله عنهما) قال: قال رسول الله ﷺ: «إنما سمّى الله البيت العتيق، لأنّ الله أعتقه من الجبابرة فلم يظهر عليه جبّار قط» اهـ[٦].

* وعن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) قال: الحِجْرُ من البيت، لأن رسول الله ﷺ طاف بالبيت من ورائه، قال الله: ﴿ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾.. اهـ[٧].

* وأخرج الحاكم وصحّحه، عن ابن عمر (ت ٧٣هـ ـ رضى الله عنهما): أنّ النبى ﷺ كان إذا طاف بالبيت استلم الحجر والركن فى كل طواف ـ أى الركن اليمانى ـ.. اهـ[٨].

(١ : ٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٦٤٢).

(٥، ٦) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٦٤٣).

(٧) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٦٤٤).

(٨) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٦٤٥).

* وأخرج الحاكم وصحّحه، عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال: رأيت عمر ابن الخطاب (ت ٢٣هـ ـ رضى الله عنه) قبَّل الحَجَرَ وسجد عليه، ثم قال: رأيت رسول الله ﷺ قبَّل الركن اليمانى ووضع خدّه عليه.. اهـ[١].

* وأخرج الترمذى، والحاكم وصحّحه، عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ يرفعه إلى النبى ﷺ قال: «إنّ الطواف بالبيت مثل الصلاة، إلا أنكم تتكلمون، فمن تكلّم فلا يتكلم إلا بخير» اهـ[٢].

* وأخرج ابن أبى شيبة، والحاكم وصحّحه، والبيهقى فى الشعب عن ابن عمر (ت ٧٣هـ ـ رضى الله عنهما) قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «من طاف بالبيت سبعًا يحصيه، كتب الله له بكل خطوة حسنة، ومحيت عنه سيئة، ورفعت له درجة، وكان له عدل رقبة» اهـ[٣].

* وأخرج ابن عدىّ، والبيهقىّ، عن أبى عقال قال: طفتُ مع أنس بن مالك (ت ٩٣هـ ـ رضى الله عنه) فقال لنا: استأنفوا العمل فقد غفر لكم، طفتُ مع نبيكم ﷺ فى مثل هذا اليوم فقال: استأنفوا العمل فقد غفر لكم» اهـ[٤].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ [رقم: ٢٩].

* قرأ ابن ذكوان: ﴿ثم ليقضوا، وليوفوا، وليطوّفوا﴾ بكسر اللام فى الألفاظ الثلاثة وصلا وبَدْءًا، لأنّ لام الأمر الأصل فيها الكسر.

* وقرأ ورش، وقنبل، وأبو عمرو، وهشام، ورويس بكسر اللام فى ﴿لِيقضوا﴾ فقط وصلا وبدْءًا، وبإسكانها وصلا للتخفيف فى ﴿وليوفوا، وليطوفوا﴾ وكسرها بَدْءًا.

* وقرأ الباقون من القراء العشرة بإسكان اللام فى الألفاظ الثلاثة وصلا. وكسرها بَدْءًا.

(١، ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٦٤٥).

(٣، ٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٦٤٤).

* وقرأ شعبة: ﴿ وليوَفُّوا ﴾ بفتح الواو، وتشديد الفاء، على أنه مضارع «وفّى» مضعف العين لقصد التكثير، مع ملاحظة أنه يسكن اللام وصلا، ويكسرها بَدْءًا.

* وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ وليوفوا ﴾ بسكون الواو، وتخفيف الفاء، مضارع «أوفى» الرباعى[1].

ﵟ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾

معانى المفردات:

* عن مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ ذلك ومن يُعظِّمْ حُرُماتِ اللَّه ﴾ قال: الحرمات: الحج، والعمرة، وما نهى الله عنه من معاصيه كلها[2].

* وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم (ت حوالى ١٧٠هـ): الحرمات: المشعر الحرام، والبيت الحرام، والمسجد الحرام، والبلد الحرام.. اهـ[3].

* ﴿ فهُو خيْرٌ لَّه عند ربِّه ﴾، أى: التعظيم خير له عند ربه من التهاون بشىء منها. وليس قوله ـ تعالى ـ: ﴿ خيْرٌ لَّهُ ﴾ للتفضيل، وإنما هو عِدَةٌ بخير.

* ﴿ وأُحِلَّتْ لكُمُ الأنْعَامُ ﴾:

المعنى: أحلت لكم الأنعام أن تأكلوها وهى: الإبل والبقر والغنم.

* ﴿ إلاَّ ما يُتْلَىٰ عليْكُمْ ﴾، أى: فى القرآن من المحرمات، فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ حُرِّمتْ عليْكُمُ الْميْتةُ والدَّمُ ولَحْمُ الْخنزير وما أُهلَّ لغيْر اللَّه به والْمُنْخنقةُ والْموقُوذةُ والْمتردِّيةُ والنَّطيحةُ وما أكل السَّبُعُ إلاَّ ما ذكَّيْتُمْ وما ذُبح على النُّصُبِ وأن تسْتقْسمُوا بالأزْلام ﴾ [المائدة: ٣].

* ﴿ فاجْتنبُوا الرِّجْس من الأوْثَانِ ﴾: الرجس: الشىء القذر، والأوثان: جمع «وثن». والوثن: التمثال من حجر، أو خشب، أو غير ذلك، وكانت العرب تنصبها

---

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٣/ ٥٠).

(٢، ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٦٤٦).

وتعبدها من دون الله. وسمِّى الصنم وثنًا لأنه ينصب فى مكان فلا يبرح عنه. وسميت الأوثان رجسًا لأنها سبب عذاب الله ـ تعالى ـ.

وقيل: وصف الله الأوثان بالرجس، والرجس: النجس، فهى نجسة حكمًا. وحينئذ يكون المعنى: اجتنبوا عبادة الأوثان.

* وعن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿فاجتنبوا الرِّجس مِنَ الأَوْثَان﴾ قال: اجتنبوا طاعة الشيطان فى عبادة الأوثان.

* وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿واجتنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾ قال: الزور: الافتراء على الله، والتكذيب به.. اهـ[١].

* وعن مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿واجتنبوا قَوْلَ الزُّورِ﴾، قالَ: الزور: الكذب.. اهـ[٢].

* وأخرج أحمد، والبخارى، ومسلم، والترمذى، عن أبى بكرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟» قلنا: بلى يا رسول الله، قال: «الإشراك بالله، وعقوق الوالدين»، وكان متكئًا فجلس فقال: «ألا وقول الزور، ألا وشهادة الزور. فما زال يكرّرها حتى قلنا ليته سكت» اهـ[٣].

حنفاء للَّه غير مشركين به ومن يُشرك بالله فكأنَّما خرَّ من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيقٍ (٣١) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿حُنفَاء لِلَّهِ﴾، أى: مستقيمين ومخلصين لله ـ تعالى ـ. و﴿حنفاء﴾ نصب على الحال.

* أخرج ابن أبى حاتم عن أبى بكر الصديق (ت ١٣هـ ـ رضى الله عنه) قال: كان الناس يحجون وهم مشركون، فكانوا يسمونهم حنفاء الحجّاج، فنزلت ﴿حنفاء للَّه غيرَ مُشْركين بِهِ﴾.. اهـ[٤].

(١ ـ ٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٦٤٦).

* وأخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضي الله عنهما) في قوله ـ تعالى ـ: ﴿حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ﴾: قال: حجاجًا لله غير مشركين به، وذلك أن أهل الجاهلية كانوا يحجون مشركين، فلما أظهر الله الإسلام قال الله للمسلمين: حجوا الآن غير مشركين بالله.. اهـ[1].

* ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ﴾، أي: هو يوم القيامة بمنزلة من لا يملك لنفسه نفعًا، ولا يدفع عن نفسه ضرًا ولا عذابًا، فهو بمنزلة من خر من السماء، فهو لا يقدر أن يدفع عن نفسه أي شيء.

* ﴿فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ﴾، أي: تقطعه بمخالبها.

* ﴿أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾، أي: بعيد.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ﴾ [رقم: ٣١].

* قرأ نافع، وأبو جعفر: ﴿فَتَخَطَّفُهُ﴾ بفتح الخاء، والطاء المشددة، على أنه مضارع «تخطّف» والأصل «تتخطّفه» فحذفت إحدى التاءين تخفيفًا.

* وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿فَتَخْطَفُهُ﴾ بسكون الخاء، وفتح الطاء مخففة، على أنه مضارع «خطِف» بكسر الطاء مثل «فهِم»[2].

* ﴿أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ﴾ [رقم: ٣١].

* قرأ أبو جعفر بخُلْف عنه ﴿الرياح﴾ بالجمع.

* وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿الريح﴾ بالإفراد، وهو الوجه الثاني لأبي جعفر[3].

﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ (٣٢) لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ (٣٣)﴾

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٤/ ٦٤٦).

(٢) انظر: المغني في توجيه القراءات العشر (٣/ ٥١).

(٣) انظر: المهذب في القراءات العشر وتوجيهها (٢/ ٤٨).

معانى المفردات:

* ﴿ ذلك ومن يُعظِّمْ شعائِرَ اللَّهِ ﴾: الشعائر: جمع «شعيرة»، وشعائر الله: أعلام دينه لا سيما ما يتعلّق بالمناسك.

ومنه إشعار البَدَنة وهو الطعن فى جانبها الأيمن حتى يسيل الدّم فيكون علامة، فهى تسمّى شعيرة بمعنى المشعورة.

* وعن مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ ذلك ومن يعظّم شعائر اللّه ﴾ قال: هو استعظام البُدُن، واستسمانها، واستحسانها.. اهـ[1].

* ﴿ فإنَّها ﴾، أى: تعظيم شعائر الله. * ﴿ مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾.

* وعن الضحّاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ)، وعطاء بن أبى رباح (ت ١١٥هـ) فى الآية قالا: المنافع فيها: الركوب عليها إذا احتاج، وفى أوبارها، وألبانها. والأجل المسمَّى: إلى أن تقدّر فتصير بُدُنا.

وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ ثُمَّ مَحِلُّهَا إلى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾ قالا: إلى يوم النّحر تنحر بمنى.. اهـ[2].

﴿ ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين (٣٤) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ ولكُلِّ أُمَّة جعلنا منسكًا ﴾:

* **المعنى:** لما ذكر الله ـ سبحانه وتعالى ـ «الذبائح» بيّن فى هذه الآية أنّ لكل جماعة مؤمنة جعل الله منسكًا.

* وعن مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ ولكُلِّ أمة جعلنا منسكًا ﴾ قال: المنسك: الذبح، وإراقة الدّم.. اهـ[3].

(١، ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٦٤٧).

(٣) انظر: تفسير القرطبى (١٢/ ٣٩).

ويقال: نَسَك: إذا ذبح، والذبيحة نسيكة، وجمعها نُسُك. ومنه قوله - تعالى -: ﴿ ولا تحلقوا رءوسكم حتى يبلغ الهدي محله فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك ﴾ [البقرة: ١٩٦].

* ﴿ ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام ﴾:

* **المعنى:** أمر الله - تعالى - بذكر اسمه - عزّ وجلّ - أثناء الذبح، لأنه - سبحانه وتعالى - هو الرازق، ويحرم ذكر اسم غير الله - تعالى -.

* وعن أنس بن مالك (ت ٩٣هـ - رضى الله عنه) أنّ رسول الله ﷺ ضحّى بكبشين أملحين أقرنين فسمّى وكبّر.. اهـ(١).

* وأخرج أحمد، وأبو داود، والترمذى، وابن أبى حاتم، والحاكم وصححه، عن جابر بن عبد الله (ت ٧٨هـ - رضى الله عنه): أنّ رسول الله ﷺ صلّى بالناس يوم النحر، فلمّا فرغ من خطبته وصلاته، دعا «بكبش» فذبحه هو بنفسه وقال: «بسم الله والله أكبر، اللهم هذا عنّى وعمّن لم يُضحّ من أمّتى» اهـ(٢).

* وعن مقاتل بن حيّان البلخىّ (ت ١١٠هـ) فى قوله - تعالى -: ﴿ فله أسلموا ﴾ قال: فله أخلصوا.. اهـ(٣).

* ﴿ وبشر المخبتين ﴾: للعلماء فى تفسير ذلك قولان:

الأول: قال الضحّاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ): المخبتون: هم المتواضعون.. اهـ(٤).

والثانى: قال عمرو بن أوس: المخبتون: هم الذين لا يظلمون الناس، وإذا ظُلِمُوا لم ينتصروا.. اهـ(٥).

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ منسكا ﴾ من قوله - تعالى -: ﴿ ولكل أمة جعلنا منسكا ﴾ [الحج: ٣٤].

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٦٤٩).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٦٤٨).

(٣ : ٥) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٦٤٩).

ومن قوله ـ تعالى ـ: ﴿ لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا منسكًا ﴾ [الحج: ٦٧].

* قرأ حمزة، والكسائى، وخلف البزّار: ﴿ منسكا ﴾ فى الموضعين بكسر السين.

* وقرأ الباقون من القراء العشرة بفتحها، وهما لهجتان.

وهذا الوزن «مفعل» يصلح أن يكون مصدراً ميميا، ومعناه: النسك، ومعناه هنا: الذبح. ويصلح أن يكون اسم مكان، أى: مكان الذبح. ويصلح أن يكون اسم زمان، أى: وقت النسك. والفتح هو القياس، والكسر سماعى[١].

﴿ الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون (٣٥) والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون (٣٦) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ الَّذين إذَا ذُكر اللَّهُ وجلتْ قلوبُهمْ ﴾:

* قال مقاتل بن حيّان البلخىّ (ت ١١٠هـ): معنى ذلك: عندما يُخَوَّفون.. اهـ[٢].

أى: خافت قلوبهم، وحذرت مخالفة الله ـ تعالى ـ.

* ﴿ والصَّابرين علىٰ مَا أصَابهُمْ ﴾:

* قال مقاتل بن حيّان أى: ما أصابهم من البلاء والمصيبات[٣].

* ﴿ والْمُقيمي الصَّلاة ﴾:

* قال مقاتل: المراد إقامتها بأداء ما استحفظهم الله فيها[٤].

* ﴿ وممَّا رزقْناهُم ينفقُون ﴾، أى: يؤتون الزكاة، ويتصدّقون.

* ونظير هذه الآية قوله ـ تعالى ـ: ﴿ إنَّمَا الْمُؤْمنُونَ الَّذين إذَا ذُكر اللَّهُ وجلت قُلُوبهُمْ وإذا تُليتْ عليهمْ آياته زادتهم إيمانًا وعلىٰ ربهمْ يتوكَّلُون (٢) الَّذين يقيمُون الصَّلاةَ وممَّا رزقْناهُمْ ينفقُونَ (٣) ﴾ [الأنفال: ٢ ـ ٣].

---

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٣/ ٥١ ـ ٥٢).

(٢ : ٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٦٤٩).

* ﴿ والبُدْن جعلناها لكُم مّن شعَائرِ اللّه لكُمْ فِيها خَيرٌ ﴾:

اختلف العلماء في المراد من «البدن» على قولين:

الأول: قال مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ): ليس البدن إلا من الإبل.. اهـ[١].

وهذا ما عليه الإمام الشافعي (ت ٢٠٤هـ ـ رحمه الله تعالى)[٢].

والثاني: قال ابن عمر (ت ٧٣هـ ـ رضي الله عنهما): لا نعلم البدن إلا من الإبل، والبقر.. اهـ[٣].

* وهذا ما عليه الإمام مالك (ت ١٧٩هـ ـ رحمه الله)، والإمام أبو حنيفة (ت ١٥٠هـ ـ رحمه الله)[٤].

* وعن مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ لكُمْ فيها خير ﴾ قال: إن احتاج إلى اللبن شرب، وإن احتاج إلى الركوب ركب، وإن احتاج إلى الصوف أخذ.. اهـ[٥].

* وأخرج ابن أبي شيبة، عن جابر بن عبد الله (ت ٧٨هـ ـ رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «قال: اركبوا الهدي بالمعروف حتّى تجدوا ظهراً» اهـ[٦].

* وعن عطاء: أن النبي ﷺ رخّص لهم أن يركبوها إذا احتاجوا إليها.. اهـ[٧].

* وعن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضي الله عنهما) في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ فاذْكرُوا اسم اللّه عَلَيْها صوافَّ ﴾: قال: إذا أردت أن تنحر البدنة، فأقمها على ثلاث قوائم معقولة، ثم قل: بسم الله والله أكبر اللهم منك ولك.. اهـ[٨].

* وقال مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ)، والحسن البصري (ت ١١٠هـ): تعقل يدُها اليسرى، وينحرها من قبل يدها اليمنى.. اهـ[٩].

* وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ فإذا وجبت جنُوبُها ﴾: قال: سقطت على جنبها.. اهـ[١٠].

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٤/ ٦٥٠).
(٢) انظر: تفسير القرطبي (١٢/ ٤١).
(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٤/ ٦٤٩).
(٤) انظر: تفسير القرطبي (١٢/ ٤١).
(٥ : ٨) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٤/ ٦٥١).
(٩، ١٠) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٤/ ٦٥٢).

* ﴿ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ ﴾:

* قال ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ ﴿ الْقَانِعَ ﴾: المتعفف، ﴿ وَالْمُعْتَرَّ ﴾: السائل.. اهـ[١].

* وعن معاذ بن جبل (ت ١٧هـ ـ رضى الله عنه) قال: أمرنا رسول الله ﷺ أن نطعم من الضحايا: الجار، والسائل، والمتعفف[٢].

﴿ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾، أى: لتشكروا نعم الله عليكم، وصدق الله إذ قال: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ [إبراهيم: ٧].

﴿ لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنكُمْ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ (٣٧) ﴾

سبب نزول هذه الآية:

* أخرج ابن المنذر، وابن مردويه، عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) قال: كان المشركون إذا ذبحوا استقبلوا الكعبة بالدماء، فيضحون بها نحو الكعبة، فأراد المسلمون أن يفعلوا ذلك، فأنزل الله ﴿ لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا ﴾.. اهـ[٣].

معانى المفردات:

* عن مقاتل بن حيّان (ت ١١٠هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ لَن يَنَالَ اللَّهَ ﴾ قال: لن يُرفع إلى الله.

* وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا ﴾، قال: نحر البدن.

* وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلَٰكِن يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنكُمْ ﴾ قال: يُرفع إلى الله منكم: الأعمال الصالحة والتقوى.. اهـ[٤].

* ﴿ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ ﴾: يمتنّ الله ـ سبحانه وتعالى ـ على عباده بتذليل الأنعام، وتمكينهم من تصريفها، وهى أعظم منهم أبدانًا، وأقوى منهم أعضاء.

(١، ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٦٥٣).

(٣، ٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٦٥٤).

* وعن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم (ت حوالى ١٧٠هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿لِتكبِّروا الله علىٰ ما هداكُم﴾، قال: على ذبحها فى هذه الأيام[١].

* ﴿وبشّرِ المُحْسنين﴾: بالأجر العظيم والثواب الجزيل.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿لن ينال الله لحومُها ولا دماؤُها ولكن يناله التقوىٰ منكُم﴾ [رقم: ٣٧].

* قرأ يعقوب: ﴿تنال، تناله﴾ بتاء التأنيث فيهما.

* وقرأ الباقون من القراء العشرة بياء التذكير فيهما، وجاز تأنيث الفعل وتذكيره لأن الفاعل جمع تكسير[٢].

﴿إن الله يدافع عن الذين آمنوا إنّ الله لا يحبُّ كُلَّ خوان كفور (٣٨)﴾

معانى المفردات:

* ﴿إنّ الله يُدافِعُ عنِ الذين آمنُوا﴾:

المعنى: الله ـ سبحانه وتعالى ـ يديم توفيق المؤمنين حتى يتمكن الإيمان من قلوبهم، فلا يقدر الكفار على إمالتهم عن دينهم.

* ﴿إنّ الله لا يَحبُّ كُل خوّانٍ كفُورٍ﴾:

* قال سفيان بن مسروق الثورى (ت ١٦١هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿إنّ الله لا يحب﴾ قال: أى: لا يُقرِّب.. اهـ[٣].

* وقال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما): إنّ الله لا يحب الذين خانوه فجعلوا معه شريكًا، وكفروا نعمه.. اهـ[٤].

* وقال الزّجاج إبراهيم بن السَّرى (ت ٣١١هـ) إنّ الله لا يحبّ من تقرب إلى الأصنام بذبيحته وذكر عليها اسم غير الله فهو خوّان كفور.. اهـ[٥].

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٦٥٥).
(٢) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٣/ ٥٢).
(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٦٥٥).
(٤، ٥) انظر: تفسير البغوى (٣/ ٢٨٩).

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ [رقم: ٣٨].

* قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب: ﴿ يَدْفَعِ ﴾ بفتح الياء، وإسكان الدال، وحذف الألف التى بعدها، وفتح الفاء، على أنه مضارع «دفع» الثلاثى.

* وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ يُدَافِعِ ﴾ بضم الياء، وفتح الدال، وإثبات ألف بعدها، وكسر الفاء، على أنه مضارع «دافع» والمفاعلة ليست على بابها، بل هى من جانب واحد، مثل: «سافر» وإنما المفاعلة لقصد المبالغة فى الدفع عن المؤمنين(١).

﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ (٣٩) ﴾

سبب نزول هذه الآية:

* أخرج عبد الرزاق، وأحمد، وعبد بن حميد، والترمذى وحسَّنه والنسائى. وابن ماجه، والبزار، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبى حاتم، وابن حبَّان، والحاكم وصححه، وابن مردويه، والبيهقى فى الدلائل، عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) قال: لما خرج النبى ﷺ من مكة، قال أبو بكر ـ رضى الله عنه ـ: أخرجوا نبيهم، إنا لله وإنا إليه راجعون، ليهلكنّ القوم. فنزلت: ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا ﴾، قال أبو بكر: فعلمتُ أنه سيكون قتال. قال ابن عباس: وهى أوّل آية نزلت فى القتال.. اهـ(٢).

معانى المفردات:

* ﴿ أُذِنَ ﴾: معناه: أبيح.

* ﴿ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ ﴾، أى: يقاتلهم المشركون وهم المؤمنون.

* ﴿ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا ﴾، أى: أخرجهم المشركون من ديارهم.

* ﴿ وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾.

---

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٣/ ٥٣).

(٢) انظر: تفسير القرطبى (١٢/ ٤٦)، وتفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٦٥٥)، وأسباب النزول للشيخ القاضى ص١٤٩.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ أُذن للَّذين يُقاتلون بأنَّهم ظُلمُوا ﴾ [رقم: ٣٩].

* قرأ نافع، وأبو عمرو، وعاصم، وأبو جعفر، ويعقوب، وإدريس بخُلْف عنه: ﴿ أُذن ﴾ بضم الهمزة، على أنه فعل ماض مبنى للمجهول حذف فاعله للعلم به، و﴿ للَّذين يُقَاتلُون ﴾ فى محل رفع نائب فاعل.

* وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ أَذن ﴾ بفتح الهمزة، على أنه فعل ماض مبنى للمعلوم، و﴿ للذين ﴾ متعلق به، والفاعل ضمير يعود على الله ـ تعالى ـ المتقدم ذكره فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ إِنَّ اللَّه يُدافِعُ عنِ الَّذِين آمنُوا ﴾ [رقم: ٣٨][١].

* قرأ نافع، وابن عامر، وحفص، وأبو جعفر: ﴿ يقاتَلون ﴾ بفتح التاء، على أنه مضارع مبنى للمجهول، والواو نائب فاعل.

* وقرأ الباقون من القراء العشرة بكسر التاء، على أنه مضارع مبنى للمعلوم، والواو فاعل، والمفعول محذوف، أى: يقاتلون الكفار والمشركين[٢].

﴿ الَّذين أُخرجُوا من ديارهم بغيرِ حقٍّ إِلاَّ أن يقُولُوا ربُّنا اللَّهُ ولوْلا دفع اللَّه النَّاس بعضهم ببعضٍ لَّهُدّمتْ صوامِعُ وبيعٌ وصلواتٌ ومساجدُ يُذْكرُ فيها اسم اللَّه كثيرًا ولينصُرنَّ اللَّهُ من ينصُرُهُ إنَّ اللَّه لقويٌّ عزيزٌ (٤٠) ﴾

معانى المفردات:

* عن ابن عباس (ت ٦٨ هـ ـ رضى الله عنهما) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ الَّذين أُخْرِجُوا مِن دِيارِهِم ﴾، قال: أى من مكة إلى المدينة.

* وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ بِغيْرِ حقٍّ إِلاَّ أَن يقُولُوا ربُّنا اللَّهُ ﴾: قال: المراد نبينا «محمد» ﷺ وأصحابه.. اهـ[٣].

---

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٣/ ٥٣).

(٢) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٣/ ٥٤).

(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٦٥٦).

* وعن عثمان بن عفان (ت ٣٥هـ - رضىَ الله عنه) قال: فينا نزلت هذه الآية: ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ والآية التى بعدها، أُخْرِجْنا من ديارنا ﴿بغير حق﴾ ثم مكنّا فى الأرض، فأقمنا الصلاة، وآتينا الزكاة، وأمرنا بالمعروف، ونهينا عن المنكر، فهى لى ولأصحابى.. اهـ[١].

* وعن مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) فى قوله - تعالى -: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾ قال: ولولا دفع المشركين بالمسلمين.. اهـ[٢].

* وقال ابن زيد (ت حوالى ١٧٠هـ): ولولا القتال والجهاد.. اهـ[٣].

* وعن ابن عباس (ت ٦٨هـ - رضى الله عنهما) فى قوله - تعالى -: ﴿لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا﴾، قال: الصوامع: التى يكون فيها الرهبان، والبيع: مساجد اليهود، وصلوات: كنائس النصارى، والمساجد: مساجد المسلمين[٤].

* وفى رواية أخرى عن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال: البيع: بيع النصارى، وصلوات: كنائس اليهود.. اهـ[٥].

* وقال قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ): صوامع: هى للصابئين، وبيع: للنصارى، وصلوات: كنائس اليهود، ومساجد: للمسلمين.. اهـ[٦].

* وعن الضحّاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ) فى قوله - تعالى -: ﴿يُذْكَر فيها اسم الله كثيرا﴾، قال: فى كل ممّا ذكر، من الصوامع، والبيع، والصلوات، والمساجد، فى كل هذا يذكر اسم الله، ولم يخصّ المساجد.. اهـ[٧].

* ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ﴾، أى: من ينصر دينه، ونبيه ﷺ.

* ﴿إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ أى: قادر، وغالب على أمره لا يعجزه شىء.

القراءات وتوجيهها:

﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ﴾ [رقم: ٤٠].

(١ : ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٦٥٦).

(٤ : ٧) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٦٥٧).

* قرأ نافع، وأبو جعفر، ويعقوب: ﴿ دفاع ﴾ بكسر الدال، وفتح الفاء وألف بعدها، على أنه مصدر «دَفَع» نحو: «كتب كتابًا».

ويجوز أن يكون مصدر: «دافع» نحو «قاتل قتالا».

* وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ دَفْع ﴾ بفتح الدال، وإسكان الفاء، وحذف الألف، على أنه مصدر «دَفَع» نحو «فتح يفتح»[١].

وقرأ نافع، وابن كثير، وأبو جعفر: ﴿ لهُدِمت ﴾ بتخفيف الدال، على أنه فعل ثلاثي مجرد.

* وقرأ الباقون من القراء العشرة بتشديد الدال، على أنه فعل مضعّف العين من «التهديم» للمبالغة[٢].

﴿ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ (٤١) ﴾

معاني المفردات:

* ﴿ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ ﴾ الآية:

* قال ابن عباس (ت ٦٨هـ - رضي الله عنهما) المراد المهاجرون، والأنصار، والتابعون بإحسان.. اهـ[٣].

* وقال قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ): هذا شرط الله على هذه الأمّة.. اهـ[٤].

* ﴿ أَقَامُوا الصَّلَاةَ ﴾، أي: المكتوبة أدّوها بشروطها، وأركانها.

* ﴿ وَآتَوُا الزَّكَاةَ ﴾، أي: المفروضة.

* ﴿ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ ﴾، قال الله - تعالى -: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٣٣) ﴾ [فصّلت: ٣٣].

---

(١) انظر: المهذب في القراءات العشر وتوجيهها (٢/ ٥٠).

(٢) انظر: المهذب في القراءات العشر وتوجيهها (٢/ ٥١).

(٣) انظر: تفسير القرطبي (١٢/ ٤٩).

(٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٤/ ٦٥٧).

* ﴿ ولله عاقبة الأمور ﴾:

* **المعنى:** نهاية أمور جميع الخلق ومصيرهم إلى الله ـ تعالى ـ، وحينئذ يبطل كل ملك سوى ملك الله ـ عزّ وجل ـ.

﴿ وإن يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود (٤٢) وقوم إبراهيم وقوم لوط (٤٣) وأصحاب مدين وكذب موسى فأمليت للكافرين ثم أخذتهم فكيف كان نكير (٤٤) فكأين من قرية أهلكناها وهي ظالمة فهي خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد (٤٥) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ وإن يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود (٤٢) وقوم إبراهيم وقوم لوط (٤٣) وأصحاب مدين وكذب موسى ﴾:

* **المعنى:** فى هذه الآيات تسلية للنبىّ ﷺ وتعزية له، أى: كان قبلك يا رسول الله أنبياء كُذِّبوا فصبروا إلى أن أهلك الله المكذبين، فاقتد بهم يا رسول الله واصبر.

* ﴿ فأمليت للكافرين ﴾، أى: أخرت عنهم العقوبة.

* ﴿ ثم أخذتهم ﴾، أى: عاقبتهم.

* ﴿ فكيف كان نكير ﴾، أى: فانظر كيف كان ما حلّ بالأمم السابقة فكذلك أفعل بالمكذبين من قريش وغيرهم.

* ﴿ فكأين من قرية أهلكناها ﴾، أى: أهلكنا أهلها. و«كأين» خبرية بمعنى كثير.
* ﴿ وهي ظالمة ﴾، أى: كافرة.

* وعن قتادة بن دعامة (ت ١١٨ هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ فهي خاوية على عروشها ﴾، قال: أى: خربة ليس فيها أحد[1].

* وعن قتادة فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وبئر معطلة ﴾: قال: عطلها أهلها وتركوها.

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٦٥٨).

* وعنه في قوله ـ تعالى ـ: ﴿وقصر مشيد﴾ قال: شيدوه وحصنوه، فهلكوا وتركوه.. اهـ[(١)].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿فكأين من قرية أهلكناها وهي ظالمة﴾ [رقم: ٤٥].

* قرأ ابن كثير، وأبو جعفر: ﴿فكائن﴾ بألف ممدودة بعد الكاف، وبعدها همزة مكسورة، وحينئذ يكون المدّ من قبيل المتّصل.

* ومثلها في الحكم ﴿وكأين من قرية أمليت لها﴾ [رقم: ٤٨].

* وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿فكأين، وكأين﴾ بهمزة مفتوحة بدلا من الألف، وبعدهما ياء مكسورة مشدّدة، وهما لهجتان بمعنى كثير[(٢)].

* وقرأ أبو عمرو، ويعقوب: ﴿أهلكتها﴾ بتاء مثناة مضمومة بعد الكاف من غير ألف، على أن الفعل مسند إلى ضمير المتكلم.

* وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿أهلكناها﴾ بنون مفتوحة بعد الكاف وبعدها ألف، على أن الفعل مسند إلى المعظم نفسه وهو الله ـ تعالى ـ[(٣)].

﴿أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور (٤٦)﴾

معاني المفردات:

* ﴿أفلم يسيروا في الأرض﴾، المراد: كفار مكة فيشاهدوا هذه القرى التي أهلكها الله ـ تعالى ـ فيتعظوا ويحذروا عقاب الله أن ينزل بهم كما نزل بمن قبلهم.

* ﴿فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها﴾:

* قال القرطبي في تفسيره: أضاف الله العقل إلى القلب لأنه محلّه كما أن السمع محلّه الأذن.. اهـ[(٤)].

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٤/ ٦٥٨).
(٢) انظر: المغني في توجيه القراءات العشر (٣/ ٥٤).
(٣) انظر: المغني في توجيه القراءات العشر (٣/ ٥٥).
(٤) انظر: تفسير القرطبي (١٢/ ٥٢).

* ﴿ فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾:

* أخرج الحكيم الترمذى فى نوادر الأصول، وغيره، عن عبد الله بن جراد قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس الأعمى مَنْ يعمى بصره، ولكن الأعمى من تعمى بصيرته» اهـ[1].

* وقال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما): لما نزل ﴿ وَمَن كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلاً (٧٢) ﴾ [الإسراء: ٧٢].

قال ابن أمّ مكتوم: يا رسول الله فأنا فى الدنيا أعمى، أفأكون فى الآخرة أعمى؟ فنزلت: ﴿ فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾.. اهـ[2].

﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ (٤٧) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ ﴾:

* قال القرطبى فى تفسيره: نزلت فى النضر بن الحارث وهو قوله: ﴿ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٧٠) ﴾ [الأعراف: ٧٠]. وقيل: نزلت فى أبى جهل بن هشام وهو قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣٢) ﴾ [الأنفال: ٣٢].. اهـ[3].

* ﴿ وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ ﴾، أى: فى إنزال العذاب على الكافرين.

* ﴿ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾:

* أخرج ابن عدىّ، والديلمىّ، عن أنس (ت ٩٣هـ ـ رضى الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «الدنيا كلها سبعة أيام من أيام الآخرة وذلك قول الله: ﴿ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾» اهـ[4].

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٦٥٨).

(٢، ٣) انظر: تفسير القرطبى (١٢/ ٥٢).

(٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٦٦٠).

* وأخرج ابن أبي حاتم عن صفوان بن سليم: أنّ رسول الله ﷺ قال: «فقراء المسلمين يدخلون الجنة قبل الأغنياء من المسلمين بنصف يوم» قيل: وما نصف اليوم؟ قال: «خمسمائة عام» وتلا: ﴿ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾.. اهـ[١].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ وإنّ يومًا عند ربّك كألف سنة مّمّا تعدّون ﴾ [رقم: ٤٧].

* قرأ ابن كثير، وحمزة، والكسائي، وخلف البزار: ﴿ مما يعدّون ﴾ بالياء التحتية، على أنّ الفعل مسند إلى ضمير الغائبين، لمناسبة قوله ـ تعالى ـ في صدر الآية: ﴿ ويستعجلونك بالعذاب ﴾.

* وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ مما تعدون ﴾ بالتاء الفوقية، على الخطاب[٢].

○ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ (٤٨) ○

معاني المفردات:

* ﴿ وكأيّن مّن قرية ﴾: «كأين» خبريّة بمعنى كثير.

* ﴿ أمليت لها ﴾، أي: أمهلتها ولم أنزل بها العذاب.

* ﴿ وهي ظالمة ﴾: الواو للحال، أي: والحال أنها ظالمة.

* ﴿ ثمّ أخذتها ﴾، أي: بالعذاب، وصدق الله إذ قال: ﴿ إنّ بطش ربك لشديد (١٢) ﴾ [البروج: ١٢].

* ﴿ وإليّ المصير ﴾، أي: المرجع والمآل فأجازي كلا بعمله.

●● **تنبيه:** تقدم بيان القراءات التي في ﴿ وكأيّن مّن قرية ﴾ أثناء الحديث عن القراءات التي في ﴿ فكأيّن مّن قرية ﴾ [رقم: ٤٥].

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٤/ ٦٥٩).

(٢) انظر: المغني في توجيه القراءات العشر (٣/ ٥٥ ـ ٥٦).

﴿ قل يا أيها الناس إنما أنا لكم نذير مبين (٤٩) فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة ورزق كريم (٥٠) والذين سعوا في آياتنا معاجزين أولئك أصحاب الجحيم (٥١) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ قُلْ يا أَيُّهَا النَّاسُ ﴾: **الخطاب موجه لنبينا «محمد» ﷺ والمراد «بالناس»: أهل مكة.**

* ﴿ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾، **أى: أبين لكم ما تحتاجون إليه من أمور دينكم، ومعنى ﴿ نَذِيرٌ ﴾ أى: منذر ومخوف.**

* ﴿ فَالَّذِينَ آمَنُوا وعمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ ورِزْقٌ كرِيمٌ ﴾:

* **قال محمد بن كعب القرظى: إذا سمعتَ الله يقول: ﴿ ورِزْقٌ كريمٌ ﴾ فهى الجنة.. اهـ[1].**

* ﴿ والَّذين سعوْا فِي آيَاتِنَا ﴾، **أى: فى إبطال آياتنا.**

* ﴿ مُعاجِزِينَ ﴾ **قال مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) معنى ﴿ مُعاجِزين ﴾: أى: مبطئين، يبطئون الناس عن اتباع النبى ﷺ[2].**

* ﴿ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾: **لأنهم مخلّدون فيها خلوداً أبديّا.**

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ والَّذين سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ ﴾ [رقم: ٥١].

* **قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: ﴿ معجِّزين ﴾ بحذف الألف، وتشديد الجيم. اسم فاعل من «عجَّزه» إذا ثبّطه، أى: مثبطين الناس عن الدخول فى الإسلام.**

* **وقرأ الباقون: ﴿ معاجزين ﴾ بألف وتخفيف الجيم على أنه اسم فاعل من «عاجزه» إذا سابقه فسبقه.**

(١، ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٦٦٠).

☼ **والمعنى:** والذين سعوا فى آياتنا معاجزين، أى: محاولين إبطال ما نطقت به الآيات من الحجج والبراهين على ثبوت نبوة سيدنا «محمد» ﷺ، أولئك أصحاب الجحيم[١].

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّىٰ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٥٢) ﴾

سبب نزول هذه الآية:

* ورد فى سبب نزول هذه الآية عدد من الروايات. ويعلم الله ـ تعالى ـ أن قلبى لم ينشرح لجميع هذه الروايات وقررت أن لا أنقل شيئًا منها.

وعندما رجعت إلى تفسير القرطبى ـ رحمه الله ـ وجدته يقول: الأحاديث المرويّة فى سبب نزول هذه الآية ليس منها شيء صحيح.. اهـ[٢].

عندها طابت نفسى وانشرح صدرى، وحمدت الله ـ تعالى ـ.

معانى المفردات:

* عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّىٰ ﴾: قال معنى ذلك: إلا إذا حدّث.

* وعنه فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ ﴾: قال معنى ذلك: فى حديثه.

* وعنه فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ﴾: قال معنى ذلك: فيبطل الله ما يلقى الشيطان.. اهـ[٣].

* وقال أبو جعفر النحاس (ت ٣٣٨هـ) معقبًا على كلام ابن عباس فى تفسير الآية: وهذا من أحسن ما قيل فى الآية وأعلاه وأجلّه.. اهـ[٤].

---

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٣/ ٥٦).
(٢) انظر: تفسير القرطبى (١٢/ ٥٤).
(٣، ٤) انظر: تفسير القرطبى (١٢/ ٥٧).

* وقال على بن حمزة الكسائى النحوى والقارئ (ت ١٨٠هـ) وأبو زكريا الفرّاء اللغوى والمفسّر (ت ٢٠٧هـ) قالا: معنى ﴿ تمن ﴾: حدّث نفسه، وهذا هو المعروف فى اللغة.. اهـ[١].

* ﴿ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ ﴾، أى: يُثْبتها. * ﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ ﴾ [رقم: ٥٢].

* قرأ أبو جعفر: ﴿ فى أمنيته ﴾ بتخفيف الياء.

* وقرأ الباقون من القراء العشرة بتشديدها، وهما لهجتان[٢].

﴿ لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ (٥٣) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً ﴾، أى: ضلالة.

* ﴿ لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾، أى: شرك ونفاق.

* ﴿ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ﴾: لأنها لا تلين لأمر الله ـ تعالى ـ.

* ﴿ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ ﴾، أى: الكافرين.

* ﴿ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴾، أى: فى خلاف وعصيان ومشاقّة لله ـ عزّ وجلّ ـ، ولرسوله ﷺ.

* قال الثعلبى: فى الآية دليل على أنّ الأنبياء يجوز عليهم السّهو والنسيان، والغلط بوساوس الشيطان، ولكن إنما يكون ذلك حسب ما يغلط أحدنا، فأمّا ما يُنْسب إلى النبى ﷺ من قولهم: «تلك الغرانيق العلا» فكذب على النبى ﷺ، لأن فيه تعظيم الأصنام، ولا يجوز ذلك على الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ.. اهـ[٣].

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (١٢/ ٥٧).
(٢) انظر: المهذب فى القراءات العشر وتوجيهها (٢/ ٥٢).
(٣) انظر: تفسير القرطبى (١٢/ ٥٨).

﴿ وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم وإن الله لهاد الذين آمنوا إلى صراط مستقيم (٥٤) ولا يزال الذين كفروا في مرية منه حتى تأتيهم الساعة بغتة أو يأتيهم عذاب يوم عقيم (٥٥) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ وليعلم الذين أوتوا العلم ﴾: فى بيان المراد من الذين أوتوا العلم قولان:

* الأول: المراد بهم المؤمنون.

والثانى: المراد بهم: أهل الكتاب من الأمم السابقة.

* ﴿ أنه الحق من ربك ﴾: المراد بالضمير فى «أنه» القرآن.

* ﴿ فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم ﴾: ومعنى ﴿ فتخبت ﴾، أى: تخشع وتسكن لقراءة القرآن قلوب المؤمنين، أو بعض أهل الكتاب: قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون (٨٢) وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين (٨٣) ﴾ [المائدة: ٨٢ ـ ٨٣].

* ﴿ وإن الله لهاد الذين آمنوا إلى صراط مستقيم ﴾: أى: يثبتهم على الإيمان وعلى التوحيد.

* ﴿ ولا يزال الذين كفروا في مرية منه ﴾: «المرية»: معناها: الشك، والضمير فى «منه» المراد به القرآن الكريم، و«لا» للنفى، و«زال» للنفى، ونفى النفى إثبات، وحينئذ يكون المعنى: الكفار فى شك دائم فى أمر القرآن الكريم، أى: كفرهم به وبالنبى «محمد» ﷺ مستمر لأن الله طبع على قلوبهم.

* ﴿ حتى تأتيهم الساعة ﴾، أى: القيامة. * ﴿ بغتة ﴾، أى: فجأة.

* ﴿ أو يأتيهم عذاب يوم عقيم ﴾: للعلماء فى المراد باليوم العقيم قولان:

الأول: المراد به يوم القيامة، لأنه لا ليلة له. لأن العقيم في اللغة: هو الذى لا ولد له، ولما كان يوم القيامة لا ليلة له وصف بأنه يوم عقيم.

وممَّن قال بهذا:

١ - سعيد بن جبير (ت ٩٥هـ).

٢ - مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ).

٣ - الضحّاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ)(١).

والقول الثانى: المراد باليوم العقيم: يوم بَدْر. ومعنى كونه عقيمًا: لأن الكفار لم ينظروا فيه إلى الليل، بل قتلوا قبل المساء فصار يومًا لا ليلة له.

وممَّن قال بهذا:

١ - ابن عباس (ت ٦٨هـ - رضى الله عنهما).

٢ - أُبَىّ بن كعب (ت ٣٠ هـ - رضى الله عنه).

٣ - عكرمة مولى ابن عباس (ت ١٠٥هـ)(٢).

الملك يومئذ لله يحكم بينهم فالذين آمنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم (٥٦) والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فأولئك لهم عذاب مهين (٥٧) والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا وإن الله لهو خير الرازقين (٥٨)

معانى المفردات:

* ﴿ الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ﴾: وهو يوم القيامة فهو لله وحده لا منازع فيه ولا مدافع، ثم بين الله الحكم فى ذلك اليوم فقال:

* ﴿ فَالَّذِينَ آمَنُوا وعملُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴾.

* ﴿ والَّذِينَ كَفَرُوا وكَذَّبُوا بِآيَاتنا فَأُولَئِكَ لهُمْ عِذابٌ مُّهِينٌ ﴾.

* ﴿ وَالَّذِين هَاجرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾: فارقوا عشائرهم وأوطانهم من أجل طاعة الله وإعلاء كلمة التوحيد.

(١، ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٦٦٤).

* ﴿ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا ﴾: وهو الجنة.

* ﴿ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾: لأن رزقه لا ينقطع أبدًا.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا ﴾ [رقم: ٥٨].

* قرأ ابن عامر: ﴿ ثم قتّلوا ﴾ بتشديد التاء للتكثير.

* وقرأ الباقون من القراء العشرة بالتخفيف، على الأصل(١).

﴿ لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ (٥٩) ﴾

معاني المفردات:

* عن السدّي إسماعيل بن عبد الرحمن (ت ١٢٧هـ) في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ ﴾ قال: هو الجنة.. اهـ(٢).

* وعن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضي الله عنهما) في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴾، قال: عليم بنياتهم، حليم عن عقابهم(٣).

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ ﴾ [رقم: ٥٩].

* قرأ نافع، وأبو جعفر: ﴿ مَدْخلا ﴾ بفتح الميم، على أنه مصدر، أو اسم مكان من «دخل» وعليه يقدر له فعل ثلاثي مطاوع، أي: ويدخلكم فتدخلون مَدْخلا ترضونه.

* وقرأ الباقون بضم الميم، على أنه مصدر، أو اسم مكان من «أدخل»(٤).

﴿ ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ (٦٠) ﴾

---

(١) انظر: المهذب في القراءات العشر وتوجيهها (٢/ ٥٢).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٤/ ٦٦٥).

(٣) انظر: تفسير القرطبي (١٢/ ٦٠).

(٤) انظر: المهذب في القراءات العشر وتوجيهها (٢/ ٥٣).

سبب نزول هذه الآية:

* أخرج ابن أبى حاتم، عن مقاتل فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ ﴾ الآية، قال: نزلت فى قوم من مشركى مكة: لقوا قومًا من المسلمين لليلتين بقيتا من المحرّم فقالوا: إنّ أصحاب «محمد» ﷺ يكرهون القتال فى الشهر الحرام فاحملوا عليهم، فناشدهم المسلمون ألا يقاتلوهم فى الشهر الحرام، فأبى المشركون إلا القتال، فحملوا عليهم، فثبت المسلمون ونصرهم الله على المشركين، وحصل فى أنفس المسلمين من القتال فى الشهر الحرام شىء، فنزلت هذه الآية.. اهـ[1].

معانى المفردات:

* ﴿ ذلك ﴾: فى موضع رفع بالابتداء، أى ذلك الأمر الذى قصصنا عليك.

* ﴿ ومن عاقب بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ﴾، أى: جازى الظالم بمثل ظلمه.

* ﴿ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ ﴾، أى: ظُلِمَ بإخراجه من موطنه ظلمًا.

* ﴿ لَيَنصُرَنَّهُ اللَّهُ ﴾، وقد نصر الله المؤمنين على الكافرين.

* ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴾: وقد عفا الله عن مساوئ المؤمنين وغفر لهم.

﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (٦١) ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ (٦٢) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ﴾، أى: يزيد فى أحدهما بما نقص من الآخر، ولا يقدر على ذلك إلا الله ـ تعالى ـ، وهذا من دلائل قدرته.

* ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾، أى: يسمع جميع الأقوال، ويبصر جميع الأفعال، ولا يعزب عنه مثقال ذرّة فى الأرض ولا فى السماء.

* ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ ﴾، أى: دينه حقّ، وعبادته حق.

---

(١) انظر: تفسير البغوى (٣/ ٢٩٦)، وتفسير القرطبى (١٢/ ٦٠)، وتفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٦٦٥)، وأسباب النزول للشيخ القاضى ص١٥٠.

وماذا بعد الحقّ إلا الضلال، وقد قال الله:

* ﴿ وأنَّ ما يدْعُون من دُونه هو الْبَاطلُ ﴾، أى: الأصنام الى يعبدونها من دون الله لا تستحق العبادة لأنها لا تنفع ولا تضر، ولا تغنى عن نفسها فضلا عن غيرها شيئًا.

* ﴿ وأنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾، أى: الموصوف بالعظمة والجلال، وكبر الشأن.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ يدْعُونَ ﴾، من قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَأَنَّ مَا يَدْعُون من دُونه هُوَ الْبَاطلُ ﴾ [رقم: ٦٢].

* ومن قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَأَنَّ مَا يدْعُون من دُونه الْبَاطلُ ﴾ [لقمان: ٣٠].

* قرأ أبو عمرو، وحفص، وحمزة، والكسائى، ويعقوب، وخلف البزار: ﴿ يدعون ﴾ فى الموضعين بياء الغيبة.

* وقرأ الباقون: ﴿ تدعون ﴾ فى الموضعين بتاء الخطاب[1].

﴿ ألم تر أنَّ اللَّه أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة إنَّ اللَّه لطيف خبير (٦٣) له ما في السموات وما في الأرض وإنَّ اللَّه لهو الغني الحميد (٦٤) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ ألَمْ تر أنَّ اللَّه أنزَل من السَّماءِ ماءً فَتُصْبِحُ الأَرْضُ مُخْضَرَّةً ﴾:

المعنى: هذه الآية من الأدلّة الواضحة على كمال قدرة الله ـ تعالى ـ فيجب على كل مؤمن بل على كل إنسان أن يستدلّ بذلك على وحدانية الله ـ تعالى ـ وأن يؤمن به دون غيره.

* ﴿ إنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ ﴾: بأرزاق عباده.

* ﴿ خبيرٌ ﴾ قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) معنى ذلك: خبير بما ينطوى عليه العبد من القنوط عند تأخير المطر.. اهـ[2].

---

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٣/ ٥٧).

(٢) انظر: تفسير القرطبى (١٢/ ٦٢).

* ﴿ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ ﴾، أي: ملكًا وخلقًا وعبيدًا، وكل إليه راجعون يوم القيامة.

* ﴿ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾، أي: الغنيّ عن جميع مخلوقاته، المحمود في كل حال.

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَن تَقَعَ عَلَى الأَرْضِ إِلاَّ بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ (٦٥) وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الإِنسَانَ لَكَفُورٌ (٦٦) ﴾

❀ معاني المفردات:

* ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ ﴾:

✳ **المعنى:** الله ـ سبحانه وتعالى ـ سخر لعباده ما يحتاجون إليه في حياتهم مثل: الأنهار، والشجر، وسائر المزروعات، والدواب... إلخ.

وصدق الله إذْ قال: ﴿ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا ﴾ [إبراهيم: ٣٤].

* ﴿ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ ﴾: ﴿ وَالْفُلْكَ ﴾ مفعول بقوله ـ تعالى ـ: «وسخر» وحينئذ يكون المعنى: ومن نعم الله عليكم أنه سخّر لكم الفلك تجرى فى البحر بأمره وإرادته.

* ﴿ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَن تَقَعَ عَلَى الأَرْضِ إِلاَّ بِإِذْنِهِ ﴾:

✳ **المعنى:** هذا أيضًا من نعم الله على عباده إذْ يمسك السماء بقدرته أن تقع على الأرض إلا بإذنه، أي: بإرادته وقدرته.

* ﴿ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾: ومن رأفته ورحمته بعباده: أنه سخر لهم هذه الأشياء لينتفعوا بها.

* ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ﴾: بعد أن كنتم نُطَفًا فى الأصلاب، والأرحام.

* ﴿ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ﴾: عند انقضاء آجالكم.

* ﴿ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ﴾: للحساب، والثواب، والعقاب.

* ﴿ إِنَّ الإِنسَانَ لَكَفُورٌ ﴾: قال الحسن البصرى (ت ١١٠هـ) معنى ذلك: يعدّ المصيبات، وينسى النعم.. اهـ[١].

﴿ لكل أمة جعلنا منسكا هم ناسكوه فلا ينازعنك في الأمر وادع إلى ربك إنك لعلى هدى مستقيم (٦٧) وإن جادلوك فقل الله أعلم بما تعملون (٦٨) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ لِكُلِّ أُمَّةٍ جعلْنا منْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ ﴾: المراد بالمنسك: الذبح، وحينئذ يكون المعنى: لكل أمّة جعلنا ذبْحًا هم ذابحوه، وقد قال بهذا:

١ ـ ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما).

٢ ـ عكرمة مولى ابن عباس (ت ١٠٥هـ).

٣ ـ على بن الحسين بن على بن أبى طالب زين العابدين (ت ٥٦١هـ)[٢].

* ﴿ فَلا يُنَازِعُنَّكَ فِي الأَمْرِ ﴾، أى: لا ينازعنك يا رسول الله أحد فيما يُشرع لأمتك. وهذا الجدال من الكفار فى أمر الذبائح وهو قولهم للمؤمنين: تأكلون ما ذبحتم بأيديكم، ولا تأكلون ما ذبح الله يريدون: الميتة، فكان ما قتل الله أحق أن تأكلوه مما قتلتم أنتم.

* وقد قال بهذا المعنى مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ)[٣].

* ﴿ وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ﴾، أى: إلى توحيده، ودينه، والإيمان به.

* ﴿ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴾، أى: دين قويم لا اعوجاج فيه.

* ﴿ وَإِن جَادَلُوكَ ﴾، أى: خاصموك يا رسول الله، والمراد: كفار مكة.

* ﴿ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾: فيجازيكم بكفركم وعنادكم.

(١ : ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٦٦٦).

﴿ اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (٦٩) أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (٧٠) وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ (٧١) ﴾

❀ معاني المفردات:

* ﴿ اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾: وحينئذ يُعرف من هو على الحق، ومن هو على الباطل.

* ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ ﴾، أي: كل ما يجرى فى العالم مكتوب عند الله فى أم الكتاب.

* ﴿ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾:

✳ **المعنى:** إنّ كتابة القلم ما أمره الله به: ما هو كائن إلى يوم القيامة على الله يسير، لا صعوبة ولا مشقة فيه.

* أخرج ابن أبى حاتم، وابن مردويه، عن ابن عباس (ت ٦٨ هـ - رضى الله عنهما) قال: خلق الله اللوح المحفوظ لمسيرة مائة عام، وقال للقلم - قبل أن يخلق الخلق وهو على العرش -: اكتب، قال: ما أكتب؟ قال: علمى فى خلقى إلى يوم تقوم الساعة، فجرى القلم بما هو كائن فى علم الله إلى يوم القيامة، فذلك قوله للنبى ﷺ: ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ ﴾ الآية.. اهـ[1].

* ﴿ وَيَعْبُدُونَ ﴾، أي: كفار قريش. * ﴿ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا ﴾، أي: حجة وبرهانًا. * ﴿ وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴾.

﴿ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَلِكُمُ النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (٧٢) ﴾

❀ معاني المفردات:

* ﴿ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ ﴾، أي: على كفار قريش.

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٦٦٧).

* ﴿ آياتنا بينات ﴾، المراد بالآيات: القرآن الكريم. ومعنى «بينات»: واضحات.

* ﴿ تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر ﴾:

المعنى: يظهر في وجوه كفار قريش الغضب والعبوس بمجرد سماع القرآن الكريم.

* ﴿ يكادون ﴾، أي: كفار قريش. * ﴿ يسطون ﴾، أي: يبطشون:

* ﴿ بالذين يتلون عليهم آياتنا ﴾: وذلك من شدّة غضبهم. وأصل السطو: القهر.

* ﴿ قل أفأنبئكم ﴾، أي: أخبركم. * ﴿ بشر من ذلكم ﴾، أي: من هذا القرآن الذي تسمعونه.

* ﴿ النار ﴾: كأنهم قالوا: ما الذي هو شر من ذلكم فقيل: هو النار، وحينئذ يكون لفظ «النار» خبر لمبتدأ محذوف.

* ﴿ وعدها الله الذين كفروا ﴾: يوم القيامة.

* ﴿ وبئس المصير ﴾، أي: المرجع الذي يصيرون إليه وهو النار.

﴿ يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب (٧٣) ﴾

معاني المفردات:

* ﴿ يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ﴾:

* قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضي الله عنهما): نزلت في صنم[١].

* ولعلّ الحكمة من قوله ـ تعالى ـ: ﴿ ضرب مثل فاستمعوا له ﴾: لأن حجج الله على المشركين بضرب الأمثال أقرب إلى أفهامهم.

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٤/ ٦٦٨).

* ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ﴾: وهى الأصنام التى كانوا يعبدونها من دون الله، وهى ثلثمائة وستون صنمًا، كانت منصوبة حول «الكعبة».

* ﴿ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا ﴾، أى: هذه الأصنام لن تستطيع أن تخلق ذبابًا، والذباب اسم واحد للذكر والأنثى، وسُمِّى به لكثرة حركته.

* ﴿ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لاَّ يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ﴾:

١ ـ قال ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ: كان كفّار قريش يطلون أصنامهم بالزعفران وعندما تجف يأتى الذباب فيختلسه(١).

٢ ـ وقال السدِّى إسماعيل بن عبد الرحمن (ت ١٢٧هـ): كانوا يجعلون للأصنام طعامًا فيقع عليه الذباب فيأكله(٢).

* ﴿ ضَعُفَ الطَّالِبُ ﴾، وهى الأصنام. * ﴿ وَالْمَطْلُوبُ ﴾، وهو الذباب.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ﴾ [رقم: ٧٣].

* قرأ يعقوب: ﴿ يدعون ﴾ بياء الغيبة، على الالتفات من الخطاب إلى الغيبة، وهو أسلوب بلاغىّ فصيح.

* وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ تدعون ﴾ بتاء الخطاب، لموافقة السياق فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ فَاسْتَمِعُوا لَهُ ﴾(٣).

﴿ ما قدروا اللَّهَ حقَّ قدره إنَّ اللَّه لَقويٌّ عزيزٌ (٧٤) اللَّهُ يصطفي من الْملائكة رسلا ومن النَّاس إنَّ اللَّه سميعٌ بصيرٌ (٧٥) يعلمُ ما بين أيديهم وما خلفهم وإلى اللَّه تُرْجعُ الأُمورُ (٧٦) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾، قال عبد الرحمن بن زيد (ت حوالى ١٧٠هـ) معنى ذلك: حين عبدوا مع الله ما لا ينتصف من الذباب.. اهـ(٤).

(١، ٢) انظر: تفسير القرطبى (١٢/ ٦٥).

(٣) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٣/ ٥٨). (٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٦٦٨).

* ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾، أي: غالب على أمره لا يعجزه شيء.

* ﴿ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً ﴾: مثل «جبريل» ـ عليه السلام ـ.

* ﴿ وَمِنَ النَّاسِ ﴾، أي: يصطفى من الناس رسلا وهم الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ.

* ﴿ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ ﴾: لأقوال جميع عباده.

* ﴿ بَصِيرٌ ﴾: بمن يختاره من خلقه لرسالته.

* ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ﴾، أي: ما قدموا من أعمال.

* ﴿ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾، أي: ما تركوا في الدنيا. * ﴿ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ ﴾، أي: إلى الله تصير جميع الأمور، فيحاسب كل واحد بعمله.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ ﴾ [رقم: ٧٦].

* قرأ ابن عامر، وحمزة، والكسائي، ويعقوب، وخلف البزّار: ﴿ ترجع ﴾ بفتح التاء، وكسر الجيم، على البناء للفاعل، والأمور فاعل.

* وقرأ الباقون بضم التاء، وكسر الجيم، على البناء للمفعول، و«الأمور» نائب فاعل(١).

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٧٧) وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ (٧٨) ﴾

معاني المفردات:

* ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا ﴾:

---

(١) انظر: المهذب في القراءات العشر وتوجيهها (٢/ ٥٥).

✳ **المعنى:** هذا أمر بالصلاة لأنها لا تكون إلا بالركوع والسجود.

* ﴿ وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ ﴾، أى: وحدوه. * ﴿ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ ﴾.

* قال ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ: المراد: صلة الرحم ومكارم الأخلاق(١).

* ﴿ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾: لكى تسعدوا وتفوزوا بالجنة.

* ﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ﴾:

* قال الضحّاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ)، ومقاتل بن سليمان البغوى (ت ٥١٦هـ): معنى ذلك: اعملوا لله حقّ عمله، واعبدوه حقّ عبادته.. اهـ(٢).

* وقال مقاتل بن سليمان: نسخها قول الله ـ تعالى ـ: ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ [التغابن: ١٦].. اهـ(٣).

* وقال أكثر المفسرين: حق الجهاد: أن تكون النية خالصة صادقة لله ـ عزّ وجل ـ(٤).

* ﴿ هُوَ اجْتَبَاكُمْ ﴾، أى: اختاركم لدينه وهو الإسلام.

* ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾، أى: ضيق، ومعنى ذلك: أن المؤمن إذا ابتلى بشىء من الذنوب إلا جعل الله له منه مخرجًا: بعضها بالتوبة، وبعضها بالقصاص، وبعضها بأنواع الكفارات... إلخ، إذْ ليس فى الدين الإسلامىّ ما لا يجد المسلم سبيلا إلى الخلاص من العقاب.

* ﴿ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ﴾: منصوب بفعل محذوف، والتقدير: اتبعوا ملة أبيكم إبراهيم، وإنما أمرنا باتباع ملّة أبينا «إبراهيم» لأنها داخلة فى ملة نبينا «محمد» ﷺ.

قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ ﴾ [آل عمران: ١٩].

* ﴿ هُوَ ﴾ ـ أى الله تعالى ـ: ﴿ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ ﴾، أى: من قبل نزول القرآن فى الكتب المتقدمة.

---

(١) انظر: تفسير البغوى (٣/ ٢٩٩).

(٢ : ٤) انظر: تفسير البغوى (٣/ ٣٠٠).

* ﴿ وَفِي هذَا ﴾، أي: في القرآن.

* ﴿ لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ ﴾: يوم القيامة أنه بلغكم الرسالة.

* ﴿ وَتَكُونُوا ﴾: أنتم. * ﴿ شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾: أنّ رسلهم قد بلغتهم.

* ﴿ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ ﴾:

* قال الحسن البصري (ت١١٠هـ): تمسّكوا بدين الله.. اهـ[1].

* ﴿ هُوَ مَوْلَاكُمْ ﴾، أي: وليّكم وناصركم وحافظكم.

* ﴿ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴾، أي: الناصر لكم أيها المسلمون.

• • •

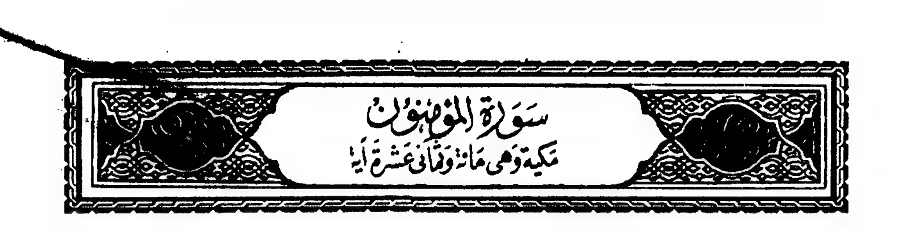
تم ولله الحمد والشكر تفسير سورة الحج

ويليها بإذن الله - تعالى -

[تفسير سورة المؤمنون]

• • •

(١) انظر: تفسير البغوى (٣/ ٣٠١).



* أخرج ابن مردويه، عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) قال: نزلت بمكة سورة المؤمنون.. اهـ[١].

﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) ﴾

* **المعنى:**

* عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾، قال: فازوا وسعدوا.. اهـ[٢].

* وأخرج ابن عدىّ، والحاكم، والبيهقى فى الأسماء والصفات، عن أنس بن مالك (ت ٩٣هـ ـ رضى الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «خلق الله جنّة عَدْن، وغرس أشجارها بيده، وقال لها: تكلّمى، فقالت: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾».. اهـ[٣].

* وأخرج عبد الرزّاق، وأحمد، وعبد بن حميد، والترمذى، والنسائى، وابن المنذر، والحاكم وصحّحه، والبيهقى فى الدلائل، عن عمر بن الخطاب (ت ٢٣هـ ـ رضى الله عنه) قال: كان إذا أُنزِل على رسول الله ﷺ الوحىُ يُسْمع عند وجهه كدوىّ النّحل، فأُنزِل عليه يومًا فمكثنا ساعة، فسرِّى عنه فاستقبل القبلة فرفع يديه فقال: «اللهمّ زدنا ولا تُنْقِصْنا، وأكرمنا ولا تهنّا، وأعطنا ولا تحرمنا، وآثرنا ولا تُؤْثر علينا، وارض عنّا وارضنا، ثم قال: لقد أنزل علىّ عشر آيات من أقامهن دخل الجنة»، ثم قرأ ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ حتى ختم العشر.. اهـ[٤].

﴿ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢) ﴾

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٥/ ٣).
(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٥/ ٤).
(٣، ٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٥/ ٣).

سبب نزول هذه الآية:

* أخرج ابن مردويه، والحاكم وصححه، والبيهقى فى سننه، عن محمد بن سيرين (١١٠هـ) عن أبى هريرة (٥٩هـ ـ رضى الله عنه) أنّ النبى ﷺ كان إذا صلّى رفع بصره إلى السماء، فنزلت: ﴿ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾ فطأطأ رأسه.. اهـ(١).

المعنى:

* عن علىٍّ بن أبى طالب (ت ٤٠هـ ـ رضى الله عنه) أنه سئل عن قوله ـ تعالى ـ: ﴿ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾ قال: الخشوع فى القلب، وأن تلين كنفك للمرء المسلم، وأن لا تلتفت فى الصلاة.. اهـ(٢).

* وعن الحسن البصرى (ت ١١٠هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾ قال: كان خشوعهم فى قلوبهم، فغضّوا بذلك أبصارهم، وخفضوا لذلك الجناح.. اهـ(٣).

* وعن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ عن رسول الله ﷺ: أنه رأى رجلا يعبث بلحيته فى صلاته فقال: «لو خشع قلب هذا خشعت جوارحه» اهـ(٤).

* وعن أنس ـ رضى الله عنه ـ: أن النبى ﷺ قال: «ما بال أقوام يرفعون أبصارهم إلى السماء فى صلاتهم فاشتدّ فى ذلك حتى قال: لينتهنّ عن ذلك أو لتُخطفَنّ أبصارهم» اهـ(٥).

﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (٣) وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ (٤) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٥) إِلاَّ عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٦) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴾:

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٥/ ٤).
(٢ : ٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٥/ ٥).
(٥) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٥/ ٧).

١ ـ قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما): المراد باللغو: الباطل[١].

٢ ـ وقال الحسن البصرى (ت ١١٠هـ): المراد به: المعاصى[٢].

* ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴾:

* قال سعيد بن جبير (ت ٩٥هـ): المراد «بالزكاة»: الزكاة الواجبة وهى زكاة الأموال[٣].

* ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴾:

* قال سعيد بن جبير المراد: حافظون فروجهم عن الفواحش[٤].

* ﴿ إِلاَّ عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ ﴾:

* قال السدّى إسماعيل بن عبد الرحمن (ت ١٢٧هـ): إلا من امرأته ﴿ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ ﴾، أى: أَمَتَهُ.. اهـ[٥].

* ﴿ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴾، أى: لا يلامون على نكاح أزواجهم وإمائهم.

﴿ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (٧) وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ (٨) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴾:

* قال قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) معنى ذلك: معنى تعدّى الحلال أصابه الحرام.. اهـ[٦].

* وقال محمد بن كعب بن مسلم (ت ١١٨هـ أو ١٢٠هـ): كل فرج عليك حرام إلا فرجين، قال الله: ﴿ إِلاَّ عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ ﴾.. اهـ[٧].

* وأخرج ابن المنذر، وابن أبى حاتم، والحاكم وصحّحه، عن ابن أبى مُلَيْكة قال: سُئِلت «عائشة» أم المؤمنين (ت ٥٨هـ ـ رضى الله عنها) عن (متعة النساء) فقالت:

(١ : ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٥/ ٧).

(٤ : ٧) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٥/ ٨).

بيني وبينكم كتاب الله، وقرأت: ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ* إِلاَّ عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ ﴾، فمن ابتغى وراء ما زوّجه الله أو ملكه فقد عدَا.. اهـ[١].

* ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴾:

✵ **المعنى:** يحافظون على ما ائتمنوا عليه، وعلى العقود التى عاقدوا الناس عليها فيقومون بالوفاء بها، والأمانات تارة تكون بين الله والعبد: كالصلاة، والصيام، وسائر العبادات.. إلخ، وتارة تكون بين العبدين: كالودائع، فعلى العبد الوفاء بجميعها.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴾ [المؤمنون:٨ ، والمعارج: ٣٢].

* قرأ ابن كثير: ﴿ لأمانتهم ﴾ بحذف الألف التى بعد النون، على التوحيد، وهو مصدر، والمصدر يدلّ على القليل والكثير.

* وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ لأماناتهم ﴾ بإثبات الألف، على الجمع[٢].

﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ⑨ ﴾

✵ **المعنى:**

* عن عكرمة مولى ابن عباس (ت ١٠٥هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾ قال: على المكتوبة[٣].

* وقال قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ): أى: على وضوئها، ومواقيتها، وركوعها، وسجودها.. اهـ[٤].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾ [رقم: ٩].

* قرأ حمزة، والكسائى، وخلف البزّار: ﴿ صلاتهم ﴾ بالإفراد، لإرادة الجنس.

* وقرأ الباقون بالجمع، لإرادة الفرائض الخمس[٥].

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٥/ ٨). (٢) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٣/ ٥٩).

(٣، ٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٥/ ٩). (٥) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٣/ ٥٩).

﴿ أُوْلَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾ ﴾

﴿ أُوْلَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ * الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ ﴾ الآية:

✷ **المعنى:** من وفقه الله - تعالى - وعمل بمضمون الآيات المتقدمة فأولئك هم الوارثون الذين يرثون منازل أهل النار من الجنة. ويدلّ على هذا المعنى الحديث التالى:

* فقد أخرج سعيد بن منصور، وابن ماجه، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبى حاتم، وابن مردويه، والبيهقى فى البعث عن أبى هريرة (ت ٥٩هـ - رضى الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «ما منكم من أحد إلا وله منزلان: منزل فى الجنة، ومنزل فى النار، فإذا مات فدخل النار ورث أهل الجنّة منزله، فذلك قوله - تعالى -: ﴿ أُوْلَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴾» اهـ[١].

* و﴿ الْفِرْدَوْسَ ﴾: ربْوة الجنة، وأوسطها، وأفضلها. يدلّ على ذلك الحديث التالى:

* فقد أخرج عبد بن حميد، عن أنس (ت ٩٣هـ - رضى الله عنه) أنّ الرُّبَيِّع بنت النضر أتت رسول الله ﷺ وكان ابنها حارثة بن سراقة أصيب يوم (بَدْر) أصابه سهم فقالت: أخبرنى عن حارثة، فإن كان أصاب الجنة احتسبت وصبرت، وإن كان لم يصب الجنة اجتهدت فى البكاء؟

فقال النبى ﷺ: «يا أمَّ حارثة إنها جنان فى جنّة، وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى، والفردوس ربوة الجنة وأوسطها وأفضلها» اهـ[٢].

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن سُلالَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ﴾

❀ معانى المفردات:

* عن مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) فى قوله - تعالى -: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن سُلالَةٍ مِّن طِينٍ ﴾ قال: هو الطين إذا قبضت عليه خرج ماؤه من بين أصابعك.. اهـ[٣].

* وعن قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) فى قوله - تعالى -: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن سُلالَةٍ مِّن طِينٍ ﴾ قال: بدء آدم خلق من طين.

(١، ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٥/ ٩).

(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٥/ ١٠).

* وعنه فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً ﴾، قال: ذرّية آدم.. اهـ[١].

* وعن قتادة فى الآية قال: استلّ آدم من طين، وخلقت ذريته من ماء مهين.. اهـ[٢]. ـ وهو المنىّ ـ.

* وأخرج عبد الرزاق، عن علىّ بن أبى طالب (ت ٤٠هـ ـ رضى الله عنه) أنه سُئِل عن العَزْل فقال: ذلك الوأد الخفىّ.

* وقال ابن مسعود (ت ٣٢هـ ـ رضى الله عنه): هى الموءودة الخفية[٣].

﴿ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ (١٤) ﴾

سبب نزول هذه الآية:

* قال أبو الحسين بن على بن أحمد الواحدى (ت ٤٦٨هـ): أخبرنا أحمد بن محمد بن عبد الله الحافظ، قال: أخبرنا عبد الله بن محمد بن حيّان، قال: أخبرنا محمد ابن سليمان، قال: حدثنا أحمد بن عبد الله بن سُوَيد، قال: حدثنا أبو داود، عن حمّاد ابن سلمة، عن علىّ بن زيد بن جُدْعان عن أنس بن مالك (ت ٩٣هـ ـ رضى الله عنه) قال: قال عمر بن الخطّاب (٢٣هـ ـ رضى الله عنه): وافقتُ ربِّى فى أربع:

١ ـ قلتُ: يا رسول الله لو صلينا خَلْف المقام، فأنزل الله: ﴿ وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾ [البقرة: ١٢٥].

٢ ـ وقلتُ: يا رسول الله لو اتخذت على نسائك حجابًا، فإنه يدخل عليك البرُّ والفاجر، فأنزل الله: ﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

٣ ـ وقلتُ لأزواج النبىّ ﷺ: لتنتهُنّ أوْ ليبدلّنه الله ـ سبحانه ـ أزواجًا خيرًا منكنّ، فأنزل الله: ﴿ عَسَىٰ رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ ﴾ الآية: [التحريم: ٥].

(١ : ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٥/ ١٠).

٤ - ونزلت: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن سُلالَةٍ مِّن طِينٍ ﴾ إلى قوله: ﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ﴾، فقلت: «فتبارك الله أحسن الخالقين»، فنزلت: ﴿ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾.. اهـ(١).

❀ معانى المفردات:

* ﴿ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ﴾: تقدم بيان معنى ذلك أول سورة الحج الآية رقم: ٥.

* ﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ﴾: اختلف العلماء فى بيان المراد من الخلق الآخر:

١ - فقال ابن عباس (ت ٦٨هـ - رضى الله عنهما)، ومجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ)، وعكرمة مولى ابن عباس (١٠٥هـ)، وأبو العالية الرّياحى (ت ١٩٠هـ): قالوا: المراد من ذلك: نفخ الروح فيه.. اهـ(٢).

٢ - وقال الضحّاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ): المراد من ذلك: خلق الأسنان، والشعر.. اهـ(٣).

٣ - وقال ابن عمر (ت ٧٣هـ - رضى الله عنهما): الصحيح أنه عامّ فى هذا وفى غيره: من النطق، والإدراك، وحسن المحاولة، وتحصيل المعقولات إلى أن يموت.. اهـ(٤).

* ﴿ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾، أى: أتقن الصانعين. يقال: لمن صنع شيئًا خلقه.

▣ القراءات وتوجيهها:

* ﴿ فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ﴾ [رقم: ١٤].

* قرأ ابن عامر، وشعبة: ﴿ عَظْما، العَظْم ﴾ بفتح العين، وإسكان الظاء، وحذف الألف التى بعدها، على التوحيد لقصد الجنس.

---

(١) انظر: أسباب النزول للواحدى ص٣٢٢.
(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٥/ ١١).
(٣، ٤) انظر: تفسير القرطبى (١٢/ ٧٤).

* وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿عِظَامًا، العِظَامَ﴾ بكسر العين، وفتح الظاء، وإثبات الألف الى بعدها، على الجَمْع لقصد الأنواع، لأنّ العظام مختلفة: منها الدقيقة، والغليظة، والمستديرة، والمستطيلة[1].

﴿ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ ﴿١٧﴾ ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ﴾، أى: بعد الخلق والحياة.

* ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ﴾: للحساب، والجزاء، والعقاب.

* ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ﴾: قال مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ)، أى: سبع سماوات.. اهـ[2].

* يقال: طارقتُ الشىء: أى جعلتُ بعضه فوق بعض.

* ﴿وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ﴾: من أن تسقط عليهم السموات السبع فتهلكهم.

﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ ﴿١٨﴾ فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِ جَنَّاتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾ ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ﴾، أى: على مقدار مُصْلح، لأنه لو كثر أهلك.

* ﴿فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ﴾.

* ونظير ذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾﴾ [الحجر: ٢١].

* ﴿وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ﴾، أى: الماء الذى أسكنه الله فى الأرض، أى الذى اختزنه. وهذا تهديد ووعيد، وحينئذ يكون المعنى: فى قدرة الله ـ تعالى ـ تغويره، وإذهابه، وحينئذ يهلك الناس، ومواشيهم، وتموت مزارعهم.

---

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٣/ ٦٠). (٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٥/ ١٣).

* ونظير ذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَاءٍ مَّعِينٍ (٣٠) ﴾ [الملك: ٣٠].

* قال أبو جعفر النحّاس (ت ٣٣٨هـ): قرئ على أبي يعقوب إسحاق بن إبراهيم ابن يونس، عن جامع بن سوادة قال: حدّثنا سعيد بن سابق، قال: حدثنا مسلمة بن عليّ، عن مقاتل بن حيّان (ت ١١٠هـ)، عن عكرمة مولى ابن عباس (ت ١٠٥هـ) عن ابن عباس (٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) عن النبيّ ﷺ قال: «أنزل الله ـ عزّ وجلّ ـ من الجنة إلى الأرض خمسة أنهار: ١ ـ سَيْحُون، وهو نهر بالهند. ٢ ـ وجيحون، وهو نهر بَلْخ. ٣، ٤ ـ ودجْلَة، والفرات، وهما نهرا العراق. ٥ـ والنِّيل، وهو نهر مِصْر.

أنزلها الله ـ تعالى ـ من عين واحدة من عيون الجنّة فى أسْفل درجة من درجاتها، على جناحى «جبريل» ـ عليه السلام ـ، فاستودعها الجبال، وأجراها فى الأرض، وجعل فيها منافع للناس فى أصناف معايشهم، وذلك قوله ـ جلّ ثناؤه ـ: ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الأَرْضِ ﴾ فإذا كان عند خروج «يأجوج ومأجوج» أرسل الله ـ عزّ وجلّ ـ «جبريل» ـ عليه السلام ـ، فرفع من الأرض: القرآن، والعلْم، وجميع الأنهار الخمسة، فيرفع ذلك إلى السماء، فذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ ﴾ فإذا رفعت هذه الأشياء من الأرض فقد أهلها خير الدين والدنيا» اهـ[1].

* ﴿ فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِ جَنَّاتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ ﴾:

✻ **المعنى:** جعل الله ـ سبحانه وتعالى ـ الماء سببًا فى إنبات البساتين من النخيل والأعناب، وذكر هذين النوعين لا يفيد الحصر، لأن الله ـ سبحانه وتعالى ـ جعل من الماء كل شىء حىّ.

* ﴿ لَكُمْ فِيهَا ﴾، أى: فى هذه الجنات المتقدم ذكرها. * ﴿ فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ ﴾: من غير الرطب والعنب. * ﴿ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ وتتمتعون.

﴿ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَاءَ تَنبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلآكِلِينَ (٢٠) ﴾

(١) انظر: تفسير القرطبى (١٢/ ٧٦).

معانى المفردات:

* ﴿ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَاءَ ﴾: معطوف على ﴿ جَنَّاتٍ ﴾.

* و﴿ طُورِ سَيْنَاءَ ﴾: قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما): هو الجبل الذى كلّم الله عليه «موسى» ـ عليه السلام ـ من أرض الشام(١).

* ﴿ تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ ﴾، أى: تنبت ومعها الدهن وهو الزيت.

* قال أبو علىّ الفارسىّ التقدير: تنبت جناها ومعه الدهن(٢).

* والمراد بالشجرة: شجرة الزيتون.

* قال السدّىّ إسماعيل بن عبد الرحمن (ت ١٢٧هـ): هى شجرة الزيتون تنبت بالزيت فهو دهن يدَّهن به، وهو صبغ للآكلين يأكله الناس.. اهـ(٣).

* ﴿ وَصِبْغٍ لِّلآكِلِينَ ﴾: إذْ كل إدام يؤتدم به فهو صبغ.

* وقال مقاتل: خُصّ طور سيناء بالزيتون، لأن أوّل الزيتون نبت كان فى طور سيناء.. اهـ.

* وأصل الصِّبغ ما يلوَّن به الثّوب، وشُبِّـه الإدام به، لأن الخبز يُلوَّن بالصِّبغ إذا غمس فيه.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ ﴾ [رقم: ٢٠].

* قرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وأبو جعفر: ﴿ سِيناء ﴾ بكسر السين، على وزن «فِعْلاء»، وهى اسم للبقعة، فلم ينصرف للعلمية والتأنيث.

* وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ سَيناء ﴾ بفتح السين، على وزن «فَعْلاء» كحمراء، والهمزة للتأنيث(٤).

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (١٢/ ٧٧).
(٢) انظر: تفسير القرطبى (١٢/ ٧٨).
(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٥/ ١٤).
(٤) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٣/ ٦٠).

* وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ورويس: ﴿ تُنبِت ﴾ بضم التاء، وكسر الباء، على أنه مضارع «أنبت» الرباعيّ.

* وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ تَنبُت ﴾ بفتح التاء، وضم الباء، على أنه مضارع «نبت» الثلاثي اللازم(١).

﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (٢١) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الأَنْعَامِ ﴾، قال مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ): هى: الإبل، والبقر، والضأن، والمعز.. اهـ(٢).

* ﴿ لَعِبْرَةً ﴾، أى: عظة. * ﴿ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا ﴾: من ألبانها.

* ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ ﴾، قال مجاهد بن جبر: منها ما تنتج، ومنها ما يركب، ومنها لبن ولحم.. اهـ(٣).

* ﴿ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾، أى: تأكلون لحومها بشرط تذكيتها ذكاة شرعية.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا ﴾ [رقم: ٢١].

* قرأ نافع، وابن عامر، وشعبة، ويعقوب: ﴿ نَسْقيكم ﴾ بالنون المفتوحة، مضارع «سقى» الثلاثى.

* وقرأ أبو جعفر: ﴿ تَسْقيكم ﴾ بالتاء المفتوحة على التأنيث، والفعل مسند لضمير الأنعام، وهو مضارع «سقى» أيضًا.

* وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ نُسْقيكم ﴾ بالنون المضمومة، مضارع «أسقى» الرباعى، ومنه قوله ـ تعالى ـ: ﴿ فأسقيناكموه ﴾(٤).

---

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٣/ ٦١). (٢، ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٥/ ١٥).
(٤) انظر: المهذب فى القراءات العشر وتوجيهها (٢/ ٥٨).

﴿ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ (٢٢) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ وَعَلَيْهَا ﴾: الضمير عائد على «الأنعام» والمراد: بعضها وهى الإبل.

* ﴿ وَعَلَى الْفُلْكِ ﴾، أى: السفن. * ﴿ تُحْمَلُونَ ﴾: فالإبل تحملكم فى البرّ، والسفن تحملكم فى البحر.

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٢٣) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ ﴾، أى: وحدوه ولا تشركوا به شيئًا.

* ﴿ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ﴾، أى: لا معبود لكم سوى الله ـ تعالى ـ.

* ﴿ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾، المعنى: أفلا تخافون عقاب الله ـ تعالى ـ إن عبدتم غيره.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ﴾ [رقم: ٢٣، ٣٢].

* قرأ الكسائى، وأبو جعفر: ﴿ غيرِهِ ﴾ بخفض الراء وكسر الهاء بعدها، على النعت أو البدل من «إله» لفظًا.

* وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ غيرُهُ ﴾ برفع الراء وضم الهاء، على النعت أو البدل من «إله» محلا لأن «منْ» زائدة، و«إله» مبتدأ[1].

﴿ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ (٢٤) إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّىٰ حِينٍ (٢٥) قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ (٢٦) ﴾

---

(١) انظر: المهذب فى القراءات العشر وتوجيهها (٢/ ٥٨).

❀ معانى المفردات:

* ﴿ فَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ ﴾: ﴿ الْمَلأُ ﴾: الجماعة.

* ﴿ مَا هَٰذَا إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾، أى: ليس بملَك.

* ﴿ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ ﴾، أى: يَسُودكم بأن يكون متبوعًا ونحن له تبع.

* ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لأَنزَلَ مَلائِكَةً ﴾: المعنى: لو شاء الله ألا يعبد أحدٌ سواه لأرسل لنا رسولا ملَكا.

* ﴿ مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا ﴾، أى: بمثل دعوة «نوح».

* ﴿ فِي آبَائِنَا الأَوَّلِينَ ﴾، أى: فى الأمم الماضية. قاله ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما)[1].

* ﴿ إِنْ هُوَ ﴾، أى: «نوح». * ﴿ إِلاَّ رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ ﴾، أى: جنون.

* ﴿ فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾، أى: تربصوا به حتى يستبين جنونه.

* ﴿ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴾، أى: انتقم لى يا ربِّ ممن لم يؤمن برسالتى ويطعنى.

﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلاَّ مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ (٢٧) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ ﴾:

✳ **المعنى:** أوحى الله ـ تعالى ـ لنبيه «نوح» ـ عليه السلام ـ حينما استنصر الله ـ تعالى ـ على كفرة قومه: أن اصنع الفلك: أى: السّفينة.

* ﴿ بِأَعْيُنِنَا ﴾، أى: بمرأى منّا. * ﴿ وَوَحْيِنَا ﴾، أى: بتعليمنا إياك.

* ﴿ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا ﴾: المعنى: إذا جاء قضاء الله فى قوم «نوح» بهلاكهم.

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (١٢/ ٨٠).

* ﴿ وَفَارَ التَّنُّورُ ﴾، أي: نبع الماء من التنّور، وهو «الفُرْن» الذى يخبز فيه.

* ﴿ فَاسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ ﴾:

* قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما)، أي: اجعل معك فى السفينة من كل زوجين اثنين.. اهـ[1].

* ﴿ وَأَهْلَكَ ﴾: وهم ولَدُه ونساؤهم.

* ﴿ إِلاَّ مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ ﴾، أي: إلا من سبق عليه قضاء الله ـ تعالى ـ بالهلاك مثل ولده الذى غرق.

* ﴿ وَلا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾، أي: لا تسألنى أن أنجى الذين كفروا.

* ﴿ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴾: لأن الله قد حكم عليهم بالغرق والهلاك.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ فَاسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ ﴾ [رقم: ٢٧].

* قرأ حفص: ﴿ من كل ﴾ بالتنوين، وهو عوض عن المضاف إليه، أي: من كل ذكر وأنثى، و﴿ زوجين ﴾ مفعول به.

* وقرأ الباقون من القراء العشرة بترك التنوين، على إضافة ﴿ كل ﴾ إلى ﴿ زوجين ﴾ و﴿ اثنين ﴾ مفعول به و﴿ من كل زوجين ﴾ فى محلّ نصب حال من المفعول[2].

﴿ فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٢٨) وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلاً مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ (٢٩) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى الْفُلْكِ ﴾:

المعنى: إذا علوت أنت يا«نوح» ومن معك راكبين على الفلك.

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٥/ ١٥).

(٢) انظر: المهذب فى القراءات العشر وتوجيهها (٢/ ٥٨).

* ﴿ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾:

✻ **المعنى:** احمدوا الله - عزّ وجلّ - الذي نجاكم من الغرق، وخلّصكم من القوم الكافرين.

* ﴿ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلاً مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ ﴾:

✻ **المعنى:** يعلمنا الله - تعالى - الدعاء الذى ندعوه به عند النزول من أى شيء نركبه ويحملنا من مكان إلى مكان.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلاً مُّبَارَكًا ﴾ [رقم: ٢٩].

* قرأ شعبة: ﴿ مَنزِلا ﴾ بفتح الميم، وكسر الزاى، على أنه اسم مكان من «نزل»، أى: مكان نزول حالة كونه مباركًا.

* وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ مُنزَلا ﴾ بضم الميم، وفتح الزاى، على أنه اسم مكان من «أنزل» أى: مكان إنزال(١).

﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ (٣٠) ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ (٣١) فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلا تَتَّقُونَ (٣٢) ﴾

✿ معانى المفردات:

* ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ ﴾، أى: فى أمر «نوح» - عليه السلام -، والسفينة وإهلاك الكافرين.

* ﴿ لآيَاتٍ ﴾، أى: دلالات على إكمال قدرة الله - تعالى -، وأنه ينصر أنبياءه ويهلك أعداءه.

* ﴿ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴾، قال: قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ):

✻ **المعنى:** أن الله ابتلى الناس قبل قوم «نوح» - عليه السلام -(٢).

---

(١) انظر: المهذب فى القراءات العشر وتوجيهها (٢/ ٥٩).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٥/ ١٥).

* ﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ ﴾، أى: من بعد هلاك قوم «نوح».

* ﴿ قَرْنًا آخَرِينَ * فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ ﴾:

١ - قيل: هم قوم عاد، وأرسل الله فيهم «هودًا» - عليه السلام -.

٢ - وقيل: هم قوم ثمود، وأرسل الله فيهم «صالحا» - عليه السلام -[1].

ومعنى ﴿ مِّنْهُمْ ﴾، أى: من عشيرتهم يعرفون مولده ومنشأه ليكون امتثالهم إليه واتباعه أكثر من غيره.

* ﴿ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾: وهذه رسالة التوحيد.

* ﴿ أَفَلا تَتَّقُونَ ﴾: الاستفهام هنا إنكارى ومعناه الأمر، أى: اتقوا الله - تعالى - واعملوا بشرعه.

** **تنبيه:** تقدم بيان القراءات التى فى قوله - تعالى -: ﴿ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ فى الآية رقم ٢٣ من سورة المؤمنون.

﴿ وَقَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ (٣٣) وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ (٣٤) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَقَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِهِ ﴾: وهم القادة والرؤساء.

* ﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الآخِرَةِ ﴾، أى: بالبعث والحساب.

* ﴿ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾، أى: وسّع الله عليهم نعم الدنيا حتّى بطروا وكفروا بنعم الله عليهم.

* ﴿ مَا هَذَا إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴾:

✵ **المعنى:** لا فضل له عليكم لأنه محتاج إلى الطعام والشراب مثلكم.

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (١٢/ ٨١).

* ﴿ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ ﴾:

✵ **المعنى:** يقول بعضهم لبعض: إن أطعتم بشرًا مثلكم إنكم إذًا لخاسرون بترككم آلهتكم واتباعكم «نوحًا» من غير فضيلة له عليكم.

﴿ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ (٣٥) ﴾

❀ معاني المفردات:

* ﴿ أَيَعِدُكُمْ ﴾، أي: نبيّ الله «نوح» - عليه السلام -.

* ﴿ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴾، أي: مبعوثون من قبوركم.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ إِذَا مِتُّمْ ﴾ [رقم: ٣٥].

* قرأ نافع، وحفص، وحمزة، والكسائي، وخلف البزّار: ﴿ مِتّم ﴾ بكسر الميم.

* وقرأ الباقون من القراء العشرة بضم الميم، وهما لهجتان[١].

﴿ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ (٣٦) ﴾

✵ المعنى:

* ﴿ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ ﴾، قال ابن عباس (ت ٦٨هـ - رضى الله عنهما) هى كلمة للبعيد[٢]. كأنهم قالوا: بعيد ما توعدون، أى أن ما ذكر من البعث لن يكون.

القراءات وتوجيهها:

* قرأ أبو جعفر: ﴿ هيهات ﴾ معًا بكسر التاء، وهى لهجة (تميم وأسد).

* وقرأ الباقون بالفتح، وهى لهجة «أهل الحجاز» وهى اسم فعل ماض بمعنى بَعُدَ[٣].

---

(١) انظر: المهذب فى القراءات العشر وتوجيهها (٢/ ٥٩).

(٢) انظر: تفسير القرطبى (١٢/ ٨٢).

(٣) انظر: المهذب فى القراءات العشر وتوجيهها (٢/ ٦٠).

﴿ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٣٩﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا ﴾: «إنْ» نافية بمعنى «ما» وحينئذ يكون المعنى: يقول الكفار: ما الحياة الدنيا إلا ما نحن فيه، فلا بعث كما يعدهم «نوح» ـ عليه السلام ـ.

* ﴿ نَمُوتُ وَنَحْيَا ﴾: فإن قيل: كيف قالوا: نموت ونحيا وهم لا يقرّون بالبعث؟ قيل: معنى ذلك: يموت الآباء، ويحيا الأبناء.

* ﴿ وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴾، أى: بعد الموت.

* ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾: يقصدون نبىّ الله «نوح».

* ﴿ وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ ﴾، أى: يصرون على تكذيبه وعدم الإيمان به.

* ﴿ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴾:

✵ **المعنى:** هذا دعاء من نبىّ الله «نوح» ـ عليه السلام ـ أن ينصره الله على قومه بسبب تكذيبهم له.

* ﴿ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ ﴾:

✵ **المعنى:** تضمنت هذه الآية والتى بعدها استجابة الله ـ تعالى ـ لدعاء نبىّ الله «نوح» على قومه، والآية الآتية بينت نوع العذاب الذى أنزله الله بقوم «نوح» بسبب كفرهم، فقال ـ تعالى ـ:

﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قُرُونًا آخَرِينَ ﴿٤٢﴾ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ ﴾: الضمير فى ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ﴾ عائد على قوم «نوح» ـ عليه السلام ـ.

قال العلماء: صاح بهم «جبريل» ـ عليه السلام ـ صيحة واحدة مع الريح العقيم فماتوا عن آخرهم. * ﴿ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً ﴾، قال ابن عباس (ت ٦٨ هـ ـ رضى الله عنهما)، وقتادة بن دعامة (ت ١١٨ هـ): جعلهم الله ـ تعالى ـ كالشيء الميت البالى من الشجر.. اهـ[١].

* ﴿ فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾، أى: هلاكًا لهم. و«بعدا» منصوب عل المصدر.

* ﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ ﴾، أى: من بعد هلاك قوم «نوح» ـ عليه السلام ـ.

* ﴿ قُرُونًا آخَرِينَ ﴾، أى: أممًا آخرين. وفى الكلام حذف دلّ عليه المقام والتقدير: فكذّبوا أنبياءهم فأهلكناهم.

* ﴿ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ ﴾:

✵ **المعنى:** ما تسبق من أمّة أجلها المقدّر لها، أى لا تموت قبله، ولا تتأخّر عنه ولا لحظة، ونظير ذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ (٣٤) ﴾ [الأعراف: ٣٤].

﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ (٤٤) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا ﴾:

* قال ابن عباس (ت ٦٨ هـ ـ رضى الله عنهما)، ومجاهد بن جبر (ت ١٠٤ هـ)، وقتادة بن دعامة (ت ١١٨ هـ): معنى ذلك: جعل الله بعضهم على إثر بعض.. اهـ[٢].

* ﴿ كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا ﴾:

✵ **المعنى:** أهلكنا بعضهم فى إثر بعض بسبب تكذيبهم أنبياءهم.

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٥/ ١٦).
(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٥/ ١٧).

* ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ ﴾، أى: سمرًا وقصصا يتحدّث مَنْ بعدهم بأمرهم وشأنهم. و﴿ أَحَادِيثَ ﴾ جمع «أحدوثة» وقيل: جمع حديث.

* قال الأخفش الأوسط سعيد بن مسعدة (ت ٢١٥هـ): إنما هو فى الشرّ، وأمّا فى الخير فلا يقال: جعلتهم أحاديث وأحدوثة، إنما يقال: صار فلان حديثًا.. اهـ[١].

* ﴿ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ ﴾، أى: هلاكًا لهم.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا ﴾ [رقم: ٤٤].

* قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وأبو جعفر: ﴿ تترًا ﴾ بالتنوين وصلا، وبالألف وقفًا، وهو مصدر من المواترة، وهى المتابعة بغير مهملة، وهو على وزن «فعل».

ولا يجوز أن تجعل الألف فى هذه القراءة للتأنيث، لأن التنوين لا يدخل فيه ألف التأنيث فى هذا البناء ألبتة.

* وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ تترَا ﴾ بلا تنوين وصلا ووقفًا، على أنه مصدر من المواترة أيضًا، وهو على وزن «فعلى» وألفه للتأنيث مثل «سكرى» والمصادر يلحقها ألف التأنيث فى كثير من الكلام نحو «الذكرى والدعْوى»[٢].

﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴾، أى: بحجة بينة مثل: اليد والعصا وغيرهما من الآيات التسع.

* ﴿ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا ﴾، أى: تعظموا عن الإيمان.

* ﴿ وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ ﴾، أى: متكبّرين قاهرين بالظلم.

---

(١) انظر: تفسير البغوى (٣/ ٣٠٩).

(٢) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٣/ ٦٣).

﴿ فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ ﴿٤٧﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ ﴿٤٨﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٥٠﴾ ﴾

معانى المفردات:

* ﴿فَقَالُوا﴾، أى: فرعون وقومه.

* ﴿أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا﴾: وهما «موسى وهارون».

* ﴿وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ﴾، أى: مطيعون ومتذلّلون. والعرب تسمِّى كلَّ من دان للمَلك عابداً له.

* ﴿فَكَذَّبُوهُمَا﴾، أى: كذّب فرعونُ وقومُه، «موسى وهارون».

* ﴿فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ﴾، أى: كان فرعون وقومه من المغرقين.

* ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾، أى: التوراة.

* ﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾: لكى يهتدوا بالتوراة لو عملوا بها.

* ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً﴾، أى: دلالة على كمال قدرة الله ـ تعالى ـ إذ ولدته أمّه بدون أب، كما تكلم «عيسى» ـ عليه السلام ـ وهو لم يزل فى المهد.

* ﴿وَآوَيْنَاهُمَا إِلَىٰ رَبْوَةٍ﴾: الضمير فى «آويناهما» عائد على «عيسى» وأمّه.

* ﴿إِلَىٰ رَبْوَةٍ﴾: قال ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ: الربوة: هى المكان المرتفع من الأرض، وهى أحسن ما يكون فيه النبات.. اهـ[١].

* عن مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ قال معنى ذلك: ذات ماء جار.. اهـ[٢].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿وَآوَيْنَاهُمَا إِلَىٰ رَبْوَةٍ﴾ [رقم: ٥٠].

(١، ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٥/ ١٧).

* قرأ ابن عامر، وعاصم: ﴿ رَبْوة ﴾ بفتح الراء.

* وقرأ الباقون من القراء العشرة بضمها، وهما لهجتان(١).

﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ (٥١) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ ﴾، المراد بهم جميع الرسل - عليهم الصلاة والسلام -.

* ﴿ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ ﴾، أى: الحلالات.

* ﴿ وَاعْمَلُوا صَالِحًا ﴾، المراد: الاستقامة على تعاليم السماء.

* ﴿ إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾: فالله - سبحانه وتعالى - لا تخفى عليه خافية فى الأرض ولا فى السماء.

* عن أبى هريرة (ت ٥٩هـ - رضى الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «أيها الناس إن الله طيِّب لا يقبل إلا طَيِّبا وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال: ﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾. وقال - تعالى -: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾ [البقرة: ١٧٢].

ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغْبَر يمدّ يدَيْه إلى السماء يا ربّ يا ربّ ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغُذِى بالحرام، فأنّى يستجاب له» اهـ(٢).

﴿ وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ (٥٢) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾:

* **المعنى:** هذه ملتكم وشريعتكم التى أنتم عليها ملة واحدة وشريعة واحدة وهى الإسلام.

---

(١) انظر: المهذب فى القراءات العشر وتوجيهها (٢/ ٦١).

(٢) انظر: تفسير القرطبى (١٢/ ٨٥).

* ﴿ وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴾، أي: خافون، ولا تخافوا غيرى.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾ [رقم: ٥٢].

* قرأ عاصم، وحمزة، والكسائى، وخلف البزّار: ﴿ وإنّ ﴾ بكسر الهمزة، وتشديد النون، على الاستئناف.

* وقرأ ابن عامر: ﴿ وأنْ ﴾ بفتح الهمزة، وتخفيف النون، على أنها مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن محذوف، و﴿ هذه ﴾ مبتدأ و﴿ أمتكم ﴾ خبر، والجملة خبر «أنْ» المخففة.

* وقرأ الباقون: ﴿ وأنّ ﴾ بفتح الهمزة وتشديد النون، و﴿ هذه ﴾ اسم ﴿ أنّ ﴾ و﴿ أمتكم ﴾ خبرها[1].

﴿ فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ (٥٣) فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ (٥٤) أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ (٥٥) نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لَّا يَشْعُرُونَ (٥٦) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا ﴾: قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم (ت حوالى ١٧٠هـ): هذا ما اختلفوا فيه من الأديان.

* وعنه فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾، قال: معجبون برأيهم[2].

* وعن مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ ﴾، قال: فى ضلالتهم.

* وعنه فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾، قال: حتّى الموت.. اهـ[3].

* وعن مجاهد بن جبر فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ أَيَحْسَبُونَ ﴾ قال: هم قريش.

---

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٣/ ٦٤).

(٢، ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٥/ ٢٠).

* وعنه في قوله ـ تعالى ـ: ﴿أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ﴾ قال: نعطيهم.

* وعنه في قوله ـ تعالى ـ: ﴿نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لَّا يَشْعُرُونَ﴾: قال: نزيد لهم في الخير بل نملي لهم في الخير ولكن لا يشعرون[١].

﴿إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ (٥٧) وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ (٥٨) وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ (٥٩) وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ (٦٠)﴾

❀ معاني المفردات:

* ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ﴾، أي: خائفون.

* قال الحسن البصري (ت ١١٠هـ): المؤمن مَنْ جمع إيمانًا وخشية، والمنافق من جمع إساءة وأمنًا.. اهـ[٢].

* ﴿وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾، أي: يصدّقون.

* ﴿وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ﴾، أي: لا يعبدون غيره.

* ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا﴾:

* قالت «عائشة» أم المؤمنين (ت ٥٨هـ ـ رضي الله عنها)، وسعيد بن جبير (ت ٩٥هـ): هم الذين يخشون الله ويطيعونه.. اهـ[٣].

* وقال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضي الله عنهما) معنى ذلك: يعطون ما أعطوا.. اهـ[٤].

* وعن الحسن البصري في قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ قال: كانوا يعملون ما يعملون من أعمال البرّ، ويخافون أن لا ينجيهم ذلك من عذاب الله.. اهـ[٥].

* وأخرج أحمد، وعبد بن حميد، والترمذي، وابن ماجه، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم وصحّحه، وابن مردويه، والبيهقي في شعب الإيمان، عن

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٥/ ٢٠).
(٢) انظر: تفسير البغوي (٣/ ٣١١).
(٣ : ٥) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٥/ ٢٢).

«عائشة» أم المؤمنين (ت ٥٨هـ ـ رضى الله عنها) قالت: قلتُ: يا رسول الله، قول الله: ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ ﴾: أهو الرجل يسرق، ويزنى، ويشرب الخمر، وهو مع ذلك يخاف الله؟ قال: «لا ولكن الرجل يصوم، ويتصدّق، ويصلّى، وهو مع ذلك يخاف الله أن لا يتقبل منه» اهـ[1].

﴿ أُوْلَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ (٦١) وَلا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ (٦٢) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ أُوْلَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ ﴾:

✳ **المعنى:** يسارعون فى عمل الطاعات لينالوا بذلك رضا الله، وأعلى الدرجات.

* ﴿ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴾، أى: يسبقون إلى أدائها فى أوقاتها.

* وقال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) معنى: ﴿ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴾: سبقت لهم من الله السعادة، فلذلك سارعوا فى الخيرات[2].

* ﴿ وَلا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا ﴾: إلا طاقتها.

* ﴿ وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ ﴾: المراد بالكتاب: كتاب إحصاء الأعمال الذى ترفعه الملائكة.

* وقيل: المراد بالكتاب: اللوح المحفوظ، وقد أثبت فيه كل شىء، فهم لا يجاوزون ذلك.

* ولعلّ الحكمة من إضافة الكتاب إلى الله ـ تعالى ـ: لأن الملائكة كتبت فى الكتاب أعمال العباد بأمر الله ـ تعالى ـ، فهو ينطق بالحقّ، أى: فيه بيان كل شىء.

﴿ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَذَا وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِّن دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ (٦٣) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَذَا ﴾، فى بيان المراد من ذلك قولان:

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٥/ ٢١).

(٢) انظر: تفسير القرطبى (١٢/ ٨٩)

الأول: قال مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) المراد من ذلك: أنّ قلوبهم فى غفلة وغطاء وعماية عن القرآن.. اهـ[١].

* يقال: غمره الماء إذا غطّاه، ونهْر غمْر: يغطّى من دخله.

والثانى: قال قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) المراد من ذلك: أنّ قلوبهم فى حيرة وعمًى من أعمال البرّ المذكورة فى الآيات المتقدمة رقم ٥٧ ـ ٥٨ ـ ٥٩ ـ ٦٠.. اهـ[٢].

* ﴿ وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ ﴾، فى بيان المراد من ذلك قولان:

الأول: قال مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ)، وقتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ): المراد من ذلك: أنّ لهم خطايا لا بدّ لهم أن يعملوها وهى دون الحق.. اهـ[٣].

والثانى: قال الحسن البصرى (ت ١١٠هـ)، وعبد الرحمن بن زيد (ت حوالى ١٧٠هـ): المراد من ذلك: أنّ لهم أعمالا رديئة لم يعملوها من دون ما هم عليه، لا بدّ أن يعملوها دون أعمال المؤمنين، فيدخلون بها النار، لما سبق لهم من الشقاوة.. اهـ[٤].

﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ (٦٤) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ ﴾: اختلف العلماء فى المراد من المترفين الذين أخذهم الله بالعذاب:

أولا: قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما)، وسعيد بن جبير (ت ٩٥هـ)، ومجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ)، وقتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ): المراد: الذين قتلوا من المشركين يوم بَدْر.. اهـ[٥].

ثانيا: قال الضحّاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ): المراد: الذين أخذهم الله ـ عزّ وجلّ ـ بالجوع وهم (مُضَر) الذين دعا عليهم النبى ﷺ فقال: «اللهمّ اشدد وطأتك على (مُضَر) اللهم اجعلها عليهم سنين كسنى يوسف» فابتلاهم الله بالقحط، والجوع، حتى أكلوا العظام الميتة، والكلاب، والجيف، وهلكت الأموال والأولاد.. اهـ[٦].

(١ : ٤) انظر: تفسير القرطبى (١٢/ ٩٠).

(٥) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٥/ ٢٣).

(٦) انظر: تفسير القرطبى (١٢/ ٩٠).

* ﴿ إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ ﴾، أي: يضجّون، ويستغيثون. وأصل الجُؤار: رفع الصوت كما يفعل الثور.

﴿ لا تَجْأَرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُم مِّنَّا لا تُنصَرُونَ (٦٥) قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ تَنكِصُونَ (٦٦) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ لا تَجْأَرُوا الْيَوْمَ ﴾، أي: من عذاب الله ـ تعالى ـ.

* ﴿ إِنَّكُم مِّنَّا لا تُنصَرُونَ ﴾، أي: لا تمنعون من عذاب الله، ولا ينفعكم جزعكم، واستغاثتكم.

* ﴿ قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾: المراد بالآيات القرآن الكريم. ومعنى: ﴿ تتلى عليكم ﴾: تقرأ عليكم.

* ﴿ فَكُنتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ تَنكِصُونَ ﴾، أي: ترجعون القهقرى.

﴿ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ (٦٧) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ مُسْتَكْبِرِينَ ﴾: منصوب على الحال من الضمير الذى قبله، وحينئذ يكون المعنى: قد كانت آياتى تتلى عليكم فكنتم على أعقابكم تنكصون حالة كونكم مستكبرين.

* ﴿ بِهِ ﴾ اختلف العلماء فى المراد من الضمير من ﴿ بِهِ ﴾ على قولين:

الأول: المراد به المسجد الحرام، أي: يقولون: نحن أهل الحرم فلا نخاف.

* وممَّن قال بهذا: قتادة بن دعامة (ت ١١٨ هـ)[١].

والثاني: المراد به القرآن الكريم من حيث ذكر الآيات، وحينئذ يكون المعنى: يُحْدِث لكم سماعُ آيات الله كبرًا، وطغيانًا فلا تؤمنون.

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٥/ ٢٣).

* وممَّن قال بهذا عبد بن حميد، وابن أبى حاتم، عن أبى صالح(١).

* ﴿ سَامِرًا ﴾ نصب على الحال، وكانوا يتحدّثون حول الكعبة فى سُمْرة القمر، فسمِّى التحدّث به.

* قال الثورى سفيان بن سعيد بن مسروق (ت ١٦١هـ): يقال لظلّ القمر السَّمَر(٢).

* وعن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ سَامِرًا تَهْجُرُونَ ﴾، قال: كانت قريش يتحلّقون حلقًا يتحدّثون حول البيت(٣).

* وقال سعيد بن جبير (ت ٩٥هـ): كانت قريش تسمر حول البيت ولا تطوف به، ويفتخرون به، فأنزل الله ﴿ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ ﴾.. اهـ(٤).

* وأخرج ابن أبى شيبة، وابن المنذر، وابن أبى حاتم، وابن مردويه، والحاكم وصححه عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما): أن رسول الله ﷺ كان يقرأ: ﴿ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تُهْجِرُونَ ﴾ قال: كان المشركون يهجرون رسول الله ﷺ فى القول، فى سمرهم.. اهـ(٥).

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ ﴾ [رقم: ٦٧].

* قرأ نافع: ﴿ تُهْجِرون ﴾ بضم التاء، وكسر الجيم، مضارع «أهجر» الرباعى، وهو مشتق من «الهُجْر» بضم الهاء وهو الهذيان، وما لا خير فيه من الكلام.

* وقرأ الباقون من القراء العشرة ﴿ تَهْجُرون ﴾ بفتح التاء، وضم الجيم، مضارع «هجر» الثلاثى، وهو مشتق من «الهَجْر» بفتح الهاء، أى: تهجرون آيات الله فلا تؤمنون بها(٦).

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٥/ ٢٤).

(٢) انظر: تفسير القرطبى (١٢/ ٩١).

(٣ : ٥) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٥/ ٢٤).

(٦) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٣/ ٦٤).

﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ (٦٨) أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ (٦٩) أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ (٧٠) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ ﴾، أى: القرآن، وسمِّى القرآن قولا لأنهم خوطبوا به، ونظير ذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿ أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ﴾ [النساء: ٨٢].

* ﴿ أَمْ جَاءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ ﴾: ﴿ أَمْ ﴾ بمعنى «بَلْ» أى: بَلْ جاءهم ما لا عهد لآبائهم به، فلذلك أنكروه، وتركوا العمل به.

* ﴿ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ ﴾:

* قال سفيان الثورى (ت ١٦١هـ): بل قد عرفوا رسولهم ولكنهم حسدوه، وأنكروه[١].

* ﴿ أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ ﴾:

المعنى: أم يحتجون على ترك الإيمان بالنبى «محمد» ﷺ بأنه مجنون، فليس هو بمجنون، لزوال أمارات الجنون عنه.

* ﴿ بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ ﴾، أى: بالقرآن، وتوحيد الله ـ تعالى ـ.

* ﴿ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴾، أى: حسدًا وبغضًا وتقليدًا.

﴿ وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ (٧١) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ﴾: اختلف العلماء فى المراد من الحق:

أولا: قال مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ)، وابن جريج عبد الملك بن عبد العزيز (ت ١٥٠هـ): المراد من الحقّ هنا: الله ـ سبحانه وتعالى ـ[٢].

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (١٢/ ٩٣).

(٢) انظر: تفسير القرطبى (١٢/ ٩٤).

وحينئذ يكون المعنى: ولو اتبع صاحب الحق أهواء الكفار لفسدت السموات والأرض ومن فيهنّ.

ثانيا: قيل: هو مجاز، وحينئذ يكون المعنى لو وافق الحقّ أهواءهم، أي: لو كانوا يكفرون بالله وبالرسل، ولا يعاقبون على ذلك لفسدت السموات والأرض ومن فيهن(١).

* ﴿ بَلْ أَتَيْنَاهُم بِذِكْرِهِمْ ﴾، أي: بما فيه شرفهم وعزّهم: قاله السدّى إسماعيل بن عبد الرحمن (ت ١٢٧هـ)، وسفيان الثورى (ت ١٦١هـ)(٢).

* ﴿ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴾، أي: هم كافرون بالقرآن الذى فيه ذكرهم.

﴿ أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (٧٢) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا ﴾، أي: أجرًا على ما جئتهم به: قاله الحسن البصرى (ت ١١٠هـ)، وقتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ)(٣).

* ﴿ فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ ﴾:

✳ **المعنى:** ما يعطيك الله من رزقه وثوابه خير.

* ﴿ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾، أي: ليس يقدر أحد أن يرزق مثل رزق الله ـ تعالى ـ ولا يُنْعِم مثل إنعامه.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ ﴾ [رقم: ٧٢].

* قرأ ابن عامر: ﴿ خَرْجا فخرْج ﴾ بإسكان الراء، وحذف الألف فيهما.

* وقرأ حمزة، والكسائى، وخلف البزّار: ﴿ خَرَاجًا فخراج ﴾ بفتح الراء، وإثبات الألف فيهما.

(١، ٢) انظر: تفسير القرطبى (١٢/ ٩٤).

(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٥/ ٢٥).

* وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ خَرْجًا فخراج ﴾: الأول بإسكان الراء وحذف الألف. والثانى: بفتح الراء وإثبات الألف، والخرْج والخراج لهجتان بمعنى واحد، وقيل: المقصور مصدر، والممدود اسم لما يخرج من المال[1].

﴿ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٧٣) وَإِنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ (٧٤) وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (٧٥) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾، أى: إلى دين قويم. والصراط فى اللغة: الطريق، فسمِّى الدين طريقًا لأنه يودِّى إلى الجنة.

* ﴿ وَإِنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ ﴾، أى: بالبعث، وما بعده من حساب، وجزاء، وعقاب، وجنّة، ونار.

* ﴿ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ ﴾:

✵ **المعنى:** إنهم عن طريق الجنة لناكبون، أى: عادلون عنه، حتى يصيروا إلى النار. يقال: نكَب عن الطريق ينكُب نكوبًا: إذا عدل عنه ومال إلى غيره.

* ﴿ وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ ﴾:

* قال ابن جريج عبد الملك بن عبد العزيز (ت ١٥٠هـ): المراد من الضرّ: الجوع[2].

* ﴿ لَّلَجُّوا فِي طُغْيَانِهِمْ ﴾، قال السدّى إسماعيل بن عبد الرحمن (ت ١٢٧هـ): أى: فى معصيتهم[3].

* ﴿ يَعْمَهُونَ ﴾: قال الأعمش سليمان بن مهران (ت ١٤٨هـ): معنى ﴿ يَعْمَهُونَ ﴾: يتردّدون[4].

﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ (٧٦) ﴾

---

(١) انظر: المهذب فى القراءات العشر وتوجيهها (٢/ ٦٢).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٥/ ٢٦).

(٣، ٤) انظر: تفسير القرطبى (١٢/ ٩٥).

۞ سبب نزول هذه الآية:

* أخرج النسائى، وابن جرير، وابن أبى حاتم، والحاكم وصحّحه، وابن مردويه، والبيهقى فى الدلائل، عن ابن عباس (ت ٦٨هـ - رضى الله عنهما) قال: جاء أبو سفيان إلى النبى ﷺ فقال: يا«محمد» أنشدك الله والرحم فقد أكلنا (العِلْهَز): يعنى الوبر بالدم. فأنزل الله: ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ ﴾ الآية.. اهـ[١].

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ ﴾، أى: بالأمراض، والحاجة، والجوع، والقتل.

* ﴿ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴾:

* قال علىّ بن أبى طالب (ت ٤٠هـ - رضى الله عنه) معنى ذلك: أنهم لم يتواضعوا فى الدعاء، ولم يخضعوا، ولو خضعوا لله لاستجاب لهم.. اهـ[٢].

﴿ حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ (٧٧) وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ (٧٨) وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٧٩) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴾: للعلماء فى تفسير ذلك قولان:

الأول: قال ابن عباس (ت ٦٨هـ - رضى الله عنهما)، وابن جريج عبد الملك بن عبد العزيز (ت ١٥٠هـ): المراد بذلك: هو قتلهم بالسيف يوم بَدْر.. اهـ[٣].

والثانى: وقال مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ): هو: القحط الذى أصابهم حتى أكلوا (العِلْهز) من الجوع[٤].

* ﴿ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴾، أى: يائسون متحيّرون لا يدرون ما يصنعون، كالآيس من كل فرج ومن كل خير.

---

(١) انظر: أسباب النزول للواحدى ص٣٢٣، وتفسير الدر المنثور للسيوطى (٥/ ٢٦).

(٢، ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٥/ ٢٦). (٤) انظر: تفسير القرطبى (١٢/ ٩٦).

* ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ ﴾: هذا من باب تعداد نعم الله عليهم، وبيان كمال قدرته.

* ﴿ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ ﴾، أى: ما تشكرون إلا شكرًا قليلا.

* ﴿ وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الأَرْضِ ﴾، أى: أنشأكم وخلقكم وبثكم.

* ﴿ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾، أى: تجمعون للحساب.

﴿ وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلا تَعْقِلُونَ (٨٠) بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الأَوَّلُونَ (٨١) قَالُوا أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ (٨٢) لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ (٨٣) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ ﴾: ولا يقدر على ذلك سوى الله ـ تعالى ـ.

* ﴿ وَلَهُ اخْتِلافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ﴾:

١ ـ قيل: اختلافهما نقصان أحدهما، وزيادة الآخر.

٢ ـ وقيل: اختلافهما فى النور والظلمة.

* ﴿ أَفَلا تَعْقِلُونَ ﴾: كمال قدرة الله ـ تعالى ـ، وأنه لا يجوز أن يكون له شريك من خلقه، وأنه وحده هو القادر على البعث.

* ﴿ بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الأَوَّلُونَ ﴾: وقد بيّن الله ذلك القول بقوله:

* ﴿ قَالُوا أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴾: وهذا إنكار صريح منهم على إنكار البعث وهذا هو الكفر.

* ﴿ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا ﴾، أى: البعث بعد الموت.

* ﴿ مِن قَبْلُ ﴾، أى: من قبل مجىء النبىّ «محمد» ﷺ.

* ﴿ إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ ﴾: ﴿ إِنْ ﴾ نافية بمعنى «ما». واسم الإشارة ﴿ هَذَا ﴾ عائد على البعث بعد الموت. و﴿ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ ﴾ أى: كذبهم وافتراؤهم.

وحينئـذ يكون المعنى: ما هذا الذى يعدنا به «مـحمد» ومَن قبله من الأنـبياء من البعث بعد الموت إلا كذب الأولين وافتراؤهـم، و«محمد» يقول بقولهم.

﴿ قُل لِّمَنِ الْأَرْضُ ومن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٨٤) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلا تَذَكَّرُونَ (٨٥) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ قُل ﴾: يا «محمد» لهؤلاء الكفار جوابًا عمًّا قالوه من إنكار البعث:

* ﴿ لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾: فإنهم سيجيبون بقولهم:

* ﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ﴾، فقل لهم: * ﴿ أَفَلا تَذَكَّرُونَ ﴾، أى: أفلا تتعظون وتعلمون أن من قدر على خلق ذلك ابتداء فهو على إحياء الموتى بعد موتهم أقدر.

قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ الإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ من نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ (٧٧) وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ (٧٨) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ (٧٩) ﴾ [يس: ٧٧ ـ ٧٩].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ أَفَلا تَذَكَّرُونَ ﴾ [رقم: ٨٥].

* قرأ حفص، وحمزة، والكسائى، وخلف البزّار: ﴿ تذكرون ﴾ بتخفيف الذال، على حذف إحدى التائين إذْ أصلها «تتذكرون».

* وقرأ الباقون من القراء العشرة بتشديد الذال، وذلك على إدغام التاء فى الذال[١].

﴿ قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (٨٦) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ (٨٧) قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٨٨) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ (٨٩) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ ﴾:

---

(١) انظر: المهذب فى القراءات العشر وتوجيهها (٢/ ٦٤).

✳ **المعنى:** قل لهم يا نبيّ الله بعد إقرارهم بأن الله ـ سبحانه وتعالى ـ هو ربّ السموات السبع وهو ربّ العرش العظيم قل لهم: أفلا تتقون، أي: أفلا تخافون الله إذ جعلتم له ما تكرهون، وذلك بزعمكم أن الملائكة بنات الله، وقد كرهتم لأنفسكم البنات.

* ﴿ قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾:

* قال مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ): ﴿ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾: خزائن كل شيء[1].

* والملكوت من صفات المبالغة، مثل: الجبروت، والرَّهبوت.

* ﴿ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ ﴾، أي: يَمنع، ولا يُمنع منه.

* ﴿ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴾:

✳ **المعنى:** ما دمتم تقرون بكل هذا فكيف تُخَدعون وتُصرَفون عن طاعة الله وتوحيده؟ إنّ هذا لشيء عجاب. وكل هذه الآيات احتجاج على كفار قريش الذين يعترفون بأن الله هو ربّ كل هذه الأشياء ومع ذلك يكفرون.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ﴾ الأخيرين، أي: الثاني، والثالث: من قوله ـ تعالى ـ: ﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [رقم: ٨٧]. وقوله ـ تعالى ـ: ﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴾ [رقم: ٨٩].

* قرأ أبو عمرو، ويعقوب: ﴿ سيقولون الله ﴾ بإثبات همزة الوصل، وفتح اللام وتفخيمها، ورفع الهاء من لفظ الجلالة فيهما، والابتداء بهمزة مفتوحة، على أنه مبتدأ والخبر محذوف، تقديره: الله ربها، في الأول، لأن قبله: ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ ﴾. وتقديره في الثاني: الله بيده ملكوت كل شيء، لأن قبله: ﴿ قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾: والجواب على هذا مطابق للسؤال لفظًا ومعنى.

* وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ لِلَّهِ ﴾ بحذف همزة الوصل، على أنه جارّ ومجرور خبر لمبتدأ محذوف. والجواب على هذا مطابق للسؤال بحسب المعنى.

---

(١) انظر: تفسير القرطبي (١٢/ ٩٧).

●● **تنبيه:** لا خلاف بين القراء العشرة فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلا تَذَكَّرُونَ ﴾ [رقم: ٨٥]. الموضع الأول: أنه بلامين «لِلّه»، لأن القراءة مبنية على التوقيف والتلقى(١).

﴿ بَلْ أَتَيْنَاهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (٩٠) مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ (٩١) عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٩٢) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ بَلْ أَتَيْنَاهُم بِالْحَقِّ ﴾، أى: بالقول الصدق، لا ما يقوله الكفار من نفى البعث، وإثبات الشريك لله ـ تعالى ـ.

* ﴿ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾: فى قولهم أن الملائكة بنات الله، وقد قال الله ـ تعالى ـ ردًّا عليهم:

* ﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ ﴾: ﴿ مِنْ ﴾ زائدة لتحسين اللفظ، والتقدير: ما اتخذ الله ولدًا كما زعمتم، ولا كان معه إله كما تدّعون، وقد بيّن الله السبب والعلّة فى ذلك فقال:

* ﴿ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾.

✳ **المعنى:** لو كانت معه آلهة لانفرد كل إله بما خلقه، ولحدثت بينهم مغالبة: وحينئذ يتبيّن أن الإله الضعيف لا يستحق الإلهيّة، وهذا يدلّ على نفى الشريك، ويدلّ أيضًا على نفى الولد، لأنّ الولد ينازع الأب فى الملك منازعة الشريك.

* ﴿ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾: أى: تنزيهًا لله عن الولد والشريك.

* ﴿ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾:

✳ **المعنى:** تنزيه وتقدير لله ـ تعالى ـ عما يشركون.

---

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٣/ ٦٥).

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ﴾ [رقم: ٩٢].

* قرأ نافع، وشعبة، وحمزة، والكسائى، وأبو جعفر، وخلف البزّار: ﴿ عالمُ ﴾ برفع الميم، على القطع، وهو خبر لمبتدأ محذوف، أى: هو عالم الغيب والشهادة.

* وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وحفص، ورَوْح: ﴿ عالمِ ﴾ بخفض الميم، على أنه بدل من لفظ الجلالة فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [رقم: ٩١]، أو صفة له.

* وقرأ رويس: ﴿ عالم ﴾ بالخفض وصلا، وله حالة البدء وجهان: الرفع، والخفض[١].

﴿ قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ (٩٣) رَبِّ فَلا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٩٤) وَإِنَّا عَلَىٰ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَادِرُونَ (٩٥) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ ﴾، أى: من العذاب.

* ﴿ رَبِّ فَلا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾، أى: فى نزول العذاب بهم، بل أخرجنى من بينهم.

* ﴿ وَإِنَّا عَلَىٰ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَادِرُونَ ﴾: وقد أراه الله ـ تعالى ـ ذلك فيهم بالجوع والسيّف، ونجّاه الله، ومَنْ آمن به من ذلك.

﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ (٩٦) وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ (٩٧) وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ (٩٨) ﴾

معانى المفردات:

* عن مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ ﴾، قال: أعرض عن أذاهم إياك[٢].

---

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٣/ ٦٦). (٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٥/ ٢٧).

* وهذا أمر من الله - تعالى - بالصفح ومكارم الأخلاق.

* ﴿ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴾: من الشرك، والكفر، والتكذيب.

* ﴿ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴾: الهمزات: جمع هَمْزة، والهمز في اللغة: النّخس والدفع. والهمز: كلام من وراء القفا، والشيطان يوسوس فيهمس في صدر ابن آدم، فيترتب على ذلك المفاسد الكثيرة.

* وعن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جدّه، قال: كان رسول الله ﷺ يعلّمنا كلمات نقولهنّ عند النوم من الفزع: بسم الله أعوذ بكلمات الله التامّة من غضبه وعقابه وشرّ عباده، ومن همزات الشياطين وأن يحضرون.. اهـ[١].

* وعن عبد الرحمن بن زيد (ت حوالى ١٧٠هـ) في قوله - تعالى -: ﴿ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴾ قال: يحضرون في شيء من أمري[٢].

﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ (٩٩) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ (١٠٠) ﴾

❀ معاني المفردات:

* ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا ﴾:

* أخرج ابن أبي الدنيا في ذكر الموت، وابن أبي حاتم، عن أبي هريرة (ت ٥٩هـ - رضي الله عنه) قال: إذا وضع الكافر في قبره فيرى مقعده من النار قال: ﴿ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴾ حتى أتوب، وأعمل صالحا، فيقال له: قد عمَّرت ما كنت معمِّرًا، فيضيّق عليه قبره، فهو كالمنهوش ينام ويفزع، تهوى إليه هوامّ الأرض: حيّاتها وعقاربها.. اهـ[٣].

* وعن مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) في قوله - تعالى -: ﴿ وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ قال: هو ما بين الموت إلى البعث.. اهـ[٤].

(١ : ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٥/ ٢٨).

(٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٥/ ٢٩).

* وعن قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ قال: أهل القبور فى برزخ ما بين الدنيا والآخرة، هم فيه إلى يوم يبعثون.. اهـ[١].

* قال محمد بن كعب القرظى: «البرزخ»: ما بين الدنيا والآخرة، ليسوا مع أهل الدنيا يأكلون ويشربون، ولا مع أهل الآخرة يجازون بأعمالهم.. اهـ[٢].

﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ (١٠١) ﴾

❀ معانى المفردات:

* عن قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ ﴾ الآية، قال: ليس أحد من الناس يسأل أحداً بنسبه ولا بقرابته شيئًا.. اهـ[٣].

* وعن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) أنه سُئل عن قوله ـ تعالى ـ: ﴿ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴾ [المؤمنون: ١٠١]. وقوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ (٢٧) ﴾ [الصافات: ٢٧]. فقال: إنها مواقف:

١ ـ فأمّا الموقف الذى لا أنساب بينهم ولا يتساءلون، فهو عند الصعقة الأولى لا أنساب بينهم فيها إذا صعقوا.

٢ ـ فإذا كانت النفخة الآخرة فإذا هم قيام يتساءلون.. اهـ[٤].

* وأخرج أحمد، والطبرانى، والحاكم، والبيهقى فى سننه، عن المسور بن مخرمة ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ الأنساب تنقطع يوم القيامة غير نسبى، وسببى، وصهرى» اهـ[٥].

﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٢) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ (١٠٣) تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ (١٠٤) ﴾

(١، ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٥/ ٢٩).

(٣ : ٥) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٥/ ٣٠).

❀ معانى المفردات:

* ﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾: لأنهم هم الفائزون بالجنة الناجون من النار.

* ﴿ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴾: خلودًا أبديًا، ثم ذكر الله بعض أنواع العذاب، فقال:

* ﴿ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴾:

* أخرج ابن مردويه، والضياء فى صفة النار، عن أبى الدرداء ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ ﴾ قال: «تلفحهم لفحة فتسيل لحومهم على أعصابهم».. اهـ[١].

* وعن ابن مسعود (ت ٣٢هـ ـ رضى الله عنه) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴾ قال: كلوح الرأس النضيج، بدت أسنانهم، وتقلّصت شفاههم.. اهـ[٢].

* وقال أهل اللغة: الكالح: الذى تشمَّرت شفتاه، وبدت أسنانه[٣].

﴿ أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ (١٠٥) قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ (١٠٦) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾: المراد بالآيات: القرآن الكريم. ومعنى ﴿ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾، أى: يقرؤها عليكم النبىّ ﷺ.

* ﴿ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴾، أى: تكفرون.

* ﴿ قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا ﴾، أى: لذاتنا وأهواؤنا، ولعل الحكمة فى تسمية اللذات والأهواء شقوة، لأنهما يؤدّيان إليها.

(١، ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٥/ ٣١).

(٣) انظر: تفسير القرطبى (١٢/ ١٠١).

* ﴿ وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴾، أي: خارجين على تعاليم الله ـ تعالى ـ. وهذا إقرار منهم واعتراف بعدم إيمانهم.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا ﴾ [رقم: ١٠٦].

* قرأ حمزة، والكسائي، وخلف البزّار: ﴿ شَقَاوتنا ﴾ بفتح الشين والقاف، وإثبات ألف بعد القاف، والشقاوة مصدر «شقى» مثل: سعد سعادة.

* وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ شِقْوتنا ﴾ بكسر الشين، وإسكان القاف، وحذف الألف، وهي مصدر «شقى» أيضًا. والشقوة والشقاوة: مصدران بمعنى واحد وهو: سوء العاقبة، أو الهوى وقضاء اللذات، لأنه يؤدّى إلى الشقاوة[١].

﴿ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ ﴾

المعنى:

* أخرج ابن أبى شيبة، والترمذى، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبى حاتم، وابن مردويه، والبيهقى فى البعث، عن أبى الدرداء ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «يُلقى على أهل النار الجوع حتى يَعْدل ما هم فيه من العذاب، فيستغيثون بالطعام، فيُغاثون بطعام من ضريع لا يسمن ولا يغنى من جوع، فيستغيثون بالطعام، فيُغاثون بطعام ذى غصّة، فيذكرون أنهم كانوا يجيزون الغصص فى الدنيا بالشراب، فيستغيثون بالشراب، فيُرفع إليهم الحميم بكلاليب الحديد، فإذا دنت من وجوههم شوت وجوههم، وإذا دخلت بطونهم قطعت ما فى بطونهم، فيقولون: ادعوا خزنة جهنم فيدعون خزنة جهنم: أن ﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ ﴾ [غافر: ٤٩]. فيقولون: ﴿ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَىٰ قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٥٠﴾ ﴾ [غافر: ٥٠].

---

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٣/ ٦٧).

فيقـولون: ادعوا مالكا، فيـدعون مالكًا فيـقولون: ﴿ يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ﴾ [الزخرف: ٧٧]، فيجيبهم: ﴿ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ (٧٧) ﴾، فيقولون: ادعوا ربـكم فلا أحد خير من ربكم. فيقولون: ﴿ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ (١٠٦) رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ (١٠٧) ﴾ [المؤمنون: ١٠٦ ـ ١٠٧] فيـجيبهم: ﴿ اخْسَئُوا فِيهَا وَلا تُكَلِّمُونِ (١٠٨) ﴾ [المؤمنون: ١٠٨]. فعند ذلك يئسوا من كـل خير، وعند ذلك أخذوا فى الزَّفير والحسرة والويل.. اهـ(١).

* وعن مـجاهد بن جبـر (ت ١٠٤هـ) فى قوله ـ تعـالى ـ: ﴿ إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴾، قال: هم: بلال، وخبّـاب، وصهيب، وفـلان وفلان، من ضعـفاء المسلمـين، كان أبو جهل وأصـحابه يهزأون بهم.. اهـ(٢).

﴿ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ (١١٠) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا ﴾: بكسـر السين، وهو مـصدر من «السخـرية» وهو الاستهزاء، بدليل قوله ـ تعالى ـ بعدُ، ﴿ وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴾، فالضحك بالشىء نظير الاستهزاء به.

* ﴿ حَتَّىٰ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي ﴾، أى: اشتغلـتم بالاسـتهزاء بهم حتى نسـيتم ذكرى فلم تذكرونى.

* ﴿ وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴾، استهزاء بهم.

▣ القراءات وتوجيهها:

* ﴿ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا ﴾ [رقم: ١١٠].

* قرأ نافع، وحمـزة، والكسائى، وأبو جعفـر، وخلف البزّار: ﴿ سُخْرِيًّا ﴾ بضم السين، وهو مصدر من «التسخير» وهو الخدمة.

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٥/ ٣٢).

(٢) انظر: تفسير القرطبى (١٢/ ١٠٣).

* وقرأ الباقون من القراء العشرة بكسر السين، وهو مصدر من «السخرية» بمعنى الاستهزاء، بدليل قوله ـ تعالى ـ بعدُ: ﴿ وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴾ فالضحك بالشىء نظير الاستهزاء به[١].

﴿ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ (١١١) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا ﴾: صبروا على أذاكم، وصبروا على طاعة الله ـ تعالى ـ.

* ﴿ أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾: بفتح همزة ﴿ أَنَّهُمْ ﴾، أى: لأنهم هم الفائزون.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ [رقم: ١١١].

* قرأ حمزة، والكسائى: ﴿ إنهم ﴾ بكسر الهمزة، على الاستئناف.

* وقرأ الباقون من القراء العشرة بفتح الهمزة، أى: لأنهم هم الفائزون[٢].

﴿ قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ (١١٢) ﴾

المعنى: هذا السؤال للمشركين عن مدّة حياتهم فى الدنيا. وهل يكون هذا السؤال فى عرصات القيامة، أوْ وهم فى النار قولان، والله أعلم.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ ﴾ [رقم: ١١٢].

* قرأ ابن كثير، وحمزة، والكسائى: ﴿ قُلْ ﴾ بضم القاف، وحذف الألف، على أنه فعل أمر، والمخاطب بهذا الملَك الموكّل بهم.

* وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ قال ﴾ بفتح القاف، وألف بعدها، على أنه فعل ماضى، وفاعله ضمير يعود على ﴿ ربنا ﴾ المتقدم ذكره فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا ﴾ [رقم: ١٠٧][٣].

---

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٣/ ٦٧).	(٢، ٣) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٣/ ٦٨).

﴿ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ (١١٣) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ﴾:

١ - قال ابن عباس (ت ٦٨هـ - رضى الله عنهما): أنساهم ما كانوا فيه من العذاب من النفخة الأولى إلى الثانية، وذلك أنه ليس من أحد قتله نبىّ، أو قتل نبيًا، أو مات بحضرة نبىٍّ - ولم يُسْلِم - إلا عُذِّب ساعة يموت إلى النفخة الأولى، ثم يُمْسَك عنه العذاب فيكون كالماء - أى: يذوب - حتى يُنفخ الثانية.. اهـ[(١)].

٢ - وقيل: استقصروا مدّة لبثهم فى الدنيا وفى القبور، ورأوه يسيرًا بالنسبة إلى ما هم بصدده[(٢)].

* ﴿ فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ ﴾:

١ - قال قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ): أى: سل الحُسَّاب الذين يعرفون ذلك فإنّا قد نسيناه[(٣)].

٢ - وقال مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) فاسأل الملائكة[(٤)].

﴿ قَالَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (١١٤) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ قَالَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾: ﴿ إِنْ ﴾ نافية بمعنى «ما» وحينئذ يكون المعنى: ما لبثتم فى الأرض إلا قليلا، وذلك أن مكثهم فى الدنيا، أو فى القبور، وإن طال كان قليلاً، بالنسبة إلى مكثهم فى النار لأنه لا نهاية له.

* ﴿ لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾: ذلك، ولكنكم لم تعلموا.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ قَالَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ [رقم: ١١٤].

(١، ٢) انظر: تفسير القرطبى (١٢/ ١٠٣).

(٣، ٤) انظر: تفسير القرطبى (١٢/ ١٠٤).

* قرأ حمزة، والكسائي: ﴿ قُلْ ﴾ بلفظ الأمر، والمخاطب بهذا الأمر: الملك الموكل بهم.

* وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ قال ﴾ بلفظ الماضي، والفاعل ضمير يعود على ﴿ ربنا ﴾ المتقدم في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا ﴾ [رقم: ١٠٧](١).

﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ (١١٥) ﴾

معاني المفردات:

* ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا ﴾، أي: مهملين كما خُلقت البهائم لا ثواب لها ولا عقاب عليها. * ﴿ وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ ﴾: فتجازون بأعمالكم.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ ﴾ [رقم: ١١٥].

* قرأ حمزة، والكسائي، ويعقوب، وخلف البزّار: ﴿ لا تَرْجِعون ﴾ بفتح التاء وكسر الجيم، على البناء للفاعل، والواو فاعل.

* وقرأ الباقون من القراء العشرة بضم التاء وفتح الجيم، على البناء للمفعول والواو نائب فاعل(٢).

﴿ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ (١١٦) وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ (١١٧) ﴾

معاني المفردات:

* ﴿ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ ﴾، أي: تنزّه وتقدّس الله الملك الحقّ عن الأولاد، والشركاء، والأنداد، وعن أن يخلق شيئًا عبثًا.

* ﴿ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴾، أي: المرتفع.

* ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ ﴾، أي: لا حجّة له عليه.

---

(١) انظر: المغني في توجيه القراءات العشر (٣/ ٦٩).

(٢) انظر: المهذب في القراءات العشر وتوجيهها (٢/ ٦٧).

* ﴿ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ ﴾: وهو الذى يحاسبه ويعاقبه.

* ﴿ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾: لأن مصيرهم إلى النار وبئس القرار.

﴿ وَقُل رَّبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ (١١٨) ﴾

✳ المعنى:

* أخرج ابن أبى شيبة، وأحمد، والبخارى، ومسلم، والترمذى، والنسائىّ، وابن ماجه، وابن خزيمة، وابن أبى حاتم، وابن حبّان، والبيهقى، عن أبى بكر الصديق (ت ١٣هـ ـ رضى الله عنه) قال: يا رسول الله علّمنى دعاء أدعو به فى صلاتى، قال: قل: «اللهم إنى ظلمت نفسى ظلمًا كثيرًا وأنه لا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لى مغفرة من عندك وارحمنى إنك أنت الغفور الرحيم»[١].

●●●

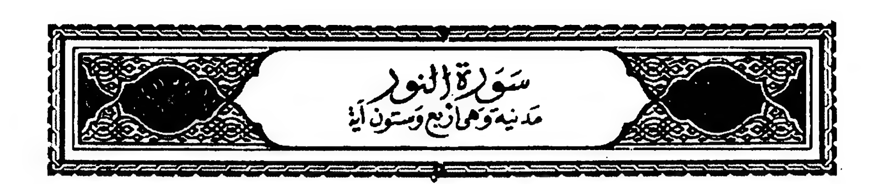
تمّ ولله الحمد والشكر تفسير سورة المؤمنون

ويليها بإذن الله ـ تعالى ـ

[تفسير سورة النّور]

●●●

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٥/ ٣٥).



سورة النور
مدنية وهي أربع وستون آية

* أخرج ابن مردويه، عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) قال: أنزلت سورة النور بالمدينة.. اهـ(١).

* وأخرج سعيد بن منصور، وابن المنذر، والبيهقى، عن مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) قال: قال رسول الله ﷺ: «علّموا رجالكم سورة المائدة، وعلّموا نساءكم سورة النور» اهـ(٢).

* وأخرج أبو عبيد القاسم بن سلام فى فضائله، عن حارثة بن مضرب قال: كتب إلينا عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ: أن تعلّموا سورة النساء، والنور، والأحزاب(٣).

﴿ سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ① ﴾

❀ معانى المفردات:

* عن مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَفَرَضْنَاهَا ﴾ قال: فسّرناها: الأمر بالحلال، والنهى عن الحرام.. اهـ(٤).

* وقال قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ): فرض الله فيها فرائضه، وأحلّ حلاله، وحرّم حرامه، ومدّ حدوده، وأمر بطاعته، ونهى عن معصيته.. اهـ(٥).

* ﴿ وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ﴾: واضحات.

* ﴿ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾: لعلكم تتعظون.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ وَفَرَضْنَاهَا ﴾ [رقم: ١].

* قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: ﴿ وفرّضناها ﴾ بتشديد الراء، للإشارة إلى كثرة ما فى هذه السورة من الأحكام المفروضة، مثل: حدّ الزنا، والقذف، وحكم اللعان، والاستئذان، وغضّ البصر... إلخ.

(١ : ٥) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٥/ ٣٦).

* وقرأ الباقون من القراء العشرة بتخفيف الراء، أى: أوجبنا ما فيها من الأحكام إيجابًا قطعيًا بالفرض عليكم(١).

* ﴿ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [رقم: ١].

* قرأ حفص، وحمزة، والكسائى، وخلف البزّار: ﴿ تذكرون ﴾ بتخفيف الذال، على حذف إحدى التاءين إذْ أصلها: «تتذكرون».

* وقرأ الباقون من القراء العشرة بتشديد الذال، على إدغام التاء فى الذال(٢).

﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ② ﴾

•• الناسخ والمنسوخ:

* قال القرطبى فى تفسيره: هذه الآية ناسخة لحكم الآية فى سورة النساء باتّفاق(٣).

* وأقول: الآية المنسوخ حكمها هى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَاللاَّتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِن نِّسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ فَإِن شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلاً ⑮ ﴾ [النساء: ١٥].

❀ معانى المفردات:

* ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي ﴾: الزِّنى: هو إدخال ذكر الرجل فى فرج المرأة من غير نكاح صحيح. والزِّنى مُحرم شرعًا بالكتاب، والسنة والإجماع.

* ﴿ فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ ﴾: * هذا هو حدّ الزّانى الحرّ البالغ البكر. وكذلك حدّ الزانية الحرّة البالغة البكر. * وثبت بالسّنّة تغريب سنة.

* ومن الأدلّة على ذلك: ما أخرجه عبد الرّزّاق فى المصنّف، عن عمرو بن شعيب قال: قال رسول الله ﷺ: «قد قضى الله ورسوله إن شهد أربعة على بكرين جلدا كما قال الله مائة جلدة، وغرّبا سنة غير الأرض التى كانا بها، وتغريبهما سنّتى» اهـ(٤).

---

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٣/ ٧٠).

(٢) انظر: المهذب فى القراءات العشر وتوجيهها (٢/ ٦٨).

(٣) انظر: تفسير القرطبى (١٢/ ١٠٧).

(٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٥/ ٣٧).

* أمّا العبد والأمَة: فحدّهما الجلد خمسون جلدة. والدليل على ذلك قول الله ـ تعالى ـ: ﴿ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ﴾ [النساء: ٢٥].

والآية نصّ فى الأمَة، والعبد بالقياس عليها.

* وعن أبى برْزة الأسلمى أنه أُتى بأمَة لبعض أهله قد زنت وعنده نفر نحو عشرة، فأمر بها فأجلست فى ناحية، ثم أمر بثوب فطرح عليها، ثم أعطى السوط رجلا فقال: اجلد خمسين جلدة ليس باليسير.. فقام فجلدها وجعل يفرّق عليها الضرب(١).

* أمّا الرجل المحصن أى: المتزوج زواجًا شرعيًّا، وكذا المرأة المحصنة، فحدّهما الرجم حتى الموت، وقد ثبت ذلك بالسنة العملية.

* وعن مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ ﴾ قال: فى إقامة الحدّ.. اهـ(٢).

* ومعنى ﴿ لَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ ﴾، أى: لا تمتنعوا عن إقامة الحدود شفقة على المحدود، ولا تخففوا الضرب من غير إيجاع.

* وعن سعيد بن جبير (ت ٩٥هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ ﴾: فى الضرب والجلد.. اهـ(٣).

* ﴿ فِي دِينِ اللَّهِ ﴾، أى: فى طاعة الله وشرعه فيما أمركم به من إقامة الحدود.

* ﴿ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾، أى: فافعلوا ما أمركم الله به، لأن الإيمان قول وعمل.

* ﴿ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾:

١ ـ قال الحسن البصرى (ت ١١٠هـ): الطائفة عشرة(٤).

٢ ـ وقال عبد الرحمن بن زيد (ت حوالى ١٧٠هـ): لا بدّ من حضور أربعة قياسًا على الشهادة على الزّنى(٥).

(١، ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٥/ ٣٧). (٣) انظر: تفسير القرطبى (١٢/ ١١١).

(٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٥/ ٣٨). (٥) انظر: تفسير القرطبى (١٢/ ١١١).

* عن حذيفة بن اليمان (ت ٣٦هـ ـ رضى الله عنه): أنّ النبى ﷺ قال: «يا معشر الناس اتقوا الزنى فإنّ فيه ستّ خصال: ثلاثًا فى الدنيا، وثلاثًا فى الآخرة: فأمّا اللّواتى فى الدنيا: فيذهب البهاء، ويورث الفقر، وينقص العمر. وأمّا اللّواتى فى الآخرة: فيوجب السخط، وسوء الحساب، والخلود فى النار»(١).

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ رَأْفَةٌ ﴾ من قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ ﴾ [النور: ٢].

ومن قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً ﴾ [الحديد: ٢٧].

* قرأ قنبل: ﴿ رأفة ﴾ فى النور بفتح الهمزة بدون مدّ، واختلف عنه فى الحديد: فروى عنه فتح الهمزة وألف بعدها، وروى عنه إسكان الهمزة.

* وقرأ البزّى: ﴿ رأفة ﴾ فى النور بوجهين:

الأوّل: فتح الهمزة بدون مدّ، والثانى: تسكين الهمزة.

أمّا موضع الحديد فقد قرأه بإسكان الهمزة قولا واحدًا.

* وقرأ الباقون من القراء العشرة بإسكان الهمزة فى الموضعين. وهما لهجتان فى مصدر «رأف يرأف». والرأفة: أرقّ أنواع الرحمة(٢).

﴿ الزَّانِي لا يَنكِحُ إِلاَّ زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لا يَنكِحُهَا إِلاَّ زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ (٣) ﴾

سبب نزول هذه الآية:

* ورد فى سبب نزول هذه الآية عدد من الروايات، وقد اخترت منها الرواية التالية حرصًا على عدم الإطناب:

* أخرج الإمام أحمد، وعبد بن حميد، والنسائى، والحاكم وصححه، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبى حاتم، وابن مردويه، والبيهقى فى سننه، وأبو داود فى

(١) انظر: تفسير القرطبى (١٢/ ١١٢).

(٢) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٣/ ٧٠ ـ ٧١).

سننه، عن عبد الله بن عمر (ت ٧٣هـ ـ رضى الله عنهما) قال: كانت امرأة يقال لها (أمّ مهزول) وكانت تسافح الرجل وتشترط أن تنفق عليه، فأراد رجل من أصحاب النبى ﷺ أن يتزوّجها، فأنزل الله: ﴿ الزَّانِي لا يَنكِحُ إِلاَّ زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً ﴾.. اهـ(١).

❀ معانى المفردات:

* عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ الزَّانِي لا يَنكِحُ إِلاَّ زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً ﴾: قال: ليس هذا بالنكاح، ولكن الجماع: لا يزنى بها حين يزنى إلا زان أو مشرك، وحرِّم ذلك على المؤمنين، يعنى الزّنا.. اهـ(٢).

* وعن الضحّاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَالزَّانِيَةُ لا يَنكِحُهَا إِلاَّ زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ﴾: قال: إنما عنى بذلك الزنى ولم يعن به التزويج.. اهـ(٣).

* وأخرج أحمد، والنسائى، عن ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة لا يدخلون الجنة، ولا ينظر الله إليهم يوم القيامة: العاقّ لوالديه، والمرأة المترجِّلة، والدَّيوث» اهـ(٤).

* وأخرج ابن ماجه، عن أنس بن مالك (ت ٩٣هـ ـ رضى الله عنه) قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «من أراد أن يلقى الله طاهراً مطهّراً فليتزوّج الحرائر»(٥).

﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٤) إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٥) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ﴾: المراد بالرّمى: القذف بالزّنى، كأن يقول شخص لرجل، أو امرأة: يا زانى، أو يا زانية، أو يا لوطى. والمراد بالمحصنات: المسلمات الحرائر العفيفات.

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٥/ ٣٩).
(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٥/ ٣٨).
(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٥/ ٣٩).
(٤، ٥) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٥/ ٤٠).

* قال القرطبىّ فى تفسيره: للقذف شروط عند العلماء تسعة:

* شرطان فى القاذف: وهما العقل والبلوغ، لأنهما أصلا التكليف، إذ التكليف ساقط دونهما.

* وشرطان فى المقذوف به: وهما أن يُقْذَف بوْطء يلزمه فيه الحدّ، وهو الزنى، واللواط.

* وخمسة فى المقذوف، وهى: العقل، والبلوغ، والإسلام، والحرِّية، والعفّة عن الفاحشة التى رمى بها.. اهـ[١].

* ﴿ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ﴾:

* قال القرطبىّ: الذى يفتقر إلى أربعة شهداء دون سائر الحقوق هو الزنى - أى القذف بالزنى - رحمة بعباده وسترًا لهم.. اهـ[٢].

* ﴿فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً﴾:

المعنى: كل من قذف رجلا، أو امرأة: بالزّنى، أو اللواط، وتوفّرت الشروط فى القاذف والمقذوف، وجب شرعًا أن يُجلد القاذفُ ثمانين جلدة.

والجلد: الضرب، و﴿ثَمَانِينَ﴾ نصب على المصدر، و﴿جَلْدَةً﴾ تمييز.

* ﴿وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا﴾: هذا يقتضى مدّة أعمارهم.

* ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾:

المعنى:

حكَمَ الله - عزّ وجلّ - على القاذفين بأنهم فاسقون، أى: خارجون عن طاعة الله - عزّ وجلّ -.

* ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾:

* قال البغوىّ فى تفسيره: اختلف العلماء فى قبول شهادة القاذف بعد التوبة، وفى حكم هذا الاستثناء:

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (١٢/ ١١٥).

(٢) انظر: تفسير القرطبى (١٢/ ١١٨).

١ ـ فذهب قوم إلى أنّ القاذف تردّ شهادته بنفس القذف. وإذا تاب وندم على ما قال، وحسنت حالته قبلت شهادته، سواء تاب بعد إقامة الحدّ عليه أو قبلها، لقوله ـ تعالى ـ: ﴿إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا﴾، وقالوا: الاستثناء يرجع إلى ردّ الشهادة وإلى الفسق، فبعد التوبة تقبل شهادته، ويزول عنه اسم الفسق.

يُرْوى ذلك عن ابن عباس، وابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ وهذا قول سعيد بن جبير، ومجاهد بن جبر، وعطاء، وطاووس بن كيْسان، وسعيد بن المسيَّب، وسليمان بن يسار، والشعبى عامر بن شراحيل، وعكرمة مولى ابن عباس، وعمر بن عبد العزيز، والزهرى محمد بن مسلم.

وبه قال الإمام مالك، والإمام الشافعىّ ـ رحمهما الله تعالى ـ.

٢ ـ وذهب قوم إلى أنّ شهادة القاذف لا تقبل أبدًا وإن تاب. وقالوا: الاستثناء يرجع إلى قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾: وهو قول: النّخعىّ إبراهيم بن يزيد بن قيس الكوفى (ت ٩٥هـ) وشريح بنْ يزيد الحمصى القاضى (ت ٢٠٣هـ)، وأصحاب الرأى: وهم الأحناف.. اهـ[١].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ﴾ [رقم: ٤].

* قرأ الكسائى: ﴿المحصِنات﴾ بكسر الصاد، اسم فاعل، أى: أنهنّ أحصنّ أنفسهنّ.

* وقرأ الباقون من القراء العشرة بفتح الصاد، اسم مفعول، أى: أنهنّ أحصنهنّ الله ـ تعالى ـ[٢].

﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلاَّ أَنفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ (٦) وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٧) وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ (٨) وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِن كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٩)﴾

---

(١) انظر: تفسير البغوى (٣/ ٣٢٣). (٢) انظر: المهذب فى القراءات العشر وتوجيهها (٢/ ٦٩).

سبب نزول هذه الآيات:

* ورد في سبب نزول هذه الآيات عدد من الروايات وكلها تؤدي إلى معنى واحد، وقد اخترت الرواية التالية طلبًا للاختصار:

* أخرج البخاري، والترمذي، وابن ماجه، عن ابن عباس (ت ٦٨هـ - رضي الله عنهما) أنّ هلال بن أميّة قذف امرأته عند النبي ﷺ (بشُرَيْك بن سَحْماء) فقال النبي ﷺ: «البينة أو حدّ في ظهرك» فقال: يا رسول الله إذا رأى أحدنا على امرأته رجُلا ينطلق يلتمس البيِّنة؟ فجعل رسول الله ﷺ يقول: «وإلا حدّ في ظهرك» فقال هلال: والذي بعثك بالحقّ إنِّي لصادق، ولينزلنّ الله ما يبرئ ظهري من الحدّ، فنزل «جبريل» فأنزل عليه: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ﴾ حتى بلغ: ﴿إِن كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ فانصرف النبي ﷺ فأرسل إليهما فجاء هلال يشهد، والنبي ﷺ يقول: «الله يعلم إنّ أحدكما كاذب، فهل منكما تائب؟».

ثمَّ قامت فشهدت، فلما كانت عند الخامسة وقفوها وقالوا: إنها موجبة، فتلكأت ونكصت حتّى ظننّا أنها ترجع، ثم قالت: لا أفضح قومي سائر اليوم، فمضت، فقال النبي ﷺ: «أبروها فإن جاءت به أكحل العينين، سابغ الإليتين، دْلج الساقين، فهو لشريك بن سحماء»، فجاءت به كذلك، فقال النبي ﷺ: «لولا ما مضى من كتاب الله لكان لي ولها شأن» اهـ[1].

معاني المفردات:

* عن سعيد بن جبير (ت ٩٥هـ) في قوله - تعالى -: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ﴾ قال: هو الرجل يرمي زوجته بالزنا، ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلاَّ أَنفُسُهُمْ﴾، يعني ليس للرجل شهداء غيره أنّ امرأته قد زنت، فرفع ذلك إلى الحكّام: فشهادة أحدهم: يعني الزوج، يقوم بعد الصلاة في المسجد فيحلف أربع شهادات بالله ويقول: أشهد بالله الذي لا إله إلا هو أنّ فلانة - يعني امرأته - زانية، والخامسة أنّ لعنة الله عليه - يعني على نفسه - إن كان من الكاذبين في قوله. ويدرأ يدفع الحكّام عن

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٥/ ٤٤).

المرأة العذاب: يعنى الحدّ، أن تشهد أربع شهادات بالله إنّه - يعنى زوجها - لمن الكاذبين، فتقوم المرأة مقام زوجها فتقول أربع مرّات: أشهد بالله الّذى لا إله إلا هو أنّى لستُ بزانية، وإنّ زوجى لمن الكاذبين، والخامسة أن غضب الله عليها - يعنى على نفسها - إن كان زوجها من الصادقين.. اهـ(١).

* وعن قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) فى قوله - تعالى -: ﴿ وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾، قال: فإن هى اعترفت رُجِمَتْ، وإن هى أبت يدرأ عنها العذاب، قال: عذاب الدنيا ﴿ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ * وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِن كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ ثمّ يفرّق بينهما، وتعتدّ عدّة المطلّقة.. اهـ(٢).

* وعن عمر بن الخطاب (ت ٢٣هـ - رضى الله عنه)، وابن مسعود (ت ٣٢هـ - رضى الله عنه)، وعلى بن أبى طالب (ت ٤٠هـ - رضى الله عنه) قالوا: لا يجتمع المتلاعنان أبدًا.. اهـ(٣).

* وعن أبى هريرة (ت ٥٩هـ - رضى الله عنه) أنه سمع رسول الله ﷺ يقول حين نزلت آية الملاعنة: «أيما امرأة أدخلت على قوم ما ليس منهم فليست من الله فى شىء، ولن يدخلها الله جنته. وأيما رجل جحد ولده وهو ينظر إليه احتجب الله منه يوم القيامة، وفضحه على رءوس الأولين والآخرين» اهـ(٤).

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ ﴾ [رقم: ٦].

* قرأ حفص، وحمزة، والكسائى، وخلف البزّار: ﴿ أربعُ ﴾ برفع العين، على أنه خبر المبتدأ وهو: ﴿ فشهادة ﴾، أى: فشهادة أحدهم المعتبرة لدرء الحدّ عنه أربعُ شهادات بالله إنه لمن الصادقين.

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٥/ ٤٦).

(٢ : ٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٥/ ٤٧).

* وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ أربعَ ﴾ بالنّصب، وذلك على أنّ ﴿ فشهادة ﴾ بمعنى: أن يشهد، فأعمل «يشهد» فى «أربعَ» فنصبه(١).

* ﴿ وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ ﴾ [رقم: ٧].

* قرأ نافع، ويعقوب: ﴿ أنْ ﴾ بإسكان النون، مخفّفة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن محذوف، و﴿ لعنةُ ﴾ بالرفع مبتدأ، والجارّ والمجرور بعده خبر، والجملة خبر «أنْ» المخفّفة.

* وقرأ الباقون من القراء العشرة «أنّ» بتشديد النون، و﴿ لعنةَ ﴾ بالنصب على أنها اسم «أنّ» والجارّ والمجرور بعده خبر «أنّ» المشدّدة(٢).

* ﴿ وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا ﴾ [رقم: ٩].

* قرأ حفص: ﴿ والخامسةَ ﴾ هذا الموضع الأخير بالنّصب على أنها صفة لمفعول مطلق محذوف، والمفعول المطلق منصوب لفعل محذوف دلّ عليه الكلام، والتقدير: ويشهد الشهادة الخامسة.

* وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ والخامسةُ ﴾ بالرفع، على أنها مبتدأ وما بعدها خبر(٣).

* وقرأ نافع: ﴿ أنْ غضب الله عليها ﴾ بتخفيف النون، على أنها مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن محذوف. وقرأ ﴿ غَضِبَ ﴾ بكسر الضاد، وفتح الباء، على أنه فعل ماض، و﴿ اللهُ ﴾ بالرفع فاعل ﴿ غَضِبَ ﴾ والجملة من الفعل والفاعل فى محلّ رفع خبر «أنْ» المخففة.

* وقرأ يعقوب: ﴿ أنْ ﴾ بتخفيف النون أيضًا، واسمها ضمير الشأن و﴿ غضَبُ ﴾ بفتح الضاد، ورفع الباء مبتدأ، و﴿ اللهِ ﴾ بالخفض مضاف إلى «غضب».

---

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٣/ ٧١).

(٢، ٣) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٣/ ٧٢).

* وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ أنّ ﴾ بتشديد النون، و﴿ غضبَ ﴾ بفتح الضاد، ونصب الباء، اسم «أنّ» المشدّدة، و«اللهِ» بالخفض إليه، و«عليها» فى محلّ رفع خبر «أنّ» المشدّدة[1].

﴿ وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ (١٠) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ ﴾: جواب «لولا» محذوف، والتقدير: لعاجلكم بالعقوبة، ولكنّه ستر عليكم ورفع عنكم الحدّ باللعان.

* ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴾: على من يرجع عن المعاصى بالرحمة، حكيم فيما فرض من الحدود.

﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١١) ﴾

❁ سبب نزول هذه الآية والآيات التى بعدها إلى الآية رقم ٢٠ :

* أخرج عبد الرزّاق، وأحمد، والبخارى، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبى حاتم، وابن مردويه، والبيهقى فى الشعب، عن «عائشة» أم المؤمنين (ت ٥٨هـ ـ رضى الله عنها) قالت: كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يخرج إلى سفر أقرع بين أزواجه، فأيتهنّ خرج سهمها خرج بها رسول الله ﷺ معه.

قالت «عائشة» ـ رضى الله عنها ـ: فأقرع بيننا فى غزوة غزاها ـ هى غزوة بنى المصطلق ـ فخرج سهمى، فخرجتُ مع رسول الله ﷺ بعدما نزل الحجاب، وأنا أُحْمَلُ فى هودجى، وأُنزِل فيه.

فسرنا حتى إذا فرغ رسول الله ﷺ من غزوته تلك، وقفل فدنونا من «المدينة» قافلين، آذن ليلة بالرحيل، فقمتُ حين آذنوا بالرحيل، فمشيتُ حتّى جاوزت الجيش، فلمّا قضيتُ شأنى أقبلت إلى رحلى فإذا عِقْد لى من (جزع ظفار) قد انقطع، فالتمستُ عِقْدى وحبسنى ابتغاؤه.

---

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٣/ ٧٣).

وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلون بى فاحتملوا هودجى فرحلوه على بعيرى الذى كنتُ أركب وهم يحسبون أنّى فيه، وكان النساء إذْ ذاك خفَافًا لم يثقلهنّ اللحم، إنما تأكل المرأة العلقة من الطعام، فلم يستنكر القوم خفّة الهَوْدَج حين دفعوه، وكنتُ جارية حديثة السنّ، فبعثوا الجَمَلَ فساروا. فوجدتُ عِقْدى بعدما استمر الجيش، فجئتُ منازلهم وليس بها داع ولا مجيب، فيمَّمْت منزلَى الذى كنت به فظننتُ أنهم سيفقدونى فيرجعون لى.

فبينا أنا جالسة فى منزلى غلبتنى عينى فنمتُ. وكان (صفوان بن المعطل السلمىّ) من وراء الجيش فأدْلج، فأصبح عند منزلي، فرأى سواد إنسان نائم، فأتانى فعرفنى حين رآنى، وكان يرانى قبل الحجاب، فاستيقظتُ باسترجاعه حين عرفنى.

فخمَّرتُ وجْهى بجلبابى والله ما كلّمنى كلمة واحدة، ولا سمعتُ منه كلمة غير استرجاعه، حتى أناخ راحلته فوطئ على يدها، فركبتها فانطلق يقود بى الراحلة حتّى أتينا الجيش بعد أن نزلوا موغرين فى نحر الظهيرة فهلك فى مَنْ هلك.

وكان الذى تولّى الإفك (عبد الله بن أبىّ ابن سلول) فقدمنا المدينة فاشتكيتُ حين قدمتُ شهرًا، والناس يفيضون فى قول أصحاب الإفك لا أشعر بشىء من ذلك، والذى يريبنى فى وجعى أنّى لا أعرف من رسول الله ﷺ اللّطف الذى كنتُ أرى منه حين أشتكى. إنما يدخل علىَّ فيسلّم ثمّ يقول: «كيف تيكم؟» ثمّ ينصرف، فذاك الذى يريبنى ولا أشعر بالشرّ. حتّى خرجتُ بعدما نقهتُ وخرجتْ معى (أمّ مسطح) قبل المناصح وهى متبرّزنا، وكنا لا نخرج إلا ليلا إلى ليل، وذلك قبل أن نتخذ الكُنُفَ قريبًا من بيوتنا، وأمْرنا أمْر العرب الأُوَل فى التّبرز قبل الغائط. فكنّا نتأذّى بالكنُف أن نتخذها عند بيوتنا.

فانطلقتُ أنا وأمُّ مِسْطح، فأقبلتُ أنا وأمّ مِسْطح قبل بيتى قد أشرعنا من ثيابنا، فَعثُرت (أمّ مسطح) فى مرطها، فقالت: تعس مِسْطح، فقلتُ لها: بئس ما قلت أتسبين رجلا شهد بدرًا! قالت: أى هنتاه أو لم تسمعى ما قال؟ قلتُ: وما قال؟ فأخبرتنى بقول أهل الإفك، فازددت مرضًا على مرضى.

فلمّا رجعتُ إلى بيتى دخل علىّ رسول الله ﷺ فسلّم ثم قال: «كيف تيكم؟» فقلتُ: أتأذن لى أن آتى أبوىّ؟

قالت: ـ وأنا حينئذ أريد أن أستبين الخبر من قِبَلهما ـ قالت: فأذن لى رسول الله ﷺ فجئتُ لأبوىّ، فقلت لأمِّى: يا أمّتاه ما يتحدّث النّاس؟ قالت: يا بُنيّة هوِّنى عليك فوالله لقلّما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها ولها ضرائر إلا أكثرن عليها.

فقلتُ: سبحان الله ولقد تحدّث الناس بهذا؟ فبكيت تلك الليلة حتى أصبحتُ لا يرقأ لى دَمْع ولا أكتحل بنوم، ثم أصبحتُ أبكى.

ودعا رسول الله ﷺ (علىّ بن أبى طالب، وأسامة بن زيد) حين استبلث الوحى، يستأمرهما فى فراق أهله: فأمّا (أسامة) فأشار على رسول الله ﷺ بالذى يعلم من براءة أهله، وبالذى يعلم لهم فى نفسه من الودّ فقال: يا رسول الله: أهلك ولا نعلم إلا خيرًا.

وأمّا (علىّ بن أبى طالب) فقال: يا رسول الله لم يضيّق الله عليك والنساء غيرها كثير، وإن تسأل الجارية تصدقك.

فدعا رسول الله ﷺ (بريرة) فقال: «أى بريرة هل رأيت شيئًا يريبك؟» قالت بريرة: لا والذى بعثك بالحقّ إنْ رأيتُ عليها أمرًا أغمصه أكثر من أنها جارية حديثة السنّ، تنام عن عَجين أهلها فتأتى الدواجن فتأكله.

فقام رسول الله ﷺ فاستعذر يومئذ من: عبد الله بن أبىّ ابن سلول، فقال وهو على المنبر: يا معشر المسلمين مَنْ يعذرنى من رجل بلغنى أذاه فى أهل بيتى؟ فوالله ما علمتُ على أهلى إلا خيرًا، ولقد ذكروا رجلا ما علمتُ عليه إلا خيرًا، وما كان يدخل على أهلى إلا معى.

فقام سعد بن معاذ الأنصارى فقال: يا رسول الله أنا أعذرك منه، إن كان من الأوس ضربتُ عنقه، وإن كان من إخواننا من بنى الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك.

فقال سعد بن عبادة وهو سيِّد الخزرج، وكان قبل ذلك رجلا صالحًا ولكن احتملته الحميّة فقال لسعد بن معاذ: كذبتَ لَعَمْر الله ما تقتله ولا تقدر على قتله.

فقام أُسَيْد بن حضير وهو ابن عمِّ سعد بن معاذ فقال لسعد بن عبادة: كذبتَ لنقتلنّه فإنك منافق تجادل عن المنافقين.

فتثاور الحيّان: الأوس والخزرج، حتى همّوا أن يقتتلوا، ورسول الله ﷺ قائم على المنبر. فلم يزل رسول الله ﷺ يخفضهم حتّى سكتوا وسكت. فبكيت يومى ذلك فلا يرقأ لى دمْع، ولا أكتحل بنوم.

فأصبح أبواى عندى وقد بكيت ليلتين ويوما لا أكتحل بنوم ولا يرقأ لى دَمْع، وأبواى يظنان أن البكاء فالق كبدى.

فبينما هما جالسان عندى وأنا أبكى فاستأذنَتْ علىَّ امرأة من الأنصار فأذنتُ لها فجلست تبكى معى. فبينما نحن على ذلك دخل علينا رسول الله ﷺ ثم جلس ولم يجلس عندى منذ قيل فىَّ ما قيل قبلها، وقد لبث شهراً لا يوحى إليه فى شأنى بشىء، فتشهَّدَ حين جلس ثم قال: أمّا بعدُ يا عائشة فإنه بلغنى عنك كذا وكذا، فإن كنتِ بريئة فسيبرِّئك الله، وإن كنتِ ألممتِ بذنب فاستغفرى الله وتوبى إليه، فإنّ العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب تاب الله عليه.

فلمّا قضى رسول الله ﷺ مقالته قلص دَمْعى حتّى ما أحسّ منه قطرة فقلتُ لأبى: أجب عَنِّى رسول الله ﷺ، قال: والله ما أدرى ما أقول لرسول الله ﷺ. فقلتُ لأمّى: أجيبى عنِّى رسول الله ﷺ، قالت: والله ما أدرى ما أقول لرسول الله ﷺ!

فقلتُ وأنا جارية حديثة السنّ لا أقرأ كثيراً من القرآن: إنِّى والله لقد علمتُ أنكم سمعتم هذا الحديث حتى استقرّ فى أنفسكم، وصدّقتم به، فلئن قلتُ لكم إنِّى بريئة، والله يعلم أنِّى بريئة، لا تصدّقونى، ولئن اعترفت لكم بأمر، والله يعلم أنِّى منه بريئة، لتصدّقنى، والله لا أجد لى ولكم مثلا إلا قول (أبى يوسف): ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾﴾ [يوسف: ١٨].

ثمَّ تحوّلتُ اضطجعتُ على فراشى وأنا حينئذ أعلم أنّى بريئة وأن الله مبرئى ببراءتى، ولكن والله ما كنتُ أظنّ أن الله منزل فى شأنى وحيًا يتلى.

ولَشأنى فى نفسى كان أحقر من أن يتكلم الله فىَّ بأمر يتلى، ولكن كنتُ أرجو أن يرى رسول الله ﷺ رؤيا يبرئنى الله بها، قالت: فوالله ما رام رسول الله ﷺ مجلسه ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أنزل عليه، فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء عند

الوحى حتى إنّه ليتحدّر منه مثل الجمان من العرق وهو فى يوم شات من ثقل القول الذى أنزل عليه، فلمّا سرّى عن رسول الله ﷺ سُرِّى عنه وهو يضحك، فكان أول كلمة تكلم بها أنْ قال: «أبشرى يا عائشة أما الله فقد برّأك».

فقالت أمِّى: قومى إليه، فقلتُ: والله لا أقوم إليه، ولا أحمد إلا الله الذى أنزل براءتى، وأنزل الله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ﴾ العشر الآيات كلها.. اهـ[١].

❀ معانى المفردات:

* ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ﴾، الإفك: أسوأ الكذب، وسُمِّى إفكًا لكونه مصروفًا عن الحق. وهو مأخوذ من قولهم: أفك الشىء: إذا قلبه عن وجهه: وذلك أنّ «عائشة» أم المؤمنين ـ رضى الله عنها ـ كانت تستحقّ الثّناء لما كانت عليه من الحصانة والشّرف، فمن رماها بالسوء فقد قلب الأمر عن وجهه.

* ﴿عُصْبَةٌ مِّنكُمْ﴾، أى: جماعة منهم:

١ ـ عبد الله بن أبىّ ابن سلول. ٢ ـ ومسطح بن أثاثة.

٣ ـ وحمنة بنت جحش زوجة طلحة بن عبيد الله[٢].

* وقد اختلف العلماء فى المراد من العُصْبة:

١ ـ فقال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما): العُصْبة: من ثلاثة إلى عشرة.

٢ ـ وقال مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ): العُصْبة: من عشرة إلى خمسة عشر.

٣ ـ وقال ابن عيينة: العُصْبة: أربعون رجلا[٣].

* وأصل العُصْبة فى اللغة: الجماعة الذين يتعصّب بعضهم إلى بعض.

* ﴿لا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾: وذلك لرجحان النفع والخير على جانب الشرّ.

---

(١) انظر: تفسير البغوى (٣/ ٣٢٨)، وتفسير الدر المنثور للسيوطى (٥/ ٤٧)، وأسباب النزول للواحدى ص٣٢٩، وأسباب النزول للشيخ القاضى ص١٥٦.

(٢) انظر: تفسير البغوى (٣/ ٣٣١). (٣) انظر: تفسير القرطبى (١٢/ ١٣٢).

* وعن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿لا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾: قال: هو خير لرسول الله ﷺ، وبراءة لسيدة نساء المؤمنين: «عائشة» ـ رضى الله عنها ـ، وخير لأبى بكر ـ رضى الله عنه ـ، وخير لأمّ عائشة ـ رضى الله عنها ـ، وخير لصفوان بن المعطل(١).

* ﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الإِثْمِ﴾: الضمير فى «منهم» عائد على العُصْبَة صاحبة الإفك. أى: لكل واحد منهم جزاء ما اجترح من الذنب على قدر ما خاض فيه.

* ﴿وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ﴾، أى: إشاعته منهم:

* قال ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ: هو عبد الله بن أبىّ ابن سلول(٢).

* ﴿لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾، قال ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ: وذلك فى الدنيا، وقد جلده رسول الله ﷺ ثمانين، وفى الآخرة مصيره إلى النار وبئس القرار.. اهـ(٣).

القراءات وتوجيهها:

* ﴿وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ﴾ [رقم: ١١].

* قرأ يعقوب: ﴿كُبره﴾ بضم الكاف، والباقون بكسرها(٤).

﴿لَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ (١٢) لَوْلا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُوْلَئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ (١٣)﴾

معانى المفردات:

* ﴿لَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾:

المعنى: هذا عتاب من الله ـ سبحانه وتعالى ـ للمؤمنين فى ظنّهم حين قال أصحاب الإفك ما قالوا.

* وقيل: المعنى: أنه كان ينبغى أن يقيس فضلاء المؤمنين والمؤمنات الأمر على أنفسهم، فإن كان ذلك يبعد فيهم فذلك فى «أمِّ المؤمنين عائشة، وصَفْوان» أبعد.

(١ : ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٥/ ٥٤). (٤) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٣/ ٧٤).

* قال ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ: وذلك أن رسول الله ﷺ استشار فيها (بريرة) الخادمة، وأزواج النبى ﷺ فقالوا: هذا كذب عظيم.. اهـ[١].

* وروى أنّ أبا أيوب الأنصارى ـ رضى الله عنه ـ دخل على امرأته فقالت له: يا أبا أيّوب، أسمعْتَ ما قيل؟ قال: نعم، وذلك الكذب، أكنت أنتِ يا أمّ أيّوب تفعلين ذلك؟ قالت: لا والله، قال: فعائشة والله أفضل منك، قالت أمّ أيّوب: نعم.. اهـ[٢].

* ﴿لَوْلا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ﴾: ﴿لَوْلا﴾ بمعنى: هلا، وهذا توبيخ لأصحاب الإفك. أى: هلا جاءوا بأربعة شهداء على ما زعموا من الافتراء.

* وعن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) قال: لو جاءوا عليه بأربعة شهداء لكانوا هم والذين شهدوا كاذبين.. اهـ[٣].

* ﴿فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُوْلَئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾، أى: هم فى حكم الله كاذبون: قال الله ـ تعالى ـ: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ④﴾ [النور: ٤].

﴿وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ⑭﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾: قال ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ: ولولا ما منّ الله به عليكم وستركم[٤].

* ﴿لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾:

✵ **المعنى:** لمسكم بسبب ما قلتم فى أم المؤمنين «عائشة» عذاب عظيم فى الدنيا والآخرة. والإفاضة: الأخذ فى الحديث، وهو الذى وقع عليه العتاب.

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٥/ ٥٤).

(٢) انظر: تفسير القرطبى (١٢/ ١٣٥).

(٣، ٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٥/ ٥٤).

﴿ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ ﴾: معنى ﴿ تَلَقَّوْنَهُ ﴾: تقولونه.

* وقال مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) معنى ذلك: يرويه بعضهم عن بعض[١].

والضمير فى ﴿ تَلَقَّوْنَهُ ﴾ عائد على حديث الإفك.

* قال الكلبى محمد بن السائب (ت ١٤٦هـ): وذلك: أن الرجل منهم كان يلقى الرجل فيقول: بلغنى كذا وكذا يتلقّونه تلقيًا[٢].

* ﴿ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ ﴾: وهذا مبالغة وإلزام وتأكيد فى قولهم الكذب على «أم المؤمنين».

* ﴿ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا ﴾، أى: تظنّون أن هذا الكذب سهل لا إثم فيه.

* ﴿ وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴾، أى: عقوبته شديدة لأنه من الكبائر.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ وَتَحْسَبُونَهُ ﴾ [رقم: ١٥].

* قرأ ابن عامر، وعاصم، وحمزة، وأبو جعفر، بفتح السين.

* وقرأ الباقون بكسرها، وهما لهجتان فى مضارع «حسب»[٣].

﴿ وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَانَكَ هَٰذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ ﴾

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٥/ ٣٣٢).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٥/ ٣٣٣).

(٣) انظر: المهذب فى القراءات العشر (٢/ ٧١).

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَلَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَذَا ﴾، أى: ما كان ينبغى لنا أن نتكلم بهذا الكذب وهذا البهتان.

* ﴿ سُبْحَانَكَ ﴾، أى: تنزيه لله ـ سبحانه وتعالى ـ.

* ﴿ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ ﴾: وحقيقة البهتان: أن يُقال فى الإنسان ما ليس فيه.

* ﴿ يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا ﴾:

١ ـ قال ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ معنى ذلك: يحرِّم الله عليكم أن تعودوا لمثل هذا البهتان[١].

٢ ـ وقال مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ): معنى ذلك: ينهاكم الله أن تعودوا لمثل هذا البهتان[٢].

* وأقول: النهى يفيد التحريم فلا خلاف بين القولين.

* ﴿ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾: فلا تعودوا لمثل هذا البهتان أبداً.

* ﴿ وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ ﴾: بالأمر والنهى.

* ﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ ﴾: ببراءة أمّ المؤمنين «عائشة»، وصفوان بن المعطل.

* ﴿ حَكِيمٌ ﴾، أى: حكم ببراءتهما، وأنزل فى شأنها قرآنًا يتلى.

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ (١٩) وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ (٢٠) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ ﴾، أى: تفشو وتظهر الفاحشة، والمراد بها: الزنا. يقال: شاع الأمر شيوعًا: أى: ظهر وتفرّق.

(١، ٢) انظر: تفسير البغوى (٣/ ٣٣٣).

* ﴿ فِي الَّذِينَ آمَنُوا ﴾، أى: المحصنين والمحصنات، والمراد هنا: «عائشة» أم المؤمنين، وصفوان بن المعطل ـ رضى الله عنهما ـ.

* ﴿ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا ﴾، وهو إقامة الحدّ عليهم وهو الجلد ثمانون جلدة، والمراد هنا عبد الله بن أبيّ ابن سلول، وأصحابه المنافقون.

* ﴿ وَالآخِرَةِ ﴾، أى: ولهم فى الآخرة النار والعذاب الأليم.

* ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ ﴾ كذب أصحاب الإفك وما خاضوا فيه.

* ﴿ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴾: لأن الله لا تخفى عليه خافية فى الأرض ولا فى السماء.

* ﴿ وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾: جواب ﴿ لَوْلا ﴾ محذوف، والتقدير: لعاجلكم بالعقوبة. والمراد هنا: مسطحًا، وحمنة.

* وإلى هنا انتهت الآيات التى أنزلها الله ـ سبحانه وتعالى ـ فى براءة «عائشة ـ أم المؤمنين»، وصفوان بن المعطل ـ رضى الله عنهما ـ والحمد لله ربِّ العالمين.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢١) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ﴾، المراد: مسالكه ومذاهبه، أى: لا تسلكوا الطرق التى يدعوكم إليها الشيطان.

والخُطُوات: جمع خُطوة: وهى ما بين القدمين.

* ﴿ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ ﴾، أى: بالقبائح من الأفعال.

* وقال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما)، المراد بالفحشاء: عصيان الله ـ تعالى ـ[١].

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٥/ ٥٤).

* ﴿ وَالْمُنكَرِ ﴾، قال ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ: المنكر: كل ما يكرهه الله ـ تعالى ـ(١).

* ﴿ وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا ﴾:

* قال ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ: معنى ما زكى منكم من أحد أبدًا، أى: ما قبل توبة أحد منكم أبدًا(٢).

* وقال ابن قتيبة، المعنى: ما طهر منكم من أحد أبدًا(٣).

* ﴿ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ ﴾، أى: يطهر من يشاء من عباده من الذنب بالرحمة والمغفرة.

* ﴿ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾:

* قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) معنى ذلك: سميع لقولكم عليم بما فى أنفسكم من النّدامة(٤).

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ خطوات ﴾ معًا من قوله ـ تعالى ـ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ﴾ [رقم: ٢١].

* قرأ نافع، وأبو عمرو، وشعبة، وحمزة، وخلف البزّار، والبزّى بخُلْف عنه: ﴿ خطوات ﴾ معًا بإسكان الطاء.

* وقرأ الباقون من القراء العشرة بضمها، وهو الوجه الثانى للبزّى والإسكان والضمّ لهجتان فصيحتان(٥).

﴿ وَلا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٢٢) ﴾

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٥/ ٥٤).
(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٥/ ٥٥).
(٣) انظر: تفسير البغوى (٣/ ٣٣٣).
(٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٥/ ٥٥).
(٥) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٣/ ٧٤).

✳ المعنى:

* عن قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلا يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ ﴾ الآية، قال: نزلت هذه الآية في رجل من قريش يقال له: مسطح بن أثاثة، كان بينه وبين أبى بكر قرابة، جاء في بعض الروايات: كان أبو بكر خاله.

وكان (مسطح) يتيمًا في حجر أبى بكر وكان مسطح ممن أذاع على «عائشة» أم المؤمنين ما أذيع، فلمّا أنزل الله براءتها وعذرها، تألّى أبو بكر أي: حَلَف لا يرزؤ مسطح خيرًا، فأنزل الله هذه الآية.

فذكر لنا أن النبي ﷺ دعا أبا بكر فتلاها عليه فقال: «ألا تحب أن يغفر الله لك؟» قال: بلى، قال: «فاعف عنه وتجاوز» فقال أبو بكر: لا جرم، والله لا أمنعه معروفًا كنتُ أوليه قبل اليوم.. اهـ[1].

القراءات وتوجيهها:

* قرأ أبو جعفر: ﴿ ولا يتألَّ ﴾ بتشديد اللام بمعنى: لا يحلف.

* وقرأ الباقون: ﴿ ولا يأتل ﴾ من «الإلية» وهي الحلف. فالقراءتان بمعنى واحد[2].

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٢٣) ﴾

✳ المعنى:

* عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما)، والضحّاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ) قالا: نزلت هذه الآية في «عائشة» ـ رضى الله عنها ـ خاصّة.. اهـ[3].

* وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: أنه قرأ سورة النّور ففسّرها، فلما أتى على هذه الآية: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلاتِ الْمُؤْمِنَاتِ ﴾ قال: هذه في «عائشة»، وأزواج النبي ﷺ.

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٥/ ٦١).

(٢) انظر: المغني في توجيه القراءات العشر (٣/ ٧٥).

(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٥/ ٦٤).

ولم يجعل لمن فعل ذلك توبة، وجعل لمن رمى امرأة من المؤمنات من غير أزواج النبي ﷺ التوبة، ثم قرأ: ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ... ﴾ إلى قوله: ﴿ ... إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا ﴾.

ولم يجعل لمن قذف امرأة من أزواج النبي ﷺ توبة، ثم تلا هذه الآية: ﴿ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾، فهمّ بعض القوم أن يقوم إلى ابن عباس ـ رضى الله عنه ـ فيقبّل رأسه لحسن ما فسَّر.. اهـ[١].

﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٤) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ ﴾: ﴿ يَوْمَ ﴾ متعلق بفعل محذوف، والتقدير: اذكر يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون.

✳ **المعنى:** يوم تشهد ألسنة بعضهم على بعض بما كانوا يعملون فى الدنيا من القذف والبهتان وغير ذلك. وهذا قبل أن يُختم على الأفواه.

* ﴿ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾:

✳ **المعنى:** يروى أنه يختم على الأفواه فتتكلم الأيدى والأرجل وسائر الجوارح بما عملت فى الدنيا.

ومن الأدلّة على ذلك قول الله ـ تعالى ـ: ﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ (١٩) حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٠) وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢١) ﴾ [فصلت: ١٩ ـ ٢١].

ومن الأدلّة أيضًا من السنة المطهّرة الأحاديث التالية:

أولا: أخرج ابن مردويه، وابن جرير، عن أبى هريرة (ت ٥٩هـ ـ رضى الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «أوّل عظم يتكلم من الإنسان بعد أن يُختَم على فيه فَخِذه من جانبه الأيسر» اهـ[٢].

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٥/ ٦٤). (٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٥/ ٦٥).

ثانيًا: أخرج أبو يعلى، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ: أن رسول الله ﷺ قال: «إذا كان يوم القيامة عُرِّف الكافر بعمله فجحد وخاصم فيقال: هؤلاء جيرانك يشهدون عليك، فيقول: كذبوا، فيقال: أهلك وعشيرتك، فيقول: كذبوا، فيقال: احلفوا فيحلفون، ثم يُصمتهم الله وتشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم، ثم يُدْخِلهم النار» اهـ(١).

ثالثًا: أخرج الحكيم الترمذيّ في نوادر الأصول، وابن مردويه، عن أبي أمامة ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إني لأعلم آخر رجل من أمّتي يجوز الصراط: رجل يتلوّى على الصراط كالغلام حين يضربه أبوه، تزلّ يده مرّة فتصيبها النار، وتزلّ رجله مرّة فتصيبها النار، فتقول له الملائكة: أرأيتَ إن بعثك الله من مقامك هذا فمشيتَ سويًا أتخبرنا بكل عمل عملته؟ فيقول: أي وعزّته لا أكتمكم من عملي شيئًا، فيقولون له: قم فامش سويًا، فيقوم فيمشي حتّى يجاوز الصراط، فيقولون له: أخبرنا بأعمالك التي عملتَ، فيقول في نفسه: إنْ أخبرتهم بما عملتُ ردّوني إلى مكاني فيقول: لا وعزّته ما عملتُ ذنبًا قط، فيقولون: إنّ لنا عليك بينة، فيلتفتُ يمينًا وشمالا هل يرى من الآدميين ممن كان يشهد في الدنيا أحد، فلا يراه، فيقول: هاتوا بينتكم، فيختم الله على فيه، فتنطق يداه ورجلاه وجلده بعمله فيقول: أي وعزّتك لقد عملتها وإنّ عندي العظام العظائم المضرات فيقول: اذهب فقد غفرتها لك» اهـ(٢).

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ ﴾ [رقم: ٢٤].

* قرأ حمزة، والكسائي، وخلف البزّار: ﴿ يشهد ﴾ بالياء التحتية، على تذكير الفعل، لأن تأنيث ﴿ ألسنتهم ﴾ غير حقيقي.

* وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ تشهد ﴾ بالتاء الفوقية، على تأنيث لفظ ﴿ ألسنتهم ﴾(٣).

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٥/ ٦٤).
(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٥/ ٦٥).
(٣) انظر: المغني في توجيه القراءات العشر (٣/ ٧٥).

﴿ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ (٢٥) ﴾

❀ معانى المفردات:

* عن ابن عباس (ت ٦٨هـ - رضى الله عنهما) فى قوله - تعالى -: ﴿ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ ﴾ قال: معنى ذلك: حسابهم الحق[1].

و﴿ الحق ﴾ صفة لـ ﴿ دينهم ﴾ ومعنى ﴿ الحق ﴾: العدل.

* ﴿ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴾، أى: يبين الله لهم حقيقة ما كان يعدهم فى الدنيا، كما قال - تعالى -: ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ (٤٧) ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

﴿ الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَٰئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٢٦) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ ﴾: للعلماء فى تفسير ذلك أقوال:

أولا: قال ابن عباس (ت ٦٨هـ - رضى الله عنهما)، ومجاهد بن جبر (ت ١٠٥هـ)، وسعيد بن جبير (ت ٩٥هـ)، والحسن البصرى (ت ١١٠هـ)، وقتادة ابن دعامة (ت ١١٨هـ) قالوا: معنى ذلك: الكلمات الخبيثات من القول للخبيثين من الرجال. وكذا الخبيثون من الناس للخبيثات من القول.

وكذا الكلمات الطيبات من القول للطيبين من الناس، والطيبون من الناس للطيبات من القول.. اهـ[2].

ثانيًا: وقيل: إنّ هذه الآية مبنية على قوله - تعالى -: ﴿ الزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً ﴾ [النور: ٣].

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٥/ ٦٥).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٥/ ٦٦).

فالخبيثات: الزوانى، والطيبات: العفائف، وكذا الطيبون والخبيثون.. اهـ[١].

ثالثًا: وقال عبد الرحمن بن زيد (ت حوالى ١٧٠هـ): هذه الآية نزلت فى «عائشة» ـ رضى الله عنها ـ حين رماها المنافق عبد الله بن أبىّ ابن سلول بالبهتان والفرية، فبرّأها الله من ذلك، وكان عبد الله بن أبىّ هو الخبيث، فكان هو أولى بأن تكون له الخبيثة ويكون لها.

وكان رسول الله ﷺ طيبًا، وكان أولى أن تكون له الطيبة. وكانت «عائشة» ـ رضى الله عنها ـ الطيبة، فكان أولى أن يكون لها الطيب: وهو رسول الله ﷺ.. اهـ[٢].

* ﴿أُوْلَٰئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ﴾: المبرَّءون هما: «عائشة»، وصفوان ـ رضى الله عنهما ـ مما يقوله المنافقون الذين قذفوهما بالزنى.

* ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾: وهو الجنة. والضمير فى ﴿لَهُم﴾ عائد على «المبرأون».

* أخرج ابن أبى شيبة، وأحمد، والبخارى، ومسلم، والترمذى، والنسائى، وابن ماجه، عن أنس بن مالك (ت ٩٣هـ ـ رضى الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ فضل «عائشة» على النساء كفضل الثريد على الطعام» اهـ[٣].

* وأخرج الحاكم، عن عطاء قال: كانت «عائشة» ـ رضى الله عنها ـ أفقه الناس، وأعلم الناس، وأحسن الناس رأيًا فى العامّة.. اهـ[٤].

* وعن علىّ بن زيد بن جُدْعان، عن جدّته، عن «عائشة» ـ رضى الله عنها ـ قالت: لقد أعطيتُ تسعًا ما أعطيتهنّ امرأة:

١ - لقد نزل «جبريل» ـ عليه السلام ـ بصورتى فى راحته حين أمر رسولَ الله ﷺ أن يتزوجنى، ولقد تزوجنى بكرًا وما تزوّج بكرًا غيرى.

٢ - ولقد توفى ﷺ وإنّ رأسه لفى حِجْرى.

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (١٢/ ١٤١).

(٢، ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٥/ ٦٧).

(٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٥/ ٦٨).

٣ - ولقد قُبِرَ فى بيتى. ٤ - ولقد حفّت الملائكة بيتى.

٥ - وإن كان الوحى لينزل عليه وهو فى أهله فينصرفون عنه، وإن كان لينزل عليه وأنا معه فى لحافه فما يُبِينُنى عن جسده.

٦ - وإنى لابنة خليفته وصديقه. ٧ - ولقد نزل عذرى من السماء.

٨ - ولقد خُلِقتُ طيِّبة وعند طيِّب. ٩ - ولقد وُعِدتُ مغفرة ورزقًا كريمًا.. اهـ[1].

* وقال بعض أهل التحقيق: إنّ «يوسف» - عليه السلام - لمّا رمى بالفاحشة برّأه الله على لسان صبىّ فى المهد.

وإنّ «مريم» لمّا رميت بالفاحشة برّأهَا الله على لسان ابنها «عيسى».

وإنّ «عائشة» - رضى الله عنها - لمّا رُميت بالفاحشة برّأها الله - تعالى - بالقرآن، فما رضى لها ببراءة صبىّ، ولا نبىّ، حتى برّأها الله بكلامه من القذف والبهتان.. اهـ[2].

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٢٧) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا ﴾:

* قال ابن عباس - رضى الله عنهما - الاستئناس: الاستئذان[3].

* وعن أبى أيوب الأنصارىّ - رضى الله عنه - قال: قلت: يا رسول الله أرأيتَ قول الله: ﴿ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ﴾: هذا التسليم قد عرفناه، فما الاستئناس؟ قال: «يتكلّم الرجل بتسبيحة، وتكبيرة، وتحميدة، ويتنحنح، فيأذن له أهل البيت» اهـ[4].

* وعن عمرو بن سعيد الثقفى: أن رجلا استأذن على النبى ﷺ فقال: أألج؟ فقال النبى ﷺ: لأمَة له يقال لها (روضة): «قومى إلى هذا فعلّميه، فإنه لا يحسن يستأذن فقولى له يقول: السلام عليكم أأدخل»[5].

(١، ٢) انظر: تفسير القرطبى (١٢/ ١٤١).

(٣ : ٥) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٥/ ٦٩).

* وعن ابن مسعود (ت ٣٢هـ ـ رضى الله عنه) قال: عليكم أن تستأذنوا على أمهاتكم وأخواتكم.. اهـ[١].

* وعن عبادة بن الصامت ـ رضى الله عنه ـ: أن رسول الله ﷺ سُئل عن الاستئذان فى البيوت فقال: «من دخلت عينه قبل أن يستأذن فقد عصى الله، ولا إذن له» اهـ[٢].

* وعن سعيد بن جبير (ت ٩٥هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ﴾ قال معنى ذلك: حتّى تسلّموا ثم تستأذنوا، والسلام قبل الاستئذان.

* وعنه فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾، قال معنى ذلك: الاستئذان والتسليم أفضل من أن تدخلوا من غير إذن، لأن لا تأثموا، ويأخذ أهل البيت حذرهم.. اهـ[٣].

* ﴿ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾.

﴿ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ (٢٨) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ ﴾:

✳ **المعنى:** إن لم تجدوا فى البيوت أحداً يأذن لكم فى دخولها فلا تدخلوها.

* ﴿ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا ﴾:

✳ **المعنى:** إذا كان فى البيت قوم فقالوا ارجع ولا تدخل فعليه أن يرجع ولا يقعد على الباب ملازما.

* ﴿ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ ﴾: قال سعيد بن جبير (ت ٩٥هـ): الرجوع خير لكم من القيام والقعود على الباب.. اهـ[٤].

* ﴿ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾: من الدخول بالإذن، أو بغير إذن.

(١، ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٥/ ٧٠).

(٣، ٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٥/ ٧١).

﴿ لَيْس عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ (٢٩) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ ﴾: بغير استئذان.

* ﴿ فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ ﴾، أى: منفعة لكم، واختلفوا فى هذه البيوت:

١ ـ فقال عكرمة مولى ابن عباس (ت ١٠٥هـ)، وإبراهيم بن يزيد النخعىّ (ت ٩٥هـ): هى البيوت الخربة لقضاء الحاجة فيها من البول والغائط(١).

٢ ـ وقال قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ): هى الحانات، والبيوت والمنازل المبنية للسابلة ليأووا إليها ويؤوا أمتعتهم إليها فيجوز دخولها بغير استئذان، والمنفعة فيها بالنزول وإيواء المتاع، والاتقاء من الحرّ والبرد(٢).

٣ ـ وقال عبد الرحمن بن زيد (ت حوالى ١٧٠هـ) هى بيوت التجار وحوانيتهم التى بالأسواق يدخلونها للبيع والشراء(٣).

٤ ـ وقيل: هى جميع البيوت التى لا ساكن لها لأن الاستئذان إنما جاء لئلا يطلع أحد على عورة، فإن لم يخف ذلك فللإنسان الدخول بغير استئذان(٤).

* ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴾، أى: ما تظهرون وما تخفون.

﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (٣٠) ﴾

❀ معانى المفردات:

* عن قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ﴾، قال: أى: عمّا لا يحلّ لهم.

* وعنه فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ﴾، قال: عمّا لا يحلّ لهم(٥).

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٥/ ٧١).
(٢ : ٤) انظر: تفسير البغوى (٣/ ٣٣٧).
(٥) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٥/ ٧٢).

* ﴿ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ﴾، أى: غضّ البَصر، وحفظ الفرج أطهر فى الدين، وأبعد من دنس الآثام.

* ﴿ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾، أى: عالم بما يفعله كل إنسان: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۝٨ ﴾ [الزلزلة: ٧ ـ ٨].

* أخرج البخارى، ومسلم، عن أبى سعيد الخدرى ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إيّاكم والجلوس على الطرقات» قالوا: يا رسول الله ما لنا بدّ من مجالسنا نتحدّث فيها، فقال: «إن أبيتم فأعطوا الطريق حقه» قالوا: وما حقّ الطريق يا رسول الله؟ قال: «غضّ البصر، وكفّ الأذى، وردّ السلام، والأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر» اهـ[1].

* وأخرج الحاكم وصحّحه، عن حذيفة بن اليمان ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «النظرة سهم من سهام إبليس مسمومة، فمن تركها من خوف الله أثابه إيمانًا يجد حلاوته فى قلبه» اهـ[2].

﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝٣١ ﴾

سبب نزول هذه الآية:

* أخرج ابن أبى حاتم، عن مقاتل قال: بلغنا ـ والله أعلم ـ أن جابر بن عبد الله الأنصارى (ت ٧٨هـ ـ رضى الله عنه) حدّث أنّ أسماء بنت مرثد كانت فى نخل لها فى بنى حارثة، فجعل النساء يدخلن عليها غير مؤتزرات، فيبدو ما فى أرجلهنّ يعنى

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٥/ ٧٣).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٥/ ٧٤).

الخلاخل، وتبدو صدورهن، وذوائبهنّ فقالت «أسماء»: ما أقبح هذا، فأنزل الله في ذلك: ﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ ﴾ الآية.. اهـ[١].

❀ معاني المفردات:

* ﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ ﴾ الآية: خصّ الله ـ سبحانه وتعالى ـ الإناث هنا بالخطاب للتأكيد، وإلا فالحكم عام يشمل الإناث والذكور، بدليل قوله ـ تعالى ـ: ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ﴾ [الآية: ٣٠].

* وعن ابن مسعود (ت ٣٢هـ ـ رضي الله عنه) في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ ﴾ قال: الزينة: السوار، والخلخال، والقرط، والقلادة.. اهـ[٢].

* ﴿ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾: اختلف العلماء في المراد من قوله ـ تعالى ـ: ﴿ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾:

١ ـ فقال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضي الله عنهما): المراد: الكحل، والخاتم، والقرط، والقلادة[٣].

٢ ـ وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ في رواية أخرى: المراد: وجهها، وكفّاها، والخاتم.. اهـ[٤].

٣ ـ وقال عكرمة مولى ابن عباس (ت ١٠٥هـ): المراد: الوجه، وثغرة النحر.. اهـ[٥].

٤ ـ وقال سعيد بن جبير (ت ٩٥هـ)، وعطاء بن أبي رباح (ت ١١٥هـ): المراد: الوجه، والكفّان.. اهـ[٦].

* وأخرج أبو داود، والترمذي وصحّحه، والنسائي، والبيهقي في سننه، عن «أم سلمة» ـ رضي الله عنها ـ أنها كانت عند النبي ﷺ، و«ميمونة» فقالت: بينما نحن عنده أقبل (ابن أم مكتوم) فدخل عليه، فقال رسول الله ﷺ: «احتجبا عنه» فقالت: يا رسول الله أليس هو أعمى لا يبصرنا؟ فقال ﷺ: «أفعمياوان أنتما ألستما تبصرانه؟»[٧].

(١، ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٥/ ٧٤).

(٣ : ٧) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٥/ ٧٥).

* وأخرج أبو داود، وابن مردويه، والبيهقى، عن «عائشة» ـ رضى الله عنها ـ: أن أسماء بنت أبى بكر دخلت على النبى ﷺ وعليها ثياب رقاق، فأعرض عنها وقال: «يا أسماء إن المرأة إذا بلغت المحيض لم يصلح أن يُرى منها إلا هذا وأشار إلى وجهه وكفّه» اهـ(١).

* وأخرج البخارى، وأبو داود، والنسائى، وابن جرير، وابن أبى حاتم، وابن مردويه، والبيهقى فى سننه، عن «عائشة» ـ رضى الله عنها ـ قالت: رحم الله نساء المهاجرين الأول، لما أنزل الله: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ أخذ النساء أُزُرَهُنّ فشققنها من قبل الحواشى، فاختمرن بها.. اهـ(٢).

* ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾: الخُمُر: جمع الخمار، وهو ما تغطّى به المرأة رأسها. والجيوب: جمع الجيب، وهو موضع القطع من الدّرع والقميص.

* قال القرطبى فى تفسيره: فى هذه الآية دليل على أنّ الجيب إنما يكون فى الثوب موضع الصدر، وكذلك كانت الجيوب فى ثياب السلف ـ رضوان الله عليهم ـ على ما يصنعه النساء عندنا بالأندلس، وأهل الديار المصريّة.. اهـ(٣).

* وعن سعيد بن جبير (ت ٩٥هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ قال معنى ذلك: وليشددن بخمرهن على جيوبهنّ: أى: النحر، والصدر، فلا يرى منه شىء.. اهـ(٤).

* وعن سعيد بن جبير (ت ٩٥هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾، أى: ولا يضعن الجلباب، وهو القناع من فوق الخمار، فهو محرّم، ﴿إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ﴾.. اهـ(٥).

* وعن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿أَوْ نِسَائِهِنَّ﴾: قال: من المسلمات، لا تبديه ليهوديّة، ولا لنصرانية، وهو النحر، والقرط، والوشاح، وما حوله.. اهـ(٦).

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٥/ ٧٥).
(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٥/ ٧٦).
(٣) انظر: تفسير القرطبى (١٢/ ١٥٣).
(٤، ٥) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٥/ ٧٦).
(٦) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٥/ ٧٧).

* وأخرج سعيد بن منصور، والبيهقى فى سننه، وابن المنذر، عن عمر بن الخطاب (ت ٢٣هـ ـ رضى الله عنه) أنه كتب إلى أبى عبيدة عامر بن الجراح ـ رضى الله عنه ـ: أمّا بعد: فإنه بلغنى أنّ نساء مِنْ نساء المسلمين يدخلْن الحمّامات مع نساء أهل الشرك، فإنه لا يحلّ لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن ينظر إلى عورتها إلا أهل ملّتها.. اهـ[1].

* وعن سعيد بن جبير (ت ٩٥هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ﴾ قال: المراد عبد المرأة، أمّا عبد زوجها فلا يحلّ لها أن تضع جلبابها عنده.. اهـ[2].

* وعن مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ): قال: تضع المرأة الجلباب عند مملوكها.. اهـ[3].

* ﴿أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُوْلِي الإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ﴾: هذه أقوال العلماء فى معنى ﴿غَيْرِ أُوْلِي الإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ﴾:

١ ـ قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما): هذا الرجل يتبع القوم وهو مغفل فى عقله، لا يكترث للنّساء، ولا يشتهى النساء.. اهـ[4].

٢ ـ وقال سعيد بن جبير (ت ٩٥هـ): هو الشيخ الكبير الذى لا يطيق النساء.. اهـ[5].

٣ ـ وقال مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ): هو الأبله الذى لا يعرف أمر النساء.. اهـ[6].

٤ ـ وقال عكرمة مولى ابن عباس (ت ١٠٥هـ): هو الذى لا يقوم ذكره ـ أى العنّين ـ.. اهـ[7].

* ﴿أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ﴾:

* قال سعيد بن جبير (ت ٩٥هـ)، ومجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ)، وقتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ): قالوا: هو الطفل الصغير الذى لم يحتلم.. اهـ[8].

* ﴿وَلا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾:

(١ : ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٥/ ٧٧).

(٤ : ٧) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٥/ ٧٨).

(٨) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٥/ ٧٩).

* قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما)، ومجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ)، وقتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ): قالوا: هو أن تقرع المرأة الخلخال بالآخر عند الرجال، أو يكون على رجليها خلاخل فتحركهنّ عند الرجال، فنهى الله عن ذلك لأنه من عمل الشيطان.. اهـ[1].

* ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾:

* أخرج الإمام أحمد، والبخارى فى الأدب، ومسلم، وابن مردويه، والبيهقى فى شعب الإيمان، عن الأغرّ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يا أيها الناس توبوا إلى الله جميعًا فإنى أتوب إليه كل يوم مائة مرّة» اهـ[2].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ﴾ [رقم: ٣١].

* قرأ ابن كثير، وابن ذكوان، وحمزة، والكسائى، وشعبة بخُلْف عنه: ﴿ جِيوبهنّ ﴾ بكسر الجيم، لمناسبة الياء.

* وقرأ الباقون من القراء العشرة بضم الجيم، على الأصل، وهو الوجه الثانى لشعبة، والكسر والضمّ لهجتان[3].

* ﴿ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ ﴾ [رقم: ٣١].

* قرأ ابن عامر، وشعبة، وأبو جعفر: ﴿ غيرَ ﴾ بالنصب، على الاستثناء.

* وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ غيرِ ﴾ بالجرّ، على أنه صفة للتابعين[4].

* ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ ﴾ [رقم: ٣١].

* قرأ ابن عامر: ﴿ أيه ﴾ بضم الهاء وصلا وإسكانها وقفًا، وجه الضمّ: أنّ الألف لما حذفت للساكنين ضمت الهاء إتباعًا لضمة الياء.

* وقرأ الباقون من القراء العشرة بفتح الهاء، وحذف الألف وصلا. ووقف عليها بالألف بعد الهاء أبو عمرو، والكسائى، ويعقوب. ووقف الباقون على الهاء مع حذف الألف[5].

(١، ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٥/ ٧٩). (٣) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٣/ ٧٦).

(٤) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٣/ ٧٧).

(٥) انظر: المهذب فى القراءات العشر وتوجيهها (٢/ ٧٣).

﴿ وَأَنكِحُوا الأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٣٢) ﴾

❀ معانى المفردات:

* عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَأَنكِحُوا الأَيَامَىٰ مِنكُمْ ﴾ الآية: قال: أمر الله ـ سبحانه وتعالى ـ بالنكاح ورغبهم فيه، وأمرهم أن يتزوّجوا أحرارهم، وعبيدهم، ووعدهم فى ذلك الغنى فقال: ﴿ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ﴾.. اهـ(١).

* وعن أبى بكر الصديق (ت ١٣هـ ـ رضى الله عنه)، قال: أطيعوا الله فيما أمركم به من النكاح ينجز لكم ما وعدكم من الغنى، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ﴾.. اهـ(٢).

* وأخرج عبد الرّزّاق، وأحمد، والترمذى وصححه، والنسائى، وابن ماجه، وابن حبّان، والحاكم وصحّحه، والبيهقى فى سننه، عن أبى هريرة (ت ٥٩هـ ـ رضى الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة حقّ على الله عونهم: ١ ـ النّاكح يريد العفاف. ٢ ـ والمكاتب يريد الأداء. ٣ ـ والغازى فى سبيل الله.. اهـ(٣).

* قال القرطبى فى تفسيره: اختلف العلماء فى هذا الأمر: وهو قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَأَنكِحُوا ﴾... إلخ. على ثلاثة أقوال:

أولا: قال علماؤنا: يختلف الحكم فى ذلك باختلاف حال المؤمن من خوف العنت، ومن عدم صبره، ومن قوّته على الصبر، وزوال خشية العنت عنه.

وإذا خاف الهلاك فى الدِّين، أو الدنيا، أو فيهما فالنكاح حتم.

ثانيًا: وقال الإمام الشافعى ـ رحمه الله تعالى ـ: إن لم يخش شيئًا، وكانت الحال مطلقة فالنكاح مباح.

(١، ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٥/ ٨٠).

(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٥/ ٨١).

ثالثًا: وقال الإمامان: مالك، وأبو حنيفة ـ رحمهما الله ـ: إن لم يخش شيئًا، وكانت الحال مطلقة فالنكاح مستحب[1].

* ﴿ الْأَيَامَىٰ ﴾: الذين لا أزواج لهم من الرجال والنساء. واحدهم «أيِّم».

* ﴿ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ ﴾، أى: وأنكحوا الصالحين من عبادكم وإمائكم.

* ﴿ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾: قد تقدم حديث الرسول ﷺ، وكلام أبى بكر الصديق، وابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ فى معنى ذلك أوّل الآية.

﴿ وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَآتُوهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِن بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٣٣) ﴾

سبب نزول هذه الآية:

﴿ وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾:

* ورد فى ذلك عدد من الروايات وكلها فى عبد الله بن أبىّ ابن سلول رأس المنافقين. ومضمون هذه الروايات أنه كان يكره إماءه على الزنا.

وقد اخترت من هذه الروايات الرواية التالية:

* عن عكرمة مولى ابن عباس (ت ١٠٥هـ): أنّ عبد الله بن أبىّ ابن سلول كانت له أمَتان: (مسيكة، ومعاذة) وكان يكرههما على الزنا، فقالت إحداهما: إن كان خيرًا فقد استكثرت منه، وإن كان غير ذلك فإنه ينبغى أن أدعه، فأنزل الله: ﴿ وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ ﴾.. اهـ[2].

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (١٢/ ١٥٩).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٥/ ٨٤)، وانظر: أسباب النزول للشيخ القاضى ص١٦٠.

❀ معانى المفردات:

* عن عكرمة مـولى ابن عباس (ت ١٠٥هـ) فى قـوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ﴾، قال: هو الرجل يرى المرأة كأنه يشتهى: فـإن كانت له امرأة فليذهب إليهـا فليقض حاجتـه منها. وإن لم تكن له امرأة فلينظر فى ملكوت السموات والأرض حتّى يغنيه الله من فضله.. اهـ(١).

* والخطاب فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلْيَسْتَعْفِفِ ﴾ لمن يملك أمر نفسه، لا لمن زمامه بيد غيره فإنه يقوده إلى ما يراه.

* ومعنى ﴿ لا يَجِدُونَ نِكَاحًا ﴾، أى: لا يجدون ما تُنكح به المرأة: من المهر والنفقة.

* وعن سعيد بن جبير (ت ٩٥هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾: قال: هم الذين يطلبون المكاتبة من المملوكين.. اهـ(٢).

* ﴿ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ﴾:

* أخرج أبو داود فى المراسيل، والبيهقى فى سننه، عن يحيى بن أبى كثير قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ﴾، قال: «إن علمتم فـيهم حرفة ولا ترسلوهم كلا على الناس» اهـ(٣).

* وعن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ﴾: قال: إن علمتم لهم حيلة ولا تلقوا مؤنتهم على المسلمين.. اهـ(٤).

* ﴿ وَآتُوهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ ﴾:

* أخـرج عـبد الرزّاق، وابن أبـى حاتم، والحـاكم وصـحـحـه، والديلمى، وابن المنذر، والبيهقى، وابن مردويه من طرق عن عبد الله بن حبيب عن علىّ بن أبى طالب (ت ٤٠هـ ـ رضى الله عنه) عن النبى ﷺ فـى قوله ـ تعـالى ـ: ﴿ وَآتُوهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ ﴾: قال: يترك للمكاتب الربع.. اهـ(٥).

(١، ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٥/ ٨١).

(٣، ٤) انظر: تفسير الدرالمنثور للسيوطى (٥/ ٨٢).

(٥) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٥/ ٨٣).

* ﴿ وَلا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا ﴾:

* قال قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) معنى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا ﴾، أى: عفّة وإسلاما.. اهـ[١].

* وعن سعيد بن جبير (ت ٩٥هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ قال: المراد: كسبهن، وأولادهن من الزنا.. اهـ[٢].

* وعن مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾، قال: للمكرهات على الزنا.. اهـ[٣].

﴿ وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ وَمَثَلاً مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ (٣٤) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ ﴾، أى: من الحلال والحرام.

* وقال مقاتل بن حيّان (ت ١١٠هـ): معنى ذلك: ما فرضه الله ـ تعالى ـ فى هذه السورة.. اهـ[٤].

* ﴿ وَمَثَلاً مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ ﴾، أى: شبهًا من حالكم بحالهم أيها المكذبون. وهذا تخويف وتهديد لهم من أن يلحقهم ما لحق من قبلهم من المكذبين.

* ﴿ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾: الذين يتقون الشرك والكبائر.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ ﴾ [رقم: ٣٤].

* وقوله ـ تعالى ـ: ﴿ لَقَدْ أَنزَلْنَا آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ ﴾ [رقم: ٤٦].

* وقوله ـ تعالى ـ: ﴿ رَسُولاً يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ ﴾ [الطلاق: ١١].

* قرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وشعبة، وأبو جعفر، ويعقوب: ﴿ مبينات ﴾ فى المواضع الثلاثة بفتح الياء، اسم مفعول.

(١ : ٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٥/ ٨٥).

* وقرأ الباقون من القراء العشرة بكسر الياء، اسم فاعل[1].

﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٣٥) ﴾

❀ معاني المفردات:

* ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾: النور فى كلام العرب: الأضواء المدركة بالبصر. واستعمل مجازًا فيما صحّ من المعانى، فيقال: كلام له نور. والناس يقولون: فلان نور البلد.

قال الشاعر:

كأنّك شمس والملوك كواكب ... إذا طلعت لم يبد منهنّ كوكب

* وعن أُبَىّ بن كعب (ت ٣٠هـ ـ رضى الله عنه) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾، قال: بدأ الله بنور نفسه. ثم ذكر نور المؤمن فقال:

* ﴿ مَثَلُ نُورِهِ ﴾، أى: مثل نور من آمن بالله: فهو المؤمن جعل الله الإيمان والقرآن فى صدره.

* ﴿ كَمِشْكَاةٍ ﴾، أى: فصدر المؤمن المشكاة. والمشكاة: مثل الكوّة.

* ﴿ فِيهَا مِصْبَاحٌ ﴾، قال: المصباح: النور، وهو القرآن. والإيمان الذى جعله الله فى صدر المؤمن.

* ﴿ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ﴾ قال: الزجاجة قلب المؤمن.

* ﴿ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ ﴾: قال: قلب المؤمن كأنه كوكب درِّىّ مما استنار من القرآن والإيمان، فهو كوكب مضىء.

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٣/ ٧٧ ـ ٧٨).

* ﴿ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ ﴾، قال: الشجرة المباركة: أصل المبارك: الإخلاص لله وحده، وعبادته لا شريك له.

* ﴿ زَيْتُونَةٍ لاَّ شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ ﴾، قال: فمثله كمثل شجرة التفّ بها الشجر، فهى خضراء ناعمة لا تصيبها الشمس على أىّ حالة كانت: لا إذا طلعت، ولا إذا غربت، فكذلك المؤمن قد أجير من أن يصله شىء من الفتن، وقد ابتلى بها فثبته الله. فهو بين أربع خلال: ١ - إن قال صدق. ٢ - وإن حكم عدل. ٣ - وإن أعطى شكر. ٤ - وإن ابتلى صبر. فهو فى سائر الناس كالرّجل الحىّ يمشى بين قبور الأموات.

* ﴿ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ﴾، قال: فهو يتقلب فى خمسة من النور:

١ - فكلامه نور. ٢ - وعمله نور. ٣ - ومدخله نور. ٤ - ومخرجه نور. ٥ - ومصيره إلى نور يوم القيامة إلى الجنة.. اهـ[١].

* ﴿ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ ﴾:

✻ **المعنى:** يهدى الله من يشاء إلى نوره: الذى هو القرآن، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا (١٧٤) ﴾ [النساء: ١٧٤].

* ﴿ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ ﴾، أى: يبين الله الأشباه للناس تقريبًا إلى أفهامهم.

* ﴿ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾: وهو عليم بالمهتدى والضال.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ ﴾ [رقم: ٣٥].

* قرأ أبو عمرو، والكسائى: ﴿ دِرِّيء ﴾ بكسر الدال، وبعد الراء ياء ساكنة مدّية بعدها همزة، على وزن «فعِّيل» بتشديد العين، وهو مشتق من «الدَّرْء» وهو الدفع، لأنه يدفع الخفاء لتلألئه، وهو صفة لـ «كوكب».

* وقرأ شعبة، وحمزة: ﴿ دُرِّيء ﴾ بضم الدال، وبعد الراء ياء ساكنة مدّية بعدها همزة، على وزن «فعِّيل».

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٥/ ٨٧).

* وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿دُرِّيٌّ﴾ بضم الدال، وبعد الراء ياء مشددة من غير همز ولا مدّ، نسبة إلى «الدرّ» لشدّة ضوئه ولمعانه وهو علىّ وزن «فُعْلِيّ»[١].

* ﴿يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ﴾ [رقم: ٣٥].

* قرأ شعبة، وحمزة، والكسائى، وخلف البزّار: ﴿تُوقَدُ﴾ بتاء فوقية مضمومة، وواو ساكنة مدّية بعدها مع تخفيف القاف، ورفع الدال، وهو مضارع مبنى للمجهول، ونائب فاعله ضمير مستتر تقديره «هى» يعود على «الزجاجة» وأنث الفعل لأن لفظ «الزجاجة» مؤنث.

* وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وأبو جعفر، ويعقوب: ﴿تَوَقَّدَ﴾ بتاء مفتوحة، وواو مفتوحة مع تشديد القاف، وفتح الدال، على وزن «تفعّل» وهو فعل ماض، والفاعل ضمير مستتر يعود على «الزجاجة» أيضًا.

* وقرأ الباقون وهم: نافع، وابن عامر، وحفص: ﴿يُوقَدُ﴾ بياء تحتية مضمومة، وواو ساكنة مدّيّة بعدها، مع تخفيف القاف، ورفع الدال، وهو مضارع مبنى للمجهول من «أوقد» الرباعى، ونائب الفاعل ضمير مستتر تقديره: «هو» يعود على «المصباح» المتقدم ذكره[٢].

﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ (٣٦)﴾

❀ معانى المفردات:

* عن قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ﴾ قال: هى المساجد، أذن الله فى بنيانها، ورفعها، وأمر بعمارتها وبطهورها.. اهـ[٣].

* وعن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾ قال: يتلى فيها كتابه.

---

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٣/ ٧٩).

(٢) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٣/ ٨٠).

(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٥/ ٩٠).

* وعنه في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ ﴾: قال: يصلى لله فيها بالغدوة: صلاة الغداة، والآصال: صلاة العصر.. اهـ(١).

* أخرج أحمد، وأبو داود، والترمذي، وابن ماجه، عن «عائشة» أم المؤمنين (ت ٥٨هـ ـ رضي الله عنها) قالت: أمر رسول الله ﷺ ببناء المساجد في الدّور، وأن تنظف وتطيب.. اهـ(٢).

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ فِي بُيُوتٍ ﴾ [رقم: ٣٦].

* قرأ ورش، وأبو عمرو، وحفص، وأبو جعفر، ويعقوب: ﴿ بيوت ﴾ بضم الباء، والباقون بكسرها، وهما لهجتان(٣).

* ﴿ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ ﴾ [رقم: ٣٦].

* قرأ ابن عامر، وشعبة: ﴿ يسبَّح ﴾ بفتح الباء الموحدة، على أنه فعل مضارع مبني للمجهول، ونائب الفاعل الجارّ والمجرور بعده وهو «له».

* وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ يسبِّح ﴾ بكسر الباء، على أنه مضارع مبني للمعلوم، و«له» متعلق بـ «يسبِّح» و«رجال» فاعل(٤).

﴿ رِجَالٌ لاَّ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ (٣٧) ﴾

معاني المفردات:

* عن ابن مسعود (ت ٣٢هـ ـ رضي الله عنه): أنه رأى ناسًا من أهل السوق سمعوا الأذان، فتركوا أمتعتهم وقاموا إلى الصلاة، فقال: هؤلاء الذين قال الله: ﴿ لاَّ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ ﴾.. اهـ(٥).

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٥/ ٩٠). (٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٥/ ٩١).
(٣) انظر: المهذب في القراءات العشر وتوجيهها (١/ ٨٥).
(٤) انظر: المغني في توجيه القراءات (٣/ ٨٠ ـ ٨١).
(٥) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٥/ ٩٤).

* وعن زيد بن أسلم (ت ١٣٠هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ ﴾: قال: هو يوم القيامة.. اهـ[1].

﴿ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٣٨) وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٣٩) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ ﴾: الضمير فى ﴿ لِيَجْزِيَهُم، وَيَزِيدَهُم ﴾ يعود على «رجال» من قوله ـ تعالى ـ قبلُ: ﴿ رِجَالٌ لاَّ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ ﴾ [الآية: ٣٧].

✳ **المعنى:** تضمنت هذه الآية الكريمة بأن الله ـ سبحانه وتعالى ـ يكافئ عباده المؤمنين على أعمالهم الصالحة أضعاف ما يستحقون لأنه جواد كريم، ومن الأدلة على ذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿ مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴾ [الأنعام: ١٦٠].

وقوله ـ تعالى ـ: ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٢٦١) ﴾ [البقرة: ٢٦١].

* ﴿ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾، أى: من غير أن يحاسبه على ما أعطاه، إذ لا نهاية لعطائه.

قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا ﴾ [إبراهيم: ٣٤].

* ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ ﴾:

✳ **المعنى:** لما ضرب الله مثل المؤمن فى الآية رقم ٣٥، ضرب مثل الكافر فى هذه الآية، وفى الآية التى بعدها:

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٥/ ٩٤).

* عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) فى الآية: قال: هو مَثَل ضربه الله لرجل عطش، ثم اشتدّ عطشه، فرأى سرابًا، فحسبه ماءً، فظنّ أنه قدر عليه حتى أتى إليه، فلما أتاه لم يجده شيئًا.

كذلك يعتقد الكافر أن عمله يغنى عنه، أو نافعه شيئًا، حتّى يأتيه الموت، عندئذ لم يجد عمله أغنى عنه شيئًا، ولم ينفعه إلا كما ينفع العطشانَ السرابُ.. اهـ. بتصرف(١).

* والسَّراب: ما يُرى نصف النهار فى اشتداد الحرّ كالماء فى المفازة يلتصق بالأرض.

* وسمِّى السّراب سرابًا لأنه يَسْرُبُ أى: يجرى كالماء.

* والقيعة: جمع القاع، والقاع: ما انبسط من الأرض واتّسع، ولم يكن فيه نبت، وفيه يكون السراب. وأصل القاع: الموضع المنخفض الذى يستقرّ فيه الماء، وجمعه قيعان.

* ﴿ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً ﴾: الضمير فى ﴿ يَحْسَبُهُ ﴾ عائد على «السراب» وحينئذ يكون المعنى: يظن العطشانُ السرابَ ماء.

* ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا ﴾: ممّا ظنّه، بل وجد أرضًا لا ماء فيها، كذلك الكافر بعد الموت لن يجد ثوابًا لعمله. قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا (٢٣) ﴾ [الفرقان: ٢٣].

* ﴿ وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾.

﴿ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ (٤٠) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ ﴾ الآية: هذا مثل آخر ضربه الله ـ تعالى ـ للكافر.

* قال الجُرْجانى: الآية الأولى رقم: ٣٩، فى ذكر أعمال الكفّار. والثانية فى ذكر كفرهم، وعطف الكفر على أعمالهم لأن الكفر أيضًا من أعمالهم.. اهـ(٢).

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٥/ ٩٥).

(٢) انظر: تفسير القرطبى (١٢/ ١٨٧).

* وقال ابن عباس (ت ٦٨ هـ ـ رضى الله عنهما) المراد بالظلمات: الأعمال، وبالبحر اللجىّ: قلب الإنسان(١).

* وقال قتادة بن دعامة (ت ١١٨ هـ): البحر اللجىّ: العميق القعر(٢).

* ﴿ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ ﴾:

* قال قتادة بن دعامة: هذا مثل عمل الكافر فى ضلالات ليس له مخرج ولا منفذ، أعمى فيها لا يبصر(٣).

* ﴿ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ ﴾: ﴿ مِّن فَوْقِهِ ﴾ الضمير عائد على «موج» أى: من فوق هذا الموج الثانى سحاب، فيجتمع خوف الموج وخوف السحاب فتصبح ظلمات بعضها فوق بعض.

وهذا أخوف ما يكون إذا توالى الموج وتقارب، ومن فوق هذا الموج سحاب وهو أعظم للخوف لأن السحاب قد غطى النجوم التي يهتدى بها.

* ﴿ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا ﴾: وذلك من شدة الظلمات. ومعنى ﴿ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا ﴾: لم يقارب رؤيتها. وهذا أبلغ فى عدم الرؤية من «لم يرها».

* ﴿ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ﴾:

* قال ابن عباس (ت ٦٨ هـ ـ رضى الله عنهما) معنى ذلك: من لم يجعل الله له دينًا فما له من دين، ومن لم يجعل الله له نوراً يمشى به يوم القيامة لم يهتد إلى الجنة، كقوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ ﴾ [الحديد: ٢٨].. اهـ(٤).

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ ﴾ [رقم: ٤٠].

* قرأ البزّى بترك تنوين ﴿ سحاب ﴾ مع جرّ ﴿ ظلمات ﴾ على الإضافة. و«سحاب» مبتدأ، خبره «من فوقه ظلمات».

(١ : ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٥/ ٩٦).

(٤) انظر: تفسير القرطبى (١٢/ ١٨٨).

* وقرأ قنبل بتنوين ﴿ سحاب ﴾ مع جرِّ ﴿ ظلمات ﴾ على أن «سحاب» مبتدأ مؤخر، و«من فوقه» خبر مقدم و«ظلمات» بدل من «ظلمات» الأولى.

* وقرأ الباقون من القراء العشرة بتنوين «سحاب» ورفع «ظلمات» على أن «سحاب» مبتدأ مؤخر خبره «من فوقه» و«ظلمات» خبر لمبتدأ محذوف تقديره: هذه ظلمات، أو تلك ظلمات(١).

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ (٤١) وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ (٤٢) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾: الخطاب فى ﴿ أَلَمْ تَرَ ﴾ للنبى ﷺ ومعناه: ألم تعلم. ويشمل كل من هو أهل للخطاب.

* ﴿ مَن فِي السَّمَوَاتِ ﴾: من الملائكة. * ﴿ وَالأَرْضِ ﴾: من الجنّ والإنس.

* ﴿ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ ﴾، قال مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ): معنى ذلك: بَسْط أجنحتهن(٢).

* ﴿ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ ﴾: فاعل «علم» ضمير مستتر تقديره «هو» يعود على لفظ الجلالة: «الله» المتقدم أوّل الآية.

* وقال مجاهد بن جبر (ت١٠٤هـ) معنى ذلك: الصلاة للإنسان، والتسبيح لما سوى ذلك من خلقه(٣).

* ﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾: ومن ذلك صلاتهم وتسبيحهم.

* ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾: ومن فيهن.

* ﴿ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴾، أى: المرجع والمآل يوم القيامة.

---

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٣/ ٨١).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٥/ ٩٧).

(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٥/ ٩٦).

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ ﴿٤٣﴾ ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ﴾: الخطاب فى ﴿ أَلَمْ تَرَ ﴾ للنبى ﷺ، ومعناه: ألم تعلم. ويشمل كل من يصلح للخطاب. ومعنى ﴿ يُزْجِي سَحَابًا ﴾: يسوق السحاب حيث يشاء.

* ﴿ ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ﴾، أى: يجمع بين قطع السحاب المتفرقة بعضها إلى بعض.

* ﴿ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا ﴾، أى: متراكمًا بعضه فوق بعض.

* ﴿ فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ ﴾: للعلماء فى معنى «الودق» قولان:

الأول: أنه المطر، وهو قول جمهور العلماء.

والثانى: أنه البرق، وبه قال أبو الأشهب العقيلى[١].

* ﴿ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ ﴾:

* قال القرطبى فى تفسيره: خلق الله فى السماء جبالا من برد، فهو ينزل منها بردًا، أى ينزل من جبال البرد بردًا، فالمفعول محذوف.. اهـ[٢].

* ﴿ فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ ﴾: فتكون إصابته نقمة، وصرفه نعمة.

* ﴿ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ ﴾: من شدّة بريقه وضوئه، لأن معنى ﴿ سَنَا بَرْقِهِ ﴾: ضوء ذلك البرق الذى فى السحاب.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ ﴾ [رقم: ٤٣].

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (١٢/ ١٩٠).

(٢) انظر: تفسير القرطبى (١٢/ ١٩١).

* قرأ أبو جعفر: ﴿ يُذْهِب ﴾ بضم الياء، وكسر الهاء، مضارع «أذهب» والباء فى «بالأبصار» للتعدية مثل قوله ـ تعالى ـ: ﴿ تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ ﴾ [المؤمنون: ٢٠]، والأبصار مفعول به، والفاعل ضمير يعود على ﴿ سَنَا بَرْقِهِ ﴾.

* وقرأ الباقون: ﴿ يَذْهَب ﴾ بفتح الياء والهاء، مضارع «ذهب» الثلاثى والباء للتعدية، والأبصارَ مفعول به(١).

﴿ يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ (٤٤) وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٤٥) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴾:

* قال السدّى إسماعيل بن عبد الرحمن (ت ١٢٧هـ) معنى ذلك: يأتى بالليل ويذهب بالنهار، ويأتى بالنهار ويذهب بالليل(٢).

* ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ ﴾، أى: ما ذكره الله من تقلّب الليل والنهار:

* ﴿ لَعِبْرَةً ﴾، أى: اعتباراً. * ﴿ لِأُولِي الْأَبْصَارِ ﴾: لذى البصائر: وهم أصحاب العقول السليمة.

* ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ ﴾، أى: من نطفة.

* ﴿ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ ﴾: مثل الحيات، والدود، وغير ذلك.

* ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ ﴾، مثل: الإنسان، والطير إذا مشى.

* ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ ﴾، مثل: سائر الحيوانات.

* ﴿ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ ﴾: مما يريد خلقه. * ﴿ قَدِيرٌ ﴾.

---

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٣/ ٨١).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٥/ ٩٧).

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ ﴾ [رقم: ٤٥].

* قرأ حمزة، والكسائي، وخلف البزّار: ﴿ خالق ﴾ وخفض لام ﴿ كل ﴾ على الإضافة إلى «خالق» من إضافة اسم الفاعل إلى مفعوله.

* وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ خلق ﴾ بحذف الألف، فعل ماض، و﴿ كلَّ ﴾ بالنصب، معفول به[1].

﴿ لَقَدْ أَنزَلْنَا آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٤٦) وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ (٤٧) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ لَقَدْ أَنزَلْنَا ﴾: إليك يا رسول الله. * ﴿ آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ ﴾، أي: واضحات الدلالات.

* ﴿ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾، أي: طريق مستقيم، وهو طريق الحق والتوحيد.

* ﴿ وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ﴾: فاعل «يقولون» المنافقون، يقولون بألسنتهم ما ليس فى قلوبهم بدليل قوله ـ تعالى ـ بعدُ: ﴿ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ ﴾: لأنهم ليسوا بمؤمنين إيمانًا يقينيًا، ﴿ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴾، ومثل قوله ـ تعالى ـ عن المنافقين: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ (٨) ﴾ [البقرة: ٨].

﴿ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ (٤٨) وَإِن يَكُن لَّهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ (٤٩) أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٥٠) إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٥١) ﴾

---

(١) انظر: المهذب فى القراءات العشر وتوجيهها (٢/ ٧٦ ـ ٧٧).

سبب نزول هذه الآيات:

* أخرج عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن: الحسن البصرى (ت ١١٠هـ) قال: إن الرجل كان يكون بينه وبين الرجل خصومة، أو منازعة على عهد رسول الله ﷺ، فإذا دُعى إلى النبى ﷺ وهو محقّ أذعن وعلم أنّ النبى ﷺ سيقضى له بالحق. وإذا أراد أن يَظلِم فدُعى إلى النبى ﷺ أعرض، وقال: انطلق إلى فلان. فأنزل الله هذه الآيات.

فقال رسول الله ﷺ: «من كان بينه وبين أخيه شىء فدعاه إلى حكَمٍ من حُكّام المسلمين فلم يجب فهو ظالم لا حق له» اهـ(١).

معانى المفردات:

* ﴿ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ﴾:

المعنى: ليحكم بينهم الرسول ﷺ وفقًا لتعاليم الإسلام.

* ﴿ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم ﴾، أى: من الكفار والمنافقين.

* ﴿ مُّعْرِضُونَ ﴾، أى: عن إجابة الدعوة مثل: المغيرة بن وائل وهو من بنى أميّة.

* ﴿ وَإِن يَكُن لَّهُمُ الْحَقُّ ﴾، أى: للمنافقين الحقّ.

* ﴿ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴾، أى: منقادين طائعين، لعلمهم أن النبى ﷺ لن يحكم إلا بالحق. * يقال: أذعن فلان لحكم فلان يُذعن إذعانًا: إذا انقاد إليه طائعًا.

* ﴿ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾، أى: شك وريب ونفاق. وهذا الاستفهام وما بعده للتوبيخ، لأنه أبلغ فى الذمّ.

* ﴿ أَمِ ارْتَابُوا ﴾: أم حدث لهم شك فى نبوته وعدله.

* ﴿ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ ﴾، أى: يجوز فى الحكم عليهم.

* ﴿ بَلْ أُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾: ﴿ بَلْ ﴾ هنا للإضراب الانتقالى، أى: هم الظالمون المعاندون لإعراضهم عن حكم الله ـ تعالى ـ.

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٥/ ٩٨)، وأسباب النزول للشيخ القاضى ص١٦١.

* ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾، أى: إلى كتاب الله ورسوله.

* ﴿ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾، أى: الفائزون بالجنة الناجون من النار.

القراءات وتوجيهها:

إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ

* ﴿ لِيَحْكُمَ ﴾ من قوله ـ تعالى ـ: ﴿ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ﴾ [رقم: ٤٨].

* ومن قوله ـ تعالى ـ: ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ﴾ [رقم: ٥١].

* قرأ أبو جعفر: ﴿ ليحكم ﴾ معا: بضم الياء، وفتح الكاف، على البناء للمفعول.

* وقرأ الباقون من القراء العشرة بفتح الياء، وضم الكاف، على البناء للفاعل(١).

﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ (٥٢) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾: فى كل ما أمر الله به، ونهى عنه على لسان نبيه «محمد» ﷺ.

* ﴿ وَيَخْشَ اللَّهَ ﴾، أى: يخاف الله ـ تعالى ـ فلا يقدم على فعل أى شىء يخالف حكم الله ـ تعالى ـ.

* ﴿ وَيَتَّقْهِ ﴾، أى: يكون بينه وبين الله ـ تعالى ـ وقاية من النار ويتمثل ذلك فى تنفيذ أحكام الله ـ تعالى ـ.

* ﴿ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾: برضى الله ـ تعالى ـ وجزيل ثوابه.

﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُل لَّا تُقْسِمُوا طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (٥٣) ﴾

---

(١) انظر: المهذب فى القراءات العشر وتوجيهها (٢/ ٧٧).

سبب نزول هذه الآية:

* أخرج ابن مردويه عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) قال: أتى قوم النبى ﷺ فقالوا: يا رسول الله لو أمرتنا أن نخرج من أموالنا لخرجنا. فأنزل الله هذه الآية.. اهـ[١].

معانى المفردات:

* ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ ﴾: ﴿ جَهْدَ ﴾ منصوب على المصدر، ومعنى ﴿ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ ﴾، أى: طاقة ما قدروا أن يحلفوا.

* ﴿ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ ﴾:

المعنى: المنافقون يحلفون بالله ـ تعالى ـ كذبًا: لو أمرتهم يا رسول الله أن يخرجوا من ديارهم، وأموالهم، لأطاعوك.

* ﴿ قُل لاَّ تُقْسِمُوا طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ ﴾:

* قال مقاتل بن حيّان (ت ١١٠هـ) معنى ذلك: يأمرهم النبى ﷺ أن لا يحلفوا على شىء، وأمرهم أن تكون منهم طاعة معروفة إليه ﷺ من غير أن يقسموا.. اهـ[٢].

* ﴿ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾: من طاعتكم بالقول، ومخالفتكم بالعمل.

﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ (٥٤) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ﴾: وذلك بإخلاص الطاعة لله ـ تعالى ـ وإلى رسوله ﷺ، وترك النفاق، وهذا موجّه من الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ إلى المنافقين، أى: قل لهم يا رسول الله هذا القول. * ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا ﴾، أى: أعرضوا عن طاعة الله وطاعة رسوله.

(١، ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٥/ ٩٩).

* ﴿ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ ﴾:

* قال السدّى إسماعيل بن عبد الرحمن (ت ١٢٧هـ): معنى ذلك: على الرسول ﷺ أن يبلغكم ما أرسل به إليكم.. اهـ(١).

* ونظير ذلك فى المعنى قول الله ـ تعالى ـ: ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴾ [المائدة: ٦٧].

* ﴿ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ﴾: قال السدى معنى ذلك: عليكم أن تطيعوه وتعملوا بما أمركم به.. اهـ(٢).

* ﴿ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا ﴾: قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما): جعل الله الاهتداء مقرونًا بطاعة الرسول ﷺ(٣).

* ﴿ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ ﴾، أى: التبليغ البيّن.

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٥٥) ﴾

سبب نزول هذه الآية:

* أخرج ابن المنذر، والطبرانى فى الأوسط، والحاكم وصححه، وابن مردويه، والبيهقى فى الدلائل، عن أُبَيّ بن كعب الأنصارى (ت ٣٠هـ ـ رضى الله عنه) قال: لما قدم رسول الله ﷺ وأصحابه المدينة، وآوتهم الأنصار، رمتهم العرب عن قوْس واحدة، فكانوا لا يبيتون إلا فى السلاح، ولا يصبحون إلا فيه، فقالوا: أترون أنا نعيش حتى نبيت آمنين مطمئنين لا نخاف إلا الله؟ فنزلت هذه الآية.. اهـ(٤).

معانى المفردات:

* ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ ﴾، أى: بلاد العرب والعجم.

(١، ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٥/ ٩٩). (٣) انظر: تفسير القرطبى (١٢/ ١٩٥).

(٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٥/ ١٠٠)، وأسباب النزول للشيخ القاضى ص١٦١.

* ﴿ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾، أي: بني إسرائيل، إذْ أهلك الجبابرة وأورثهم أرضهم وديارهم.

* ﴿ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ ﴾: وهو الإسلام.

* ﴿ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ﴾:

* قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما)، ومجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ): معنى ﴿ يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ﴾: لا يخافون أحدًا غيرى.. اهـ[١].

* ﴿ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ ﴾: أي: بعد هذه النعم الجليلة.

* ﴿ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾: الكافرون بالله ـ تعالى ـ.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ [رقم: ٥٥].

* قرأ شعبة: ﴿ اسْتُخْلِفَ ﴾ بضم التاء، وكسر اللام، على البناء للمفعول، و﴿ الذين من قبلهم ﴾ نائب فاعل.

* وقرأ الباقون من القراء العشرة بفتح التاء واللام، على البناء للفاعل، و﴿ الذين من قبلهم ﴾ مفعول به، والفاعل ضمير يعود على الله[٢].

* ﴿ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم ﴾ [رقم: ٥٥].

قرأ ابن كثير، وشعبة، ويعقوب بإسكان الباء، وتخفيف الدال، مضارع «أبدل» الرباعى.

* وقرأ الباقون بفتح الباء، وتشديد الدال، مضارع «بدّل» مضعّف العين[٣].

﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (٥٦) لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ (٥٧) ﴾

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٥/ ١٠١).

(٢) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٣/ ٨٢).

(٣) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٣/ ٨٣).

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ ﴾، أي: أدّوها تامّة بشروطها وأركانها وواجباتها وسننها فى أوقاتها.

* ﴿ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾: المفروضة عليكم حسب شروطها.

* ﴿ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ﴾: فيما يأمركم به، وينهاكم عنه.

* ﴿ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾: «لعلّ» للترجّى، أى افعلوا كل ما ذكر رجاء رحمة الله ـ تعالى ـ، ورحمة الله قريب من المحسنين.

* ﴿ لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الأَرْضِ ﴾: الخطاب لنبينا «محمد» ﷺ، وهذا تسلية له ـ عليه الصلاة والسلام ـ ووعد من الله ـ تعالى ـ له بالنصر. ومعنى ﴿ مُعْجِزِينَ ﴾: فائتين عنّا.

* ﴿ وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾: لأنهم مخلدون فيها أبدًا.

القراءات وتوجيهها:

* قرأ ابن عامر، وحمزة، وإدريس بخلف عنه: ﴿ لا يحسبن ﴾ من قوله ـ تعالى ـ: ﴿ لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ [رقم: ٥٧] بياء الغيبة، والفاعل مقدر مفهوم من المقام تقديره: حاسبٌ، أو أحدٌ، والذين كفروا مفعول أول، و﴿ معجزين ﴾ مفعول ثان، والمعنى: لا يحسبن حاسب الذين كفروا معجزين فى الأرض: بأن يفوتوننا.

* وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ لا تحسبن ﴾ بتاء الخطاب وهو الوجه الثانى لإدريس والفاعل مفهوم من المقام وهو المخاطب، و﴿ الذين ﴾ مفعول أول، و﴿ معجزين ﴾ مفعول ثان.

والمعنى: لا تحسبن يا مخاطب الذين كفروا معجزين فى الأرض: بأن يفوتوننا.

* وقرأ ابن عامر، وعاصم، وحمزة، وأبو جعفر بفتح السين.

* وقرأ الباقون بكسرها، وهما لهجتان[١].

---

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٣/ ٨٣ ـ ٨٤).

﴿ يا أيُّها الَّذين آمَنُوا لِيستأذنكُمُ الَّذين ملكت أيمانكُمْ والَّذين لم يَبْلُغُوا الحُلم منكم ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء ثلاثُ عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جُنَاحٌ بعدهنَّ طوافون عليكم بعضكم على بعض كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم (٥٨) ﴾

سبب نزول هذه الآية:

* قال ابن عباس (ت ٦٨هـ - رضى الله عنهما): وجَّه رسول الله ﷺ غلامًا من الأنصار يقال له: (مُدلج بن عمرو) إلى (عمر بن الخطاب) - رضى الله عنه - وقت الظهيرة ليدعوه، فدخل فرأى عمر بحالة كره «عمر» رؤيته ذلك، فقال: يا رسول الله وددتُ لو أنّ الله - تعالى - أمرنا ونهانا فى حال الاستئذان، فأنزل الله هذه الآية.. اهـ(١).

معانى المفردات:

* ﴿ يا أيُّها الَّذين آمَنُوا لِيَستأذنكُمُ ﴾: اللام: لام الأمر.

* ﴿ الَّذين ملكت أيمانكُمْ ﴾، أى: العبيد والإماء.

* ﴿ والَّذين لم يَبْلُغُوا الحُلُم منكُمْ ﴾: من الأحرار، وليس المراد منهم الأطفال الذين لم يظهروا على عورات النساء، بل المراد: الذين عرفوا أمر النساء ولكن لم يبلغوا الحلم.

* ﴿ ثلاث مرَّاتٍ ﴾، أى: ليستأذنوا فى ثلاث أوقات:

* ﴿ مِن قَبْلِ صلاةِ الفجرِ وحِينَ تضعُونَ ثيابكُم مِنَ الظَّهِيرةِ ﴾: المراد: وقت المقيل ظهراً.

* ﴿ ومِنْ بعْدِ صلاةِ العشاء ﴾: وإنما خصّ الله - تعالى - هذه الأوقات الثلاثة لأنها ساعات الخلوة، ووضع الثياب، فربّما يبدو من الإنسان ما لا يحبّ أن يراه أحد. وقد أمر الله العبيد والصبيان بالاستئذان فى هذه الأوقات. أمّا غيرهم فإنه يجب عليهم الاستئذان فى جميع الأوقات.

---

(١) انظر: أسباب النزول للواحدى ص٢٣٩، أسباب للشيخ القاضى ص١٦٢.

* ﴿ ثَلاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ ﴾، أي: هذه الأوقات ثلاث عورات لكـم. وسمِّيت هذه الأوقـات عورات لأن الإنسـان يضع فـيهـا ثيابـه فتـبدو عـورته. * ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلا عَلَيْهِمْ ﴾، أي: على العبيد والخدم والصبيان.

* ﴿ جُنَاحٌ ﴾ فى الدخول من غير استئذان.

* ﴿ بَعْدَهُنَّ ﴾، أي: بعد هذه الأوقات الثلاثة.

* ﴿ طَوَّافُونَ عَلَيْكُم ﴾، أي: العبيـد والخدم يطوفون عليكم فيـتردّدون: يدخلون ويخرجون فى أشغالهم بغير إذن.

* ﴿ بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾، أي: يطوف بعضكم على بعض.

* ﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾:

* أخـرج ابن جـرير، عن زيد بن أسـلم (ت ١٣٠هـ): أن رجـلا سـأل النبى ﷺ أسْتأذِنُ على أمِّي؟ قال: «نعم. أتحبّ أن تراها عريانة؟» اهـ[1].

﴿ وَإِذَا بَلَغَ الأَطْفَالُ مِنكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٥٩) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَإِذَا بَلَغَ الأَطْفَالُ مِنكُمُ الْحُلُمَ ﴾: المراد: الأحرار الذين بلغوا الاحتلام.

* ﴿ فَلْيَسْتَأْذِنُوا ﴾: فى الدخول فى جميع الأوقات.

* ﴿ كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾، أي: من الأحرار الكبار.

* ﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ ﴾، أي: أحكامه.

* ﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ ﴾: بأمور خلقه. * ﴿ حَكِيمٌ ﴾: فيما شرعه لهم.

﴿ وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٦٠) ﴾

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٥/ ١٠٤).

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ ﴾:

١ ـ قال سعيد بن جبير (ت ٩٥هـ): هى المرأة الكبيرة التى لا تحيض من الكبر.. اهـ[١].

٢ ـ وقال الحسن البصرى (ت ١١٠هـ): هى المرأة إذا قعدت عن النكاح.. اهـ[٢].

* ﴿ اللاَّتِي لا يَرْجُونَ نِكَاحًا ﴾:

* قال سعيد بن جبير: أى: لا يردن تزويجًا.. اهـ[٣].

* ﴿ فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ ﴾:

* قال ابن مسعود (ت ٣٢هـ ـ رضى الله عنه) المراد: الجلباب والرداء.. اهـ[٤].

* ﴿ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ ﴾:

* قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) هى المرأة لا جناح عليها أن تجلس فى بيتها بدرع وخمار، وتضع عنها الجلباب ما لم تتبرّج لما يكره الله.. اهـ[٥].

* ﴿ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾:

* قال مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) أى: يلبسن جلابيبهن[٦].

﴿ لَيْسَ عَلَى الأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلا عَلَى الأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٦١) ﴾

❀ سبب نزول هذه الآية:

* ورد فى سبب نزولها عدد من الروايات، وقد اخترت الرواية التالية طلبًا للاختصار:

(١ : ٦) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٥/ ١٠٤).

* قال مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ): نزلت هذه الآية ترخيصًا للمرضى، والزّمنى فى الأكل من بيوت من سمى الله - تعالى - فى هذه الآية، وذلك أن قومًا من أصحاب رسول الله ﷺ كانوا إذا لم يكن عندهم ما يطعمونهم، ذهبوا بهم إلى بيوت آبائهم، وأمهاتكم، أو بعض مَنْ سمَّى الله فى هذه الآية، فكان أهل الزمانة يتحرّجون من أن يُطْعَموا ذلك الطعام، لأنه أطعمهم غير مالكيه، ويقولون: إنما يذهبون بنا إلى بيوت غيرهم، فأنزل الله هذه الآية.. اهـ(١).

❀ معانى المفردات:

* ﴿ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ ﴾:

* قال سعيد بن المسيب (ت ٩٤هـ): كان المسلمون إذا غزوا خلّفوا زمناهم ويدفعون إليهم مفاتيح أبوابهم ويقولون قد أحللنا لكم أن تأكلوا مما فى بيوتنا، فكانوا يتحرجون من ذلك ويقولون لا ندخلها وهم غُيَّب. فأنزل الله هذه الآية رخصة لهم.. اهـ(٢).

* وقد تمّ الكلام عند قوله - تعالى -: ﴿ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ ﴾.

وقوله - تعالى -: ﴿ وَلَا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ ﴾ إلخ، كلام مستأنف. وحينئذ يكون المعنى: لا حرج عليكم أن تأكلوا من بيوتكم أو بيوت آبائكم أو بيوت أمهاتكم أو بيوت إخوانكم أو بيوت أخواتكم أو بيوت أعمامكم أو بيوت عمّاتكم أو بيوت أخوالكم أو بيوت خالاتكم.

* ﴿ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُ ﴾: فى معنى ذلك قولان:

١ - قال ابن عباس (ت ٦٨هـ - رضى الله عنهما) المراد بذلك: وكيل وقيِّمه فى ضيعته وماشيته، لا بأس عليه أن يأكل من ثمر ضيعته، ويشرب من ألبان ماشيته، ولا يحمل ولا يدّخر.. اهـ(٣).

٢ - وقال الضحّاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ): المراد بذلك: بيوت عبيدكم ومماليككم، وذلك أنّ السيّد يملك منزل عبده، ومفاتيح الخزائن.. اهـ(٤).

---

(١) انظر: أسباب النزول للواحدى ص٣٤٠. ، أسباب النزول للشيخ القاضى ص١٦٢.

(٢) انظر: تفسير البغوى (٣/ ٣٥٧). (٣، ٤) انظر: تفسير البغوى (٣/ ٣٥٨).

* ﴿أَوْ صَدِيقِكُمْ﴾: الصديق هو الذى صدقك فى المودّة.

* ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا﴾:

✳ **المعنى:** ليس عليكم جناح أن تأكلوا من منازل هؤلاء إذا دخلتموها وإن لم يحضروا، من غير أن تتزوّدوا وتحملوا.

ومعنى ﴿جَمِيعًا﴾: مجتمعين. ومعنى ﴿أَشْتَاتًا﴾: متفرقين. * ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ﴾، أى: يسلّم بعضكم على بعض.

* وعن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) قال: إن لم يكن فى البيت أحد فليقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، السلام على أهل البيت ورحمة الله.. اهـ(١).

* ﴿تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ﴾: نصب على المصدر، أى: تحيون تحيّة.

* ﴿مُبَارَكَةً طَيِّبَةً﴾: لما فيه من الثواب والأجر العظيم.

* ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾:

✳ **المعنى:** كما بين الله لكم سنّة دينكم فى هذه الأشياء، يبيّن لكم سائر ما بكم حاجة إليه من أمور دينكم.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿بُيُوتِكُمْ، بُيُوتِ﴾ [رقم: ٦١].

* قرأ قالون، وابن كثير، وابن عامر، وشعبة، وحمزة، والكسائى، وخلف البزّار بكسر الباء. * وقرأ الباقون بضمها، وهما لهجتان.

* ﴿أُمَّهَاتِكُمْ﴾ [رقم: ٦١].

* قرأ حمزة وصلا بكسر الهمزة والميم. * وقرأ الكسائى بكسر الهمزة وفتح الميم.

* وقرأ الباقون بضمّ الهمزة وفتح الميم، وكلها لهجات(٢).

---

(١) انظر: تفسير البغوى (٣/ ٣٥٨).

(٢) انظر: المهذب فى القراءات العشر وتوجيهها (٢/ ٧٩).

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٦٢) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ ﴾، أى: مع الرسول ﷺ.

* ﴿ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ ﴾، أى: يجمعهم مثل: الجهاد، والجمعة، والعيدين، وقد قال بذلك سعيد بن جبير (ت ٩٥هـ)(١).

* ﴿ لَّمْ يَذْهَبُوا ﴾، أى: لم ينصرفوا عمّا اجتمعوا له.

* ﴿ حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ ﴾:

* قال مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ): إذن الإمام يوم الجمعة أن يشير بيده.. اهـ(٢).

* وقال أهل العلم: كذلك كل أمر اجتمع عليه المسلمون مع الإمام لا يخالفونه ولا يرجعون عنه إلا بإذنه، وإذا استأذن فللإمام إن شاء أذن له وإن شاء لم يأذن، وهذا إذا لم يكن له سبب يمنعه من المقام، فإن حدث سبب يمنعه من المقام فلا يحتاج إلى الاستئذان.. اهـ(٣).

* وقال بعض المفسرين: كان رسول الله ﷺ إذا صعد المنبر يوم الجمعة وأراد الرجل أن يخرج من المسجد لحاجة أو عذر لم يخرج حتى يقوم بحيال رسول الله ﷺ حيث يراه فيعرف أنه إنما قام يستأذن، فيأذن لمن شاء منهم.. اهـ(٤).

* ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ ﴾، أى: أمرهم.

* ﴿ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ ﴾: فى الانصراف، وإن شئت فلا تأذن.

* ﴿ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾.

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٥/ ١١٠).

(٢ : ٤) انظر: تفسير البغوى (٣/ ٣٥٩).

﴿ لا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٦٣) ﴾

❀ معاني المفردات:

* عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضي الله عنهما) في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ لا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ﴾: قال: لا تدعوه كدعاء أحدكم إذا دعا أخاه باسمه، ولكن وقِّروه، وعظّموه، وقولوا له: يا رسول الله، يا نبيّ الله(١).

* وعن مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) في الآية قال: أمرهم الله أن يدعوه: يا رسول الله في لين وتواضع، ولا يقولوا: يا محمد(٢).

* وعن عكرمة مولى ابن عباس (ت ١٠٥هـ)، وسعيد بن جبير (ت ٩٥هـ)، والحسن البصري (ت ١١٠هـ) في الآية قالوا: لا تقولوا: يا محمد، ولكن قولوا يا رسول الله(٣).

* وأقول: والأسى والحزن يملآن قلبي أسمع بعض الذين ينتسبون إلى العلماء وهم يخطبون الناس يوم الجمعة، وأثناء الوعظ والإرشاد، لا يوقّرون الرسول ﷺ كما أمرهم الله في هذه الآية الكريمة بل يقولون: قال «محمد» فقط. مع أنهم عندما يذكرون بعض بني آدم يبجّلونهم ويوقّرونهم ويطرونهم بأفخم الألقاب، فحسبي الله ونعم الوكيل فيهم.

* وعن مقاتل بن حيّان (ت ١١٠هـ) في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ﴾ قال: هم المنافقون كان يثقل عليهم الحديث يوم الجمعة: ـ ويعني بالحديث الخطبة ـ فيلوذون ببعض الصحابة حتى يخرجوا من المسجد.. اهـ(٤).

* وعن مقاتل أيضًا قال: كان من المنافقين من تثقل عليه الجمعة والجلوس في المسجد فكان إذا استأذن رجل من المسلمين قام المنافق إلى جنبه يستتر به حتى يخرج.. اهـ(٥).

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٥/ ١١٠).
(٢ : ٥) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٥/ ١١١).

* ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ ﴾: وينصرفون عنه بغير إذن.
* ﴿ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ ﴾، أى: لئلا تصيبهم فتنة.
* قال مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ): هى البلاء فى الدنيا.. اهـ(١).
* ﴿ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾، أى: مؤلم: فى الدنيا أو الآخرة.

﴿ أَلا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٦٤) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ أَلا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾: ملكًا وعبيدًا.
* ﴿ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ ﴾: من الإيمان والنفاق. و﴿ قَدْ ﴾ صلة، أى: يعلم ما أنتم عليه.
* ﴿ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ ﴾، أى: يوم القيامة.
* ﴿ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا ﴾: من الخير والشر. * ﴿ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ ﴾ [رقم: ٦٤].
* قرأ يعقوب: ﴿ يَرْجِعون ﴾ بفتح الياء، وكسر الجيم، على البناء للفاعل.
* وقرأ الباقون من القراء العشرة بضم الياء، وفتح الجيم، على البناء للمفعول(٢).

● ● ●

تم ولله الحمد والشكر تفسير سورة النور

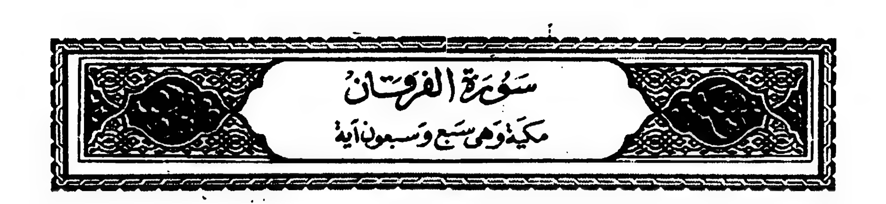
ويليها بإذن الله ـ تعالى ـ

[تفسير سورة الفرقان]

● ● ●

(١) انظر: تفسير البغوى (٣/ ٣٥٩).

(٢) انظر: المهذب فى القراءات العشر وتوجيهها (٢/ ٨٠).



* قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) وابن الزبير (ت ٧٣هـ ـ رضى الله عنه): نزلت سورة الفرقان بمكة.. اهـ[١].

* وقال ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ فى رواية أخرى، وقتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ): سورة الفرقان مكيّة إلا ثلاث آيات منها فمدنية وهى: ٦٨ ـ ٦٩ ـ ٧٠.. اهـ[٢].

﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ① ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ تَبَارَكَ ﴾: ورد فى معناها قولان:

الأول: قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) معنى ﴿ تَبَارَكَ ﴾: تفاعل من البركة.. اهـ[٣]. ومعنى «البركة»: الكثرة من كل ذى خير.

والثانى: قال أبو زكريا الفراء (ت ٢٠٧هـ): «تبارك، وتقدّس» معناهما واحد وهما للعظمة.. اهـ[٤].

* ﴿ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ ﴾: ورد فى معنى ﴿ الْفُرْقَانَ ﴾ قولان:

١ ـ قيل: المراد به القرآن الكريم.

٢ ـ وقيل: هو اسم لكلّ كتاب منزّل من عند الله ـ تعالى ـ ومن الأدلّة على ذلك قول الله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ ﴾ [الأنبياء: ٤٨][٥].

* ﴿ عَلَىٰ عَبْدِهِ ﴾: هو نبينا «محمد» ﷺ.

* ﴿ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾: اسم «يكون» هو يعود على «عبده» وهو نبينا «محمد» ﷺ.

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٥/ ١١٣).
(٢) انظر: تفسير القرطبى (١٣/ ٣).
(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٥/ ١١٤).
(٤) انظر: تفسير القرطبى (١٣/ ٣).
(٥) انظر: تفسير القرطبى (١٣/ ٤).

* والمراد بـ «العالمين»: الإنس والجنّ، لأن النبى ﷺ بعثه الله ـ تعالى ـ إليهما، وأنه خاتم الأنبياء. والنذير: المحذّر من الهلاك.

﴿ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا (٢) وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلا يَمْلِكُونَ لأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلا نَفْعًا وَلا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلا حَيَاةً وَلا نُشُورًا (٣) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾: عظّم الله ـ سبحانه وتعالى ـ نفسه ووصف نفسه بأنه هو وحده دون غيره الذى له ملك السموات والأرض.

* ﴿ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا ﴾: هذا تنزيه لله ـ تعالى ـ عمّا قاله المشركون من أنّ الملائكة بنات الله. وعمّا قالت اليهود عزير ابن الله، وعمّا قالت النصارى المسيح ابن الله.

* ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ ﴾: لأنه غنىّ عن الشريك، ولو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا، ولذهب كل إله بما خلق.

* ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ﴾:

* قال قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ): معنى ذلك: بيّن لكل شيء من خلقه صلاحه، وجعل ذلك بقدر معلوم[١].

* ﴿ وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً ﴾:

* قال قتادة: هى هذه الأوثان التى تعبد من دون الله[٢].

* ﴿ لا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾ الآية:

* قال قتادة: هو الله الخالق، وهذه الأوثان تُخْلَقُ ولا تَخْلق شيئًا، ولا تضرّ ولا تنفع، ولا تملك موتًا ولا حياة ولا نشوراً.. اهـ[٣]. والنشور: الإحياء بعد الموت.

(١ : ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٥/ ١١٤).

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلاَّ إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا (٤) ﴾

❀ معاني المفردات:

* ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلاَّ إِفْكٌ افْتَرَاهُ ﴾: قائل ذلك هم مشركو قريش.

* قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما): النضر بن الحرث ـ وكان مؤذيًا للنبيّ ﷺ ـ[١].

* ﴿ إِنْ هَذَا ﴾: ﴿ إِنْ ﴾ بمعنى «ما» النافية، واسم الإشارة ﴿ هَذَا ﴾ المراد به «القرآن الكريم».

* ومعنى ﴿ إِلاَّ إِفْكٌ افْتَرَاهُ ﴾، أى: كذب اختلقه.

* ﴿ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ ﴾:

* قال ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ: هم (أبو فُكَيْهَة) مولى بنى الحضرمى، وعدّاس، وجبر، وكانوا من أهل الكتاب[٢].

* ﴿ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا ﴾، أى: كذبًا.

﴿ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً (٥) قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا (٦) ﴾

❀ معاني المفردات:

* ﴿ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا ﴾:

* قال قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) معنى ﴿ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ ﴾: كذب الأوّلين وأحاديثهم.. اهـ[٣].

* وقال الزّجاج إبراهيم بن السّرى (ت ٣١١هـ): واحد الأساطير أسطورة، مثل: أحاديث وأحدوثة[٤].

(١، ٢) انظر: تفسير القرطبى (١٣/ ٥).

(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٥/ ١١٤).

(٤) انظر: تفسير القرطبى (١٣/ ٥).

* وقائل هذا هو النضر بن الحارث كان يقول: إنّ هذا القرآن ليس من عند الله وإنما هو مما سطره الأولون مثل: حديث «رستم، واسفنديار»(١).

* ومعنى ﴿ اكْتَتَبَهَا ﴾: انتسخها، أى طلب أن تكتب له لأنه معلوم أن النبى ﷺ كان لا يقرأ ولا يكتب.

* ﴿ هِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ ﴾، أى: تقرأ عليه ليحفظها.

* ﴿ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ﴾، أى: غدوة وعشيا، فقال الله ردًا عليهم:

* ﴿ قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾، أى: قل لهم يا نبىّ الله: أنزل هذا القرآن الله الذى يعلم الغيب فى السموات والأرض.

* ﴿ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾، أى: غفورًا لأوليائه، رحيمًا بهم.

﴿ وَقَالُوا مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الأَسْوَاقِ لَوْلا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا (٧) أَوْ يُلْقَىٰ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ رَجُلاً مَّسْحُورًا (٨) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَقَالُوا مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الأَسْوَاقِ ﴾: فاعل «قالوا» كفار قريش، وذلك أنهم كان لهم مجلس مع رسول الله ﷺ فقالوا له أى: سادتهم «عتبة بن ربيعة» وغيره: إن كنت تحبّ الرياسة ولّيناك علينا، وإن كنت تحبّ المال جمعنا لك من أموالنا، فلما أبى الرسول ﷺ عن ذلك، رجعوا إلى الاحتجاج عليه فقالوا: ما بالك وأنت رسول الله تأكل الطعام، وتمشى فى الأسواق، لأنهم أرادوا أن يكون الرسول ملَكا، فأنزل الله عليه قوله: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الأَسْوَاقِ ﴾ [الفرقان: ٢٠].

* ﴿ لَوْلا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ ﴾: ﴿ لَوْلا ﴾ بمعنى هلا.

* ﴿ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا ﴾: جواب «لولا».

---

(١) انظر: تفسير البغوى (٣/ ٣٦١).

* ﴿ أَوْ يُلْقَىٰ إِلَيْهِ كَنزٌ ﴾، أى: ينزل عليه كنز من السماء ينفق منه فلا يحتاج إلى التردّد فى طلب الرزق.

* ﴿ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ ﴾، أى: بستان. * ﴿ يَأْكُلُ مِنْهَا ﴾.

* ﴿ وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ رَجُلاً مَّسْحُوراً ﴾، أى: مخدوعًا. و«إنْ» بمعنى «ما» النافية، ومَا وإلا يفيدان الحصر، أى: ما تتبعون إلا رجلا موصوفًا بهذه الصفة.

القراءات وتوجيهها:

﴿ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ﴾ [رقم: ٨].

* قرأ حمزة، والكسائى، وخلف البزّار: ﴿ نأكل ﴾ بالنون، والفاعل ضمير مستتر تقديره «نحن» يعود على «الواو» فى قوله ـ تعالى ـ قبلُ: ﴿ وَقَالُوا مَا لِهَٰذَا الرَّسُولِ ﴾ [رقم: ٧].

* وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ يأكل ﴾ بالياء التحتية، والفاعل ضمير مستتر تقديره «هو» يعود على «الرسول»[١].

﴿ انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً (٩) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الأَمْثَالَ فَضَلُّوا ﴾:

المعنى: انظر يا رسول الله كيف ضرب لك كفار قريش هذه الأمثال ليتوصلّوا إلى تكذيبك، فضلّوا عن سبيل الحقّ وعن بلوغ المراد.

* ﴿ فَلا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً ﴾: إلى الهدى ومخرجا عن الضلال.

﴿ تَبَارَكَ الَّذِي إِن شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْراً مِّن ذَٰلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا (١٠) ﴾

سبب نزول هذه الآية:

* أخرج ابن مردويه، عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) قال: بينما «جبريل» ـ عليه السلام ـ عند النبى ﷺ إذْ قال: هذا ملك تدلّى من السماء إلى

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٣/ ٨٦).

الأرض، ما نزل إلى الأرض قط قبلها، استأذن ربه فى زيارتك، فأذن له، فلم يلبث أن جاء فقال: السلام عليك يا رسول الله، قال: وعليك السلام، قال: إنّ الله يخبرك إن شئتَ أن يعطيك من خزائن كل شىء، ومفاتيح كل شىء، ما لم يعط أحدًا قبلك، ولا يعطيه أحدًا بعدك، ولا ينقصك ممّا ادّخر لك عنده شيئًا. فقال: لا بل يجمعهما لى فى الآخرة، فنزلت: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي إِن شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَلِكَ ﴾.. اهـ(١).

معانى المفردات:

* ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي إِن شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَلِكَ ﴾:

* روى عكرمة، عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال: خيرًا من المشى فى الأسواق والتماس المعاش.. اهـ(٢).

* ثم بين الله ذلك الخير فقال: ﴿ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا ﴾، أى: بيوتًا مشيدة، والعرب تسمِّى كل بيت مشيّد قصرًا.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا ﴾ [رقم: ١٠].

* قرأ نافع، وأبو عمرو، وحفص، وحمزة، والكسائى، وأبو جعفر، ويعقوب، وخلف البزّار: ﴿ ويجعلْ ﴾ بجزم اللام، عطفًا على محلّ قوله ـ تعالى ـ قبلُ: ﴿ جعل ﴾ من قوله ـ تعالى ـ: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي إِن شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَلِكَ ﴾ لأنه جواب الشرط، ويلزم من الجزم وجوب إدغام اللام فى اللام.

* وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ ويجعلُ ﴾ بالرفع، على الاستئناف أى: وهو يجعلُ لك قصورًا(٣).

﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا (١١) إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا (١٢) ﴾

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٥/ ١١٦).

(٢) انظر: تفسير البغوى (٣/ ٣٦٢).

(٣) انظر: المغنى فى توجيه القراءات (٣/ ٨٦).

❀ معانى المفردات:

* ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ ﴾، أى: يوم القيامة.

* ﴿ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴾، أى: نارًا مستعرة.

* ﴿ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴾:

* قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) أى: من مسيرة مائة عام وذلك: إذا أتى بجهنم تقاد بسبعين ألف زمام يشدّ بكلّ زمام سبعون ألف ملك، لو تركت لأتت على كل برّ وفاجر(١).

* وعن أبى أمامة ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «من كذب علىّ متعمدًا فليتبوّأ مقعدًا من بين عينى جهنم»، قالوا: يا رسول الله وهل لجنهم من عين؟ قال: «نعم أما سمعتم الله يقول: ﴿ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴾، فهل تراهم إلا بعينين»(٢).

* ﴿ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴾:

* قال ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ: تزفر زفرة لا تبقى قطرة من دمع إلا بدرت، ثم تزفر الثانية فتنقطع القلوب من أماكنها، وتبلغ القلوب الحناجر.. اهـ(٣).

﴿ وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا (١٣) ﴾

❀ معانى المفردات:

* عن يحيى بن أبى أُسَيْد: أنّ رسول الله ﷺ سئل عن قول الله ـ تعالى ـ: ﴿ وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ ﴾ قال: «والذى نفسى بيده إنهم ليستكرهون فى النار كما يُسْتكره الوتد فى الحائط» اهـ(٤).

* وعن عبد الله بن عمر (ت ٧٣هـ ـ رضى الله عنهما) قال: إنّ جهنم لتضيق على الكافر كضيق الزّجّ على الرمح.. اهـ(٥).

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٥/ ١١٧).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٥/ ١١٦).

(٣ : ٥) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٥/ ١١٧).

* وعن أبى صالح مولى أم هانئ (ت ٢٢١هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿مُقَرَّنِينَ﴾ قال: مكتّفين.. اهـ(١).

* وعن الضحّاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾، قال: دعوا بالهلاك فقالوا: واهلاكاه، واهلكتاه، فقيل لهم: لا تدعوا اليوم بهلاك واحد، ولكن ادعوا بهلاك كثير.. اهـ(٢).

القراءات وتوجيهها:

* ﴿وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا﴾ [رقم: ١٣].

* قرأ ابن كثير: ﴿ضَيْقًا﴾ بسكون الياء مخففة.

* وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ضَيِّقًا﴾ بكسر الياء مشددة وهما لهجتان مثل: «ميِّت وميْت». وقيل: التشديد فى الأجرام، والتخفيف فى المعانى(٣).

﴿لا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا (١٤)﴾

المعنى:

* عن أنس بن مالك (ت ٩٣هـ ـ رضى الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ أوّل من يُكسى حُلّة من النار إبليس، فيضعها على حاجبيه ويسحبها من خلفه وذريّته من بعده وهو ينادي: يا ثبوراه، ويقولون: يا ثبورهم حتى يقف على النار فيقول: يا ثبوراه، ويقولون: واثبورهم فيقال لهم: ﴿لا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا﴾ الآية» اهـ(٤).

﴿قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا (١٥) لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولاً (١٦)﴾

معانى المفردات:

* ﴿قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ﴾، أى: الذى ذكره الله ـ تعالى ـ من صفة النار وأهلها، فى قوله ـ تعالى ـ قبلُ: ﴿وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا﴾ [رقم: ١١].

(١، ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٥/ ١١٧).

(٣) انظر: المهذب فى القراءات العشر وتوجيهها (٢/ ٨١).

(٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٥/ ١١٧).

* ﴿ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ ﴾: ولعلّ الحكمة من قول الله ذلك: لأن الجنّة والنار دَخَلَتا فى باب المنازل، فقال الله ذلك لتفاوت ما بين المنزلتين.

* ﴿ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً ﴾: الضمير فى «لهم» عائد على المتقين، وحينئذ يكون المعنى: كانت جنة الخلد للمتقين جزاء من الله ـ تعالى ـ.

* ﴿ وَمَصِيرًا ﴾، أى: يصيرون إليها فى الدار الآخرة.

* ﴿ لَهُمْ فِيهَا ﴾، أى: جنة الخلد. * ﴿ مَا يَشَاءُونَ ﴾: من النعيم.

* ﴿ خَالِدِينَ ﴾، أى: خلودًا أبديًا لا نهاية له.

* ﴿ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْئُولاً ﴾: فى معنى ذلك قولان:

الأول: قال الكلبى محمد بن السائب بن بشر (ت ١٤٦هـ): وعد الله المؤمنين الجنة جزاء على أعمالهم، فسألوه ذلك الوعد فقالوا: ﴿ رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ [آل عمران: ١٩٤][(١)].

والثانى: قال محمد بن كعب القرظى: إنّ الملائكة تسأل لهم الجنة، دليله قوله ـ تعالى ـ: ﴿ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدتَّهُمْ ﴾ [غافر: ٨][(٢)].

﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ (١٧) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ﴾: الضمير فى ﴿ يَحْشُرُهُمْ ﴾ عائد على الكفار والمشركين المتقدم ذكرهم فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ ﴾ [رقم: ١١].

* ﴿ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ﴾: للعلماء فى معنى ذلك قولان:

الأول: قال مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ)، وابن جريج عبد الملك بن عبد العزيز (ت ١٥٠هـ): المراد: ما يعبدونهم من الملائكة، والإنس، والجنّ، والمسيح، وعزير.. اهـ[(٣)].

(١ : ٣) انظر: تفسير القرطبى (١٣/ ٩).

والثاني: وقال عكرمة مولى ابن عباس (ت ١٠٥هـ)، والضحاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ): المراد: الأصنام التي يعبدونها من دون الله.. اهـ[١].

* ﴿ فَيَقُولُ أَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ ﴾: فاعل «يقول» الله ـ سبحانه وتعالى ـ والاستفهام لتوبيخ الكفار.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ ﴾ [رقم: ١٧].

* قرأ ابن كثير، وحفص، وأبو جعفر، ويعقوب: ﴿ يحشرهم ﴾ بالياء التحتية، والفاعل ضمير مستتر تقديره «هو» يعود على «ربك» في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْئُولًا ﴾ [رقم: ١٦].

* وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ نحشرهم ﴾ بنون العظمة والفاعل ضمير مستتر تقديره «نحن» وذلك على الالتفات من الغيبة إلى التكلم[٢].

* ﴿ فَيَقُولُ أَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ ﴾ [رقم: ١٧].

* قرأ ابن عامر: ﴿ فنقول ﴾ بنون العظمة، لمناسبة قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ ﴾ لأنه يقرأ: ﴿ نحشرهم ﴾ بالنون أيضًا، فجرى الكلام على نسق واحد.

* وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ فيقول ﴾ بالياء التحتية، ووجه ذلك: أنّ من قرأ ﴿ يحشرهم ﴾ بالياء وهم ابن كثير، وحفص، وأبو جعفر، ويعقوب يكون الكلام جرى على نسق واحد وهو الغيبة.

ومن قرأ ﴿ نحشرهم ﴾ بالنون يكون في الكلام التفات من الغيبة إلى التكلم[٣].

﴿ قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنبَغِي لَنَا أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا (١٨) ﴾

---

(١) انظر: تفسير القرطبي (١٣/ ٩).

(٢، ٣) انظر: المغني في توجيه القراءات العشر (٣/ ٨٧).

❀ معانى المفردات:

* ﴿ قَالُوا سُبْحَانَكَ ﴾، أى: قال المعبدون من دون الله: سبحانك، أى: تنزيهًا لك.

* ﴿ مَا كَانَ يَنبَغِي لَنَا أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ ﴾.

* ﴿ وَلَكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ ﴾، أى: فى الدنيا بالصحة والغنى وطول العمر وغير ذلك.

* ﴿ حَتَّىٰ نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا ﴾، أى: القرآن الذى أنزلته، نسوه وتركوا العمل به.

* قال بذلك ابن زيد عبد الرحمن بن زيد (ت حوالى ١٧٠هـ)[١].

* ﴿ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا ﴾: فى معنى بوراً قولان:

١ ـ قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما): معنى ﴿ بُورًا ﴾، أى: هلكى، مأخوذ من البوار وهو الهلاك. وقال أبو الدرداء ـ رضى الله عنه ـ: مثل قول ابن عباس[٢].

٢ ـ وقال الحسن البصرى (ت ١١٠هـ): معنى ﴿ بُورًا ﴾: لا خير فيهم، مأخوذ من بوار الأرض، وهو تعطيلها من الزرع فلا يكون فيها خير.. اهـ[٣].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ مَا كَانَ يَنبَغِي لَنَا أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ ﴾ [رقم: ١٨].

* قرأ أبو جعفر: ﴿ نُتَّخَذَ ﴾ بضم النون وفتح الخاء، على البناء للمفعول، ونائب الفاعل ضمير مستتر تقديره «نحن» و«من أولياء» حال، و«من» زائدة، والمعنى: ما كان لنا أن نُعْبد من دونك ولا نستحق الولاء، ولا العبادة.

* وقرأ الباقون: ﴿ نَتَّخِذَ ﴾ بفتح النون وكسر الخاء على البناء للفاعل، والفاعل ضمير مستتر تقديره «نحن»[٤].

(١ : ٣) انظر: تفسير القرطبى (١٣/ ١٠).

(٤) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٣/ ٨٨).

﴿ فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا (١٩) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ ﴾:

المعنى: يقول الله ـ تعالى ـ عند تبرّى المعبودين: ﴿ فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ ﴾، أى: قولكم إنّهم آلهة.

* وقال مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) معنى ذلك: يقول الله ـ تعالى ـ للذين كانوا يعبدون «عيسى، وعزيرًا، والملائكة» حين قالوا: سبحانك أنت ولينا من دونهم: ﴿ فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ ﴾.. اهـ[1].

* ﴿ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا ﴾:

* قال مجاهد بن جبر معنى ذلك: قال المشركون فما تستطيعون صرف العذاب، ولا نصر أنفسكم[2].

* ﴿ وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ ﴾، أى: يشرك بالله ـ تعالى ـ.

* قال بذلك الحسن البصرى (ت ١١٠هـ) والطبرى (ت ٣١٠هـ)[3].

* ﴿ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴾، أى: شديدًا.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ ﴾ [رقم: ١٩].

* قرأ قنبل بخلف عنه: ﴿ يقولون ﴾ بياء الغيب. وتوجيه هذه القراءة: أنّ الكاف فى ﴿ كذّبوكم ﴾ للمشركين المتقدم ذكرهم فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ﴾... إلخ [رقم: ١٧].

والواو فى ﴿ كذبوكم ﴾، و﴿ يقولون ﴾ للمعبودين من دون الله. والمعنى: فقد كذبكم أيها المشركون، المعبودون بقولهم: ﴿ سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنبَغِي لَنَا أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ ﴾ [رقم: ١٨].

(١ : ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٥/١١٩).

* وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ تقولون ﴾ بتاء الخطاب، وهو الوجه الثانى لقنبل وتوجيه ذلك: أن الخطاب للمشركين والواو فى ﴿ كذبوكم ﴾ للمعبودين أيضًا، والواو فى ﴿ تقولون ﴾ للمشركين، والمعنى: فقد كذبكم أيها المشركون المعبودون فى قولكم: إنهم أضلّوكم(١).

* ﴿ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ ﴾ [رقم: ١٩].

* قرأ حفص: ﴿ تستطيعون ﴾ بتاء الخطاب، والمخاطب المشركون، المتقدم ذكرهم فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ﴾ [رقم: ١٧].

* وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ يستطيعون ﴾ بياء الغيبة، والفعل مسند إلى الواو، والمراد: المعبودون من دون الله(٢).

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا (٢٠) ﴾

سبب نزول هذه الآية:

* قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما): نزلت هذه الآية جوابًا للمشركين حيث قالوا: ﴿ مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الأَسْوَاقِ ﴾ [الفرقان: ٧]: فلمّا عيَّر المشركون رسولَ الله ﷺ بالفاقة، حزن النبى ﷺ لذلك، فنزلت تعزية له، فقال «جبريل» ـ عليه السلام ـ: السلام عليك يا رسول الله، الله ربّك يقرئك السلام ويقول لك: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الأَسْوَاقِ ﴾، أى: يبتغون المعايش فى الدنيا.. اهـ(٣).

معانى المفردات:

* قال قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ): إنّ الرسل قبلك يا رسول الله كانوا بهذه المنزلة، ﴿ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً ﴾: أى: بلاء.. اهـ(٤).

(١، ٢) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٣/ ٨٩).

(٣) انظر: تفسير القرطبى (١٣/ ١١)، وأسباب النزول للشيخ القاضى ص١٦٥.

(٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٥/ ١١٩).

* وعن الحسن البصرى (ت ١١٠هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً ﴾ قال معنى ذلك: يقول الفقير: لو شاء الله لجعلنى غنيًا مثل فلان، ويقول السقيم: لو شاء الله لجعلنى صحيحًا مثل فلان، ويقول الأعمى: لو شاء الله لجعلنى بصيرًا مثل فلان.. اهـ[١].

* وعن ابن جريج عبد الملك بن عبد العزيز (ت ١٥٠هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴾ قال معنى ذلك: الله بصير بمن يصبر، وبمن يجزع.. اهـ[٢].

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلائِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا (٢١) ﴾

❀ معانى المفردات:

* عن ابن جريج عبد الملك بن عبد العزيز (ت ١٥٠هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ﴾، قال: هذا قول كفّار قريش.. اهـ[٣].

* ومعنى: ﴿ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ﴾، أى: لا يخافون البعث ولا يؤمنون به.

* ﴿ لَوْلا ﴾: هلا. * ﴿ أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلائِكَةُ ﴾: فيخبرونا أنّ «محمدًا» صادق.

* ﴿ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ﴾، قال ابن جريج: معنى ذلك: فيخبرنا أن «محمدًا» رسول الله.. اهـ[٤].

* ﴿ لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا ﴾: وهو شدّة الكفر.

﴿ يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلائِكَةَ لا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا (٢٢) ﴾

✳ معنى الآية:

* إذا كان يوم القيامة تلقى الملائكة المؤمنين بالبشرى، فإذا رأى الكفار والمشركون ذلك قالوا للملائكة: بشّرونا. فتقول لهم الملائكة: ﴿ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴾، أى: حرامًا محرمًا أن نتلقاكم بالبشرى.

* وقد قال بهذا المعنى: ١ ـ مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ). ٢ ـ والضحاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ). ٣ ـ وقتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ)[٥].

(١: ٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٥/ ١٢٠). (٥) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٥/ ١٢١).

* ورد أن العرب كان إذا نزل بالرجل منهم شدّة قال: ﴿ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴾، أي: حرامًا محرّمًا(١).

﴿ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا (٢٣) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ ﴾: الضمير فى «عملوا» المراد به الكفار المشار إليهم بقوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ﴾.

* وعن علىّ بن أبى طالب (ت ٤٠هـ ـ رضى الله عنه) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا ﴾، قال: الهباء: ريح الغبار يسطع ثم يذهب فلا يبقى منه شىء، فجعل الله أعمال الكفار كذلك.. اهـ(٢).

* وفى رواية ثانية عن على بن أبى طالب قال: الهباء: شعاع الشمس الذى يخرج من الكوّة.. اهـ(٣).

﴿ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلاً (٢٤) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا ﴾: المراد بقوله ـ تعالى ـ: ﴿ يَوْمَئِذٍ ﴾، أى: يوم القيامة.

* ومعنى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا ﴾، أى: من هؤلاء المشركين.

* ﴿ وَأَحْسَنُ مَقِيلاً ﴾، أى: موضع قائلة.

* قال الأزهرى: القيلولة والمقيل: الاستراحة نصف النهار، وإن لم يكن مع ذلك نوم، لأن الجنة لا نوم فيها.. اهـ(٤).

* قال ابن مسعود (ت ٣٢هـ ـ رضى الله عنه) لا ينتصف النهار يوم القيامة حتّى يقيل أهل الجنّة فى الجنّة، وأهل النار فى النار.. اهـ(٥).

(١ : ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٥/ ١٢١).

(٤، ٥) انظر: تفسير البغوى (٣/ ٣٦٦).

* وقال ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ: إنما هى ضحوة فيقيل أولياء الله على الأسرّة مع الحور العين، ويقيل أعداء الله مع الشياطين مقرّنين(١).

﴿ ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا (٢٥) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ ﴾:

المعنى: اذكر يا رسول الله يوم تشقق السماء عن الغمام. والباءُ وعَنْ يتعاقبان، كما تقول: رميت بالقوس وعن القوس.

* ﴿ وَنُزِّلَ الْمَلائِكَةُ تَنزِيلاً ﴾:

* قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) تتشقق سماء الدنيا فينزل أهلها وهم أكثر ممن فى الأرض من الجنّ والإنس. ثم تنشق السماء الثانية فينزل أهلها وهم أكثر ممّن فى سماء الدنيا. ثم كذلك حتى تنشق السماء السابعة. ثم ينزل الكروبيّون وحملة العرش، وهو معنى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَنُزِّلَ الْمَلائِكَةُ تَنزِيلاً ﴾.. اهـ(٢).

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ ﴾ [رقم: ٢٥].

* قرأ أبو عمرو، وعاصم، وحمزة، والكسائى، وخلف البزّار: ﴿ تشقّق ﴾ بتخفيف الشين، على أنه مضارع ﴿ تشقق ﴾ والأصل ﴿ تتشقق ﴾ فحذفت إحدى التاءين تخفيفًا.

* وقرأ الباقون بتشديد الشين، على إدغام التاء فى الشين(٣).

* ﴿ وَنُزِّلَ الْمَلائِكَةُ تَنزِيلاً ﴾ [رقم: ٢٥].

* قرأ ابن كثير: ﴿ وننزلُ ﴾ بنونين: الأولى مضمومة، والثانية ساكنة مع تخفيف الزاى، ورفع اللام، على أنه مضارع «أنزل» الرباعى و«الملائكة» بالنصب مفعول به.

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٥/ ١٢٣).

(٢) انظر: تفسير القرطبى (١٣/ ١٨).

(٣) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٣/ ٩٠).

* وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ ونزِّلَ ﴾ بنون واحدة مضمومة مع تشديد الزاى، وفتح اللام، على أنه فعل ماض مبنى للمجهول، و﴿ الملائكةُ ﴾ بالرفع نائب فاعل(١).

﴿ الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا (٢٦) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ ﴾: ﴿ الْمُلْكُ ﴾ مبتدأ، و﴿ الْحَقُّ ﴾ صفة له، و﴿ لِلرَّحْمَنِ ﴾ خبر المبتدأ.

المعنى: الملك الذى يزول وينقطع ليس بملك، ويوم القيامة تزول أملاك جميع المالكين فى الدنيا، وبقى الملك الحق لله وحده. * ﴿ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا ﴾: لما ينالهم من الأهوال، ويلحقهم من الخزى والهوان. ويفهم من هذا أنه على المؤمنين خفيفًا ويسيرًا.

﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً (٢٧) ﴾

سبب نزول هذه الآية:

* ورد فى سبب نزولها عدد من الروايات وقد اخترت الرواية التالية حرصًا على عدم الإطناب:

* أخرج ابن مردويه، وأبو نعيم فى الدلائل بسند صحيح من طريق سعيد بن جبير (ت ٩٥هـ) عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما): أن عقبة بن أبى معيط كان يجلس مع النبى ﷺ بمكة لا يؤذيه، وكان رجلا حليما، وكان بقية قريش إذا جلسوا معه آذوه، وكان لأبى معيط خليل غائب عنه بالشام، فقالت قريش: صبأ أبو معيط، وقدم خليله من الشام ليلا، فقال لامرأته: ما فعل «محمد» ممّا كان عليه؟ فقالت: أشدّ مما كان أمرًا، فقال: ما فعل خليلى أبو معيط؟ فقالت: صَبأ. فبات بليلة سوء، فلما أصبح أتاه أبو معيط فحيّاه، فلم يردّ عليه التحية، فقال: ما لك لا تردّ علىّ تحيتى؟ فقال: كيف أردّ عليك تحيتك وقد صبأت؟ قال: أوقد فعلتها قريش؟ قال: نعم، قال: فيما يبرئ صدورهم إنْ أنا فعلتُ، قال: تأتيه فى مجلسه وتبصق فى وجهه، وتشتمه بأخبث ما تعلمه من الشتم، ففعل.

---

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٣/ ٩٠).

فلم يزد النبىّ ﷺ أن مسح وجهه من البصاق، ثم التفت إليه فقال: «إن وجدتك خارجًا من جبال مكة أضرب عنقك صبرا».

فلمّا كان يوم بَدْر، وخرج أصحابه، أَبَى (ابنُ أبى معيط) أن يخرج، فقال له أصحابه: اخرج معنا، فقال: قد وعدنى هذا الرجل إن وجدنى خارجًا من جبال مكّة أن يضرب عنقى صبرًا، فقالوا: لك جَمَلٌ أحمر لا يُدْرك، فلو كانت الهزيمة طِرْتَ عليه، فخرج معهم.

فلما هزم الله المشركين، وحَلّ به جَمَلَه فى جدد من الأرض، فأخذه رسول الله ﷺ أسيرًا فى سبعين من قريش. وقدم إليه أبو معيط فقال: تقتلنى من بين هؤلاء؟ قال: «نعم بما بصقت فى وجهى».

* جاء فى بعض الروايات: فقتل صبرًا ولم يقتل من الأسارى يومئذ غيره. فأنزل الله فى ابن أبى معيط: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنسَانِ خَذُولاً ﴾.. اهـ[1].

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ ﴾: وهو عقبة بن أبى معيط بن عبد شمس بن مناف.

* ﴿ عَلَىٰ يَدَيْهِ ﴾: ندمًا وأسفًا على ما فرط منه فى جنب الله: قال عطاء يأكل يديه حتى يبلغ مرفقيه ثم تنبتان، ثم يأكل هذا كلما نبتت يده أكلها تحسّرًا على ما فعل.. اهـ[2].

* ﴿ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ ﴾ فى الدنيا. * ﴿ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً ﴾: يقول: ليتنى اتبعت «محمدًا» واتخذت معه سبيلا إلى الهدى.

﴿ يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلانًا خَلِيلاً (٢٨) لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنسَانِ خَذُولاً (٢٩) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ يَا وَيْلَتَىٰ ﴾: دعا عقبة بن أبى معيط بالويل والثبور على محالفة الكافر ومتابعته.

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٥/ ١٢٤).

(٢) انظر: تفسير البغوى (٣/ ٣٦٧)

* ﴿ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلانًا خَلِيلاً ﴾: وهو أبىّ بن خلف.

* ﴿ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ ﴾: أى: يقول عقبة بن أبى معيط: لقد أضلنى (أبىّ بن خلف) ﴿ عَنِ الذِّكْرِ ﴾، أى: عن القرآن والإيمان.

* ﴿ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي ﴾، أى: بعد إذ جاءنى الذكر مع النبى «محمد» ﷺ.

* ﴿ وَكَانَ الشَّيْطَانُ ﴾: وهو كل متمرد عات من الإنس والجنّ، وكل من صدّ عن سبيل الله فهو شيطان.

* ﴿ لِلإِنسَانِ خَذُولاً ﴾، أى: تاركًا يتركه ويتبرأ منه عند نزول البلاء والعذاب.

* وصدق الله إذ قال: ﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٢) ﴾ [إبراهيم: ٢٢].

﴿ وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا (٣٠) وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا (٣١) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَقَالَ الرَّسُولُ ﴾: هو نبينا «محمد» ﷺ.

* ﴿ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴾:

١ - قال مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) معنى ذلك: أنهم يهجرون فيه بالقول السّىء، ويقولون: هو سحر[(١)].

٢ - وقيل معنى ﴿ مهجورا ﴾: متروكًا[(٢)].

* ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ ﴾:

* قال السّدّى إسماعيل بن عبد الرحمن (ت ١٢٧هـ): لم يبعث الله نبيًا قط إلا كان المجرمون له أعداء. ولم يبعث الله نبيًا قط إلا كان بعض المجرمين أشدّ عليه من بعض[(٣)].

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٥/ ١٢٧).
(٢) انظر: تفسير القرطبى (١٣/ ٢٠).
(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٥/ ١٢٧).

* وقال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما): كان عدوّ النبى ﷺ (أبو جهل) وعدوّ «موسى» قارون، وكان «قارون» ابن عمّ «موسى».. اهـ[١].

* ﴿ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴾: نصب على الحال، أى: يهديك وينصرك على من عاداك.

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا (٣٢) وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا (٣٣) ﴾

سبب النزول:

* أخرج ابن أبى حاتم، والحاكم وصححه، وابن مردويه، والضياء فى المختارة، عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) قال: قال المشركون: إن كان «محمد» كما يزعم نبيّا فلم يعذّبه ربّه، ألا يُنْزِل عليه القرآن جملة واحدة؟ يُنزل عليه الآية، والآيتين، والسورة، فأنزل الله على نبيه جواب ما قالوا: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً ﴾ إلى ﴿ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴾.. اهـ[٢].

معانى المفردات:

* عن قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً ﴾ قال: كما أنزل التوراة على موسى، والإنجيل على عيسى.

* وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ﴾: قال: أى: بيناه تبيينًا.

* وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾، قال: أحسن تفصيلا.. اهـ[٣].

* وعن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ ﴾ قال معنى ذلك: كان الله ينزل على النبى ﷺ الآية، فإذا علمها رسول الله ﷺ نزلت آية أخرى، ليعلّمه الكتاب عن ظهر قلبه، ويثبت به فؤاده.. اهـ[٤].

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٥/ ١٢٧).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٥/ ١٢٧ ـ ١٢٨)، وأسباب النزول للشيخ القاضى ص١٦٦.

(٣، ٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٥/ ١٢٨).

* وعن ابن جريج عبد الملك بن عبد العزيز (ت ١٥٠هـ) في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ ﴾: قال: كان ينزل عليه القرآن جوابًا لقولهم، ليُعْلم أن الله هو الذي يجيب القوم عما يقولون.. اهـ(١).

* وعن الحسن البصري (ت ١١٠هـ) في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً ﴾ قال: كان ينزل عليه الآية، والآيتان، والآيات. كان ينزل عليه جوابًا لهم إذا سألوا رسول الله ﷺ عن شيء أنزل الله جوابًا لهم، وردًا عن النبي ﷺ فيما تكلّموا به.. اهـ(٢).

* وعن ابن جريج عبد الملك بن عبد العزيز في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلاَّ جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ ﴾، قال: لا يأتيك الكفار إلا جئناك بما تردّ به ما جاءوك به من الأمثال التي جاءوا بها.. اهـ(٣).

* وعن مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾: قال: بيانًا.. اهـ(٤).

﴿ الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُوْلَئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلاً (٣٤) وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا (٣٥) فَقُلْنَا اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا (٣٦) ﴾

معاني المفردات:

* ﴿ الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ﴾:

* عن أنس بن مالك (ت ٩٣هـ ـ رضي الله عنه) قال: سئل رسول الله ﷺ: كيف يُحْشر أهل النار على وجوههم؟ فقال: «إنّ الذي أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يُمْشيهم على وجوههم» اهـ(٥).

* وعن أبي هريرة (ت ٥٩هـ ـ رضي الله عنه) قال: يحشر الناس يوم القيامة على ثلاث أصناف: صنف على الدوابّ، وصنف على أقدامهم، وصنف على وجوههم. فقيل: كيف يمشون على وجوههم؟ قال: إن الذي أمشاهم على أقدامهم، قادر أن يمشيهم على وجوههم.. اهـ(٦).

(١ : ٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٥/ ١٢٨).
(٥، ٦) انظر: تفسير الطبري (٩/ ٣٨٩).

* ﴿ أُوْلَئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا ﴾: لأنهم فى جنهم.

* ﴿ وَأَضَلُّ سبيلاً ﴾، أى: دينًا وطريقًا.

* ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ ﴾، أى: التوراة.

* ﴿ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَرُونَ وَزِيرًا ﴾: معينًا وظهيرًا.

* ﴿ فَقُلْنَا اذْهَبَا ﴾: ألف التثنية فى ﴿ اذْهَبَا ﴾: إلى «موسى وهارون» ـ عليهما السلام ـ.

* ﴿ إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ﴾: وهم فرعون، وهامان والقبط.

* ﴿ فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا ﴾: فى الكلام إضمار يفهم من المقام، والتقدير: فكذبوهما فدمّرهم الله تدميرًا، أى: أهلكهم إهلاكًا.

﴿ وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا (٣٧) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَقَوْمَ نُوحٍ ﴾: «قوم» منصوب بفعل محذوف، تقديره: اذكر قومَ نوح.

* ﴿ لَّمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ ﴾: المراد نبىّ الله «نوح» ـ عليه السلام ـ فقط لأنه لم يكن فى ذلك الوقت رسول سوى «نوح» ـ عليه السلام ـ ولعل الحكمة من ذكر «الرسل» أنّ من كذّب رسولاً فقد كذّب جميع الرسل، لأنهم جميعًا أرسلهم الله بعقيدة التوحيد.

* ﴿ أَغْرَقْنَاهُمْ ﴾، أى: بالطوفان، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ (٣٧) ﴾ [هود: ٣٧].

* ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً ﴾، أى: علامة ظاهرة على قدرة الله.

* ﴿ وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ ﴾، أى: المشركين من قوم نوح.

* ﴿ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾، أى: مؤلمًا، فى الدار الآخرة.

﴿ وَعَادًا وَثَمُودَ وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا (٣٨) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَعَادًا وَثَمُودَ وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا ﴾: كلها معطوفة على «قومَ نوح»، أى: واذكر عادًا وثمود.. إلخ.

* ﴿ وَأَصْحَابَ الرَّسِّ ﴾: ﴿ الرَّسِّ ﴾ فى كلام العرب: البئر التى لم تطو، والجمع «رساس».

* قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما): سألت كعبًا عن أصحاب الرسّ، فقال أصحاب «يس» الذى قال: ﴿ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ⑳ ﴾ [يس: ٢٠].

فقتله قومه ورسُّوه فى بئر لهم يقال لها الرسّ: طرحوه فيها. وقد قال بهذا مقاتل بن حيّان (ت ١١٠هـ).. اهـ[١].

* وقال السّدّى إسماعيل بن عبد الرحمن (ت ١٢٧هـ): أصحاب الرسّ: هم أصحاب قصة «يس» أهل أنطاكيّة، والرسّ: بئر بأنطاكيّة قتلوا فيها (حبيب النجّار) مؤمن آل (يس) فنُسبوا إليها.. اهـ[٢].

* وقال قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ): أصحاب الرسّ، وأصحاب الأيكة أمّتان أرسل الله إليهما «شعيبًا» فعذبهما الله بعذابين.. اهـ[٣].

* ﴿ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا ﴾: أى: أممًا لا يعلمهم إلا الله بين قوم نوح، وعاد، وثمود، وأصحاب الرسّ.

* أخرج ابن مردويه من طريق أبى سلمة عن أبى هريرة (ت ٥٩هـ ـ رضى الله عنه) قال: قال النبى ﷺ: «كان بين «آدم» وبين «نوح» عشرة قرون، وبين «نوح» و«إبراهيم» عشرة قرون».

قال أبو سلمة: القرن مائة سنة.. اهـ[٤].

* وأخرج ابن جرير، وابن أبى حاتم، من طريق محمد بن القاسم الحمصى عن عبد الله بن بسر المازنى قال: وضع النبىّ ﷺ يده على رأسى وقال: «سيعيش هذا

(١ : ٣) انظر: تفسير القرطبى (١٣/ ٢٣).

(٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٥/ ١٣٠).

الغـلام قرنا» قلت: يا رسول الله كم الـقرن؟ قال: «مائة سنة». قال محـمد بن القاسم: ما زلنا نعدّ له حتى تمت مائة سنة ثمّ مات.. اهـ[١].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿وَعَادًا وَثَمُودَ﴾ [رقم: ٣٨].

* قرأ حفص، وحمـزة، ويعقوب: ﴿وثمود﴾ بترك التنوين ممنوعًا من الصرف للعلمية والتأنيث، مرادًا به القبيلة.

* وقرأ الباقون بالتنوين مصروفًا، مرادًا به الحى[٢].

﴿وَكُلاًّ ضَرَبْنَا لَهُ الأَمْثَالَ وَكُلاًّ تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا (٣٩) وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لا يَرْجُونَ نُشُورًا (٤٠)﴾

معاني المفردات:

* ﴿وَكُلاًّ ضَرَبْنَا لَهُ الأَمْثَالَ﴾:

* قـال الزّجـاج إبراهيم بن السَّرى (ت ٣١١هـ): ﴿وَكُـلاًّ﴾ مـفـعـول بفـعل محذوف، والتقـدير: وأنذرنا كلا: ضربنا لهم الأمثال، وبينا لهم الحـجة، ولم نضرب لهم الأمثال الباطلة كما يفعله هؤلاء الكفرة.. اهـ[٣].

* وعن قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَكُلاًّ ضَرَبْنَا لَهُ الأَمْثَالَ وَكُلاًّ تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا﴾ قال: كلّ قد أعذر الله إليه وبين له ثم انتقم منه.. اهـ[٤].

* وقـال الأخـفش الأوسط (ت ٢١٥هـ) مـعنى قـوله ـ تعـالى ـ: ﴿وَكُـلاًّ تَبَّـرْنَا تَتْبِيرًا﴾: دمّرناهم تدميرا.. اهـ[٥].

* ﴿وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ﴾: فاعل ﴿أَتَوْا﴾ كفار مكة، والقرية: هى سدوم من قرى قوم لوط.

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٥/ ١٣٠).

(٢) انظر: المهذب فى القراءات العشر وتوجيهها (٢/ ٨٣).

(٣) انظر: تفسير القرطبى (١٣/ ٢٤).

(٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٥/ ١٣١).

(٥) انظر: تفسير القرطبى (١٣/ ٢٥).

* قال الحسن البصرى (ت ١١٠ هـ): هى بين الشام والمدينة[1].

* ومعنى ﴿ مَطَرَ السَّوْءِ ﴾: الحجارة التى أمطروا بها.

* ﴿ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا ﴾:

* قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما): كانت قريش فى تجارتها إلى الشام تمرّ بمدائن قوم لوط، كما قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ (١٣٧) وَبِاللَّيْلِ أَفَلا تَعْقِلُونَ (١٣٨) ﴾ [الصافات: ١٣٧ ـ ١٣٨].. اهـ[2].

* ﴿ بَلْ كَانُوا لا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴾، أى: لا يرجون ثواب الآخرة، ويجوز أن يكون المعنى: لا يصدّقون بالبعث.

﴿ وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلاَّ هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولاً (٤١) إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلاً (٤٢) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلاَّ هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولاً ﴾:

✳ **المعنى:** نزلت هذه الآية فى أبى جهل كان يقول للنبى ﷺ مستهزءًا: أهذا الذى بعثه الله رسولا، أى: مرسلا؟ والاستفهام هنا: للاحتقار والإنكار.

* ﴿ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا ﴾: ﴿ كَادَ ﴾ من أفعال المقاربة: أى: قارب أن يصرفنا عن عبادة آلهتنا.

* ﴿ لَوْلا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ﴾، أى: حبسنا أنفسنا على عبادتها. فقال الله ـ تعالى ـ: ﴿ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلاً ﴾، أى: من أضلّ دينا أهم أم «محمد» ﷺ.

﴿ أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً (٤٣) أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً (٤٤) ﴾

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٥/ ١٣١).

(٢) انظر: تفسير القرطبى (١٣/ ٢٥).

سبب نزول الآية رقم ٤٣ :

* أخرج ابن أبي حاتم، وابن مردويه، عن ابن عباس (ت ٦٨هـ - رضى الله عنهما): كان الرجل يعبد الحجر الأبيض زمانًا من الدهر فإذا وجد حجرًا أحسن منه رمى به وعبد الآخر فأنزل الله الآية.. اهـ(١).

معانى المفردات:

* ﴿ أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ ﴾:

* قال قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ): ذاك الكافر كلّما هوى شيئًا ركبه، وكلّما اشتهى شيئًا أتاه، لا يعجزه عن ذلك ورع ولا تقوى.. اهـ(٢).

* ﴿ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً ﴾: الخطاب إلى نبينا «محمد» ﷺ.

المعنى: أفأنت تكون عليه حفيظًا وكفيلا حتى تردّه إلى الإيمان، أي: ليست الهداية والضلالة موكولتين إلى مشيئتك، وإنما عليك البلاغ.

* ﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ﴾ الآية.

* قال ابن عباس (ت ٦٨هـ - رضى الله عنهما) معنى ذلك: مثل الذين كفروا كمثل: البعير، والحمار، والشاة: إن قلت لبعضهم: «كُل» لم يعلم ما تقول غير أنه يسمع صوتك، كذلك الكافر إن أمرته بخير، أو نهيته عن شرّ، أو وعظته لم يعقل ما تقول غير أنه يسمع صوتك.. اهـ(٣).

* وعن مقاتل بن حيان (ت ١١٠هـ) فى قوله - تعالى -: ﴿ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً ﴾، قال: أخطأ سبيلا.. اهـ(٤). والسبيل: هى الطريق.

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلاً (٤٥) ﴾

معانى المفردات:

* عن الحسن البصرى (ت ١١٠هـ) فى قوله - تعالى -: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ ﴾: قال: مدّه من المشرق إلى المغرب فيما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس.

(١ : ٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٥/ ١٣٢).

* وعنه فى قولـه ـ تعالى ـ: ﴿ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ﴾ قال: تركه كـما هو ظلا ممدودًا ما بين المشرق والمغرب.. اهـ[١].

* ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلاً ﴾، أى: جعلنا الشمس بنسخها الظلّ دالة على أن الظلّ شىء ومعنى، لأن الأشياء تعرف بأضدادها، ولولا الشمس ما عرف الظلّ، ولولا النور ما عرفت الظلمة.

﴿ ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا (٤٦) وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا (٤٧) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴾: الضمير فى ﴿ قَبَضْنَاهُ ﴾ عائد على «الظلّ» المتقدم ذكره. وحينئذ يكون المعنى: يقول الله ـ تعالى ـ: ثمَّ قبضنا ذلك الظلّ الممدود قبضًا يسيرًا، أى: سريعًا وخفيا.

* قال قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ): إذا غابت الشمس قُبض الظلُّ قبضًا خفيًا، كلّما قُبِضَ جزءٌ منه جُعل مكانه جزءٌ من الظلمة، وليس يزول دفعة واحدة.. اهـ[٢].

* ﴿ وَهُوَ ﴾ أى: الله ـ تعالى ـ: ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا ﴾: أى: جعل الله ـ تعالى ـ الليل سترًا للخلق يقوم مقام اللباس فى ستر البدن.

* قال أبو جعفر الطبرى (ت ٣١٠هـ): وصف الله الليل باللباس تشبيهًا من حيث يستر الأشياء.. اهـ[٣].

* ﴿ وَالنَّوْمَ سُبَاتًا ﴾، أى: راحة للأبدان بالانقطاع عن الأشغال.

* ﴿ وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا ﴾، أى: جعل الله النهار للأحياء سببًا للانتشار للمعاش.

﴿ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا (٤٨) ﴾

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٥/ ١٣٣).

(٢، ٣) انظر: تفسير القرطبى (١٣/ ٢٧).

❁ معانى المفردات:

* ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ﴾، أى: المطر.

* ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴾، أى: يتطهر به. والطهور بفتح الطاء: هو الطاهر فى نفسه المطهِّر لغيره. فهو اسم لما يتطهَّر به، كالسَّحور اسم لما يُتسحَّر به.

قال الله ـ تعالى ـ فى آية أخرى: ﴿ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ ﴾ [الأنفال: ١١].

▣ القراءات وتوجيهها:

* ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ﴾ [رقم: ٤٨].

* قرأ ابن كثير: ﴿ الريح ﴾ بالإفراد، على إرادة الجنس.

* وقرأ الباقون: ﴿ الرياح ﴾ بالجمع، نظرًا لاختلاف أنواع الرياح فى هبوبها جنوبًا وشمالا، وصبا ودبورا، وحارة وباردة.

* وقرأ عاصم: ﴿ بُشْرا ﴾ بالباء الموحّدة المضمومة وإسكان الشين جمع «بشير».

* وقرأ حمزة، والكسائى، وخلف البزّار: ﴿ نَشْرا ﴾ بالنون المفتوحة، وإسكان الشين، مصدر واقع موقع الحال بمعنى ناشرة.

* وقرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وأبو جعفر، ويعقوب: ﴿ نُشُرا ﴾ بضم النون والشين، جمع ناشرة.

* وقرأ ابن عامر: ﴿ نُشْراً ﴾ بضم النون وإسكان الشين، وهى مخففة من قراءة ضمّ الشين[١].

﴿ لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾ ﴾

❁ معانى المفردات:

* ﴿ لِنُحْيِيَ بِهِ ﴾، أى: بالمطر.

---

(١) انظر: المهذب فى القراءات العشر وتوجيهها (٢/ ٨٤).

* ﴿ بَلْدَةً مَّيْتًا ﴾: بالجدوبة، والمحل، وعدم النبات.

* ﴿ وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا ﴾، أى: بشرًا كثيرًا، وأناسىّ: واحده «إنسىّ».

* ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا ﴾:

* قال مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) معنى ذلك: المطر ينزله الله فى أرض، ولا ينزله فى أخرى.. اهـ[١].

* ﴿ فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴾:

* قال عكرمة مولى ابن عباس (ت ١٠٥هـ) معنى ذلك: هو قولهم فى الأنواء: مطرنا بنوء كذا.. اهـ[٢].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا ﴾ [رقم: ٤٩].

* قرأ أبو جعفر: ﴿ ميِّتا ﴾ بتشديد الياء المكسورة.

* وقرأ الباقون بتخفيفها، وهما لهجتان[٣].

* ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا ﴾ [رقم: ٥٠].

* قرأ حمزة، والكسائى، وخلف البزّار: ﴿ ليَذْكُروا ﴾ بإسكان الذال، وضمّ الكاف مخفّفة، على أنه مضارع «ذكر» من الذكر ضدّ النسيان.

* وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ لِيَذَّكَّروا ﴾ بفتح الذال، والكاف مشدّدتين، على أنه مضارع «تذكر» وأصله «يتذكر» فأدغمت التاء فى الذال[٤].

﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا (٥١) فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا (٥٢) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴾، أى: رسولا ينذرهم.

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٥/ ١٣٥).

(٢) انظر: تفسير القرطبى (١٣/ ٣٩).

(٣، ٤) انظر: المهذب فى القراءات العشر وتوجيهها (٢/ ٨٥).

* ﴿ فَلا تُطِعِ الْكَافِرِينَ ﴾: الخطاب موجّه إلى نبينا «محمد» ﷺ أي: لا تطع الكافرين فيما يدعونك إليه من اتباع آلهتهم.

* ﴿ وَجَاهِدْهُم بِهِ ﴾، قال ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ أي: بالقرآن(١).

* ﴿ جِهَادًا كَبِيرًا ﴾: لا يخالطه فتور.

﴿ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا (٥٣) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ ﴾:

١ ـ قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) معنى ذلك: خلع أحدهما على الآخر: فليس يفسد العذبُ المالحَ. وليس يفسد المالحُ العذبَ.. اهـ(٢).

٢ ـ وقال مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) معنى ذلك: أفاض أحدهما فى الآخر.. اهـ(٣).

* ﴿ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ ﴾، أى: حلو شديد العذوبة.

* ﴿ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ﴾، أى: فيه ملوحة ومرارة.

* ﴿ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا ﴾:

* قال مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) معنى ذلك: أى: محبسًا لا يختلط البحر العذب بالبحر الملح.. اهـ(٤).

قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ (١٩) بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ (٢٠) ﴾ [الرحمن: ١٩ ـ ٢٠].

* ﴿ وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴾: قال قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) معنى ذلك: إنّ الله حجر الملح عن العذب، والعذب عن الملح أن يختلطا بلطفه وقدرته.. اهـ(٥).

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (١٣/ ٣٩).

(٢، ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٥/ ١٣٥).

(٤، ٥) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٥/ ١٣٦).

﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا (٥٤) وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنفَعُهُمْ وَلا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا (٥٥) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا ﴾، أي: خلق من النطفة إنسانًا.

* ﴿ فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا ﴾، أي: جعل الإنسان ذا نسب، وذا صهر.

١ - قيل: النسب ما لا يحلّ نكاحه، والصهر ما يحلّ نكاحه، فالنسب ما يوجب الحرمة، والصهر ما لا يوجبها(١).

٢ - وقيل: النسب من القرابة، والصهر الخلطة التى تشبه القرابة، وهو السبب المحرّم للنكاح(٢).

٣ - وقيل: النسب والصهر معنيان يعمّان كل قربى تكون بين الآدميين(٣).

* وقال قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا ﴾ قال: ذكر الله الصهر مع النسب، وحرّم أربع عشرة امرأة: سبعًا من النسب، وسبعًا من الصهر، فاستوى تحريم الله فى النسب والصهر(٤).

* ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ﴾، أى: هؤلاء المشركون.

* ﴿ مَا لا يَنفَعُهُمْ ﴾: إن عبدوه. * ﴿ وَلا يَضُرُّهُمْ ﴾: إن تركوا عبادته.

* ﴿ وَكَانَ الْكَافِرُ ﴾: قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما): هو أبو الحكم الذى سمّاه الرسول ﷺ أبا جهل بن هشام.. اهـ(٥).

* ﴿ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا ﴾:

* قال مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ)، والضحاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ)، والحسن البصرى (ت ١١٠هـ): قالوا معنى ذلك: معينًا للشيطان على معاصى الله.. اهـ(٦).

(١، ٢) انظر: تفسير البغوى (٣/ ٣٧٣). (٣) انظر: تفسير القرطبى (١٣/ ٤٠).

(٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٥/ ١٣٦).

(٥، ٦) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٥/ ١٣٧).

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (٥٦) قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَاءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا (٥٧) ﴾

❀ معاني المفردات:

* ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾: الخطاب إلى رسول الله.

* قال قتادة بن دعامة: إلا مبشّرا بالجنة، ونذيرًا من النار(١).

* وعن ابن عباس - رضى الله عنهما - فى قوله - تعالى -: ﴿ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ﴾: قل لهم يا رسول الله ما أسألكم على ما أدعوكم إليه من أجر، أى: عرض من أعراض الدنيا.. اهـ(٢).

* ﴿ إِلَّا مَن شَاءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴾، أى: بالإنفاق فى سبيل الله.

﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَىٰ بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا (٥٨) الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَٰنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا (٥٩) ﴾

❀ معاني المفردات:

* ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ ﴾:

✳ **المعنى:** توكّل يا رسول الله على الله الذى له الحياة الدائمة التى لا موت معها.

* والتوكل: هو اعتماد القلب على الله - تعالى - فى كل الأمور.

* ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ ﴾، أى: نزِّه الله - تعالى - عمّا يصفه به هؤلاء الكفّار من الشركاء.

* ﴿ وَكَفَىٰ بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا ﴾، أى: عليمًا بصغيرها وكبيرها فيجازيهم بها.

* ﴿ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾:

* قال الطبرى فى تفسيره: كان ابتداء ذلك يوم الأحد، والفراغ يوم الجمعة.. اهـ(٣).

(١، ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٥/ ١٣٧).

(٣) انظر: تفسير الطبرى (٩/ ٤٠٣).

* ﴿ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَٰنُ ﴾:

* قال الطبرى فى تفسيره: ثم استوى على العرش الرحمن وعلا عليه، وذلك يوم السبت.. اهـ[1].

* ﴿ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا ﴾، المعنى: يقول الله لنبيه ﷺ: إذا أخبرتك عن شىء فاعلم أنه كما أخبرتك، فأنا الخبير.

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ﴿٦٠﴾ تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿٦١﴾ ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ﴾، أى: لكفّار مكّة. * ﴿ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَٰنِ ﴾، أى: لله ـ تعالى ـ.

* ﴿ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَٰنُ ﴾: وذلك على جهة الإنكار والتعجّب، أى: ما نعرف ﴿ الرَّحْمَٰنُ ﴾ إلا رَحْمان اليمامة، يعنون: (مسيلمة الكذاب).

* ﴿ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا ﴾، أى: لما تأمرنا به أنت «يا محمد». والاستفهام هنا للإنكار.

* ﴿ وَزَادَهُمْ نُفُورًا ﴾، أى: زادهم قول القائل لهم: اسجدوا للرحمن نفوراً عن الدين.

* ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا ﴾، أى: منازل.

* قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما): هى الاثنا عشر برجًا: أولها الحَمَل، ثم الثور، ثم الجوزاء، ثم السرطان، ثم الأسد، ثم السنبلة، ثم الميزان، ثم العقرب، ثم القوس، ثم الجَدْى، ثم الدَّلْو، ثم الحوت.. اهـ[2].

* ﴿ وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا ﴾، قال ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ: هى الشمس[3].

* ﴿ وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴾: ينير الأرض إذا طلع.

---

(١) انظر: تفسير الطبرى (٩/ ٤٠٣).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٥/ ١٣٨).

(٣) انظر: تفسير القرطبى (١٣/ ٤٤).

القراءات وتوجيهها:

* ﴿أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا﴾ [رقم: ٦٠].

قرأ حمزة، والكسائى: ﴿يأمرنا﴾ بياء الغيبة، والفاعل ضمير مستتر تقديره «هو» والمراد به نبينا «محمد» ﷺ المفهوم من قوله ـ تعالى ـ قبلُ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [رقم: ٥٦].

* وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿تأمرنا﴾ بتاء الخطاب، والمخاطب نبينا «محمد» ﷺ، لأنهم أنكروا أمره لهم بالسجود لله ـ تعالى ـ(١).

* ﴿وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا﴾ [رقم: ٦١].

* قرأ حمزة، والكسائى، وخلف البزّار: ﴿سُرُجًا﴾ بضم السين والراء، من غير ألف، بالجمع، وذلك على إرادة الكواكب، لأن كل كوكب سراج، وهى تطلع مع القمر.

* وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿سِرَاجا﴾ بكسر السين، وفتح الراء، وألف بعدها، على التوحيد، والمراد: الشمس(٢).

﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا (٦٢)﴾

معانى المفردات:

* ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً﴾:

* قال أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢١٠هـ): الخِلْفة: كل شىء بعد شىء، وكل واحد من الليل والنهار يخلف صاحبه.. اهـ(٣).

* ﴿لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ﴾، أى: يتذكر فيعلم أن الله لم يجعله كذلك عبثا فيعتبر فى مصنوعات الله، ويشكر الله ـ تعالى ـ على نعمه عليه فى العقل والفكر والفهم.

* وقال عمر بن الخطاب (ت ٢٣هـ ـ رضى الله عنه)، وابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما)، والحسن البصرى (ت ١١٠هـ) قالوا: معناه: من فاته شىء من الخير بالليل أدركه بالنهار، ومن فاته بالنهار أدركه بالليل.. اهـ(٤).

---

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٣/ ٩٢).
(٢) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٣/ ٩٢ ـ ٩٣).
(٣) انظر: تفسير القرطبى (١٣/ ٤٤).
(٤) انظر: تفسير القرطبى (١٣/ ٤٥).

* ﴿أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾: على أنّ الله جعلهما قوامًا لمعاشهم.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ﴾ [رقم: ٦٢].

* قرأ حمزة، وخلف البزّار: ﴿يَذْكُرَ﴾ بتخفيف الذال من الذكر.

* وقرأ الباقون بتشديد الذال والكاف، على معنى التذكّر[١].

﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴿٦٣﴾﴾

معاني المفردات:

* ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ﴾:

* قال ابن عباس (ت ٦٨هـ - رضي الله عنهما) : هم المؤمنون[٢].

* ﴿الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾: للعلماء في معنى ذلك أقوال:

١ - قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: معنى ذلك: يمشون على الأرض بالطاعة، والعفاف، والتواضع[٣].

٢ - وفي رواية ثانية عنه قال: هم علماء حكماء.. اهـ[٤].

٣ - وقال مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ)، وعكرمة مولى ابن عباس (ت ١٠٥هـ)، والفضيل بن عياض، قالوا: هم الذين يمشون على الأرض بالسكينة والوقار[٥].

* ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾:

* قال سعيد بن جبير (ت ٩٥هـ) الجاهلون: هم السفهاء[٦].

* وقال قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) معنى ذلك: لا يجهلون على أهل الجهل.. اهـ[٧].

﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴿٦٤﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾﴾

---

(١) انظر: المغني في توجيه القراءات العشر (٣/ ٩٣).

(٢ : ٥) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٥/ ١٤٠).

(٦، ٧) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٥/ ١٤١).

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴾:

* قال الحسن البصرى (ت ١١٠هـ): معنى ذلك: ينتصبون لله على أقدامهم، ويفترشون وجوههم سجَّدًا لربهم تجرى دموعهم على خدودهم خوفًا من ربهم.. اهـ(١).

* ﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ﴾، أى: هم بطاعتهم لربهم مشفقون خائفون وجلون من عذاب الله.

* ﴿ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴾: قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) معنى ذلك: إن عذاب جهنم سيكون ملازمًا شديداً كلزوم الغريم الغريم.. اهـ(٢).

* ﴿ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴾، أى: بئس المستقرّ وبئس المقام عذاب جهنم.

﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا (٦٧) ﴾

✷ **المعنى:** * اختلف المفسرون فى تأويل هذه الآية:

١ ـ فقال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما)، ومجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ)، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم (ت حوالى ١٧٠هـ): قالوا: من أنفق مائة ألف فى حقّ فليس بسرف. ومن أنفق درهمًا فى غير حقه فهو سرف. ومن منع من حقّ عليه فقد قتر.. اهـ(٣).

٢ ـ وقال أبو جعفر النحّاس (ت ٣٣٨هـ): مِنْ أحْسَن ما قيل فى معناه: أنّ من أنفق فى غير طاعة الله فهو الإسراف. ومن أمسك عن طاعة الله ـ عزّ وجلّ ـ فهو الإقتار. ومن أنفق فى طاعة الله ـ تعالى ـ فهو القوام.. اهـ(٤).

▣ القراءات وتوجيهها:

* ﴿ لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا ﴾ [رقم: ٦٧].

* قرأ نافع، وابن عامر، وأبو جعفر: ﴿ ولم يُقْتِروا ﴾ بضم الياء، وكسر التاء، مضارع «أقتر» الرباعى.

(١، ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٥/ ١٤٢). (٣، ٤) انظر: تفسير القرطبى (١٣/ ٤٩).

* وقرأ عاصم، وحمزة، والكسائى، وخلف البزّار بفتح الياء، وضمّ التاء، مضارع «قتر» الثلاثى.

* وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب بفتح الياء، وكسر التاء، مضارع «قتر» الثلاثى[١].

﴿ وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (٦٨) ﴾

سبب نزول هذه الآية:

* أخرج الفريابى، وأحمد، وعبد بن حميد، والبخارى، ومسلم، والترمذى، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبى حاتم، وابن مردويه، والبيهقى فى شعب الإيمان، عن ابن مسعود (ت ٣٢هـ ـ رضى الله عنه) قال: سُئل النبى ﷺ أىّ الذنب أكبر؟ قال: «أن تجعل لله ندًا وهو خلقك» قلتُ: ثم أى؟ قال: «أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك» قلتُ: ثم أى؟ قال: «أن تزانى حليلة جارك» فأنزل الله تصديق ذلك: ﴿ وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ ﴾.. اهـ[٢].

معانى المفردات:

* أخرج ابن مردويه، عن عون بن عبد الله، قال: سألتُ الأسود بن يزيد هل كان ابن مسعود يفضّل عملا على عمل؟ قال: نعم، سألتُ ابن مسعود قال: سألتنى عمّا سألتُ عنه رسول الله ﷺ فقلتُ: يا رسول الله أىّ الأعمال أحبها إلى الله وأقربها من الله؟ قال: «الصلاة لوقتها»، قلتُ: ثم ماذا على إثر ذلك؟ قال: «ثم برّ الوالدين»، قلتُ: ثم ماذا على إثر ذلك؟ قال: «الجهاد فى سبيل الله»، ولو استزدته لزادنى، قلتُ: فأىّ الأعمال أبغضها إلى الله وأبعدها من الله؟ قال: «أن تجعل لله ندًا وهو خلقك، وأن تقتل ولدك أن يأكل معك، وأن تزانى حليلة جارك»، ثم قرأ: ﴿ وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ﴾ الآية.. اهـ[٣].

---

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٣/ ٩٤).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٥/ ١٤٣)، وأسباب النزول للواحدى ص٣٤٥، وأسباب النزول للشيخ القاضى ص١٦٦.

(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٥/ ١٤٤).

* ﴿ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴾:

* قال عبد الله بن عمر (ت ٧٣هـ ـ رضى الله عنهما)، ومجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ): معنى ذلك: واد فى جهنم من قيح ودم.. اهـ(١).

* وقال (شُفَىّ الأصبحى): إنّ فى جهنم واديًا يدعى: أثامًا، فيه حيّات وعقارب، فى فقار إحداهنّ مقدار سبعين قلّة من السمّ، والعقرب منهنّ مثل البغلة الموكفة.. اهـ(٢).

﴿ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (٦٩) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾: بالجزم بدل من «يَلْقَ أثاما» الذى هو جزاء الشرط: «مَنْ».

* ﴿ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴾: قال سعيد بن جبير (ت ٩٥هـ): أى: فى العذاب.
* ﴿ مُهَانًا ﴾، أى: يهان فيه.. اهـ(٣).

* ومعنى ﴿ مُهَانًا ﴾: ذليلا خاسئا مبعدًا من رحمة الله.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ يُضَاعَفْ، وَيَخْلُدْ ﴾ [رقم: ٦٩].

* قرأ ابن عامر، وشعبة: ﴿ يضاعفُ ﴾ برفع الفاء، و﴿ يخلدُ ﴾ برفع الدال، وذلك على الاستئناف.

* وقرأ الباقون من القراء العشرة بالجزم فيهما، على أنّ «يضاعفْ» بدل اشتمال من «يلق» و«يخلدْ» معطوف عليه.

* وقرأ ابن كثير، وابن عامر، وأبو جعفر، ويعقوب: ﴿ يضعّف ﴾ بتشديد العين، وحذف الألف، على أنه مضارع «ضعّف» مضعّف العين.

* وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ يضاعف ﴾ بتخفيف العين، وإثبات الألف، مضارع «ضاعف» على وزن فاعل(٤).

(١، ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٥/ ١٤٤). (٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٥/ ١٤٥).

(٤) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٣/ ٩٤).

﴿ إِلاَّ من تَاب وَآمن وَعَمِل عَمَلاً صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (٧٠) ﴾

سبب نزول هذه الآية:

* أخرج ابن مردويه، عن ابن عباس (ت ٦٨هـ - رضى الله عنهما) قال: لما نزلت: ﴿ وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ﴾ الآية، اشتدّ ذلك على المسلمين فقالوا: ما منا أحدٌ إلا أشرك، وقتل، وزنى، فأنزل الله: ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٥٣) ﴾ [الزمر: ٥٣].

ثم نزلت بعدها: ﴿ إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا ﴾ الآية، فأبدلهم الله بالكفر الإسلام، وبالمعصية الطاعة، وبالإنكار المعرفة، وبالجهالة العلم.. اهـ[1].

معانى المفردات:

* ﴿ إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا ﴾:

* قال قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ): إلا من تاب وآمن بربه، وعمل عملا صالحا فيما بينه وبين ربّه.. اهـ[2].

* ﴿ فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾: فى معنى ذلك قولان:

الأول: قال ابن عباس (ت ٦٨هـ)، وسعيد بن جبير (ت ٩٥هـ)، ومجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ)، والضحّاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ)، والحسن البصرى (ت ١١٠هـ)، والسّدّى إسماعيل بن عبد الرحمن (ت ١٢٧هـ): قالوا معنى ذلك: يبدلهم الله بقبائح أعمالهم فى الشرك محاسن الأعمال فى الإسلام: فيبدلهم بالشرك إيمانهم، وبقتل المؤمنين قتل المشركين، وبالزنا عفّة وإحصان[3].

* والثانى: وقيل: يبدلهم الله بسيئاتهم التى عملوها فى الإسلام حسنات يوم القيامة. وهو قول سعيد بن المسيب (ت ٩٤هـ)[4].

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٥/ ١٤٥).

(٢) انظر: تفسير البغوى (٣/ ٣٧٧).

(٣، ٤) انظر: تفسير البغوى (٣/ ٣٧٧).

﴿ ومن تاب وعمل صالحا فإنه يتوب إلى الله متابا (٧١) ﴾

المعنى:

١ - قال ابن عباس (ت ٦٨هـ - رضى الله عنهما): المعنى: من آمن من أهل مكة، وهاجر، ولم يكن قتل وزنى بل عمل صالحًا وأدّى الفرائض فإنه يتوب إلى الله متابًا، أى فإنى قدّمتهم وفضلتهم على من قاتل النبى ﷺ واستحلّ المحارم.. اهـ[١].

٢ - وقيل المعنى: من تاب وعمل صالحًا فحقّق توبته بالأعمال الصالحة، فهو الذى تاب إلى الله متابًا، أى: تاب حقّ التوبة وهى التوبة النصوح. و﴿ متابا ﴾ مصدر مؤكد لعامله، كقوله - تعالى -: ﴿ وكلم الله موسى تكليما (١٦٤) ﴾ [النساء: ١٦٤].. اهـ[٢].

﴿ والذين لا يشهدون الزور وإذا مروا باللغو مروا كراما (٧٢) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ والذين لا يشهدون الزور ﴾:

* ﴿ الزور ﴾: كل باطل زوِّر وزخرف، وأعظمه الشرك بالله وتعظيم الأنداد.

* وقد اختلف العلماء فى المعنى المراد من الآية الكريمة:

١ - فقال قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) المراد من ذلك: الكذب فهم لا يساعدون أهل الباطل على باطلهم، ولا يمالؤونهم فيه.. اهـ[٣].

٢ - وقال محمد ابن الحنفيّة، أى: ابن علىّ بن أبى طالب (ت ٨١هـ)، ومجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ)، والحسن البصرى (ت ١١٠هـ): المراد من ذلك: مجالس الغناء.. اهـ[٤].

٣ - وقال علىّ بن أبى طلحة: المعنى: لا يشهدون بالزور، من الشهادة لا من المشاهدة[٥].

(١، ٢) انظر: تفسير القرطبى (١٣/ ٥٣).

(٣، ٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٥/ ١٤٨).

(٥) انظر: تفسير القرطبى (١٣/ ٥٤).

* ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾:

* اللغو: هو كل سقط من قول، أو فعل، فيدخل فيه الغناء، وذكر النساء، وغير ذلك من المنكر.

* وقال الحسن البصرى (ت ١١٠ هـ): اللغو المعاصى كلها.. اهـ(١).

* ومعنى: ﴿مَرُّوا كِرَامًا﴾: أى: معرضين ومنكرين لا يرضونه، ولا يمالئون عليه، ولا يجالسون أهله.

* روى أن عبد الله بن مسعود (ت ٣٢هـ ـ رضى الله عنه) سمع غناءً فأسرع وذهب، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: «لقد أصبح ابن أمّ عبد كريمًا» اهـ(٢).

﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا (٧٣)﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾، أى: إذا قرئ عليهم القرآن.
* ﴿لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾:

* قال قتادة بن دعامة (ت ١١٨ هـ) معنى ذلك: لم يصمّوا عن الحق، ولم يعموا عنه، هم قوم عقلوا عن الله فانتفعوا بما سمعوا من كتاب الله.. اهـ(٣).

قال الله ـ تعالى ـ: ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا (٥٨)﴾ [مريم: ٥٨].

﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا (٧٤)﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾:

١ ـ قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) المراد من ذلك: من يعمل بالطاعة فتقرّ بهم أعيننا فى الدنيا والآخرة(٤).

(١، ٢) انظر: تفسير القرطبى (١٣/ ٥٤).

(٣، ٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٥/ ١٤٩).

٢ ـ وقال عكرمة مولى ابن عباس (ت ١٠٥هـ): لم يريدوا بذلك صباحة ولا جمالا، ولكن أرادوا أن يكونوا مطيعين لله ولرسوله.. اهـ(١).

٣ ـ وقال الحسن البصرى (ت ١١٠هـ) معنى ذلك: هو أن يرى الرجل المسلم من زوجته، ومن ذريته، ومن أخيه، ومن حميمه، طاعة الله، ثم قال: والله ما شيء أحبّ إلى المرء المسلم من أن يرى ولدًا، أو والدًا، أو حميمًا، أو أخًا مطيعًا لله ـ تعالى ـ.. اهـ(٢).

* ﴿ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾:

* قال قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) معنى ذلك: يقولون: ربنا اجعلنا قادة فى الخير، ودعاة وهداة يؤتمّ بهم فى الخير(٣).

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ ﴾ [رقم: ٧٤].

* قرأ أبو عمرو، وشعبة، وحمزة، والكسائى، وخلف البزّار: ﴿ وذرّيتنا ﴾ بحذف الألف، على التوحيد، لإرادة الجنس.

* وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ وذرّياتنا ﴾ بإثبات الألف، على الجمع، حملا على المعنى، لأنّ لكل واحد ذرّية(٤).

﴿ أُوْلَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلامًا (٧٥) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ أُوْلَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا ﴾:

* أخرج الحكيم الترمذى فى نوادر الأصول، عن سهل بن سعد (ت ٩١هـ ـ رضى الله عنه) عن النبى ﷺ فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ أُوْلَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ ﴾ قال: «هى من ياقوتة حمراء، أو زبرجدة خضراء، أو درّة بيضاء، ليس فيها قصم ولا وهم» اهـ(٥).

(١ : ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٥/ ١٤٩).

(٤) انظر: المغنى فى توجيه القراءات (٣/ ٩٥). (٥) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٥/ ١٥٠).

* وأخرج زاهر بن طاهر الشحامى، عن أنس بن مالك (ت ٩٣هـ - رضى الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ فى الجنة لغرفا ليس فيها مغاليق من فوقها، ولا عماد من تحتها»، قيل: يا رسول الله وكيف يدخلها أهلها؟ قال: «يدخلونها أشباه الطّير» قيل: يا رسول الله لمن هى؟ قال: «لأهل الأسقام والأوجاع والبلوى»[١].

* ﴿ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلامًا ﴾، أى: يسلّم بعضهم على بعض.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلامًا ﴾ [رقم: ٧٥].

* قرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وحفص، وأبو جعفر، ويعقوب: ﴿ ويُلَقّون ﴾ بضم الياء، وفتح اللام، وتشديد القاف، على أنه مضارع «لقّى» مضعف العين، وهو مضارع مبنى للمجهول يتعدّى إلى مفعولين: الأول «الواو» التى فى «يلقون» وهى نائب الفاعل، والثانى «تحيّة».

* وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ ويَلْقَون ﴾ بفتح الياء، وسكون اللام، وتخفيف القاف، مضارع «لقى» الثلاثى، وهو مضارع مبنىّ للمعلوم يتعدّى إلى مفعول واحد، وهو «تحيّة» والواو فاعل[٢].

﴿ خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا (٧٦) قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا (٧٧) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا ﴾: منصوب على الحال، أى: حالة كونهم خالدين فيها، والضمير «فيها» عائد على «الغرفة» المتقدم ذكرها.

* ﴿ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴾، أى: موضع قرار وإقامة.

* ﴿ قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلا دُعَاؤُكُمْ ﴾:

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٥/ ١٥٠).

(٢) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٣/ ٩٦).

* قال ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ: المعنى: أخبر الله أنه لا حاجة له بهم إذْ لم يخلقهم مؤمنين، ولو كانت له بهم حاجة لحبّب إليهم الإيمان كما حبّبه إلى المؤمنين.. اهـ[(١)].

* وقال مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ)، وعبد الرحمن بن زيد (ت حوالى ١٧٠هـ) معنى ذلك: ما يصنع وما يفعل بكم ربّى.. اهـ[(٢)].

* وقال الوليد بن أبى الوليد: بلغنى أن تفسير هذه الآية: ﴿قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾، أى: ما خلقتكم لى بكم حاجة إلا أن تسألونى فأغفر لكم، وتسألونى فأعطيكم.. اهـ[(٣)].

* ﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ﴾: أيها الكافرون، والخطاب لكفار مكة.

* ﴿فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾: قال ابن جرير (ت ٣١٠هـ) معنى ذلك: فسوف يكون عذابًا دائمًا، وهلاكًا مقيمًا يلحق بعضكم ببعض[(٤)].

* وقال عبد الله بن مسعود (ت ٣٢هـ ـ رضى الله عنه)، وأُبَىّ بن كعب (ت ٣٠هـ ـ رضى الله عنه): العذاب اللازم كان يوم بدر قتل منهم سبعون، وأسر سبعون[(٥)]. أى: أنهم قتلوا يوم بَدْر، وسيتصل بهم عذاب الآخرة لازمًا لهم.

●●●

تمّ ولله الحمد والشكر تفسير سورة الفرقان

ويليها بإذن الله ـ تعالى ـ

[تفسير سورة الشعراء]

●●●

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٥/ ١٥٠).
(٢) انظر: تفسير البغوى (٣/ ٣٧٩).
(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٥/ ١٥١).
(٤، ٥) انظر: تفسير البغوى (٣/ ٣٨٠).

فهرس المحتويات